الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة
والحضارة الإسلامية
قسم : العقيدة و مقارنة الأديان

الرقم الترتيبي : ...../2003م

رقم التسجيل :...../.....

تاريخ المناقشة: 07 / 01 / 2004

منهج البحث في علم العقيدة
في ضوء التطور العلمي المعاصر

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه الدولة في العقيدة

إعداد الطالب : صالح نعمان — **إشراف الدكتور : مولود سعاده**

أمام اللجنة:

الاسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
1-أ.د عبد الرزاق قسوم	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	رئيسا
2-د. مولود سعادة	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة	مشرفا و مقررا
3-أ.د.عمار جيدل	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	عضوا
4-أ.د.محمد زرمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة	عضوا
5-د.اسعيد عليوان	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة	عضوا

السنة الجامعية :1424ـ1425هـ

2003-2004م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من كانا سببا في وجودي، وربّياني وسهرا على تعليمي ورعايتي صغيرا ، ومن ألمس بركة دعائهما كبيرا: إلى والديّ الكريمين

[رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا]

إلى شريكة حياتي التي وقفت بجانبي بكل إخلاص و تفان,و لا تزال تشد من أزري

إلى أبنائي البررة الذين تحمَّلوا معي معاناة هذا البحث

إلى الدعاة المخلصين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه

إلى كل باحث نزيه ينشد الحقيقة

إلى كل أستاذ ومربٍ مخلص يعمل على ترقية إيمان ووعي أبنائنا

إلى كل من قدم لي يد المساعدة

إلى كل الذين طالما انتظروا بشغف ميلاد هذا العمل

أهدي هذا العمل المتواضع

صالح نعمان

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

الحمـــد الله **تعـــالى** الذي من علي بإتمام هذا العمل الذي لم يكن ليرى النور ويتم جاهزا لولا توفيقه تعالى وفضله العظيم بما يسر من السبل وذلل من الصعاب التي لم أتخطاها إلاَّ برحمته وتيسيره.

وبعد:

لا يسعني إلاَّ أن أشيد بالفضل وأقر بالمعروف، وأتوجه بخالص الشكر إلى جمـــيع أســـاتذتي الأفاضل وأصدقائي وزملائي الكرام، وإلى كل من ســـاهم مـــن قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث، بإعارة كتاب أو تقديم اقتراح أو إرشاد أو نصيحة أو انتقاد أو كتابة أو تصوير، وأخص بالشكر والتقدير وخالص الامتنان:

ـــ أستاذي الفاضل **د. مولود سعادة**، على توجيهاته وحثه وتشجيعه، بكل سعة صدر.

ـــ زملائي: الأستاذ **عبد الوهاب فرحات** الذي فتح لي مكتبته العامرة الثمينة، بثقة كاملة، والأستاذ **مصطفى وينتن** على إتقان إخراج هذا العمل بصـــبر وأنـــاة، وخلق نبيل, و الأخ **العربي** على ما قدمه من مساعدات خاصة من مطبعته الفتية.

ـــ إلى كافـــة **موظفـــي مكتبة الجامعة** (أحمد عروة) على مساعداتهم، **وموظفي إدارة جامعة الأمير** عبد القادر.

وجزاهم الله جميعا خير الجزاء.

المقدمة

جامعة الأمين عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله, نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا, من يهده الله فلا مضل له,ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

وبعد:

أ-الإشكالية

من أبرز الآفات التي يواجهها علماؤنا ومفكرونا في معرض تأسيسهم لنظام كلامي إسلامي معاصر تكمن في آفتين:

1-**التقليدية:** وهي إحدى آفات المعرفة المتمثلة في عدم القبول بممارسة النقد, وبأي وجه من الوجوه, إزاء السالفين والقدامى, والاحتماء المطلق خلف الفكر التقليدي الذي يعتبره البعض بمنزلة الثابت والمقدس على نحو لا يقبل التحول والتجديد. فبعض الدعاة للعقيدة الإسلامية والمدافعين عن الفكر الإسلامي, يجدون أنفسهم داخل الآثار الكلامية القديمة من دون أن يكون لديهم أي احتكاك بالمسائل الكلامية الجديدة والمستحدثة - إنكارا أو تجاهلا- ومن دون أن يجهدوا أنفسهم في تبيين وتوضيح الفكر الإسلامي بما يتلاءم مع مقتضيات العصر والبيئة.

إذ يعرض أحدهم ويناقش أمام الناس أو أمام الطلاب قضايا متقادمة قال بها الأولون, دون أن يحاول مزج المعرفة التقليدية في علم العقيدة, بالجديد, فيصر على الحديث عن النـــزاع بين المعتزلة وأهل السنة, والخلاف بين الأشاعرة والماتردية وهل الأشاعرة من أهل السنة أم لا, أو يجعل فرقته هي الفرقة الناجية وما يقره هو عين الحق, والحديث عن تناقض العقل والنقل أو ترجيح أحدهما عن الآخر, وقضية خلق القرآن وقدم العالم وهل صفات الله هي عين ذاته أو زائدة عنها.

وكل ذلك في حلقة مفرغة بعيدة عن مشاكل وتطلعات وآمال المسلم المعاصر ومجال تفكير الشباب المتحول, وانشغالات المسترشد بهذا الدين وشبهات الخصوم المعاندين.

لأن ـــ أولا ـــ هذا الكلام كله قد أدى وظيفته على خير وجه حين كان جزءا من صراع عصره حول المفاهيم والقيم. ولأن ـــ ثانيا ـــ كثير من الاستدلالات على العقائد تقوم على أسس

ومفاهيم أبطل أغلبها التطور العلمي المعاصر. ولأن ـــ ثالثا ـــ هذا العصر هو عصر العلم والتقدم التكنولوجي, والعقلية المعاصرة هي العقلية العلمية العملية.

فلما مضى عصره أصبح أغلب مباحثه جزءا من تاريخ الفكر لا أساسا من أسس النقاش الحي النابع من الواقع والتجربة المعاشة, لذلك عجز علم العقيدة عن هداية مسلم ضال أو مسترشد أو ترقية إيمان مقلد, فضلا عن إقناع مرتد أو ملحد بخطئه, لأن أسباب شك هؤلاء أو تشويش إيمانهم أو ردتهم أو إلحادهم ليست من موضوعات علم العقيدة القديم ولا سبيل استمالتهم وهدايتهم من منهجه.

بينما موضوع النقاش الفكري اليوم هو أحقية هذا الدين وبراهين الإيمان التي يقدمها العلم من الآفاق والأنفس, والأزمات الفكرية المعرفية والبيئية والصحية التي يعاني منها الإنسان اليوم ويبحث لها عن حلول أبدية, موضوع النقاش اليوم هو منهج وسبل التعريف بهذا الدين والدعوة إليه وحل مشكلات المسلمين العقدية السلوكية.

2-**التجديدية**: في مقابل تفريط التقليديين هناك إفراط المجددين الذين يتصورون أن المسائل العقدية الجديدة إنما تعني الانقطاع الكامل عن كل ما هو سلف وقديم, فالانبهار بعالم اليوم وعدم التعرف على الموروث الكلامي القديم يعنيان على انعدام الشخصية وفقدان الذات, إضافة إلى تحقير ذلك الموروث القيّم وإنكار القيم التي يتحلى بها[1].

في هذا الجو المصطنع بالعلم والتقدم العلمي والملتحف بالمنهجية، ومع هذه العقلية الجديدة التي لا تؤمن إلا بالكلام القائم على أساس التجربة والمشاهدة ولا تولي أهمية إلا للأمور الثابتة على أساس الحقائق الطبيعية، وترفض كل كلام يقدم على أساس التخمينات والقياسات المنطقية، وبالتالي ترفض كل تفسير غير علمي لأية حقيقة، والذي أدى بذلك إلى رفض هذه العقلية لكثير من حقائق الدين وقضاياه وخاصة دائرة عالم الغيب وهو المجال الواسع والحقيقي لأصول الدين وأسسه.

وبناء على التحديات الذاتية الداخلية التي يواجهها المسلمون كالتخلف والجهل والانحراف عن الدين, والموضوعية الخارجية من أعداء الإسلام كالاحتلال والاستدمار, تشويه الإسلام, وتهوين أركان الإيمان وإضعافها في نفوس المسلمين لإخراجهم من دينهم بعد هدمها وإزالتها, والإفساد الطبيعي والأخلاقي والصحي في العالم.

وبناء على ما سببه الفكر البشري للإنسان من أزمات متعددة متنوعة تكاد تضع حدا لوجوده

---

[1] – أحمد فارامرز قاراملكي: "تحليل مفهوم التجديد في الكلام الجديد" ص:9-10.

ولوجود الكون كله, وتبعده عن السعادة المنشودة آلاف الكيلومترات كلما حاول وظن أنه أدركها.

هل يمكن للباحثين في علم العقيدة أن يقفوا عند صور الاستدلال القديمة، التي اتخذها أسلافنا، منهجا في تثبيت العقائد أو الرد على المخالفين لها؟

وإذا افترضنا أن الأمر لا يمكن أن يقف بهم عند صور الاستدلال القديمة فما هي المبررات الواقعية التي تدفعهم إلى تجاوزها والدعوة إلى منهج جديد لعلم العقيدة؟

ثم ما هو هذا المنهج الجديد أو ما هي طبيعته وأسسه وما مدى قربه من منهج القرآن الكريم في الاستدلال على المسائل العقائدية وكيف يمكن تطبيقه في واقعنا المعاصر ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات لابد من التعريف بعلم العقيدة من حيث الحد والتسمية والدور, وما هي طبيعة صور الاستدلال التي اتخذها علماء العقيدة الأوائل منهجا لعلمهم؟

وما هي طبيعة منهج القرآن الكريم في تثبيت العقيدة والرد على المخالفين؟

وما هي العقلية المعاصرة وما هي مستويات هذه العقلية المخاطَبة بالفكر العقائدي اليوم؟ ثم ما هي الفائدة العقائدية (المعرفية) والعملية من هذه الدراسة ومن تطبيق هذا المنهج المقترح في حياتنا المعاصرة في مجال الدعوة، على مستوى الأفراد والمجتمع والمؤسسات وخاصة التربوية والتعليمية منها؟

ب–الدراسات السابقة:

ولهذا دعا كثير من المفكرين المسلمين المعاصرين، إلى تجاوز صور الاستدلال القديمة وتجديد منهج علم العقيدة في ضوء التطور العلمي الهائل في هذا العصر, الذي تتجاوز منجزاته كما وكيفا كل منجزات العلم في العصور الماضية, ويقوم على أسس المنهج القرآني ويلائم العقلية الجديدة.

ومن هؤلاء المفكرين الدكتور عبد المجيد النجار الذي دعا في محاضراته وأبحاثه وكتبه إلى تجديد منهج علم العقيدة إذ يقول في إحدى محاضراته: "هل المسلمون اليوم في حاجة إلى علم عقيدة جديد" وهل هناك مبررات واقعية تدعوا إلى علم عقيدة جديد ... هناك مبررات واقعية تتعلق بمحتوى الفكر كما تتعلق بالمنهج الذي تقتنع به العقول وهذه المبررات تستلزم أن يقع تجديد في الخطاب العقائدي المعاصر ..."[1].

كما دعا الدكتور عبد الستار نصار إلى ضرورة تجاوز صور الاستدلال القديمة واقترح منهج

[1] – عبد المجيد النجار: محاضرات في علم العقيدة ألقيت على لطلبة السنة الأولى, بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية–قسنطينة.

جديد، في دراسته المقدمة إلى ندوة (قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي) التي عقدت بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة بالتعاون مع المعهد العالي للفكر الإسلامي سنة 1989 بعنوان "منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر" وهو بحث في 41 صفحة قدم فيه الباحث أسباب هذه الدعوة ومعالم المنهج المقترح بصورة مختصرة داعيا إلى توسيع وتعميق هذه الدراسة لتكون أكثر استيعابا وشمولية، وفي ذلك يقول: "أتصور أن الأمر لا يمكن أن يقف بالباحثين في علم العقيدة عند صور الاستدلال القديمة"[1]. ويقول في موضع آخر: "والتجديد الذي نعنيه ليس تجديدا في القضايا والمسائل بل في المنهج والأسلوب ..." ثم يقول: " ونحن في واقعنا في حاجة إلى المزيد من مثل هذه الدراسات بل في حاجة إلى دراسة أكثر استيعابا لرصد ما عسى أن يكون من انحراف عقدي في كل النتاج الفكري المعاصر"[2].

ولقد دعا إلى نفس هذه الدعوة من قبلهما المفكر الإسلامي وحيد الدين خان في كتابه (قضية البعث الإسلامي- المنهج والشروط) الذي دعا فيه إلى صياغة علم كلام جديد، إذ يقول: "تتلخص حقيقة علم الكلام الجديد في أنه استجلاء حقائق الدين بالأدلة التي تطمئن الذهن الجديد والعقلية الجديدة، وتوصل التعاليم الإسلامية بأحدث أساليب الاستدلال الملائمة للعقل الجديد.."[3]، والعقل الجديد هو العقل العلمي أو العقلية العلمية، ويقول في موضع آخر مبينا المقصود أو الغاية من هذه الدعوة إلى التجديد: "فلا نكون مبالغين إذا قلنا أن علم الكلام الجديد إنما هو علم الكلام القرآني وليس علم الكلام الجديد إلا العودة إلى الكلاميات القرآنية"[4].

ودعا قبلهم جميعا إلى هذا التجديد في المنهج الأستاذ محمد إقبال والإمام بديع الزمان سعيد النورسي في رسائله.

جـ-أسباب اختيار الموضوع:

دفعني إلى اختيار هذا الموضوع مجموعة من الأسباب الموضوعية، هي في حقيقة الأمر دواعي تجديد علم العقيدة،- التي منها ما يتعلق بمناهج علم العقيدة القديمة ومنها ما يتعلق بالمستجدات

---

[1]- نصار عبد الستار: منهج البحث في علم العقيدة، ص1 و19.

[2]- نفس المرجع: ص41.

[3]- وحيد الدين خان: قضية البحث الإسلامي، ص 102.

[4]- نفس المرجع: ص 104.

المنهجية المعاصرة- حيث جعلتها محاورا لهذه الدراسة من أهمها:

أ- أن معظم صور الاستدلال القديمة في علم العقيدة -بعد عصر الانحطاط- كانت تبنى على نمط الاستدلال الفلسفي المجرد، أي تقوم على التولدات والإلزامات دون أن تغذي القلب أو يطمئن لها العقل.

ب- عدم ملاءمتها للواقع الذي نعيشه اليوم ومنطق العصر بل عدم ملاءمتها حتى للواقع الذي كان يحياه المسلمون في كل المستويات في تلك العصور.

ج- أن ما رفضه وذمه الفقهاء والمحدثون من علم الكلام لم يكن أصل القضايا المطروحة على مساحة البحث في مجال العقائد ولكنه كان الغلو والمنهج الذي يبتعد أحيانا عن سلاسة النص الإسلامي من جهة, كما يبالغ في التشقيق والافتراض من جهة أخرى[1].

د- أن كثيرا من صور الاستدلال القديمة ليست برهانية لاعتمادها على مقدمات قابلة للمناقشة كما أن بعضها غير إسلامي, وبعضها الآخر أثبت العلم الحديث بطلانه, مثل فكرة الواجب والممكن, وفكرة الجوهر الفرد وغيرهما, ولهذا تجنب الماتريدي كثيرا من تلك الصور في كتاب "التوحيد", ونقدها ابن رشد في كتابه "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة", وابن تيميه في أغلب كتبه, وغيرهم.

هـ- شعور أبرز المتكلمين بالندم في نهاية حياتهم, وبضعف مناهجهم لما استلزمته من نتائج غير مطمئنة ولا مقنعة مثل فخر الدين الرازي والشهرستاني وأفضل الدين الخنجي والجويني وغيرهم, والذين كان يقول لسان حالهم:

نهايـــة إقـــدام العـــقـــول عقـــال ... وغـــاية سعي العـــالمين ضلال

وأرواحنا في وحـــــشة من جسومنا ... وحاصـــل دنيـــانا أذى وبـــال

و لم نستفد من بحثـــــنا طول عمرنا ... سوى أن جمـــعنا فيه قيل وقالوا.

و- الثورة العلمية المعاصرة في كل المجالات تخدم الدين الإسلامي وتدعم أصوله وقضاياه, إذ لا تنفك تكشف كل يوم عن جديد من القوانين والحقائق التي تؤكد وجود الحقيقة الكبرى (الله) وأن دعاوى معارضي الدين باطلة لأنها تفتقد الدليل[1].

ز- اختلاف العقلية الجديدة عن العقلية القديمة, (في عصر الانحطاط على الخصوص), والعقلية الجديدة هي العقلية العلمية التي تهمها الحقائق، إذ بناء على تطور العلم وطراده تهتم العقلية العلمية

---

[1]- أبوالليزيد العجمي: الفقهاء وبحوث العقيدة الإسلامية, ص5.

[1]- voir,Claude Trennantant: science de l'univers et problèmes métaphysiques.

بتقديم الكلام على أساس التجربة والمشاهدة لا على أساس التخمينات أو القياسات المنطقية التجريدية الصورية, وعليه أصبح الإنسان المعاصر لا يقبل فكرا إلا إذا عرف أنه يطابق الطبيعة المعلومة "وهنا تبدأ الفجوة بين علم الكلام القديم وعلم الكلام الجديد وتصل إلى حد القطيعة"[2]، كما يقول وحيد الدين خان, وعليه يبنى المنهج الجديد في عصرنا هذا على نمط الاستدلال الطبيعي, وتبرهن الحقائق بالشهادات الواقعية.

ح- وعليه كان لزاما على من يأخذ على عاتقه مهمة الدعوة إلى الله أن يقف على منجزات العلم المعاصر ويحاول أن يوظفها ويستفيد منها في خدمة العقيدة, لأن العلم يخدم قضية الإيمان ويدعمها إذا سار في مساره الصحيح, فالعلم يكشف عن الظواهر ويفسرها, ولا يستطيع تعليلها, لأن ذلك طور فوق إدراكه, وهو طور الإيمان بقوة قاهرة قادرة, في ضوء الإيمان بهذه القوة يمكن تعليل تلك الظواهر, فالقوانين الطبيعية سنن إلهية في الكشف عنها تدعيم وتأييد للإيمان.

كما أنه من الضرورة اليوم – كما فعل أسلافنا – الإحاطة بالملابسات والأحوال والظروف المحيطة بنا, ومعرفة المذاهب والفلسفات المخالفة للإسلام في هذا العصر وما وصلت إليه من تطور وما طرأ عليها من تغير ومعرفة التحديات والشبهات المتغيرة المتطورة منهجا ووسائل.

حيث لا يمكن تقديم العقيدة الإسلامية للمتشبعين بتلك الفلسفات والأفكار والاعتقادات, فلابد من إفراغهم حتى يمكن ملأهم بالعقيدة الإسلامية (التخلية و التحلية)، كما كان يفعل الرسول ﷺ مع أصحابه, وهذا لا يتسنى إلا بمعرفة حقيقة هذه المعتقدات والفلسفات ونقاط ضعفها وأسباب فشلها.

وهذا من بين ما جعل علماء العقيدة المعاصرين يدعون إلى تطوير منهج علم العقيدة على الصورة التي يفهمها العصر, وذلك بالارتكاز على حقائق الدين كما صورها القرآن الكريم والسنة الصحيحة, مع استخدام العقل المنفعل بالوحي, لأنهم لو ظلوا متشبثين بالطرق القديمة حين التصدي لأصحاب الاتجاهات الملحدة, والديانات المنحرفة فلن يفيد ذلك شيئا, فلغة اليوم في الحوار بين الأديان أو ما بينها أو بين التيار الإلحادي يخالف إلى حد بعيد لغة الأمس.

ط- ونلتمس هذا المنهج المقترح بوجهيه – هدم العقائد الباطلة وبناء العقيدة الصحيحة – في كثير من الكتابات المعاصرة التي تناولت مسائل العقيدة في كلا المجالين الداخلي والخارجي, والتي تتميز بمعالجة أصول العقيدة الإسلامية من منظور إسلامي واضح وتستخدم الأدلة العقلية الصريحة والعلمية

[2] – وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامي ص 5

الصحيحة لتعضيد الأدلة النقلية, مضافا إلى ذلك أثر العقيدة في حياة الأفراد والمجتمعات ونتائج ذلك في الحياة الآخرة, وبهذه الشحنة الوجدانية تجاوزوا الأمور المعرفية الباهتة التي يدركها كل من يقرأ كتب علم الكلام في صوره القديمة المتأخرة كما سأعمل على تبيانه في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

ويقوم هذا المنهج كذلك, كما سأبين في البحث, على بيان تهافت الموقف المادي من قضية الإيمان, وأن العلم يقوي ويدعم الإيمان, وبيان طبيعة ما آلت إليه الأديان المحرفة بعد التحريف, من حيث عدم موافقتها للعقل والمنطق الصحيح والفطرة السليمة.

كما أظهر كيف أن القرآن الكريم قد أرشدنا إلى كيفية التعامل مع الدهريين والأديان المحرفة بالأدلة الكونية.

فالتعليم الذي أعطاه الله في كتابه بصورة كلامية جعل الكون بأسره دليلا علميا لتأييده وتأكيده, فمثلا يذكر لنا القرآن الكريم أنه لما دعا إبراهيم عليه السلام قومه المشركين إلى التوحيد أقام الدليل على دعوته بمشاهدة الشمس والقمر والنجوم, ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ،فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ(76)فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(77)فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(78)إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(79)وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(80)وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(81)الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ،وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[1].

فكانت الحجة الإلهية هي الاستدلال من الحقائق المعلومة المشهودة لهذا الكون.

ويتجلى هذا الأسلوب القرآني الذي يعتمد على الحقائق الطبيعية في كثير من الآيات, مثل قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2]. ﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا

---

[1] ــ سورة الأنعام: 74– 83.

[2] ــ سورة فصلت: 53.

مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1], وقوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[2].

وبناء على هذا يبدو لنا أن القرآن الكريم والكون كليهما إظهار للمشيئة الربانية, وهو إظهار بصورة (كلامية) في مكان, وإظهار بصورة (علمية) في مكان آخر.

ي- ولهذا سأختار في بحثي نماذج تطبيقية لهذا المنهج بعدما أعرف بعلم العقيدة وأهميته، وخصائص منهج القرآن الكريم في الاستدلال على المسائل العقدية، وأدرس وأحلل بعض صور الاستدلال القديمة.

وانطلاقا من الإشكالية المطروحة وتلك الدعوة للتجديد وهذه الأسباب، حددت موضوع البحث بالعنوان التالي:

"منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر"

د-أهداف البحث:

وتهدف هذه الدراسة إلى محاولة تحقيق الأهداف التالية:

1 ــ إعادة دراسة مناهج علماء الكلام القديمة دراسة نقدية في ضوء المعطيات المعرفية والواقعية لهذا العصر, للانتهاء إلى منهج للتعامل مع علم العقيدة التقليدي.

2 ــ التعريف بطبيعة منهج القرآن الكريم في العقيدة وخصائص العقيدة الإسلامية, ومكانة العقل وحدوده بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

3 ــ تحليل العصر الذي نعيش فيه من الناحية المعرفية والاجتماعية لمعرفة طبيعة العقلية المعاصرة وطبيعة الآفات الدينية, والتحديات التي تواجه الإسلام والمخاطر التي تهدده, مثل فكرة الإلحاد, وفكرة الفصل بين الإيمان والعمل أو التصور والسلوك, وفكرة الصراع بين الدين والعلم, وكون العقيدة الإسلامية عقيدة تخلف وعنف وإرهاب, وغيرها من الآفات, وذلك حتى أتمكن من تحديد مستويات المخاطبين بالخطاب العقائدي, وبالتالي الوصول إلى تحقيق التناسب بين منهج علم العقيدة والعقليات الموجه إليها الخطاب.

4 ــ إبراز أهمية قواعد وحقائق العلوم الكونية في هذا العصر وإثبات إمكانية بل ضرورة استثمار

---

[1] ــ سورة الأنبياء:30.

[2] ــ الغاشية:17-20.

علم العقيدة لها لاستخدامها في الاستدلال على حقائقه, ومؤيدات للدين الإسلامي على صدق الخبر الإلهي وعدل الأمر الإلهي.

إذ لا تخفى الأهمية الكبيرة التي تكتسبها الأبحاث العلمية في عصرنا هذا, ولا تخفى حاجتنا الملحة إليها؛ كما أن هذه الاستعانة بالعلم المعاصر في توضيح حقائق هذا الدين والاستدلال عليها ليست بدعة مستحدثة، فما فتئ العلماء والمفسرون يقتبسون من علوم عصرهم, ما يرون أنه يعينهم في توضيح آيات الآفاق والأنفس وكان بعضهم يقتبس وبعضهم يحيل على الكتب المتخصصة, مثل الرازي الذي استدل على وجود الله تعالى بأحوال السماوات والأرض مستعينا بعلوم عصره[1]، وابن تيمية بعد عرضه لأدلة الاستواء والعلو يحيل على كتب الهيئة لزيادة اليقين فيقول: "ومن أراد أن يزداد في هذه القاعدة نورا فلينظر في شيء من الهيئة, وهي الإحاطة والكرية, ولابد من ذكر الإحاطة ليعلم ذلك"[2].

5 ــ تأكيد العلاقة التكاملية المتداخلة بين العقيدة والشريعة ووحدة العلوم الإسلامية والإنسانية والطبيعية مما يؤسس وحدة التصور والسلوك لدى المؤمن.

6 ــ محاولة ضبط أسس المنهج الجديد في علم العقيدة الذي يقوم على نمط الاستدلال القرآني ويعتمد على أحدث منجزات العلوم التجريبية أو الإنسانية انطلاقا من دراسة أهم ما كتبه المفكرون الإسلاميون المعاصرون في العقيدة الإسلامية, وما كتب من دراسات وبحوث كمحاولات لاقتراح أو صياغة منهج جديد لعلم العقيدة.

وذلك كله محاولة لتبيان منهج رؤية آيات الله في خلقه لإبلاغ أحقية هذا الدين, مصداقا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

وقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَأَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَأَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2].

هـــ- منهج الدراسة:

---

[1] -فخر الدين الرازي: التفسير الكبير(مفاتيح الغيب), ج4, ص.180-202.

[2] -- ابن تيميه: مجموع الفتاوى, ج5، ص149.

[1] ــ فصلت:53.

[2] ــ النحل:125.

والذي أقصده بدراستي هذه هو البحث في إمكانية إعادة صياغة أسلوب ومنهج علم العقيدة, وذلك:

1 ـــ بتعميق وتوسيع الدراسات السابقة في هذا الموضوع، لتكون دراسة أكثر استيعابا.

2ـــ دراسة مناهج المتكلمين الأوائل دراسة نقدية مقارنة لمعرفة مدى تناسبها مع مستويات المخاطبين في هذا العصر، ومدى قربها من منهج القرآن الكريم في العقيدة, وحقائق العلم المعاصر.

3 ـــ يعد المنهج جوهر العلم وبدونه لا يمكن أن توجد أي معرفة، وذلك لأن البحث عن الحقائق ومحاولة التوصل إلى قوانين عامة لا يكون قط بغير منهج واضح يلزم الباحث نفسه بتتبع خطواته ومراحله، ويراد بمنهج البحث- في أي فرع من فروع المعرفة - الطريقة التي يتبعها العقل في دراسته لموضوع ما للتوصل إلى قانون عام أو مذهب جامع أو حقيقة ما، أو هو فن ترتيب الأفكار ترتيبا دقيقا، بحيث يؤدي إلى كشف حقيقة مجهولة أو البرهنة على صحة حقيقة معلومة.

ولهذه الأهمية التي للمنهج أضاف المناطقة المحدثون إلى مباحث المنطق مبحثا جديدا هو مناهج البحث العلمي. ولقد أدرك المسلمون هذه الأهمية فوضعوا لكل علم منهجا خاصا به، بل كانوا السباقين إلى وضع المناهج العلمية وتخصيص مؤلفات لذلك الغرض مثل ما نجد في كتب ابن الهيثم وابن سينا والغزالي وفخر الدين الرازي وابن رشد وابن تيميه وابن خلدون وغيرهم كثير، ومن بين هذه العلوم التي حرص المسلمون على ضبط منهجها علم الكلام أو علم العقيدة.

ومنهج البحث في علم العقيدة هو بصورة موجزة طرق وأساليب الاستدلال والبرهنة على صحة العقيدة الإسلامية لتثبيتها أو الدعوة إليها، وقد استنبط علماء العقيدة الأوائل منهجهم من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بحيث يلائم واقعهم وطبيعة عقليتهم.

إلا أن منهجهم تغير وتطور بتغير واقعهم لتغير نوع الآفات الدينية وتطور العلوم والمعارف, ولهذا وجهت لعلماء الكلام عدة انتقادات من ذم ورفض وتصحيح, غير أن جلها تعلق بمناهجهم, ومدى قربها أو بعدها عن منهج القرآن الكريم و لم تتعلق بأصل القضايا المطروحة على ساحة البحث, مثل ما فعل الأئمة الأربعة, والغزالي وابن رشد وابن تيميه والمفكرون المسلمون المحدثون والمعاصرون.

4- إن العلم المعاصر الذي أقصده هو فروع العلم التي يستعان بها في هذا اللون من الدراسات المقارنة وأسميها (العلوم الكونية في الآفاق والأنفس), وهي هنا العلوم التي تدرس الكون بكل مستوياته ومنها: علم الفلك, والفيزياء والكيمياء وعلوم الأرض وعلوم البيئة وعلم الأرصاد الجوية وفروع أخرى متعددة.

والعلوم التي تدرس الإنسان بمستوياته الجسمية والعقلية والنفسية كعلم التشريح, والأحياء ووظائف الأعضاء وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم.

لذلك لن أتبع المنهج التحليلي في فهم ودراسة جوانب المشكلة المطروحة هنا فحسب, بل سوف أستخدم المنهج المقارن أيضا في إثبات أصالة منهج علم العقيدة ومدى ابتعاده عن أصوله الإسلامية, ومدى نجاعة وأهمية اعتماد منهج علم العقيدة الجديد على الحقائق العلمية, وإلى أي مدى يمكنه الاستعانة بها, وإثبات مدى صلاحية الدين الإسلامي للبشرية في ضوء التطور العلمي المعاصر, وأيضا سوف استخدم المنهج التركيبي في الصياغة كي أيسر على الباحثين الاستفادة من هذا البحث المتواضع.

و-مراحل الدراسة:

أما مراحل هذه الدراسة وفصولها فتتمثل في ما يلي:

الفصل الأول: التعريف بعلم العقيدة.

المبحث الأول: دلالتا التعريف والتسمية

المطلب الأول:دلالة التعريف

المطلب الثاني: دلالة التسمية

المبحث الثاني: دور علم العقيدة

أولا: دوره في عصر النشأة

ثانيا: تطور دور علم العقيدة وأهم وظائفه

ثالثا: دور علم العقيدة اليوم

الفصل الثاني:منهج القرآن الكريم في الاستدلال على العقائد

المبحث الأول: خصائص المنهج

المبحث الثاني: أساليب إثبات العقيدة والدفاع عنها

المطلب الأول: الأسلوب الوجداني:(مخاطبة الوجدان)

المطلب الثاني: النظر في الآفاق والأنفس(مخاطبة الحس)

المطلب الثالث: الأسلوب العقلي (مخاطبة العقل)

الفصل الثالث: دواعي تجديد المنهج وأسس منهج علم العقيدة المعاصر (المنهج العلمي)

المبحث الأول: دواعي تجاوز الأدلة القديمة وتجديد المنهج.

المطلب الأول: قصور الأدلة القديمة وعدم ملاءمتها للواقع المعاصر والمنهج القرآني.

المطلب الثاني: التحديات العقدية المعاصرة

المبحث الثاني: التطور العلمي وأسس المنهج الجديد

المطلب الأول: التطور العلمي المعاصر وصلته بالدين (العلم والإيمان)

المطلب الثاني: صلة علم العقيدة بالعلوم الكونية

المطلب الثالث: أسس المنهج الجديد (المنهج العلمي المعاصر)

الفصل الرابع: الاستدلال العلمي على حقائق الدين الإسلامي

المدخل: مفهوم الإعجاز العلمي

المبحث الأول: الاستدلال على صدق الخبر الإلهي

المطلب الأول: في الآفاق

الموضوع الأول: حفظ الأرض

الموضوع الثاني: نهاية الكون

المطلب الثاني: في الأنفس

الموضوع الأول: الناصية

الموضوع الثاني: بداية الوجود الإنساني بين القرآن الكريم والعلم المعاصر وآثارهما على الإنسان.

المبحث الثاني: الاستدلال على عدل الأمر الإلهي

المطلب الأول:الطهارة والطب الوقائي

المطلب الثاني: الصلاة والوقاية من مرض دوالي الساقين

الخاتـــــمة.

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقني إلى تحقيق هذه الأهداف والإجابة على تلك الإشكاليات ويعينني على جهد البحث وأمانة النقل, وأسلوب العرض والأداء.

الفصل الأول

التعريف بعلم العقيدة

التمهيد

المبحث الأول: دلالتا التعريف والتسمية

المبحث الثاني: دلالة الدور والأهمية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التمهيد

مما يختص به الدين الإسلامي(دين التوحيد)فيما يتعلق بالفكر الإنساني، صفتي الشمول[1] والاحتراز، سواء فيما تدلي به من الحقائق عن الكون مأتى و مصيرا وتدبيرا، أو فيما تتناول فيه حياة الإنسان اعتقادا و سلوكا؛ إذ كان لهما الأثر الكبير في نشأة علم أصول الدين وتعيين مسائله، وقضاياه، وتحديد غايته ودوره، كثمرة لواقع المسلمين ومشاكلهم العقدية والعملية، حيث لم يستحدث هذا العلم إلاّ للحفاظ على أصول الدين، (تثبيتا ودفاعا)، وهي الأصول العقائدية التي تتفرع عنها الفروع العملية.

فبالنظرة الشمولية أصبحت كل موضوعات الفكر مادة للفكر الإسلامي، يقتحم فيها العقل كل أبواب المعرفة، كما لم يكن الميدان خارج نطاق الوظيفة العقلية؛ فتوجه المسلمون إلى علوم الأوائل وتعرفوا عليها وعلى أصحابها من الفرق والملل والديانات، ذلك أن القرآن الكريم مصدر هذه النظرة الشمولية، عرفهم بعقائد أهم الفرق والأديان المخالفة للإسلام التي كانت منتشرة في عهد رسول الله ﷺ وقبله، وعلى الحجج الداحضة لها[2]. فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3].

ووجهت العقل الإسلامي إلى النظر في المسائل بنظرة شمولية تكاملية، لشمولية التعاليم الإسلامية لكل من التصور والسلوك الإنساني بحيث لا يضطر الإنسان في تعيين الوجهة العملية التطبيقية لفرع من فروع الحياة أن يخرج عن دائرة التعاليم الإسلامية[4].

ولما كانت العقيدة مرتبطة أشد الارتباط بجميع مظاهر السلوك الفردي والاجتماعي جعل ذلك الارتباط هذه المظاهر لا تعدوا أن تكون وجها عمليا لحقيقة العقيدة[5]، وهو ما بيّنه الله تعالى في

---

1 ـــ سيد قطب: خصائص التصور الإسلامي: ص 109 – 135.

2 – أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني: علم الكلام وبعض مشكلاته، ص7، 8.

3 ـــ سورة الحج: 17.

4 ـــ أبو الأعلى المودودي: الإسلام والجاهلية، ص 37 – 38، وما قبلهما وما بعدهما، وراجع ابن خلدون: المقدمة، وحديثه عن العلاقة بين الإيمان وصفته أو العمل، ص 460 – 461.

5 ـــ عبد المجيد النجار: مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ص 139.

عدة آيات من القرآن الكريم، مثل قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[1]، وقوله جل جلاله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

كما بيَّن هذا الترابط بين العقيدة والسلوك أو التصديق والعمل رسول الله ﷺ في عدة مواقف منها جوابه عن سؤال: (متى الساعة؟) فقال: (ما أعددت لها)، فربط بإجابته هذه عقيدة الإيمان باليوم الآخر بالعمل في الدنيا والإعداد للقاء الله تعالى، ربط الإيمان بالسلوك:

وذلك لأن ما يقوم به الفرد من سلوك إنما هو تطبيق وتنزيل للعقيدة إلى أرض الواقع، ولهذا رأى جمهور المسلمين أنه إذا اختل السلوك وارتكبت الكبائر والمعاصي كان ذلك نتيجة نقص في العقيدة نفسها، وبالتالي كان نقصا في الدين كله، بل من المسلمين من اعتبر تعطيل السلوك – متمثلا فيما عرف بارتكاب الكبيرة- ناقضا لأصل الإيمان بالعقيدة، مخرجا من الدين أساسا..

وهذا يعني أن النظر في الثمرة يؤدي إلى النظر في جذور الأحداث، أي أن النظر لمعالجة السلوك المنحرف عن تعاليم الوحي يقتضي الامتداد إلى النظر في أصله العقدي.

ولهذا كان منطلق كثير من القضايا العقدية، التي عالجها علم العقيدة واقع السلوك في المجتمع الإسلامي، بناء على تلك النظرة الشاملة المتكاملة للعلاقة بين العقيدة والسلوك، فانطبع علم العقيدة بالواقعية في معالجة السلوك المنحرف عن الدين.

إلاَّ أن ذلك الشمول في التوجه الذي جعل كل مجالات الحياة متكاملة وكل موضوعات الفكر مادة له، عضدته صفة الاحتراز والنقد لإسقاط ما عسى أن يجانب الدين الإسلامي أو أن يسيء إلى حقائقه مما ينتجه العقل أو يفرزه الواقع؛ فقام علم العقيدة للدفاع عن أصول الدين وتحلية الإيمان بالإيقان، بالرد على شبهات الخصوم وإيراد الحجج، كما يعكس ذلك تعريفات علم الكلام التي بيَّنها العلماء، من أنه «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه»[3] كما قال الإيجي، أو هو «علم يتضمن الحجاج عن العقائدية الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على

---

1 ـــ سورة العنكبوت:45.

2 ـــ سورة الجمعة: 9 – 10.

3 ـــ عضد الدين الإيجي: المواقف في علم الكلام، ص 07.

المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وعقائد أهل السنة»[1] كما يقول ابن خلدون.

فجعلت هذه الصفة النقدية التقديرية علم العقيدة ذا غايتين: غاية الدفاع عن أصول الدين، وغاية ترقية الإيمان من التقليد إلى اليقين[2]، وطبعته بطابع الواقعية في مناهضة التحديات الخارجية والداخلية؛ وذلك أن الجانب الدفاعي في علم العقيدة راجع إلى ما كان وما زال في البيئة الإسلامية من تحديات العقائد المختلفة، المعادية للإسلام، وجانب تحلية الإيمان بالإيقان راجع إلى ما تفشى وما هو متفش في المجتمع الإسلامي من انحراف وفساد في التصور والسلوك.

فنلاحظ أن كلا من صفتي الشمول والاحتراز طبعتا الفكر الكلامي أو علم العقيدة بصفة الواقعية في معالجة التحديات الداخلية والخارجية الناجمة عن واقع المسلمين الاجتماعي والسياسي والثقافي.

إلاّ أن هاتين الصفتين ما فتئتا أن تلاشتا شيئا فشيئا مع مرور الزمن فاستسلم علم العقيدة لتلك التحديات وتجرد عن الواقع متأثرا بطبيعة الفلسفات التجريدية، وانقلب غرضه من الدفاع إلى الشرح والتبرير ومن المحافظة على العقائد الإيمانية إلى إثارة الجدل وترسيخ الفرقة بين المسلمين.

فما مدى واقعية المنهج العقدي؟ أو ما هي مظاهره؟ وما هو دوره ومهمته بين التجريد والواقعية؟ وبتعبير آخر ما هي دلالات واقعية منهج علم العقيدة بين المتقدمين والمتأخرين والمحدثين؟

والإجابة على هذه التساؤلات تتضمنها المباحث التالية التي بُيِّن فيها دلالة المنهج الواقعي في علم العقيدة وما مدى بروز أو اختفاء هذه الصفة في علم العقيدة من خلال دلالة التعريف ودلالة التسمية ودلالة الدور.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

1 – عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، ص458.

2 – سعد الدين التفتازاني: شرح المقاصد، ج1، ص163.

المبحث الأول

دلالتا التعريف والتسمية

المطلب الأول: دلالة التعريف

عرف علماء الكلام أو أصول الدين علم العقيدة بتعريفات متعددة تحدد ماهيته من حيث الموضوع والمسائل والمنهج والغاية، وتدل على المنحى العام الذي سيقت فيه أبوابه ومسائله وعلى الغرض الأصلي الذي تهدف إلى تحقيقه موضوعاته وأدلته؛ ومن خلال هذه الدلالة يمكن أن نتبيَّن المنهج الغالب الذي وجهت مؤلفات علم العقيدة لبيانه أهو منهج برهاني شرحي أم هو منهج استدلالي دفاعي واقعي؟ أي أهو منهج الفهم الذي يسعى إلى إدراك وشرح العقيدة أم هو منهج التطبيق الذي يسعى إلى الدفاع عن العقيدة وترقية الإيمان للحفاظ على استقامة السلوك أو تصحيحه؟ ذلك لأن السلوك تضبطه الشريعة المنبثقة عن العقيدة.

كما تميزت تعريفات المتقدمين لعلم العقيدة عن تعريفات المتأخرين لاختلاف تكوينهم العلمي واختلاف عصورهم حيث لم يكن هذا العلم قد اختلط بالفلسفة في القرون الأولى كما اختلط في القرون المتأخرة (بعد القرن الخامس الهجري)، ولم تقو التحديات الداخلية والخارجية في القرون الأولى كما قويت في القرون المتأخرة، كما أن الانحرافات عن الإسلام في التصور والسلوك زادت كلما ابتعدنا عن عصر النبوة زمنيا وكلما اتسعت البلاد الإسلامية مكانا.

أ ـ التعريفات

وهذه أهم التعريفات التي تناقلها العلماء حسب الترتيب الزمني:

يقول الفارابي المتوفى سنة (339هـ /950م): «وصناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل. وهذه الصناعة تنقسم إلى جزءين أيضا، جزء في الآراء وجزء في الأفعال. وهي غير الفقه، لأن الفقيه يأخذ بالآراء والأفعال التي صرح بها واضع الملة مسلمة، ويجعلها أصولا، فاستنبط منها الأشياء اللازمة عنها. والمتكلم ينصر الأشياء التي يستعملها الفقيه أصولا، من غير أن يستنبط منها أشياء أخرى»[1].

وعرفه أبو حيان التوحيدي المتوفى سنة (400هـ/1009م) بأنه: «باب من الاعتبار في أصول الدين

---

[1] ـ الفارابي، أبو نصر: إحصاء العلوم، ص 131 – 132.

يدور النظر فيه على محض العقل في التحسين والتقبيح والإحالة والتصحيح والإيجاب والتجويز والاقتدار والتوحيد والتكفير، والاعتبار فيه ينقسم بين دقيق ينفرد العقل به، وبين جليل يفزع إلى كتاب الله تعالى فيه»[1].

وعرفه أبو حامد الغزالي (ت 505هـ/1111م) قائلا: «وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة ... بكلام مرتب، يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة»[2].

أما عضد الدين الإيجي (ت 756هـ/ 1355م) فقال إنه: «علم يقتدر معه إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج، ودفع الشبه، والمراد بالعقائد ما يقصد فيه الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ، فإن الخصم، وإن خطأناه، لا نخرجه من علماء الكلام»[3].

وقال ابن خلدون (732 – 808): «علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة»[4].

بينما طاش كبرى زادة (ت 962هـ/1458م) فعرفه بأنه: «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية، بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها»[5].

والتهانوي لا يختلف معه في أنه: «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه»[6].

ويقول وحيد الدين خان: «إن علم الكلام في حقيقته، أداة مساعدة للدعوة الإسلامية، ويهدف إلى إبلاغ حقائق الدين بنفس اللغة والمصطلحات التي يأنس لها المدعو في عصره»[7].

ثم الدكتور عبد المجيد الزنداني حاول تعريفه تعريفا شاملا قائلا: «(علم الإيمان) علم يبحث

---

[1] ـــ أبو حيان التوحيدي: ثمرات العلوم بذيل كتاب الأدب والإنشاء في الصداقة والصديق، ص 192.

[2] – أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص 87 – 89، وانظر الاقتصاد في الاعتقاد،ص 09.

[3] ـــ عضد الدين الإيجي: المرجع السابق، ص 07.

[4] ـــ عبد الرحمن ابن خلدون: المرجع السابق، ص 458.

[5] ـــ أحمد بن مصطفى (طاش كبرى زادة) : مفتاح السعادة ومصباح السيادة، ص 132.

[6] ـــ محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج 1، ص 30.

[7] ـــ وحيد الدين خان: تجديد علوم الدين، ص 59.

في إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية العقلية والنقلية التي تزيل كل شك، أو هو العلم الذي يكشف باطل الكافرين وشبهاتهم وأكاذيبهم، وبه تستقر النفوس، وتطمئن القلوب، كما يبحث هذا العلم في الأقوال والأفعال التي يتحقق بها الإيمان ويزداد، وتلك التي تنقضه أو تنقصه وتحديد ضوابط ذلك»[1].

وما نلاحظه على هذه التعريفات إذا نظرنا إليها نظرة مقارنة نجدها تبيّن في أغلبها أن علم العقيدة ذو نزعة واقعية ومنهج تطبيقي وذلك من خلال مظهرين أساسين هما: الغاية الدفاعية لعلم العقيدة، وصلته الوثيقة بالفقه وبقية العلوم.

ب – الغاية الدفاعية لعلم العقيدة

إن الغاية الدفاعية لعلم العقدية تقتضي تتبع واستقراء الآراء والأعمال المنحرفة التي يفرزها الواقع لتقويمها وتصحيحها بنصرة العقيدة وإثباتها، وذلك بوسيلتين:

أحدهما بيان صحتها لتحصينها من الشكوك والطعون وهو ما قصده العلماء في تعريفاتهم بإثبات العقائد ونصرتها.

وثانيهما دفع شبه الخصوم عن العقيدة الإسلامية بالنقض وتزييف آرائهم ومعتقداتهم وما تبثه من سموم فكرية اعتقادية وشبهات في المجتمع الإسلامي، وهو ما عناه أصحاب التعريفات بـــ (دفع الشبه) و(الرد على المنحرفين) و(تزييف كل ما خالفها)؛ والوسيلتان جمعهما وحيد الدين خان بقوله (إبلاغ حقائق الدين...).

فهذا التوجه النقدي التتبعي، الذي جعل علم العقيدة يترصد كل فكر وسلوك منحرف عن حقيقة الدين الإسلامي لعلاجه أو صده أو تحصين كل إيمان وسلوك قويم، طبع علم العقيدة بطابع الواقعية، فكان علما واقعيا بغايته الدفاعية هذه.

جـ – الصلة بين علم العقيدة والفقه، والعلوم الإسلامية عموما

كما تتجلى واقعية علم العقيدة من خلال التواصل الموجود بينه وبين علم الفقه الذي بيّنته التعريفات الأولى وسكتت عنه معظم التعريفات المتأخرة باستثناء تعريف الإيجي الذي فصل بين علم الفقه وعلم العقيدة فجعل هذا الأخير علما نظريا لا صلة له بالعمل ومنهج التطبيق،

---

[1] ـــ عبد المجيد الزنداني: علم الإيمان، ص 14.

ذلك عندما قال: «والمراد بالعقائد ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل»[1]، وهذا يدل على الانحراف الذي وقع فيه هذا العلم كما سأبيّن لاحقا.

فالفارابي أبرز في تعريفه البعد العملي لعلم العقيدة حينما جعله يتجاوز نصرة الآراء العقائدية المجردة ليمتد إلى نصرة الأفعال أيضا فقصده - في رأي الفارابي - ليس حصول رأي أو اعتقاد يقيني فحسب، كما ذهب إلى ذلك ابن سينا[2]، بل حصول صحة رأي لأجل عمل[3]، حيث يقول في تعريف علم العقيدة: «صناعة الكلام يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل»[4]، بل تتجلى هذه الصفة العملية والصلة الوثيقة الوظيفية بعلم الفقه في المقارنة بين العلمين، حيث يقول: «وهي (صناعة الكلام) غير الفقه لأن الفقيه يأخذ الآراء والأفعال التي صرح بها واضع الملة مسلمة ويجعلها أصولا، فاستنبط الأشياء اللازمة عنها، والمتكلم ينصر الأشياء التي يستعملها الفقيه أصولا من غير أن يستنبط منها أشياء أخرى»[5]، فالفرق بين العلمين اعتباري (نسبي) تعليمي منهجي يتمثل في اختلاف طريقة ومنهج كل منهما في النظر وتناول الأصول العقدية آراء وأفعالا.

بل يصل الارتباط بين الفقه وعلم العقيدة إلى حد يمكن فيه أن يكون الإنسان الواحد فقيها ومتكلما «فإذا اتفق أن يكون لإنسان ما قدرة على الأمرين جميعا فهو فقيه ومتكلم، فتكون نصرته لها بما هو متكلم، واستنباطه عنها بما هو فقيه»، فهي القدرة والصفة التي اتصف بها أغلب العلماء المسلمين والتي استحالت منذ عصر الانحطاط إلى يومنا هذا برسوم وقيود مقننة، كانت سببا في الأزمة الفكرية الحديثة والمعاصرة.

وتزداد هذه الصلة وضوحا وترابطا ويتدعم الجانب العملي لعلم العقيدة ومنهجه التطبيقي في تعريف الفارابي لعلم الفقه إذ يقول «وصناعة الفقه هي التي بها يقتدر الإنسان على أن يستنبط

---

[1] ـ الإيجي: المرجع السابق، ص 07.

[2] ـ يرى ابن سينا (ت 428) إن علم التوحيد علم نظري مجرد، غايته حصول الاعتقاد اليقيني على الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان وإنما يكون المقصود منها حصول رأي فقط: رسالة في أقسام العلوم العقلية، ص 71، نقلا عن عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص 46.

[3] ـ عثمان أمين: مقدمة تحقيق كتاب إحصاء العلوم للفارابي، مرجع سابق، ص 13.

[4] ـ الفارابي: المرجع السابق، ص 131.

[5] ـ المرجع نفسه، ص 132.

تقدير شيء مما لم يصرح واضع الشريعة بتحديده عن الأشياء التي صرح فيها بالتحديد والتقدير، وأن يتحرى تصحيح ذلك حسب غرض واضع الشريعة بالعلة التي شرعها في الأمة التي لها شرع، وكل ملة ففيها آراء وأفعال: فالآراء مثل الآراء التي تشرع في الله سبحانه، وفيما يوصف به، وفي العالم وغير ذلك، والأفعال مثل الأفعال التي يعظم بها الله ﷻ والأفعال التي بها تكون المعاملات في المدن.

ولذلك يكون علم الفقه جزءين جزء في الآراء، وجزء في الأفعال»[1]، فنلاحظ أن الفارابي لم يفصل علم العقيدة عن علم الفقه فهما علمان متكاملان متلازمان، يتعلق الأول بنصرة العقيدة والشريعة (الآراء والأفعال) التي صرح بها واضع الملة، ويتعلق الثاني باستنباط ما لم يصرح به واضع الملة في العقيدة والشريعة معا، فجمعهما في علم أسماه علم النفس المتعلق بالتصور (الآراء) والسلوك (الأفعال).

وهذه الصلة بين علم العقيدة وعلم الفقه بيَّنها كذلك أبو حيان التوحيدي في قوله: «وبابه (علم الكلام) مجاور لباب الفقه، والكلام فيهما مشترك، وإن كان بينهما انفصال وتباين، فإن الشركة بينهما واقعة والأدلة فيهما متضارعة»[2].

فالاشتراك بين العلمين والتشابه في أدلتهما يدلان على مشاركة علم العقيدة لعلم الفقه في جانبه العملي التطبيقي، وعلى واقعيته في معالجة قضايا الناس.

وهو (الوحدة بين العلمين والتمايز الدقيق بينهما عند الفارابي والتوحيدي) ما دفع الشيخ مصطفى عبد الرازق يعلق على تعريفيهما لعلم العقيدة لكونهما متفردين يخالفان الاصطلاح المعروف عن المتكلمين، فقال عن تعريف الفارابي لعلم الكلام: «ولكن تطبيق ما يراه الفارابي على المعروف من مصطلح المسلمين ليس بظاهر»[3]، وقال عن تعريفه للفقه: «ولسنا نعرف لغير الفارابي من علماء المسلمين هذا التمييز بين الكلام والفقه ... نعم للفقه في بعض إطلاقاته عموم يشتمل جميع مسائل الدين، قال صاحب "كشاف اصطلاحات الفنون" (التهانوي)، «وقد يطلق الفقه على علم النفس فيما لها وما عليها فيشتمل جميع العلوم الدينية، ولهذا سمى أبو حنيفة -رحمه الله - الكلام بالفقه الأكبر»[4] لكن لا يصح هذا المعنى إلاّ في حالة العموم والشمولية الجامعة للعلوم كما

---

[1] ــ الفارابي، المرجع السابق، ص 130 – 131.

[2] ــ أبو حيان التوحيدي: المرجع السابق، ص 192 – 193.

[3] ــ مصطفى عبد الرازق، المرجع السابق، ص 259.

[4] ــ نفس المرجع، ص 257.

أشرت سابقا، غير أن الفارابي لم يقصد بالفقه هذا العموم وإنما ميَّز بين العلمين وبيَّن الترابط بينهما.

د - التواصل بين العلوم

وهذه الواقعية التطبيقية التي يبرزها الفارابي لعلم العقيدة ليست غريبة عنه، رغم كونه فيلسوفا بالدرجة الأولى (والفلسفة يغلب عليها الطابع التجريدي) إذا علمنا أنه ينظر إلى علم العقيدة نظرة واقعية، - كما سأبيِّن — وأنه ذو نزعة توحيدية[1] في النظر إلى العلوم.

إذ يرى أن العلاقة بين العلوم تقوم على أصل العقيدة وأن العلم طريق لتحصيل الحقيقة الدينية والسعادة بها تفكرا وسلوكا (تطبيقا) ويتجلى ذلك من خلال الصفات التي يجب أن يتصف بها الإنسان (الفيلسوف) في تحصيل السعادة وهي:

«أن يكون فارغ القلب غير ملتفت إلى الدنيا ولا جار وراء بهرجها، مع سلامة مزاجه ومحبته للعلم حبا لا يعدله حبه لأمور الدنيا، متصفا بالصدق والوفاء والإنصاف والأمانة طبعا لا تطبعا، مع تأدية لوظائف الشرع تأدية كاملة غير منقوصة، يتجنب الموبقات ويحجم عن كل ما حرم الله على لسان صاحب الملة، مسايرا للعادات التي درج عليها أهل زمانه، مبعدا لنفسه الفضاضة وسوء الخلق، لأن الحكمة تنافي سوء الخلق، وأن يحترم الكبير ويعطف على الصغير ويرتفع بنفسه عن الدنيا في المأكل والمشرب، وأن يكون شجاعا، مقداما غير وجل من الموت وغير طامع في جميع المال لأن الاشتغال بطلبه مانع من العلم، وأن يكون كذلك حبا للتعلم واكتساب المعرفة، فإن العلم كنز مدفون يفوز به من سهل الله طريقه إليه، فمن سلك هذا المسلك وانتهج هذا السبيل فهو حكيم حقيقي يتمتع بالحكمة وأسرارها»[2].

فنلاحظ هنا ذلك الترابط بين العقيدة والعمل المتمثل في الالتزام بالشرع التزاما كاملا تصورا وسلوكا لدى الإنسان ولا يتسنى ذلك إلاّ إذا كان علم العقيدة متصلا بجميع العلوم اتصالا واقعيا مستمدا من واقعيته وواقعية العلوم الأخرى.

هذا التواصل والوحدة بين سائر العلوم الشرعية منها والمقتبسة بينهما كل من ابن خلدون وطاش كبرى زادة في مقدمة حديثهما عن العلوم، وهو ما جعل علم العقيدة مرتبطا بالعلوم العملية مما أبرز عمليته وواقعيته، ويدل على الخاصية التي يتميز بها الفكر الإسلامي التي طبعت علم العقيدة بالواقعية.

---

[1] - I. B. Madkour: La place d'Elfarabi. P 15 – 16 نقلا عن جميل صليبة: تاريخ الفلسفة العربية، ص 143.

[2] — الفارابي: تحصيل السعادة، ص 44 – 45.

إذ يقول ابن خلدون: «وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه، وعلى أبناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق فلا بد من النظر بالكتاب ببيان ألفاظه أولا وهذا هو علم التفسير، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي ﷺ الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا علم القراءات، ثم بإسناد السنة إلى أصحابها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث، ثم لا بد من استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو أصول الفقه، وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين وهذا هو الفقه، ثم إن التكاليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالإيمان وما يجب أن يعتقد مما لا يعتقد وهذه هي العقائد الإيمانية في الذات والصفات وأمور الحشر والنعيم والعذاب والقدر، والحجاج عن هذه بالأدلة العقلية هو علم الكلام، ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية لأنه متوقف عليها وهي أصناف، فمنهم علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان، وعلم الأدب حسبما نتكلم عليها كلها»[1].

ويقول طاش كبرى زادة في نفس السياق: «اعلم أن العلوم الاعتقادية: إما متعلقة بالنقل، وفهم المنقول، أو تقريره وتشييده بالأدلة، أو استخراج الأحكام المستنبطة، فالنقل، إن كان بما أتى به الرسول بواسطة الوحي فهو علم القراءات، أو ما صدر عن نفسه المؤيدة بالعصمة فعلم رواية الحديث، وفهم المنقول: إن كان من كلام الله تعالى فعلم تفسير القرآن، وإن كان من كلام الرسول فعلم رواية الحديث، والتقرير: إما الآراء فعلم أصول الدين، أو الأفعال فعلم أصول الفقه، واستخراج الأحكام من أدلتها فعلم الفقه»[2].

فابن خلدون جعل محور العلوم الإسلامية الإنسان المكلف الذي يتحتم عليه معرفة أحكام الله تعالى المفروضة عليه حتى يستقيم تصوره ويعتدل سلوكه وذلك لأن التوحيد كما يقول: «ليس هو الإيمان الذي هو تصديق حكمي فإن ذلك من حديث النفس، وإنما الكمال فيه حصول صلة منه تتكيف بها النفس، كما أن المطلوب من الأعمال والعبادات أيضا حصول ملكة الطاعة والانقياد وتفريغ القلب

[1] ـــ ابن خلدون: المرجع السابق، 435 – 436.

[2] ـــ طاش كبرى زادة : المرجع السابق، ص 05.

عن شواغل ما سوى المعبود حتى ينقلب المريد السالك ربانيا، والفرق بين الحال والعلم في العقائد فرق بين القول والاتصاف»[1]، فكان المطلوب إذن «في التكاليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس يحصل عنها علم اضطراري للنفس هو التوحيد وهو العقيدة الإيمانية وهو الذي تحصل به السعادة وأن ذلك سواء في التكاليف القلبية والبدنية»[2] ولهذا أسمى طاش كبرى زادة العلوم الإسلامية علوما اعتقادية فهي تقوم كلها على أساس أصول الدين، فبثبوت العقيدة في النفوس وحصانتها من شبه الخصوم يصلح العمل أو كما قال ابن خلدون يتحقق الاتصاف، فنفهم من ذلك أن «الإيمان الذي هو أصل التكاليف وينبوعها هو بهذه المثابة ذو مراتب أولها التصديق القلبي الموافق للسان (حصول التصور) وأعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي ما يتبعه من العمل (أي مطابقة السلوك للتصور) مستولية على القلب فيستتبع الجوارح وتندرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تنخرط الأفعال كلها في طاعة ذلك التصديق الإيماني وهذا أرفع مراتب الإيمان وهو الكامل الذي لا يفارق المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة، إذ حصول الملكة ورسوخها مانع من الانخراف عن مناهجه طرفة عين قال ﷺ (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)»[3][4].

ومعنى ذلك أن حصول العلم والاتصاف بما لا يتحقق إلاّ باجتماع كل العلوم النقلية وتضافر العلوم النظرية والعملية، من ثم نفهم أن العلوم العملية ما هي إلاّ امتداد تطبيقي للعلوم النظرية كما بينت في الصلة بين علم الفقه وعلم العقيدة.

ومعنى ذلك أيضا أن لعلم الكلام بعدا اجتماعيا واقعيا، وهو ما حرص على إظهاره أبو الوليد ابن رشد (ت 595هـ/1198م) في مقدمة كتابه مناهج الأدلة[5].

ولو أمعنا النظر في كلام ابن خلدون لوجدناه تفصيلا لما جمعه الفارابي حين ضم علم النفس عنده إلى علم العقيدة وعلم الفقه، فالتصديق (أو الإيمان أو الآراء) هو من حديث النفس،والسلوك (العمل، أو الأفعال) هو صفة تتكيف بها النفس، ومن ثم يعدّان صورتا العملية النفسية في حياة الإنسان.

وبالتالي يتغير علم النفس عند الفارابي وابن خلدون والتهانوي وطاش كبرى زادة عبر علم

---

[1] ـ ابن خلدون: المرجع السابق، ص 460.

[2] ـ نفس المرجع، ص 461.

[3] ـ رواه مسلم في كتاب الإيمان.

[4] ـ ابن خلدون: المرجع السابق، ص 461 – 462.

[5] ـ أبو الوليد ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص 99 – 100.

العقيدة وعلم الفقه وسائل العلوم النقلية والعقلية تقويم الإنسان وحفظه من الانحراف تصورا وسلوكا لتحقيق مصالحه المطابقة لمقاصد الشرع، ولا يتم ذلك إلاّ بتحقيق الانسجام الوجودي والمعرفي بين الإنسان والكون كما عبر عنه القرآن الكريم وبيّنته مثلا سورة الشمس وعبر عنه العلماء المسلمون التأصيليون في تصنيفهم للعلوم[1].

قال الله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا، وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا، كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا، إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا، فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا، وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[2].

فقد عرضت السورة الانسجام الكوني ثم ما يجب أن تكون عليه النفس الإنسانية من الانسجام اقتداء بالكون ثم عرضت لعاقبة عدم تحقيق الإنسان للتوافق بينه وبين الكون الذي هو مضمون دعوة الرسل وغاية بعثتهم والمتمثل في تحقيق التوحيد والذي عبر عنه ابن رشد بموافقة الموجودات لوجود الإنسان[3]، ولا يتسنى ذلك إلاّ بتحصيل العلم والتحقيق بصفته أي تحقيق عقيدة التوحيد إيمانا وعملا، أو تصورا وسلوكا، ومن ثم التمكين للإنسان المؤمن في هذه الدنيا والفوز برضى الله تعالى في الدنيا والآخرة، وهو ما عبر عنه الفارابي وابن خلدون بـ «تحصيل السعادة»، وأكده الحق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[4]. فبالإيمان وعمل الصالحات تتحقق العبودية لله تعالى وحده، وهي منهج تحقيق الغاية من وجود الإنسان، الاستخلاف، كما بينته الآية السابقة، وكما بينه قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[5].

فلا تفريق بين العلوم عامة والعلوم الإسلامية خاصة ولا فصل بينها في حقيقتها إلاّ لغاية تعليمية تربوية منهجية، لوحدة هدفها وهو تحقيق توحيد العبودية، ومن بين هذه العلوم أساسا علم العقيدة وعلم الفقه.

---

[1] ـ راجع في تصنيف العلوم والتواصل بينها: عبد المجيد النجار، المرجع السابق، ص 33 – 78.

[2] ـ سورة الشمس: 1 ـ 15.

[3] ـ ابن رشد: المرجع السابق، ص 118.

[4] ـ سورة النور: 55.

[5] ـ سورة الذاريات: 50.

ولقد جمع وحيد الدين خان في تعريفه لعلم العقيدة ذينك المظهرين، (الصيغة الدفاعية لعلم العقيدة، وصلته بالفقه وسائر العلوم)، إذ يقول: «إنه يهدف إلى إبلاغ حقائق الدين بنفس اللغة والمصطلحات التي يأنس لها المدعو في عصره»[1].

فإبلاغ حقائق الدين وهي العقائد الإيمانية والأحكام الشرعية الثابتة، يكون للمسلمين وللتحصين والتثبيت أو ترقية الإيمان بالأدلة المتجددة، ويكون لغير المسلمين للدعوة وللدفاع ورد الشبهات، وذلك بنفس اللغة والمصطلحات أي العلوم الكونية والإنسانية والاجتماعية ومناهجها التي تتناسب وتتفق وعقلية المخاطبين في عصرهم.

ومن ثم كان علم العقيدة مسايرة لتطور العصر من حيث تطور الواقع الاجتماعي والسياسي وتغيره ومن حيث تطور العلوم ومناهجها الدراسية لذلك الواقع.

فيتتبعه هذا للوسائل والمناهج المناسبة والخطاب الملائم للمدعو لمعالجة واقعه، كما يتتبع ويتقصى نوازل مجتمعه (المدعو) المستحدثة لمعالجة ومقاومة الآفات الاجتماعية، كان علم العقيدة علما واقعيا، ذا جانب عملي ومنهج تطبيقي، يهدف إلى تحقيق توحيد الألوهية الذي يتضمن توحيد الربوبية، بتنزيل الأحكام العقائدية في واقع الناس.

هـ- اختفاء الصبغة الواقعية العملية

إلاّ أن هذه الصبغة الواقعية العملية لعلم العقيدة ومنهجه التطبيقي ما فتئت أن تلاشت واختفت، فظهرت بدلها صفتين جديدتين غريبتين عنه، وعن الفكر الإسلامي عموما أولهما الصبغة التجريدية والمنهج البياني الشرحي البعيدين عن الواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي للمسلمين، بحيث لم يعد الفكر العقدي في العصور المتأخرة (منذ القرن السابع) على صلة بالواقع يترصد مشاكله كلها بالرد على الشبهات الداخلية والخارجية؛ وثانيهما الصبغة الانفصالية[2] التي فصلت بين العلوم الإسلامية فيما بينها وبين العلوم الإسلامية والعلوم المقتبسة. فنتج عنهما (الصبغتين) إشكال ذو خطر كبير هو الانفصال بين التصور والسلوك أو الإيمان والعمل، وما ترتب عنه إلى يومنا هذا من مشاكل نفسية واجتماعية، كازدواج الشخصية، واليأس والقنوط والتمرد على المجتمع وقوانينه كالانتحار والعنف وغيرها من مشاكل.

---

[1] ـ وحيد الدين خان: المرجع السابق، ص 59.

[2] ـ غازي التوبة: في مجال العقيدة، ص 27.

ونلمس ذلك جليا في ما آلت إليه كثير من تعريفات علم العقيدة عند العلماء المتأخرين أمثال الفخر الرازي والتفتازاني وابن عرفة والجرجاني والبيجوري، وحسين الجسر ومحمد عبده وغيرهم كثير.

فالفخر الرازي يقول (544 – 606هـ): «أما علم الأصول فالمطلوب منه معرفة ذاته الله تعالى وصفاته وأفعاله، ومعرفة أقسام المعلومات من المعدومات والموجودات، ولا شك أن ذلك أشرف العلوم»[1].

ويعرفه التفتازاني (توفي 791هـ) في كتاب المقاصد بقوله: «الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية، وموضوعه المعلوم من حيث يتعلق به إثباتها، ومسائله القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية، وغايته تحلية الإيمان بالإيقان ومنفعته الفوز بنظام المعاش ونجاة المعاد، فهو أشرف العلوم»[2].

ويؤكد تعريفه في شرح المقاصد «إنه العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدلتها اليقينية»[3].

ومع ابن عرفة الورغمي (803هـ) ومعاصريه يزيد علم العقيدة تجريدا وابتعادا عن الواقع إذ يقول: «علم الكلام هو العلم الموصل لإدراك حقيقة الإيمان بواضح الأدلة والبرهان المنجي من الخلود في النيران»[4].

ويقول الجرجاني (816): «علم يبحث فيه ذات الله تعالى وصفاته، وأحوال الممكنات من المبدإ والمعاد على قانون الإسلام، والقيد الأخير لإخراج العلم الإلهي للفلاسفة ... وعلم باحث عن أمور يعلم منها المعاد، وما يتعلق به من الجنة والنار، والصراط والميزان والثواب والعقاب، وقيل الكلام هو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة عن الأدلة»[5].

وكذلك الشيخ إبراهيم البيجوري (1263هـ/1860م) في شرحه لجوهرة التوحيد للقاني المقررة في الكليات الإسلامية في الدول الإسلامية، وأكد الجانب الإثباتي المعرفي وأهمل الجانب العملي لعلم العقيدة، بتكرار تعريفات من سبقه من المتأخرين فقال: «هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية مكتسبة من أدلتها اليقينية ... وثمرته معرفة الله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية»[6].

---

[1] ــ فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، م1، ج2، ص 96.

[2] ــ التفتازاني: المرجع السابق، ص 163.

[3] ــ سعد الدين التفتازاني: المرجع السابق، ص 165.

[4] ــ ابن عرفة الورغمي: المختصر الشامل، نقلا عن عبد المجيد النجار. فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ص 57.

[5] ــ علي بن محمد الجرجاني: كتاب التعريفات، ص 237.

[6] ــ إبراهيم البيجوري : شرح تحفة المريد على جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني، ص 12.

و لم يضف محمد عبده (1323هـ/1905م) جديدا في تعريفه رغم منهجه التجديدي الواقعي في العقيدة إذ عرف علم العقيدة في كتابه رسالة التوحيد بأنه «علم يبحث فيه عن وجود الله، وما يجب أن يثبت له من صفاته، وما يجب أن ينفى عنه، وعن الرسل، لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم»[1]، وكما هو جلي فإن محمد عبده عرف علم التوحيد بموضوعه دون ذكر منهجه وغايته ودوره، فهو علم لا يتجاوز معرفة العقائد الإيمانية، كما أن هذا التعريف أغفل مبحثا من أهم مباحث علم العقيدة هو مبحث السمعيات، فكان تعريفا غير جامع[2].

وبناء على ما تقدم لم يعد لعلم العقيدة أي دور عملي في الحفاظ على العقيدة وترقية الإيمان وحل مشاكل الحياة الواقعية ذلك أن منهجه التجريدي الذي آل إليه، المتنكب عن مشاكل الحياة الواقعية لا يتماشى مع العقلية العلمية العملية الواقعية المعاصرة؛ وما ذلك إلاّ لتأثر علماء العقيدة بالفلسفة اليونانية ذات الصبغة التجريدية وابتعاده عن منهج القرآن الكريم ذي الصبغة الواقعية العملية، والغاية الدفاعية والتأصيلية التثبيتية إذ لم ينشأ علم العقيدة إلاّ من هذه الصبغة و لم يوجد إلاّ لهتين الغايتين.

ومن جهة أخرى نسجل بعض الملاحظات على تعريفات علم العقيدة من حيث أسباب تباينها واختلافها وتنوعها:

الملحظ الأول:

إنها تباينت بتباين التكوين العلمي لعلماء الإسلام وتخصصاتهم مما أدى إلى اختلاف وجهات نظرهم إلى هذا العلم واختلاف مواقفهم منه، حيث اختلفت مثلا تعريفات علماء الكلام عن تعريفات اللغويين والفلاسفة والفقهاء وعلماء أصول الفقه والمتصوفة.

الملحظ الثاني:

إن هذه التعريفات تباينت من حيث طبيعة التعريف لهذا العلم إذ عرفه بعض العلماء باعتبار غايته ومنهجه كتعريف الفارابي والتوحيدي وابن خلدون ووحيد الدين خان، وعرفه البعض الآخر باعتبار غايته فقط مثل أبي حامد الغزالي، وعرفه بعضهم باعتبار موضوعاته ومسائله،

---

[1] ــ محمد عبده: رسالة التوحيد، ص 17.

[2] ــ محمد الأنور السنهوري: مدخل نقدي لدراسة علم الكلام، ص 13.

مثلما فعل الرازي والجرجاني ومحمد عبده.

ومن التعريفات ما كان جامعا لكل هذه الاعتبارات كتعريفات الفارابي وابن خلدون والإيجي والتفتازاني والزنداني بحيث عرفوا العلم بموضوعه ومنهجه وغايته وأهميته.

الملحظ الثالث:

إن هذه التعريفات اختلفت باختلاف العصور والبيئات التي وجد فيها أصحابها بحيث ركز العلماء الأوائل في تعريفاتهم على منهج وغاية علم العقيدة الدفاعية أكثر من تركيزهم على موضوعاته ومسائله لأهمية المنهج والغاية الدفاعية وربما كذلك لوضوح الموضوعات وبداهتها عندهم وعند المخاطبين بهذا العلم، بينما كانت تعريفات المتأخرين تركز على الموضوعات والمسائل لاختلاطها بمسائل وموضوعات الفلسفة كما اختفت الغاية الدفاعية في تعريفاتهم واقتصر المنهج عند من ذكروه على الشرح والبيان لتحصيل الإيمان.

الملحظ الرابع:

ولكن رغم هذا التباين والاختلاف في تعريفات علم العقيدة الدال على اختلاف آرائهم ومواقفهم فإنها تجمع على أهمية هذا العلم وشرفه وخطورة دوره وغايته في الفكر الإسلامي وحياة المسلمين عموما، وذلك مهما كبرت هذه الأهمية أو صغرت وضعفت ومهما اتسع ذلك الدور وضاق وتلاشى.

وهو ما أبرزته تسميات علم العقيدة الذي تمثل وجها من أوجه التعريف بهذا العلم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: دلالة التسمية

لقد سمي علم العقيدة بأسماء مختلفة بحسب أشرف مباحثه أو أشهرها، بعدما كانت مباحثه مندرجة في مباحث الفقه، وكان البحث في الدين بأحكامه يسمى فقها، ومن أهم هذه الأسماء:

1 ــ الفقه الأكبر: لقد سماه بهذا الاسم أبو حنيفة النعمان (ت 150هـ) في كتابه (الفقه الأكبر)، وذلك لتمييز مباحثه عن مباحث الفقه العملية، فكلاهما علم أصول؛ إلاّ أن علم العقيدة يؤسس النظر، ويكوّن الإيمان، بينما الفقه يؤسس العمل، وعلم العقيدة أصل العمل والطاعة، فيكون الفقه فرعا لهذا الأصل فسمي بالفقه الأصغر.

2 ــ علم النظر والاستدلال: وترجع تسميته هذه إلى اعتماده منهج النظر الفكري والاستدلال العقلي وسيلة لإثبات أصول العقيدة التي ثبتت بالنصوص الدينية، لأن «كل ما هو معقول ويتوصل إليه بالنظر والاستدلال فهو من الأصول وكل ما هو مظنون ويتوصل إليه بالقياس والاجتهاد فهو من الفروع»[1].

3 ــ علم الكلام: أما تسميته بعلم الكلام فترجع إلى عدة أسباب أهمها:

أن أهم وأشهر مسألة وقع الخلاف فيها واشتد النزاع حولها في القرون الأولى كانت مسألة (كلام الله) أهو قديم أزلي قائم بذاته، أم مخلوق حادث؟ فتكلم الناس فيه، فسمي هذا النوع من العلم كلاما واختص به[2].

أو لأنه لا يتحقق إلاّ بالمباحثة وإدارة الكلام بين الجانبين بينما غيره من العلوم قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب.

أو لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان[3]، لأن علم الكلام، كما يقول محمد عبده، في بيان طرق الاستدلال على أصول الدين أشبه بالمنطق في تنبيه مسالك الحجة في علوم أهل النظر[4].

أو لأنه بقوة أدلته المستعملة في العقائد ووضوحها بحيث أصبحت وكأن الكلام قصر عليها كما يقال في الأقوى من الكلامين: هذا هو الكلام، فأطلق اسم (الكلام) عليها دون غيرها[5].

وهذا ما بيّنه أبو حيان التوحيدي في المقابسات عن شيخه يحي بن عدي بشأن المتكلمين:

---

[1] ــ أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 42.

[2] ــ انظر: سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية ص 11.

[3] ــ الشهرستاني: المرجع السابق، ص 30.

[4] ــ محمد عبده، المرجع السابق، ص 18.

[5] ــ سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية، مرجع سابق، ص 11.

«إني لأعجب كثيرا من قول أصحابنا إذا ضمنا وإياهم مجلس: نحن المتكلمون، ونحن أرباب الكلام، والكلام لنا، بنا كثر وانتشر، وصح وظهر، كأن سائر الناس لا يتكلمون أو ليسوا أهل كلام؟ لعلهم عند المتكلمين خرس أو سكوت! أما يتكلم يا قوم الفقيه والنحوي والطبيب والمهندس والمنطقي، والمنجم والطبيعي، والإلهي، والحديثي، والصوفي؟»[1].

وإما لأن المتكلمين تكلموا فيما كان السلف والصحابة والتابعون يسكتون عنه، لأنهم لم يخوضوا في المسائل الاعتقادية إلاّ بحد ضيق، فالكلام ضد السكوت، والمتكلمون كانوا يتكلمون حيث ينبغي السكوت، ولكن هذا السبب فيه مبالغة وتعميم إذ علماء العقيدة لم يتكلموا حيث ينبغي الصمت في كل المباحث العقائدية؛ كما أن بعض الفرق وإن تكلمت حيث ينبغي السكوت فذلك لتثبيت العقيدة في النفوس ومنافحة الخصوم[2] كما سأبين في المباحث القادمة.

4 ــ **علم التوحيد:** سمي بعلم التوحيد لأهمية توحيد الله تعالى في العقيدة الإسلامية، إذ يعتبر التوحيد أشرف المباحث وأهمها والأساس الذي تستخرج منه باقي العقائد الإيمانية الأخرى (النبوات والكونيات) بالاستدلال، وهذا ما بيّنه التفتازاني في قوله: «أن الأحكام الشرعية منها ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية وعملية، ومنها ما يتعلق بالاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية، والعلم المتعلق بالأولى يسمى علم الشرائع والأحكام وبالثانية علم التوحيد والصفات»[3].

كما أن التوحيد هو الغاية التي من أجلها بعث الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كما وضحه الله ﷻ في كتابه العزيز في آيات كثيرة من مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[4]، وهو الاسم الذي فضله الإمام محمد عبده في كتابه (رسالة التوحيد) وبين سبب تسميته بعلم التوحيد، حيث قال: «وسمي هذا العلم به (التوحيد) تسمية له بأهم أجزائه وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلقه الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد، وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبي ﷺ، كما تشهد به آيات الكتاب العزيز»[5].

5 ــ **علم أصول الدين:** وأما تسميته بهذا الاسم فلأنه أصل المعارف الدينية لابتنائها عليه وتفرعها عنه، ولأنه يتكفل ببيان وإثبات ما يعتبر من أصول الدين وأركانه التي لا يتم الإسلام

---

[1] ــ أبو حيان التوحيدي: المقابسات: نقلا عن علي الشابي: مباحث في علم الكلام والفلسفة، ص 20.

[2] ــ راجع تفاصيل الرد على هذا الرأي في رسالة الأشعري في استحسان الخوض في علم الكلام.

[3] ــ التفتازاني: شرح العقائد النسفية، ص 09، وراجع شرح المقاصد، ص 164.

[4] ــ سورة الأنبياء: 25.

[5] ــ محمد عبده: المرجع السابق، ص 17.

ولا يتحقق الإيمان بدونها، مقابل علم الفقه الذي يتكفل ببيان الفروع العملية للدين، ومقابل علم الأخلاق والتصوف الذي يعنى بجانب السلوك والأخلاق على أساس من الذوق الروحي والوجدان القلبي ولهذا، قال بعض المتكلمين: «الأصول معرفة الباري بوحدانيته وصفاته ومعرفة الرسل بآياتهم وبيِّناتهم ... ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسما إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيا»[1].

6 ــ علم العقيدة: كما سمي كذلك بعلم العقيدة لأنه يبحث في العقائد الإسلامية وثباتها بالأدلة اليقينية والدفاع عنها ضد العقائد والأفكار المخالفة لها، والعقيدة خصصها القرآن الكريم باسم الإيمان، إذ الإيمان هو الاعتقاد والاعتقاد هو العلم والتصديق الجازم بكل ما ثبت بالضرورة أنه جاء من عند الله على لسان رسول الله ﷺ مع الرضاء والارتياح والعمل به، والإيمان كما عرفه جمهور العلماء هو إقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2]، وقال الحق تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[3]، وقال أيضا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[4].

7 ــ علم الإيمان: وآخر ما أطلق من تسميات لعلم العقيدة أو علم الكلام "علم الإيمان" وهو الذي أطلقه الشيخ الدكتور عبد المجيد الزنداني في آخر كتبه وهو "علم الإيمان" الذي ألفه لطلبة جامعة الإيمان بصنعاء بالجمهورية اليمنية ولكل المسلمين في العالم.

وسمي علم الإيمان لأنه يورث العلم بالإيمان وحقائقه وأركانه عن طريق عرض آيات الله في الكون المشاهد، ليوقظ الفطرة ويحرك العقول لتتعرف على خالقها وتستدل على الإيمان، ويطلع الطالب على الخرافات الفرق الإسلامية وشبهات المنكرين ويربط اليقين بالعقول والمشاهدة والسلوك المستقيم والخلق القويم[5].

---

[1] ــ الشهرستاني: المرجع السابق، ص 41، وانظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، مج1، ج2، ص 95-96.

[2] ــ سورة النساء: 65.

[3] ــ سورة العصر: 1 و2.

[4] ــ سورة النور: 55.

[5] ــ عبد المجيد الزنداني: المرجع السابق، ص 4- 5.

كما أنه الموضوع الأساسي في القرآن، إذ لا نجد صفحة في كتاب الله تخلو من الدعوة إلى الإيمان بأركان الإيمان، أو الرد على شبهات الكافرين، أو بيان الأقوال والأفعال التي تثبت الإيمان أو تنقضه.

ومصطلح الإيمان المصطلح الأصلي لمصطلح العقيدة الذي اصطلح بعض العلماء عليه، فهو مصطلح قرآني غير مستحدث[1].

ويمكننا أن نستخلص ثلاث ملاحظات من أسماء علم العقيدة وهي:

أولا ــ أنه تم العدول عن تسمية علم الكلام إلى علم التوحيد وعلم العقيدة وعلم الإيمان لِمَ وجه لعلم الكلام من معارضة وانتقادات شديدة من المسلمين وخاصة المحدِّثين والفقهاء الذين لهم اتصال مباشر بعامة الناس، وذلك سدا للذرائع واتقاء للفرقة التي تبلبل أذهانهم وقلوبهم[2]، وكذلك لما حدث لهذا العلم من انحراف عندما اختلطت مباحثه بمباحث الفلسفة[3] فتعطلت مهمته ودوره الأساسي فعلق ذلك بهذه التسمية (علم الكلام) وأصبح مصطلح (علم الكلام) يدل على انحراف العقيدة منهجا وموضوعا وغاية فرفض عامة وخاصة الناس وقصار النظر هذه التسمية بل منهم من رفض هذا العلم كلية.

ولكن إذا عرفنا أن للمصطلحات والأسماء الشائعة بين الناس للأشياء جناية على الحقائق، والغايات، ولهذه الجناية قصة طويلة في كل فن ولغة، وفي كل أدب ودين، وعرفنا أن هذا المصطلح صحب هذا العلم في مرحلة تاريخية مظلمة مر بها ككل علم التاريخ الإسلامي، أدركنا حقيقة ومعنى العودة إلى استعمال هذا المصطلح اليوم مع بعض العلماء المعاصرين أمثال وحيد الدين خان الذي يسمي علم العقيدة (علم الكلام القرآني)[4] دون أية عقدة.

ثانيا ــ أن هذه الأسماء تدل على أصالة علم العقيدة. فأصوله أصول إسلامية، صرفة كما يتجلى في التعليلات التي قيلت حول أسباب كل اسم من أسمائه، فهي راجعة إما إلى موضوعه،

---

[1] ــ نفس المرجع: ص 14 – 17.

[2] ــ انظر: عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، ص 39، وما بعدها، وجلال الدين السيوطي في كتابه (صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام) ج1، ص48-52 .

[3] ــ انظر: ابن خلدون: المرجع السابق، ص 466. والشهرستاني: المرجع السابق، ص 30؛ ومحمد عبده، المرجع السابق، ص 25، وعبد المجيد الزنداني: المرجع السابق، ص 3، 4، 17.

[4] ــ وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامي، ص 104.

وهو العقائد الإسلامية، بصفة عامة، أو كلام الله تعالى قديم أو حادث أو توحيد الله جل جلاله في الذات والصفات، وإما راجعة إلى منهجه وهو الكلام والجدل، والاعتماد على النقل (كلام الله) في استخراج الحجج العقلية للرد على الخصوم وإثبات أصول العقيدة[1].

وبذلك يكون هذا العلم موضوعا ومنهجا يدور حول الأصول العقائدية.

ثالثا ــ كما تدل على ما سبق إثباته في التعريفات، وهو الطابع العملي الواقعي لعلم العقيدة إذ لا ينفك الإيمان أو العقيدة عن السلوك ويوجهه ويقومه، كما مبين في تسميات (علم العقيدة، وعلم الإيمان، والفقه الأكبر، وعلم التوحيد) وغيرها.

هذا الدور الأساسي لعلم العقيدة وأهميته هو الذي أحاول بإذن الله توضيحه في المبحث التالي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] ــ طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 66.

المبحث الثاني

دور علم العقيدة

تمهيد

لقد بينت لنا المباحث السابقة أن علم العقيدة ذو بعد واقعي تتبعي لحياة الإنسان للارتقاء به إلى مستوى الإنسانية بتذكيره بعهده مع خالقه سبحانه وتعالى حين قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[1]. أو الحفاظ على إيمانه وترقيته لتستدم صلتهم برهم، وذلك كله بتتبع حركاته وأفكاره في الكون والمجتمع للأخذ بيده وتوجيهه إلى تحقيق سعادته في الدنيا والآخرة عن طريق الالتزام الكلي بأوامر الله ونواهيه، التشريعية والعقدية، ولا يتحقق هذا الالتزام ويتقوى إلاَّ بعلم العقيدة في واقعيته تلك.

وهذه الواقعية يجسدها كذلك دور علم العقيدة وغايته إذ أننا إذا رجعنا إلى نشأته وجدناها كانت استجابة لظروف التحدي التي أحاطت بالعقيدة الإسلامية، ووجدنا وجها للمواجهة الفكرية التي واجه بها المسلمون التحديات الفكرية الواردة على العقيدة؛ وإذا نظرنا إليه اليوم في خضم التحديات المعاصرة المحدقة بعقيدتنا، ودور الشهادة المنوط بنا، أدركنا أن وجوده أصبح أكثر إلحاحا وضرورة لمواجهة هذه التحديات تثبيتا للإيمان ودفاعا عن العقيدة.

فالتصاقه الشديد هذا بقضايا المجتمع ومشاكل الناس جعلته أكثر واقعية، ذو وظيفة أكثر خطورة وأهمية.

فما هي وظيفته ودوره؟ هل هي تثبيت العقيدة وتبيانها وشرحها؟ أم هي الاستدلال عليها والدفاع عنها والدعوة إليها؟ أم هي لكل هذه الأدوار مجتمعة؟ أم أنه لم تعد له وظيفة وغاية وانتهى دوره وانتفت فائدته؟

أولا ــ دوره في عصر النشأة

لم يظهر علم العقيدة ولم ينشأ إلاَّ في بداية القرن الثاني الهجري لوحدة العقيدة في عصر الرسول ﷺ وأول عصر الخلفاء الراشدين، وتعليل وحدة العقيدة في هذه الفترة يرجع لعدة عوامل من أهمها:

إدراك الصحابة زمن الوحي وشرف صحبة الرسول ﷺ، إذ كان المرجع في الحيرة والسراج في ظلمات الشبهة[2].

---

[1] ــ سورة الأعراف: 172.

[2] ــ محمد عبده: رسالة التوحيد، ص 21.

منعتهم روح التهيب من معرفة أسرار النص الديني من التمادي في الجدل، فأمسكوا عن القول في المتشابه، والبحث في الغيبيات وما لا مجال للعقل فيه، إذ كان القرآن الكريم والسنة الصحيحة يحذران من التمادي في هذا السبيل، على نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]، وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾[2]، وقد وجه رسول الله ﷺ السائل عن الساعة إلى التفكير في مقتضاها العملي والإعداد لها، عن ... قال رجل متى الساعة يارسول الله؟ قال له: ماذا أعددت لها؟[3]

ومن ذلك ما حدثنا به "ابن سعد" في كتابه "الطبقات" و"السيوطي" في كتابه "صون المنطق" عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عمر بن العاص وأخيه هشام، أنهما قالا: «جلسنا مجلسا في عهد رسول الله ﷺ كنا به أشد اغتباطا من مجلس جلسناه يوما، جئنا فإذا أناس عند حجر رسول الله ﷺ يتراجعون في القرآن، فلما رأيناهم اعتزلناهم، ورسول الله خلف الحجر يسمع كلامهم، فخرج علينا رسول الله مغضبا يعرف الغضب في وجهه، حتى وقف عليهم فقال: أي قوم!! بهذا ضلت الأمم قبلكم، باختلافهم عن أنبيائهم، وضربهم الكتاب بعضه ببعض، إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ولكن يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه عليكم فآمنوا به، ثم التفت إلي وأخي، فغضبنا أنفسنا ألا يكون قد رآنا معهم»[4].

كما حمتهم سليقتهم اللغوية من الوقوع في الخلط بين مستويات اللغة، إذ كانت لهم القدرة على التعامل مع النص[5]، مما جعلهم يعتقدون بالتنزيه ويفوضون فيما يوهم التشبيه، فكانت نظرتهم للنص شاملة تكاملية[6].

وقد أصبح لعامل اللغة هذا دور خطير في اختلاف الفرق حول فهم النص وأصبح من

---

[1] ـــ سورة الإسراء: 85.

[2] ـــ سورة النازعات: 42- 45، وانظر كذلك الأعراف 187، والأحزاب 63.

[3] ـــ رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب.

[4] ـــ جلال الدين السيوطي: صون المنطق والكلام، ص 70. وراجع فيما يتعلق بروح التهيب، محمد البهي، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ص 40- 41. وعبد الستار نصار: المدونة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام،ص492-493.

[5] ـــ علي الشابي: مباحث في علم الكلام والفلسفة، ص 25.

[6] ـــ ابن خلدون: المقدمة، ص 463.

الأسس الهامة في نشأة علم العقيدة.

كما انشغلوا بالفتوحات بكل إيمانهم و لم يكن لهم متسع من الوقت للنظر في مسائل العقيدة والبحث فيها، إذ كانت الفتوحات تمثل انتصار (التوحيد العملي) على الأرض بعد تمكن (التوحيد النظري) من قلوبهم وعقولهم.

ثم إن المجتمع الإسلامي لم يتسع لشبه الذين أسلموا ممن كانوا ينتمون إلى حضارات وأعراق أجنبية[1] إلاّ في عهد عثمان بن عفان ﷺ مما منع وجود تحد فكري على العقيدة، ومن ثم لم تدع الحاجة إلى مواجهة. كما أن الإسلام كأي دين تمثل لديه هذه المرحلة مرحلة الإيمان القلبي والتصديق، لينتقل المؤمنون به إلى المرحلة الثانية مرحلة النظر العقلي[2]، ولكن إن أمسكت الألسنة فلن تمسك القلوب كما قال أبو حنيفة[3].

فالمسلمون الأوائل كانوا بشرا لهم عقول مهما يكن الإيمان يملؤها فهي بلا شك قابلة للنمو الداخلي، وكل إنسان متى بلغ حدا من الكبر وبلغ مجتمعه حظا من الرقي لا بد وأن يبدأ عنده السؤال وتلوح في ذهنه مشاكل الكون، والقرآن حافز قوي في هذا السبيل، فهو يحث على التفكير والنظر، فكانت العقلية الإسلامية مهيأة لأن تبحث في مسائل العقيدة وتجادل الخصوم[4]، فيما لا يخرج عن مجال العقل ولا يكون فتنة للأمة؛ إذ بدأت بعض العقول في بحث مسائل العقيدة أواخر القرن الأول، حيث اتسع المجتمع الإسلامي بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ(ت35هـ) لضروب من الافتراق والصراع الفكري والحزبي، ونشأ البحث العقدي تفهما وتعقلا للعقيدة وكثر وتشعب، واتخذ ألوانا جديدة لم تكن أيام رسول الله ﷺ ولا الأولين من الصحابة، «فهبت على الناس أعاصير الفتن واعتمد كل ناظر على ما صرح به القرآن من إطلاق العنان للفكر، وشارك الدخلاء من حق لهم السبق من العرفاء، وبدت رؤوس المشاقين تعلوا بين المسلمين»[5]، وهذا الانحراف عن منهج القرآن في النظر يرجع إلى ضعف الإيمان، فالعلاقة بين قوة الإيمان وتفهم

---

[1] ـــ علي الشابي: المرجع السابق، ص 22.

[2] ـــ محمد البهي: المرجع السابق، ص 41.

[3] ـــ عبد الستار: المدرسة السلفية ص 493.

[4] ـــ حسام الدين الألوسي:دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، ص 85، وراجع عبد المجيد النجار و(حسين أبولبابه وعلي الشابي): المعتزلة بين الفكر والعمل، ص 7 – 8.

[5] ـــ محمد عبده: رسالة التوحيد، ص 24.

وشرح العقيدة علاقة عكسية، كلما خفت حرارة الإيمان في القلوب، كلما برزت ناحية التفهم للعقيدة في الأذهان، حتى إذا خفت روح التهيب وتهيَّأت عوامل النظر في العقيدة ظهر الخلاف في فهمها[1]. ونتيجة للواقع السياسي والاجتماعي الذي جدَّ في الأمة الإسلامية برزت قضايا كلامية، كمسألة الإيمان وعلاقته بالعمل انطلاقا من حادثة مقتل عثمان وأحداث القتل المتعللة بكفر مرتكب الكبيرة من قبل الخوارج، ومسألة القدر التي بحثت انطلاقا من ظاهرتي البغي والفسق وأحداث التسلط السياسي الأموي المتعلل بالقدر[2].

ومقاومة لهذه المواقف أو تبريرا للمعاصي، ظهرت آراء مخالفة لها تدَّعي تزييفها والكشف عن العقيدة الصحيحة، وأنها الفرقة صاحبة الحق الناجية، فنشأ القول بحرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله، كما نشأ القول بنفي صلة العمل بالإيمان مع المرجئة لأن الإيمان عندهم ما وقر في القلب دون العمل ومن ثم كان ارتكاب المعاصي لا علاقة له بالإيمان، فأدت هذه البحوث والمواقف إلى ما هو مخالف للعقيدة الصحيحة بسبب التطرف أو التأثير الخارجي (كالسبئية)[3].

وقد سجل لنا التاريخ حادثتين شهيرتين تبرزان واقعية نشأة علم العقيدة وواقعيته ووظيفته ببعديهما الدفاعي والفهمي البياني.

لقد تفشى في بعض المدن الإسلامية ظاهرة الفسق والمجون وأصبحت موئلا لارتكاب الزنا والسرقة وتعاطي الخمور بما لم يكن معهودا من قبل، ويعلل أصحاب هذه المعاصي أعمالهم بالقدر المحتوم، وقد صور ذلك رجل أتى عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ يشكو إليه هذه الحالة قائلا: «ظهر في زماننا رجال يزنون، ويسرقون، ويشربون الخمر، ويقتلون النفس التي حرم الله ثم يحتجون علينا، ويقولون: كان ذلك في علم الله، فغضب ابن عمر، وقال: سبحان الله كان ذلك في علم الله، ولم يكن علمه يحملهم على المعاصي»[4].

فنشأ عن هذا الواقع الاجتماعي وذلك الواقع السياسي المتمثل في مقتل عثمان ﷺ وما تناثل من أحداث سياسية، قضية الفعل الإنساني وهي قضية عقدية أدت بدورها إلى جانب من القضايا

---

[1] ــ محمد البهي: الجانب الإلهي، ص 41 – 42؛ والفكر الإسلامي في تطوره، ص 08.

[2] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6،ص 84-130، والطبري: تاريخ الطبري، ج 4، ص 493 وما بعدها، وج5، ص5-38، وعبد المجيد النجار: المعتزلة، ص 11.

[3] ــ انظر: علي الشابي: المرجع السابق، ص 41 – 62.

[4] ــ أحمد بن مصطفى (طاش كبرى زادة): مفتاح السعادة، ج2، ص 143.

المذكورة إلى ظهور الفرق الكلامية وأكبرها فرقة المعتزلة كما بيَّنت الحادثة الثالثة الآتية حيث «دخل واحد على الحسن البصري (ت 110هـ) فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة، وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان ـــ بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟

فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب، قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة»[1]، فالاعتزال تكون حول مسألة دينية هي مرتكب الكبيرة، ذات جذور سياسية[2] واجتماعية، فكانت على يدهم نشأة علم الكلام نشأة واقعية المنطلق وواقعية الغاية، إذ اجتهدوا في الدفاع عن الإسلام والرد على الخصوم من الزنادقة وأصحاب الديانات المخالفة للإسلام والمبتدعة في أول عهدهم، وكانوا أول من تسلح من المسلمين بسلاح خصومهم في الدين، فجادلوهم جدالا علميا، وردوا هجماتهم، ونشطوا لهذا العمل نشاطا بديعا[3].

اشتد دور علم الكلام هذا مع توسع رقعة الدولة الإسلامية إثر الفتوحات السريعة التي شملت الإمبراطورية الفارسية والبيزنطية والشرقية، حيث وجد المسلمون أنفسهم أمام حضارات ذات ديانات سماوية محرفة أو ملل ونحل متعددة، أكثر تمدنا وعمرانا وتقدما فكريا فلسفيا، مما جعل مجرد الاكتفاء بالفتح العسكري غير كاف إطلاقا لفتح قلوب العجم ونشر العقيدة الإسلامية، إذ تطور الأمر من خلافات عقدية داخلية لعلاج الواقع الإسلامي إلى طعن حقيقي في العقيدة الإسلامية وفي أكثر مسائلها من أصحاب الملل والنحل الذين منهم من بقي على دينه صراحة ومنهم من التحق بالإسلام و لم يتبطنه حاملين لما كان عندهم، راغبين في الوصل بينه وبين ما وجدوه، قاصدين الكيد للإسلام بالنفاذ إلى مصدر قوته «العقيدة» والطعن فيها، «فأخذوا ينفثون من أفكارهم ويشيرون

---

[1] ـــ أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص 48.

[2] ـــ أحمد أمين: فجر الإسلام، ص 291.

[3] ـــ راجع أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ص 104، وأحمد أمين، نفس المرجع، ص 299 - 300.

بحالهم ومقالهم إلى من يرى مثل آرائهم أن يقتدوا بهم، فظهر الإلحاد وتطلعت رؤوس الزندقة»[1].

وبإزاء هذا الوضع الجديد وجد المسلمون أنفسهم مضطرين لمواجهة تلك التيارات الفكرية الواردة على العقيدة الإسلامية بالأدلة العقلية ردا للشبهات وإثباتا للعقيدة على الغير وترقية للإيمان؛ فكانت بذلك نشأة علم العقيدة ضرورة أملاها الواقع الإسلامي والتحديات الخارجية، واصطبغ بروح المواجهة والصبغة الدفاعية.

ثانيا ـ تطور دور علم العقيدة وأهم وظائفه

لقد تمثل دوره من النشأة إلى الانحطاط في مهمتين أساسيتين: أولهما الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وثانيهما ترقية الإيمان من التقليد وتحليته باليقين، وهو ما بيَّنه التهانوي في قوله: «وفائدته الترقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان، وإرشاد المسترشدين بإيضاح الحجة لهم، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم، وحفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين وأن تبتنى عليه العلوم الشرعية فإنه أساسها ... وغاية هذه الأمور كلها الفوز بسعادة الدارين»[2].

وهو ما جمعه الشيخ الطاهر بن عاشور في كلمتين: «التفصيل والتعليل»، إذ قال: «قد أحاط الإسلام إصلاح العقيدة ودوام إصلاحها بأمرين عظيمين هما: التفصيل والتعليل؛ فأما التفصيل: فهو في أمور ثلاث:

أولها بتمام الإيضاح لسائر المسلمين، وبإعلان فضائح الضالين في العقيدة على اختلاف ضلالهم، والإغلاظ عليهم، وبسد ذرائع الشرك واجتناب عروقهم ...

وأما التعليل فذلك باستدعاء العقول إلى الاستدلال على وجود الله، وعلى صفاته التي دل عليها تنزيهه، وأعظم ذلك الاستدعاء إلى النظر في النفس وهو أصل الحكمة، فالقرآن يكرر الدعوة للنظر ... وكذلك الآثار الصحيحة، وبذلك قال علماؤنا أن أول الواجبات على المكلف معرفة الله تعالى ... وترتب على ذلك اختلاف علماء الكلام في صحة إيمان المقلد ...»[3].

وهذا يعني أن المهمتين الدفاع والترقية متكاملتان متداخلتان لا تنفكان عن بعضهما البعض، وتتحققان بمجموعة من الوسائل تعد وظائف لعلم العقيدة من أهمها أربع: الشرح والبيان لغرض

---

[1] ـ محمد عبده: رسالة الوحيد، ص 26، أحمد أمين، نفس المرجع، ص 299 – 300.

[2] ـ التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ص 30.

[3] ـ محمد الطاهر بن عاشور: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص 49 – 50.

الفهم والإصلاح، وإثبات العقائد للترقية والإيقان، ورد الشبهات للصيانة، والهجوم للحصانة.

أ – الشرح والبيان لغرض الفهم والإصلاح

نفهم مما سبق أن علم العقيدة في طور النشأة كان تحصيليا شرحيا يرمي إلى فهم مضمون الإيمان، أو بالأحرى يرمي إلى تصحيح مفهوم الإيمان وتوضيحه كما حدده القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وشرح مقتضياته لإثباته وتثبيته في الأذهان والقلوب، ونصرة العقيدة الإسلامية وصيانتها من المفاهيم المنحرفة الحادثة في المجتمع، لأن انحراف المفاهيم يؤدي إلى انحراف التصور المؤدي إلى انحراف السلوك الاجتماعي والسياسي في المجتمع الذي تجلى في سياسة الاستبداد والظلم والقتل، ومظاهر الفسق والبغي، وتعليل ذلك بالقدر، واقتصار الإيمان على التصديق دون العمل، فنشأ الصراع والتطاحن المذهبي والعسكري.

وفي الحقيقة لم يكن هذا الدور التحصيلي التوضيحي لتبرير لا معقول في العقيدة أو تبسيط تعقيدات أو شرح غموض فيها كما هو الأمر بالنسبة لعلم اللاهوت المسيحي، حيث تتسم العقيدة المسيحية بالغموض والتعقيد وتقوم على مسلمات لا تدخل تحت طائلة العقل، فكان دور علم اللاهوت شرح العقيدة ليفهمها المؤمنون الذين قد اقتنعوا مسبقا وليس إثباتها ليقتنع بها الملحدون، وهذا ما عناه أحد اللاهوتيين المسيحيين بقوله: «ليس على الإيمان أن يجد مسوغات لذاته تجاه الإلحاد بل تجاه ذاته»[1]؛ بينما في العقيدة الإسلامية تتسم بالوضوح والبساطة، فلم يكن الشرح والفهم في الفكر العقدي في هذه المرحلة لذاته بل لغرض صيانة العقيدة وتوضيحها وتزييف كل ما خالفها لنصرة الدين الإسلامي، وبناء على ذلك كانت الروح العامة لعلم الكلام هي الدفاع، وكان الشرح أحد وسائله، وربما لهذا أغفل أستاذنا الدكتور عبد المجيد النجار وسيلة الفهم والشرح في علم الكلام في طور النشأة وأهميته وإجابيته، وتحدث عنها في بقية الأطوار من جانبيها الإيجابي والسلبي، إذ عدَّ الجانب الأول من وسائل توضيح العقيدة لتحقيق الدفاع عنها[2]، أما الجانب الثاني فعده «من سقطات هذا العلم لما فيه من مخالفة لروحه العامة(الدفاع)، وانزلاقا إلى شرح الكيفيات»[3].

وقد حدث هذا الانزلاق في المرحلة الثانية من طور الاكتمال والنضج حين بدأت التحديات

---

[1] ــ لويس غارديه وجورج قنواتي: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج3، ص 39.

[2] ــ عبد المجيد النجار: الإيمان بالله وأثره في الحياة، ص 20.

[3] ــ عبد المجيد النجار: مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ص102.

الخارجية، واستمر هذا الطابع الشرحي البياني إلى جانب الدفاع إلى عصر الانحطاط، ليصبح علم العقيدة علما شرحيا ويتخلى عن وظيفته الدفاعية، فأعلن ابن خلدون انتهاء دوره[1]، وقصدي هنا أن أبين أهمية الشرح والفهم في توضيح العقيدة في طور النشأة كما كان لهما من الأثر البالغ في صيانة العقيدة عن الانحراف تصديقا وعملا وكانا العامل القوي في ترسيخ الطابع الواقعي لهذا العلم والصبغة الدفاعية.

وربما لنفس السبب كذلك (التباين بين دوري علم الكلام وعلم اللاهوت) عمم الآب (لويس غارديه) الحكم أكثر عندما نفى عن علم الكلام وظيفة الفهم والشرح، وقصر وظيفته على الدفاع فقط، فلا يوجد في رأيه «في الإسلام، مقابل دقيق لذلك «الفهم للإيمان» المتكون علما مستقلا، فالكلام ... دفاع عن الإسلام، وغرضه لا يتطابق مع غرض اللاهوت في المسيحية، لا من حيث المفهوم، ولا من حيث الماصدق، فمن حيث المفهوم، نجد أن متون علم الكلام الإسلامية تهتم بـ«الدفاع» أكثر منها بفهم الإيمان، وفي المسيحية هذا «الدفاع عن الإيمان apologétique هو بمثابة استهلال نقدي للاهوت، أما في الإسلام فهو موضوع علم الكلام نفسه»[2].

إن هذا القول يصف بدقة دور علم الكلام وحقيقة وظيفته الأساسية وروحه العامة، إلاّ أنه يبرر ما حدث من انحرافات في علم الكلام المتذرعة بالدفاع عن العقيدة، ويغفل عمَّا أحدثته محاولات شرح الكيفيات من انزلاقات عقدية على مستوى التصور والسلوك.

أما عبد الرحمن بدوي فقد رفض موقف غارديه هذا وعده لا معنى له، لأن المرحلة الأولى في نظر بدوي غلب فيها النظر إلى علم الكلام على أنه علم تحصيلي يرمي إلى فهم مضمون الإيمان وليس مجرد الدفاع ونصرة العقيدة، ويستشهد على ذلك بتعريف أبي حيان التوحيدي، وفي رأيه أن الصبغة الدفاعية لعلم الكلام تنطبق على ما بعد القرن الرابع الهجري فيقول: «أما في القرن الثاني والثالث والرابع فكان يغلب على علم الكلام البحث في فهم الإيمان، وإدراك مفهوم العقيدة، وتحديد المعاني الغامضة التي وردت في الكتاب والسنة،: الله، صفاته، العدل الإلهي، الوعد والوعيد، النجاة في الآخرة، العقاب والثواب الخ ...»[3].

ولكن فات الدكتور بدوي إن وظيفة التوضيح والفهم هي إحدى وسائل الدفاع عن العقائد الإيمانية،

---

[1] ـ ابن خلدون: المقدمة، ص 467.

[2] ـ Louis Gardet : Dieu et la destinée de l'homme, p 22 ;

نقلا عن عبد الرحمن بن بدوي: مذاهب الإسلاميين، ج1، ص 13 – 14.

[3] ـ عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص14.

ذلك أنها كما أسلفنا، واضحة المفاهيم بسيطة الأركان، كما أن الشرح والفهم في علم الكلام، على أهميتهما البالغة وخطورتهما يهدفان إلى توضيح العقيدة لغير المسلمين، وتصحيح ما انحرف من المفاهيم للمسلمين لنصرة العقيدة. ومن ثم فإن خاصية التوضيح والفهم خاصية ملازمة لعلم الكلام منذ النشأة إلى يومنا هذا باعتبارها إحدى وسائله الأساسية في الدفاع عن العقيدة.

وهذا يعني أن الدفاع كان وما زال الوظيفة الأساسية لعلم الكلام من النشأة إلى مرحلة الجمود (من القرن الثاني إلى القرن التاسع) ملازمة له صفة الفهم والتوضيح، لينبعث هذا الدور الدفاعي من جديد مع بداية القرن الرابع عشر (14هـ) التاسع عشر (19م)، بينما غلبت عليه في القرون الأخيرة (من 19 – 13 الهجريين) أي طور الجمود والتقليد – الغاية الشرحية البيانية للعقائد الإيمانية لتحصيلها بعيدة عن واقعها الاجتماعي والسياسي، وتراجع دوره الدفاعي الذي من أجله نشأ إلاَّ في نطاق ضيق هزيل يتعلق بالدفاع المذهبي بين المسليمن أنفسهم غافلين في الغالب عمَّا يوجه للعقيدة والدين الإسلامي من المطاعن والشبه، حيث «تغلب الجهال وفتكوا بما بقي من أثر العلم النظري النابع من عيون الدين الإسلامي، فانحرفت الطرق بسالكيها، و لم يعد بين الناظرين في كتب السابقين إلاَّ تحاور في الألفاظ وتناظر في الأساليب، على أن ذلك في قليل من الكتب اختارها الضعف وفضلها القصور كما تحكموا في التضليل والتكفير وغلوا في ذلك»[1].

مما أدى إلى انحصار العقيدة في التصور دون السلوك والقلب دون القالب، وأصبح مفهوم الإيمان عند الناس اليوم ملخصا في مقولة «الإيمان في القلب»، وهو صياغة جديدة لعقيدة الإرجاء، واصطبغ علم العقيدة بالتجريد، فحصل انفصام لشخصية المسلم وازدواجية لحياته، إذ سلوكه يناقض تصوره، وتصوره يناقض سلوكه، فتسربت إلى حياة المسلمين الاعتقادات الفاسدة وأصاب التزييف والانحراف كثيرا من اعتقاداتهم، و لم يعد المسلم يفرق أو يشعر بالفرق والتناقض بين التوحيد ومظاهر الشرك، كالتبرك والتوسل بالأولياء والمشايخ واللجوء إلى السحرة والمشعوذين للتداوي وحل مشاكلهم الاجتماعية دون الله تعالى، والاستسلام للواقع الفاسد بالتواكل وعدم الالتزام بشرع الله تعالى بارتكاب المعاصي والكبائر منها، فانفصلت العقيدة عن الواقع أي انفصلت عن الشريعة و لم يعد لها أي أثر في النفس، وبالتدريج انسلخت الشريعة عن الحياة وأصبحت مقولة العلمانيين (اللادينيين) (ما لله لله وما لقيصر لقيصر) من مسلمات مجتمعنا.

ومما تقدم تبين لنا أن غاية الشرح والبيان غاية خادمة للغاية القصوى لعلم العقيدة وهي الدفاع،

[1] ـــ محمد عبده: رسالة التوحيد، ص 31.

وأحد وسائله الأساسية مهمتها وغرضها عرض العقيدة والدين الإسلامي وإصلاح ما دخله من انحراف، إلاّ أنها في انفصالها عن وظيفة الدفاع والهجوم انقلبت إلى أداة ووسيلة هدم العقيدة كما حدث في عصر الجمود والتقليد، فكان لا بد لاسترجاع هذه الوظيفة المهمة (الشرح والبيان) في صورتها الإيجابية من تظافر بقية مهام علم العقيدة كوظيفة إثبات العقائد والاستدلال عليها.

ب – إثبات العقائد الإسلامية بالأدلة اليقينية

لما ضعفت روح التهيب عند المسلمين لضعف إيمانهم عما كان عليه في صدر الإسلام، ولقوة وتنوع التحديات الداخلية والخارجية التي واجهتهم، ولما كان الكثير من أصحاب هذه التحديات يريدون الرجوع إلى قضايا تستند على العقل ويستبعدون الدليل النقلي، إما لكونه لم يكفهم في الإقناع لتفلسف عقولهم أو لضعف إيمانهم أو للإثنين معا، وإما لعدم الإيمان به أصلا لعدم معرفتهم الإسلام وعدم اعتناقه أو لعداوتهم ومحاربتهم له.

لذلك كله كان لابد من إثبات العقائد الإيمانية لإرشاد المسترشدين من المسلمين وغير المسلمين بإيضاح الحجة لهم، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم[1].

فاضطر ذلك المتصدين لهذه التحديات من المسلمين أن يؤلفوا الأدلة العقلية على حقائق العقيدة الإسلامية مستمدة من الأدلة النقلية أو الفلسفة اليونانية، فدخلوا بذلك في منهجهم وسلكوا سبلهم وخاطبوهم بعقلياتهم.

ولهذا قال أبو حامد الغزالي مبيّنا هذا الدور الذي أنيط بعلم الكلام «مقصود هذا العلم إقامة البرهان على وجود الرب تعالى وصفاته وأفعاله وصدق الرسل ... وكل ذلك مهم لا محيص عنه لعاقل»[2].

ولإثبات العقيدة على الغير بإيراد البراهين على صحتها عمل علماء الكلام في دعوتهم إلى الإسلام على إقناع غير المسلمين واستمالتهم إلى الحق وإرشادهم إلى الاعتقاد الصحيح، سواء المسترشدين منهم ممن طلبوا البرهان «أو من يتوقع منهم قبول الحق بما اعتراهم في عقيدتهم من الريبة أو بما يلين قلوبهم لقبول التشكيك بالجبلة والفطرة»[3]؛ أو المعاندين منهم المُمترين على الباطل المُصرين على الضلال.

فاستدلوا على وجود الله تعالى وكمال صفاته، وصدق الرسل، ودعوة محمد ﷺ على الخصوص واستدلوا على إمكان الوحي وقوعه، وإعجاز القرآن، وصحة عقيدة البعث وأحقية الجزاء الأخروي،

---

[1] ـــ راجع: التهانوي والإيجي والفارابي وابن خلدون في تعريفهم لعلم الكلام وإبراز دور الحجاج على العقائد.

[2] ـــ أبو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ص 06.

[3] ـــ المرجع نفسه، ص 08.

كما استدلوا على صلاح الشريعة الإسلامية لحياة الإنسان الدنيوية والأخروية.

فاستمالوا بذلك المسترشدين واجتذبوا المعاندين ، فكسبوهم أنصارا مؤمنين وقطعوا الطريق أمام الخصوم المحاربين.

أما إثبات العقيدة الإسلامية للمسلمين فليس القصد منها تأسيس الإيمان لديهم الحاصل من الدليل النقلي، وإنما القصد منه تأكيد الشرع بالعقل[1]، وبتحصيل الأدلة العقلية عليها، لصيانة عقيدتهم من التزييف والتشكيك وتحصين إيمانهم من الضعف والتشويش وحفظ سلوكهم من التحريف، ويؤكد هذا الأمر ابن خلدون في قوله: «موضوع علم الكلام ـــ عند أهله ـــ إنما هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع، من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد»[2]، ويرى العالم الصوفي عبد الوهاب الشعراني أن علماء الكلام ما صنعوا كتب العقائد ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله تعالى كما أن المؤمن لا يعتقد أصول الدين بعد النظر في علم الكلام والاشتغال به، وإنما يعتقدها صحيحة من الشرع مسبقا[3]، ويرى الغزالي أن علم الكلام «صار من الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة، كما حدثت حاجة الإنسان إلى استئجار البدرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ... فالمتكلم موقعه من الدين موقع الحارس في طريق الحج، وأما معرفة الله تعالى وصفاته، وأفعاله فلا يحصل عن علم الكلام، بل الوصول إليه بالمجاهدة والمكاشفة»[4].

وبناء على ما ذلك يُكسب علم الكلام المؤمن بما يمده من صور الاستدلال المتنوعة والأدلة المختلفة على العقائد، المناعة من الشكوك والشبه، والقدرة على إقناع الغير، والتصدي بالنقض لما يوجه إلى العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي بصفة عامة، من المطاعن والاعتراضات، لذا يرى الفارابي أن: «صناعة الكلام ملكة «يقدر بها» الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة...»[5]، ويرى عضد الدين الإيجي في المواقف والسيد الشريف الجرجاني

---

[1] ـــ طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، ج1، ص 132.

[2] ـــ ابن خلدون: المقدمة، ص 441.

[3] ـــ الشعراني (عبد الوهاب بن أحمد): اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ج1/22 – 23، وانظر: حاشية محمد الأمير على شرح جوهرة التوحيد للقاني، ص 31.

[4] ـــ الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ص 38 – 39، وإحياء علوم الدين: م1، ج1، ص 68.

[5] ـــ الفارابي: إحصاء العلوم، ص 131.

في شرحه للمواقف أن: «الكلام علم بأمر «يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير وإلزامه إياها بإيراد الحجج عليها»[1].

يحقق علم العقيدة بما يقدم من الأدلة القاطعة والبراهين الجلية إيمانا جازما بالعقائد وتصديقا متيقنا بالأحكام الشرعية، فتكون غايته ترقية الإيمان من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان كما قال التهانوي والتفتازاني[2]، وثمرته الإخلاص في العمل، فيكون الإيمان بذلك، أكثر حصانة وحماية من مطاعن الخصوم، وشبهات الأعداء، ومزالق الفكر ووساوس الشيطان والنفس التي تهاجمها الشبهات، ويكون السلوك أكثر استقامة، قال رسول الله ﷺ: «قل آمنت بالله فاستقم»[3]، وقال: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»[4]، والأخلاق من الأعمال والسلكات القويمة الصالحة.

ومن ثم نخلص إلى أن علم العقيدة لا يستوجب وحده وبالضرورة إيجاد إيمان المؤمنين، ولكن ترسيخ وتثبيت إيمانهم وتعميقه وتقويته والحفاظ عليه، وأما بالنسبة لغير المؤمنين فيعمل على تحقيقه لديهم بإثبات العقائد الإيمانية.

جـ ــ رد الشبهات وتزييف الآراء الباطلة

هذا الجانب الدفاعي يعد من أهم أهداف علم العقيدة من عصر النشأة إلى يومنا هذا، وذلك راجع للصبغة الواقعية التي يصطبغ بها، رغم الصورة النظرية التي علقت به في العصور المتأخرة، إذ كانت البيئة الإسلامية في عصر النشأة – كما أسلفنا- تموج بتحديات الملل والنحل الضالة، والعقائد الباطلة، والفلسفات المناوئة على اختلاف أنواعها وتعدد مصادرها، وتنوع أساليبها السرية والعلانية.

وقد بيَّن هذه الأهمية لهذا الجانب الدفاعي الشيخ محي الدين بن عربي (560-638هـ) في الفتحات قائلا: «وعلماء هذا العلم (علم الكلام) رضي الله عنهم ما وضعوه وصنفوا فيه ما صنفوا ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله، وإنما وضعوه إرداعا للخصوم الذين جحدوا الإله أو الصفات أو بعض الصفات أو الرسالة أو رسالة محمد ﷺ خاصة، أو حدوث العالم، أو الإعادة إلى هذه الأجسام بعد الموت أو الحشر والنشر وما يتعلق بهذا الصنف، وكانوا كافرين بالقرآن مكذبين به

---

[1] ــ الإيجي والجرجاني: شرح المواقف، ج1/14.

[2] ــ التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ص 22، والتفتازاني، شرح المقاصد، ج1، ص 175.

[3] ــ رواه مسلم في كتاب الإيمان.

[4] ــ رواه الترمذي في كتاب الإيمان.

جاحدين له، فطلب علماء الكلام إقامة الأدلة عليهم على الطريقة التي زعموا أنها أدلتهم إلى إبطال ما ادعينا صحته خاصة، حتى لا يشوبوا على العوام عقائدهم.

فمهما برز في ميدان المجادلة بدعي برز له أشعري أو من كان من أصحاب علم النظر»[1].

وقد تجلى هذا الدور الدفاعي على مستويين، مستوى التصدي للتحديات أو الشبهات، ومستوى التصدي للانحرافات.

1 ــ فعلى المستوى الأول: عمد علم الكلام إلى رصد التحديات الخارجية المتمثلة في تحديات اليهود، والنصارى، والمجوس، والهنود، والفكر اليوناني، ومناهضتها، وكانت مهمة الرصد لمعرفة مضمونها، كالشبهات المتعلقة بالألوهية النبوة والمعاد، ومعرفة أهدافها المتمثلة في تسريبها إلى العقائد الإسلامية أو جر هذه العقيدة إليها، ومعرفة أساليبها المختلفة، كالوضع في الأحاديث، وتسريب الأخبار في التفسير الذي سمي فيما بعد بالإسرائيليات[2] والنصرانيات[3].

وكذلك الأسلوب الفسلفي القائم على الأدلة العقلية التجريدية وقواعد المنطق الأرسطي(الصوري) الذي استعمله المسيحيون في شرح قضية الأقانيم، واستعمله المجوس في شرحهم لمبدأ الإثنينية، والديانات الهندية كالبراهمية في إثبات عقيدهم وإنكار النبوة.

ومن الأساليب كذلك الأسلوب الذوقي الغنوصي الذي اتبعه غلاة الصوفية في نقض العقيدة الإسلامية، اعتمادا على الفلسفة الأفلاطونية المحدثة، والذي أدى إلى القول بوحدة الوجود والحلول وسقوط التكاليف الشرعية، وإنكار البعث.

أما مناهضة هذه التحديات فكانت بإيراد الحجج والأدلة المتعلقة بإثبات صحة العقيدة الإسلامية وأحقية الدين الإسلامي ورد شبهات الخصوم وتفنيد أدلتهم ونقض آرائهم.

وقد تجلى ذلك في الجهود الكبيرة التي قام بها المتكلمون وفي طليعتهم المعتزلة في القرون الأولى، وعلى رأسهم إبراهيم بن سيار النظام (ت231) الذي تصدى للرد على مذهب أنبادوقليس، وعلى أرسطو وعلى القائلين بقدم حركة الكواكب والثانوية،

---

[1] ــ محي الدين بن عربي: الفتوحات المكية، ج1، ص 35.

[2] ــ انظر: محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص 13 –34، و95 –164؛ وجولدتزيهر: «العناصر الأفلاطونية المحدثة في الحديث» في التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، لعبد الرحمن بدوي، ص 218 – 241.

[3] ــ محمد الأنور السنهوتي: مدخل نقدي لدراسة علم الكلام، ص 208.

وأبو الهذيل العلاف (135-226) الذي تصدى للنصارى واليهود والفلاسفة[1].

كما كان للقاضي أبي بكر الباقلاني وهو من أعلام الأشعرية (ت403) جهد لا ينكر في نقض مذاهب المخالفين، في كتابه (التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة)، الذي رد فيه على البراهمة والنصارى وغيرهم[2].

ولقد نوه المستشرق دي بور بما بذله متكلمو الإسلام من كفاح مستميت في سبيل الدفاع عن الدين الإسلامي، منذ أول اتصالهم بالأمم الأجنبية وثقافتهم إذ يقول: «ومن الحق أن نسجل هنا للمسلمين كفاحهم المستميت في سبيل الدفاع عن حمى الدين، وهو كفاح لم تكن لهم الخيرة فيما تقلدوا من سلاحه، وإنما حملهم عليه الغاية التي أرادوا بلوغها.

و لم يكن للمسلمين بد من تفسير ظواهر الطبيعة، لا من حيث كونها فعلا للطبيعة ذاتها، بل من حيث كونها صادرة عن فعل الله الخالق، أكبر عقائد علم الكلام الإسلامي، لتكون شاهدا على رفض المسلمين للمذهب الفلسفي الوثني القائل بقدم العالم وبأفعال للطبيعة [من ذاتها]»[3].

2 ــ وعلى المستوى الثاني: قام المسلمون برصد ما حدث من انحرافات عن العقيدة ومعالجة السلوك المنحرف عن الدين في المجتمع الإسلامي، الناجم عن ذلك الانحراف العقدي، كمظاهر الشرك التي تفشت في المجتمع عن طريق التصوف المنحرف، وما تسرب من الديانات المخالفة للإسلام، وظواهر البغي والفسوق وشرب الخمر، الناتجة عن انحراف مفهوم القضاء والقدر، وضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وترتب عنه ضعف الالتزام بالشريعة والإخلاص في العمل، فكان دور علم العقيدة بناء على ذلك الدفاع عن الدين الإسلامي.

د ــ وظيفة التحدي (الهجوم)

إلاّ أن علم العقيدة في دفاعه عن الدين الإسلامي لم يقتصر فقط على تلك المظاهر الدفاعية التي ذكرناها بل تحول إلى الهجوم، مع المحافظة على بقية الوظائف الدفاعية الأخرى، وذلك بكشف حقيقة عقائد الخصوم الباطلة، بإثبات وجوه الخطأ في النقل في الكتب المقدسة، (العهد القديم والأناجيل) وتحريفها، وزيف الديانات الوضعية (كالمجوسية والهندية

---

[1] ــ عبد المجيد النجار : للمعتزلة، ص 72 – 75.

[2] ــ محمد الهادي أبو ريدة: تعليقه على دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص 317.

[3] ــ دي بور: نفس المرجع، ص 119 – 121.

وغيرها) وبيان خطأ الممارسات العملية للكهان والرهبان والأحبار.

ومن أبرز الأعمال الهجومية في علم العقيدة، كتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل) لابن حزم (ت 456هـ) وكتاب (الملل والنحل) للشهرستاني، وكتاب (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) للفخر الرازي، وكتاب (تحقيق ما للهند من مقولة) للبيروني وغيرهم.

والسبب في ظهور هذا الجانب الهجومي يرجع إلى أمرين أساسيين:

أولهما: أنه لما انتصر «التوحيد العملي» بالفتوحات و«التوحيد النظري» بإثبات العقائد الإيمانية ورد شبهات الخصوم، بالأدلة العقلية خفتت وطأة التحديات برز دور الهجوم إلى جانب الدفاع، وكان ذلك بعد طور الاكتمال والنضج حيث استوعب حقائق الأديان واكتشف أسرارها.

وثانيهما: أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم أو ما يمكن تسميته (دفاعا بالهجوم والغلبة) إلى جانب الدفاع بالرد[1]، لتعرية الخصم من كل حماية وغطاء زائف وفضحه وكشف خططه مسبقا، ومن ثم يمكن التنبؤ بشبهاته ومكائده، ووضع الخطط والأساليب، واختيار الأسلحة الممكنة لفضحه مواجهته.

كما أن غاية هذا الأسلوب تعريف الخصم بالإسلام وإقناعه بأحقيته وصلاحيته للبشرية جمعاء، ومن ثم لم يعد لعلم الكلام وظيفة علاجية خاصة بالمسلمين فقط، يشفيهم من شكوك وتشويشات الشبهات، بل أصبحت وظيفته كذلك وظيفة علاجية إنسانية غايتها شفاء البشرية من الجاهلية والضلال، أو دعوتهم إلى الحق باستغلال صفاء الفطرة في بعضهم وسلامة النظرة، وقوة التفكير، وهو ما استمده علم الكلام من القرآن الكريم، (وهو مصدر العقيدة عند الجميع)، الذي أحال الخلق على آثار الخالق، كما أحالهم على النظر العقلي في الكون والحياة[2].

وبناء على هذا لا نوافق غرديه وقنواتي في قولهما «أن الكلام علم يتوجه به إلى المؤمنين، أو على الأقل إلى الذين يبحثون لكي يمدوا بالأدلة التي بها يعللون تصديقهم، أو يصوّبون الأخطاء التي ربما كانوا قد لُقّنوها»[3].

نلاحظ مما تقدم أن المتكلمين من عصر النشأة إلى عصر الانحطاط، كانوا في دفاعهم عن العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي عموما يتناولون بالبحث استدلالا ونقضا، مسائل ذات طابع عملي،

---

[1] ــ جورج قنواتي ولويس غارديه: فلسفة الفكر الديني، ج3، ص 26.

[2] ــ انظر تعليق الشيخ صبحي الصالح، على قنواتي وغارديه: فلسفة الفكر الديني، ج3، ص 327.

[3] ــ قنواتي وغارديه: فلسفة الفكر الديني، ج3، ص 87 – 88.

مثل مسألة الإمامة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والفعل الإنساني، وحكم مرتكب الكبيرة، وغيرها من المسائل ذات الصفة العملية بل حتى المسائل العقدية البحتة أو النظرية كالإلهيات والنبوات والسمعيات كانوا يتناولونها من حيث مقتضياتها العملية وآثارها السلوكية في المجتمع إذ القصد من تقريرها أو إثباتها والدفاع عنها هو تصحيح التصور وتقويم اعوجاج السلوك الاجتماعي المنحرف عن الدين.

ومعنى هذا أن الصبغة الدفاعية التي اصطبغ بها هذا العلم ناتجة وعن واقعيته التي جعلته يلتحم بالواقع، فيدخل في صراع فكري شرس مع أقوى الأعداء وأخطرهم حتى «أن المرء ليكاد يؤخذ من هول تصوره لما كان يمكن أن يحدث لو أن هذا الهجوم العقدي وجد بين المسلمين فراغا والتقى فيهم بالمواقف السلبية»[1].

إذا عرفنا حقيقة وحدّة ذلك الصراع الفكري بين المسلمين والديانات والثقافات والفلسفات القديمة، ولمسنا شدة الهجمة التي تعرضت لها العقيدة الإسلامية، من قبل هؤلاء الأعداء، وأدركنا هول ما كان سيحدث لو أن علم الكلام لم يظهر أو لم يقم بدوره المنوط به في مواجهة تلك الهجمة العقدية، ووعينا أهمية وخطورة دوره ومهمته في المحافظة على عقائد المسلمين والدفاع عن الدين الإسلامي؛ إذا عرفنا وأدركنا ولمسنا كل ذلك، لا بد أن نفهم ونعي قضيتين أساسيتين:

الأولى: أنه مهما يكن القول في آثار هذا العلم السلبية التي تكاد لا تمحي في إحداث المذاهب وترسيخ التفرقة، وإثارة الشبهات والجدل الكريه، وانفصال العقيدة عن واقع المسلمين، وما أدى إليه من عدم كفاية هذا العلم سبيلا إلى الإيمان واليقين، والتي ترجع في أغلبها إلى الانحطاط الذي أصاب هذا العلم تأثرا بالانحدار العام الذي أصاب الفكر الإسلامي في العصور المتأخرة، حتى أن علماء الكلام لم يجدوا لتلك الآثار ردا مقنعا أو إجابة يسهل قبولها[2]، مهما يكن من ذلك كله، فإن قيام علم الكلام بعبء هذا الهدف الجليل — وقد قام به على خير وجه ممكن فيما أعتقده ويعتقده كثير من المفكرين المسلمين يحتم علينا من الناحية الواقعية — إغضاء الطرف عما اضطر إليه من ذلك، في سبيل تمكنه من قيامه بهدفه الدفاعي الأسمى في هذا المجال، الذي لا يمكن لأحد أن ينكره[3].

---

[1] — يحي هاشم حسن فرغل: عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام. ص 310.

[2] — انظر هذه الآثار فيما يذكره محمد عبده في رسالة التوحيد، ص 30 — 31، وأبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين،ج1، ص 70 — 71، وابن رشد، فصل المقال، ص 121 — 122.

[3] — يحي هاشم حسن فرغل: عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام، ص 310، وانظر: أبو ريدة، في تاريخ الفلسفة في الإسلام، لدي بور، وعبد المجيد النجار: منهجية الفكر الإسلامي، ومحمد يوسف موسى، مقدمة تحقيق كتاب: الإرشاد للجويني، وطه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 67.

والثانية: كيف نفسر حكم بعض علماء المسلمين على دور علم العقيدة بالانتهاء، من خلال ما آل إليه من وضع الجمود؟ هل علم العقيدة أو علم الكلام بناه المسلمون الأوائل تلبية لحاجات عصرهم ولم يعد يلبي حاجات من بعدهم، وحاجات عصرنا؟ هل زالت أسباب وأهداف وجوده بزوال التحديات الخارجية والداخلية وانقرض الأعداء ملاحدة ومبتدعة كما يقول ابن خلدون؟ أم أن دوره الدفاعي هو الذي انتهى ويحتاج إلى تجديد دوره ووظيفته في كل عصر، فتكون بذلك دعوة إلى تجديد دوره وليست دعوة إلى انتهائه؟

عندما توقف علم العقيدة بعد القرن السابع عن التقدم والاستمرار وجمد على التجريد والتقليد والاجترار، و«لم يعد كما يقول — محمد عبده — بين الناظرين في كتب السابقين إلاّ تحاور في الألفاظ وتناظر في الأساليب، على أن ذلك في قليل من الكتب اختارها الضعف وفضلها القصور»[1]؛ رأى ابن خلدون أن علم العقيدة قد استنفذ أغراضه وانتهى دوره في الدفاع عن الدين، ولم تعد هناك أية حاجة إليه — كما فهم الدكتور عبد المجيد النجار، والدكتور جميل صليبا[2] — خاصة وأن الملحدين والمبتدعة قد انقرضوا والأيمة من أهل السنة قد كفونا شأن هؤلاء الملحدين والمبتدعة فيما كتبوا ودونوا، واقتصرت فائدته ودوره على الجانب التعليمي يستهدف تثقيف العقول وشحذ الأذهان وتربيتها على جمع الآراء والمقارنة بينها وشرحها والتعليق عليها، فقال في مقدمة: «وعلى الجملة ينبغي أن يعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأيمة من أهل السنة قد كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا، والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا، وأما الآن فلم يبق منها إلاّ كلام تنزه الباري عن كثير من إيهاماته وإطلاقه، وقد سئل الجنيد – رحمه الله – عن قوم مر بهم بعض المتكلمين يفيضون فيه، فقال ما هؤلاء فقيل قوم يتزهون الله بالأدلة عن الصفات الحدوث وسمات النقص، فقال: نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب، لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة، إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على العقائد»[3].

وهذا يعني أن علم العقيدة عند ابن خلدون (علم زمني) مؤقت حيث قال «لهذا العهد»

---

[1] — محمد عبده: رسالة التوحيد، ص 31.

[2] — عبد المجيد النجار: في فقه التدين فهما وتنزيلا، ج2، ص 37 – 38، وجميل صليبا، تاريخ الفلسفة العربية، ص 630.

[3] — ابن خلدون: المقدمة، ص 467.

فتنتهي أهميته بانتهاء العصر الذي وجد فيه ويتغير منهجه ودوره بتغير معطيات عصره من حيث المصطلحات والأدلة ووسائل الدعوة والتعليم، فأولا: سكنت غلواء الردود والشبهات بعد أن كانت من أهم بواعث نشأة علم الكلام وتطوره، ولم يبق للمبتدعة ـــ وهم المعتزلة والفلاسفة عند ابن خلدون[1] ـــ أثر في عهده.

وثانيا: ضعفت الأدلة العقلية وانحرفت فلم تعد تفي بالغرض المطلوب وهو الدفاع عن العقيدة ونصرتها كما بين في تعريفه لهذا العلم، وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليها، وبهذا يعني أن علماء عصره لم يرتقوا إلى مستوى الدفاع عن الدين ونصرته بالأدلة العقلية المتجددة المتطورة حسب نوع تحديات عصرهم، وذلك لما أصاب الفكر الإسلامي بصفة عامة والفكر العقدي بصفة خاصة من انحدار وضعف، ولا يعني أن الرد على الخصوم قد انقضى، إذ الواقع الإسلامي لم يخل في أي عصر من تحديات داخلية وخارجية تهدد مرجعيته العقائدية[2]، وإن خفت، وزوال الخصوم أو نقصهم لم يقلل من الرد عليهم، وإنما الذي أصبح أوليا وذا أهمية في عهده ـــ هو تحليل وتقويم العقائد وشرحها، ولم يهتم المتكلمون برفع شكوك المؤمنين وتفنيد اعتراضات الخصوم، حيث أصبحت غاية علم الكلام غاية بيانية شرحية، وأصبح الدفاع عملية ذاتية، إذ يدافع المؤمن عن ذاته حماية وصيانة لإيمانه تجاه كل أذى ممكن، بالتزود من كتب أئمة أهل السنة كما بيَّن ابن خلدون أن «فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة، إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها»[3]، واكتفى المتكلم بالأخذ مما وجده وورثه من أدلة، وتقليد من سبقه بصورة تقديسية، ولم يتعد إلى مستوى تأليف وإنشاء الأدلة والحجج أو تطوير موروثه.

إن ابن خلدون في حقيقة الأمر ـــ على ما أعتقد ـــ لم يجانب الصواب في كلامه السابق، كما فهم عبد المجيد النجار[4]، لأنه أولا مؤرخ و«عالم اجتماع» وليس عالم كلام، فهو في مقام التعريف بعلم الكلام وإبراز أهميته ودوره ومنهجه، ورصد سلبياته وعيوبه التي آل إليها بعد الضعف والانحطاط، ولذا كان موقفه في آخر الفصل انتقادا لهذا العلم بناء على ما وصل إليه من انحراف عن غايته الأصلية

---

1 ـــ راجع عابد الجابري: نحن والتراث، ص 394. وأبو اليزيد العجمي: الفقهاء وبحوث العقيدة الإسلامية، ص 69.

2 ـــ انظر: عبد المجيد النجار: مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ص 148، في فقه التدين، ج2، ص 37، وفصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ص 61.

3 ـــ ابن خلدون: المقدمة، ص 467.

4 ـــ عبد المجيد النجار: في فقه التدين، ج2، ص 57، ومباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ص 148.

التي من أجلها أنشأ، وليست مهمة ابن خلدون تقديم العلاج لهذا العلم، كما فعل المتكلمون كالغزالي وابن رشد ومحمد عبده، وغيرهم، بعد انتقادهم وتقويمهم لعلم الكلام.

وثانيا: إنه لم يبلغ علم الكلام ولم يدع أنه استنفذ أغراضه فلم تعد للأمة حاجة فيه بصفة مطلقة، وإنما بيَّن أن أغراضه الدفاعية على المستوى الاجتماعي والجمعي، قد ضعفت، وهي أهمها، وما زالت الحاجة إليه قائمة، والدليل على ذلك وعيه بأهمية هذا العلم ووظيفته الدفاعية وخاصيته الواقعية ــ كما أشرت في المبحث السابق ــ وهذا ما جعل ابن خلدون يتميز عن علماء عصره ولا يتأثر بما آل إليه واقعهم الفكري من نزوع تجريدي في مباحث العقيدة[1].

إلاَّ أن موقفه المتحيز للأشاعرة[2]، جعله يناقض نفسه ويقف موقفا مزدوجا من علم الكلام، حيث يقف من جهة بعلم الكلام عند حد ما وصل إليه الأشاعرة في صياغة العقيدة، فيكون بذلك علما جامدا غير قابل للتطور والتجديد.

ومن جهة أخرى يعتقد أن علم الكلام (علم زماني) انتهت وظيفته الاستدلالية الدفاعية عندما انتهى تحديات العصر الذي وضعت وحددت فيه، وزال أصحابها الذين وضعوها، أو كانوا سببا في وجودها وهم المعتزلة بالدرجة الأولى، حيث انتهى علم الكلام المعتزلي وحل محله علم الكلام الأشعري، وهو طور تجديدي لعلم الكلام، إلاَّ أن هذا التطور توقف عند الأشاعرة في نظره واكتسب صفة القدسية حين اعتبر ككل الأشاعرة مذهبهم وحده المذهب الحق وطريقتهم المثلى الموصلة لمعرفة الحق.

ذلك أنه «عندما يظهر إلى الوجود شيء ما وتنسب إليه أسماء بعض الشخصيات المبجلة، فإن ذلك الشيء يكتسب القدسية على مر الزمن حتى يحين وقت يصبح مجرد التفكير في إصلاح ذلك الشيء أو ترميمه أو تحديثه ذنبا من الذنوب عند الناس المؤمنين»[3]، وهذا ما حدث لعلم الكلام الأشعري عند ابن خلدون في عهده، رغم اعتقاده أن التطور الزمني قد ألغى فائدة علم الكلام بصورته المتدهورة التي وصل إليها.

---

[1] ــ عبد المجيد النجار: مباحث، ص 64، وابن خلدون: ص 60 – 62.

[2] ــ علي الشابي: مباحث في علم الكلام والفلسفة، ص12، والجابري: نحن والتراث، ص 394.

[3] ــ وحيد الدين خان: تجديد علوم الدين، ص 59.

ثالثا: دور علم العقيدة اليوم

بناء على ما تقدم من تطور دور علم الكلام ووظيفته وما اقتضاه من مناهج ووسائل من عصر النشأة إلى عصر الضعف والانحطاط، تبيَّن لنا أنه علم زماني مؤقت يبيِّن حقائق الإسلام الدائمة ويشرحها ويثبتها ويدافع عنها بمصطلحات ومناهج ووسائل زمانية رائجة في عصر المدعو.

وإذا كانت هذه طبيعته، وكانت وظيفته الأساسية هي المحافظة على المرجعية العقدية للحياة الإسلامية، كان الواقع الإسلامي اليوم يستلزم إحياءه، ومراجعة حقيقية لمناهجه ومسائله حتى يلائم تحديات العصر المستجدة، ويستأنف دوره الدفاعي، وما يتضمنه من إثبات وهجوم وترقية للإيمان ودرء للشبهات ودعوة، وهذا الدور الذي أصبح اليوم أكثر ضرورة من أي عهد مضى، وذلك لسببين:

أولهما: يهدد الدين الإسلامي أخطار هائلة يصنعها الأعداء ولكنهم أكثر عداء وأخطرهم وأقواهم سلاحا وأشدهم تمكنا وتمكينا وأكثرهم تحالفا من أي وقت مضى وأوسعهم تنوعا، فمنهم منصّرون، ومستشرقون، وساسة، وعسكريون، وأدباء، وإعلاميون، وملاحدة وكتابيون ووثنيون، ومصارحون، ومداهنون، وأناس غرباء وأناس من بني جلدتنا.

وثانيهما: أن المسلمين تركوا الميدان خاليا لشتى المِلل والنحل تنشر الخرافة والبدع وتعلي راية الباطل حتى كادت الدعوة الإسلامية تعلن إفلاسها، كما قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله[1].

ومن ثم أصبح مطلوبا من علم العقيدة اليوم القيام بمهمتين عظيمتين وخطيرتين: أولهما: معالجة المشاكل التي تحدث في الأمة المتعلقة بالأسس العقدية العامة، وما تقتضيه من انعكاسات سلوكية في الواقع. وثانيهما: اقتراح حلول للمشاكل التي تعاني منها الإنسانية، أي تقديم الدليل الإسلامي لخلوهم الباطلة ومحاولاتهم الفاشلة في إنقاذ الإنسانية.

أ ـ معالجة مشاكل الواقع الإسلامي

إن واقع العالم الإسلامي يموج بمشاكل عدة ومتنوعة ترجع للخلل الذي أصاب العقيدة الإسلامية تصورا وسلوكا، حيث ما زال يسود المجتمع منذ عصر الانحطاط المفهوم السلبي الإرجائي للإيمان ليقصره على التصديق القلبي دون العمل، ممَّا أدى إلى الانفصال بين الفكر العقدي وبين المشاكل العقدية الواقعية في المجتمع، فمظاهر السلوك المختلفة لم تعد مندفعة في تلقائية

[1]-محمد الغزالي: «فلنجتهد في ترشيد صحوتنا المعاصرة حتى تؤتي ثمارها»، في مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، ص 145.

ووضوح من مرجعيتها العقدية، وغدت حقائق العقيدة كالإيمان بالله والرسول ﷺ واليوم الآخر ـــ تشبه أن تكون تصديقات ذهنية غايتها في ذاتها، إذ ضعف الشعور بغايتها السلوكية.

ومن بين هذه المشاكل العقدية، التواكل، ومظاهر الشرك، وأفكار الإلحاد ـــ مما ترتب عنه مشاكل اجتماعية كالتقليد الأعمى والجهل والخمول، والتقاعس، وانتشار الفسوق والمجون، وظاهرة التعصب و العنف، وتعطيل تطبيق الشريعة الإسلامية بحجة التقدم العلمي والعلمانية، وتطور الأفكار والأخلاق.

وعليه لا يجب علينا اليوم الاكتفاء بما نحن عليه، وما هو سائد في مؤسساتنا التربوية والتعليمية والإعلامية، بتوجيه فكر الأمة العقدي وجهة تعليمية تستهدف شحذ الأذهان وملئها وتربيتها بجميع الآراء والمقارنة بينها والتعليق عليها، للانتهاء إلى اتجاه أو مذهب أحادي، بل علينا النزول للواقع ورصد مشكلات المجتمع العقدية والتحديات العملية.

وذلك حتى نصقل القلوب ونطهرها فتصفوا الفطرة ويوقض الضمير وينتبه المؤمن والأمة كلها وكل إنسان في هذا الوجود إلى عظم الذنب المرتكب في حق الله تعالى والدين والأمة والبشرية من جراء الغفلة والتقليد: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1]، فتهب الأمة لأداء وظيفتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تقاعست عنهما. فتصبح بذلك مهمة علم العقيدة وإيقاد وهج العقيدة وفاعليتها في نفوس الناس؛ وهذه المهمة تتجلى من خلال مجموعة من المهام أهمها:

أ – 1– التصحيح والتوضيح

وهي تصحيح ما حصل أو ما يحصل وما قد يحصل من انحراف وتحريف وتشويه للعقيدة، وتوضيح ما حصل أو ما قد يحصل فيها من إبهام، وذلك بتحليل مفهوم الإيمان ومقتضياته وتفسير حقيقة الإسلام ومقاصده في بساطة تصل القلوب والعقول، حتى يتّضح التصور الصحيح ويستقيم السلوك[2].

أ – 2– تثبيت وترقية إيمان المؤمنين

من درجة الوراثة والتقليد إلى درجة الاقتناع والإيقان، حتى يتمكنوا من التصدي لما يطرأ على

---

[1] ـــ سورة الأعراف: 172 – 173.

[2] ـــ عبد الجبار الرفاعي: «الاتجاهات الجديدة في علم الكلام ـــ مدخل تاريخي»، ص 31.

النفس من وساوس وشكوك قد تزلزل عليهم طمأنينتهم، سواء التي ينتبهون إليها من أنفسهم، أو الناتجة عن شبهات المشككين، ويكسبوا القدرة على نقض تلك الشبهات والطعون الموجودة وإقناع المخالفين أو اكتساب القدرة على الحفاظ على الإيمان المكتسب على الأقل.

وذلك بالوقوف على الأدلة اليقينية المقنعة المناسبة الواردة على الأصول والفروع، لا بالاسترسال مع التقليد فهو «كما يكون في الحق يأتي في الباطل، كما يكون في النافع يحصل في الضار فهو مضلة يعذر فيها الحيوان ولا تجمل بحال الإنسان»[1].

ومن ثم يكون طلب هذه الأدلة أي تعلم علم العقيدة فرض عين على كل مسلم، حتى يتوافر اليقين القلبي والاقتناع العقلي لديه أنه على الدين الحق[2]، «والقدر من العلم الذي يصل بالإنسان إلى هذه الدرجة من اليقين هو فرض العين عليه، بحيث إذا وجد نقص فيه عنده فهو مقصر في أداء ذلك الفرض.

فلو أن شخصا جاءته شبهة تشككه في إيمانه فقد أصبح من فروض العين عليه أن يتخلص من تلك الشبهة، وأن يبحث عن جوابها والرد عليها، وأما ما زاد على ذلك فهو فرض كفاية، كأن يعرف الرد على جميع شبهات»[3] الخصوم الملاحدة وأهل الأديان المنحرفة، ويعرف الأدلة الواسعة في الآفاق والأنفس، فهذا فرض كفاية يجب أن يوجد في الأمة الإسلامية من يعرف ذلك وهم علماء العقيدة، وذلك لأن الإيمان التقليدي الذي ورثه المسلمون من عصور الانحطاط لا يصمد أمام هول وشدة الشبهات التي تتحداه في هذا العصر بالوسائل التكنولوجية المتطورة الرهيبة الإقناع والتمويه.

أ – 3– تقوية التزام المؤمن بالدين

فالمهمتان السابقتان من شأنهما تقوية الالتزام بالدين الإسلامي عقيدة وشريعة بحيث يتحول الإيمان من طاقة كامنة مختزلة في طقوس فحسب أو محنطة في أذهان وقلوب، إلى طاقة متحررة تحرك الإنسان المسلم وتنشله من حالة الجمود والعطلة تلك، والضياع[4]، لأن مشكلتنا ـــ كما يقول مالك بن نبي ـــ «ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده ونملأ به نفسه

---

[1] ـــ محمد عبده: رسالة التوحيد، ص 32.

[2] ـــ عبد المجيد الزنداني: علم الإيمان، ص 16.

[3] ـــ نفس المرجع، والصفحة.

[4] ـــ عبد الجبار الرفاعي: منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الإسلامي، ص 134، نقلا عن فاضل عبد الأمير: «قراءة ومراجعة لكتاب: منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الإسلامي»، ص 187 – 188.

باعتباره مصدرا للطاقة»[1]، ومعنى ذلك أنه لا يكفي في الإيمان حصول التصديق ومقام العلم بل لا بد من حصول مقام الحال والاتصاف، فالإيمان كما يقول ابن خلدون: «الذي هو أصل التكاليف وينبوعها هو بهذه المثابة ذو مراتب: أولها التصديق القلبي المواقف للسان وأعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه من العمل مستولية على القلب فيستتبع الجوارح، وتندرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تنخرط الأفعال كلها في طاعة ذلك التصديق الإيماني وهذا أرفع مراتب الإيمان وهو الإيمان الكامل الذي لا يفارق المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة إذ حصول الملكة ورسوخها مانع من الانحراف عن مناهجه طرفة عين قال ﷺ: ﴿لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن﴾[2]»[3]، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه﴾[4].

أ – 4– دحض الشبهات الواردة على الأصول والفروع

من المهام الأساسية المناطة بعلم العقيدة اليوم رد التحديات والطعون والشبهات، والإشكالات المتجددة والمستجدة الموجهة لأصول وفروع الدين الإسلامي، ودحض آراء الفرق المنحرفة والمذاهب والفلسفات والديانات المخالفة والمحاربة له، كالتنصير والعلمانية، والإلحاد، والعولمة الغربية وغيرها، والتي تقوم كلها كما يرى أصحابها على أساس من علم العصر وتطوره الذي نراه استشرى بين كثير من المفكرين والعلماء والساسة والشباب، ذلك أن العقلية المعاصرة هي العقلية العلمية، وهذا يتطلب من عالم العقيدة معرفة حقيقة الأعداء ورصد الشبهات الموجودة فعلا في زماننا وواقعنا المعاش حتى لا يدخل في حروب «دنكيشوتية» مع أعداء وهميين وشبهات خيالية، إما لكونها انتهت مع انتهاء زمانها وأصحابها، كالشيوعية مثلا، أو أنها من نسج خياله ليس لها وجود في الماضي ولا الواقع الحاضر، مما يؤدي إلى تبديد الطاقات الفكرية واستنزافها.

ومن ثم يتمكن من تزييفها وكشف بطلانها عن بيِّنة ويقين، فيحرس العقيدة ويحفظ الشريعة.

أ – 5 – توعية المخالفين ودعوتهم إلى الدين الإسلامي

كما أن لعلم العقيدة دورا مهما وتأثيرا خطيرا في توعية المخالفين ودعوتهم إلى الدين الإسلامي وترغيبهم فيه، وذلك يستلزم وتوضيح العقيدة الإسلامية وإثباتها بالأدلة العلمية المناسبة

---

[1] ـ مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ص 55.

[2] ـ انظر تخريجه فيما سبق من البحث، ص 29.

[3]– ابن خلدون: المقدمة، ص 461 – 462.

[4] ـ رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر، في كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

لكل مستويات المخاطبين، وتفسير الشريعة، وتبيان صلاحيتها لكل زمان ومكان ولكل البشر، وإقناعهم أن هذا الدين الإسلامي هو ملاذ البشرية، وهو الذي يعيد للكون انسجامه بعد ما أحدث الإنسان المعاصر من إفساد في الكون وفي كافة مجالات الحياة.

ويستلزم هذا الأمر تفريغهم مما هم عليه من عقائد باطلة وآراء وأفكار زائفة، ورفع عن عيونهم وأذهانهم غشاوة التشويهات والأفكار المغلوطة عن الإسلام التي تغرسها فيهم مؤسساتهم التربوية والتعليمية والثقافية والإعلامية والسياسية، ومن ثم يمكننا توجيه المسترشد وإقناع المعاند,التزاما بأمر الله تعالى:﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[1]، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [2]. ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[3].

أ – 6– تحدي عقائد وأفكار المعارضين

تعد وظيفة التحدي و الهجوم من أهم وظائف الدفاع الكلامي وأصعبها في عصرنا هذا لكثافة وخطورة الرؤى والنظريات المنافسة، إذ يقوم علم العقيدة بالهجوم المعاكس في نفس الوقت الذي يواجه فيه هجوم الخصوم، كما يقوم في الوقت المناسب بشن هجوم مستقل عليه تكون له فيه المبادرة[4].

وهذه العملية المزدوجة تقتضي شروطا لنجاحها من أهمها:

1 ــ معرفة الأديان والمذاهب والنظريات المعاصرة:

معرفة حقيقية موضوعية تمكن المتكلم من معرفة عيوبها ومكامن ضعفها، فيعمل على تقويض أسسها وتفنيد مزاعمها وآرائها، ويكشف أخطارها على الدين الإسلامي، فيقطع بذلك الطريق أمام الأعداء ويحول دون نفاذ شبهاتهم وانتشارها، أو الحد من مخاطرها.

مثل حركات التنصير والاستشراق والإلحاد، والمذاهب الفلسفية كالوجودية والبنيوية، والتأويلية والتاريخية والنفعية العملية، والنظريات العلمية كالتطورية والاستنساخ وغيرها.

---

[1] ــ النحل:125.

[2] ــ آل عمران: 104.

[3] ــ آل عمران: 110.

[4]– هما يون هيج: «مدخل إلى مبادئ الكلام الجديد»،ترجمة جواد علي كسار،في مجلة التوحيد، المرجع السابق،ص48 – 49.

2 – الإلمام بعلوم العصر:

لا يمكن لعالم العقيدة أن يعرف طبيعة المسائل المطروحة في واقعه وبيئته، والمخاطر التي تهدد دينه، ما لم يكن ملما بعلوم عصره، يعرف أسسها ووظائفها ومجالات تطبيقاتها، ومضارها وفوائدها، مما يساعده على استثمار إيجابياتها، وسلبياتها في الهجوم على الخصوم لتفنيد رؤاهم، كإظهار تحريف المسيحية واليهودية وإبطال مصادرها الدينية كمصادر إلهية بالأدلة العلمية وإبراز ربانية مصدر الدين الإسلامي، وإنسانية الإسلام عن طريق الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والكشف عن بطلان نظريات ما زال البعض يعدها حقائق علمية، كمقول التطور البيولوجي، والحدوث الذاتي التي أبطلتها الاكتشافات العلمية لمعاصرة.

وهذا يقتضي الانفتاح على مناهج متعددة لتوظيفها في البحث العقدي، تشمل المناهج الهرمنوطيقية Hérminotique (علم تفسير النصوص) والسيميائية (علم الدلالة) والتجريبية والبرهانية، مضافا إلى ظواهر النصوص والحقائق التاريخية.

3 – معرفة الأضرار التي تلم بالدين الإسلامي:

إن الشرطين المعرفيين السابقين يمكنان عالم العقيدة من معرفة الأضرار والأغراض الخارجية والداخلية التي تلحق بالدين الإسلامي في مجالي العقيدة والشريعة، ومن ثم لا يتمكن فقط من دفع الشبهات، وتقويض أسس مذاهب أصحابها، وإنما يتمكن أيضا من تخطي ذلك إلى التفكير في دفع الشبهات والمخاطر المحتملة والتوفر على علاج لها[1]؛ كالبحث في جذور وعلامات الأضرار الناتجة عن حوار الأديان، ومخاطر التنصير والحروب الصليبية العرقية المعاصرة، وكموضوع أطفال الأنابيب، والاستنساخ البشري، وحتى النباتي والحيواني وما ينتج عنها من إضرار بالبيئة الكونية والاجتماعية والصحة وغيرها، وكمعرفة نتائج ضعف الالتزام بالدين والتغريب، والعولمة ومخاطرها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية وما يهدد الدين الإسلامي والمسلمين في ضوئها.

وبذلك يستطيع علم العقيدة معالجة المشكلات الواقعة المصيرية ويعيد للعقل المسلم الرؤية المستقبلية للأمور.

فوظيفة الهجوم مسؤولية خطيرة تحضى بمجال أوسع في دائرة الدفاع، مما تحضى به بقية المهام السابقة لأنها تكاد تجمعها كلها في جانبها الإيجابي أي العملي المنفعل.

---

[1] ـــ هما يوند همي: المرجع السابق، ص 50.

ب- اقتراح حلول للمشاكل التي تعاني منها الإنسانية

من المهام التي يضطلع بها علم العقيدة اليوم والتي يجب أن يستعيدها هي المساهمة في بناء الحضارة الإنسانية المعاصرة إلاّ أنه لا ينبغي عليه الدفاع والهجوم فحسب بل اقتراح حلول إسلامية من منبع الوحي للمشاكل التي تعاني منها الإنسانية اليوم لإنقاذها من الدمار الذي يهددها في الدنيا والعذاب الذي ينتظرها في الآخرة لأن الإسلام يقدم حلولا وجودية أبادية، أي تتعلق بالوجود في الدنيا والآخرة لتحقيق السعادة في الدارين.

وهي مشاكل مترابطة متشعبة لا تنفك عن بعضها البعض شاملة لكل مناحي الحياة، كمرض فقدان المناعة (السيدا) وأمراض الحساسية، ومخاطر الاستعمال السلبي للعلم ونتائجه المتمثلة في التلوث البيئي ونتائجه التدميرية المختلفة، والحروب المدمرة، والأزمات الاجتماعية والاقتصادية، كظواهر الفقر، والبطالة، والإدمان، وارتفاع نسبة الإجرام والانتحار والعزوف عن الزواج في مقابل الشذوذ الجنسي والعلاقات غير الشرعية بين الذكر والأنثى، والتفكك الأسري، وإهدار كرامة الإنسان وحقوقه.

وهذه المهمة تقتضي من علم العقيدة اليوم أن يكتشف ويكشف نظريات الإسلام في الاقتصاد والسياسة والمجتمع والتاريخ مبيِّنا أصولها العقدية وأبعادها المقاصدية وتنزيلاتها الواقعية وأهدافها الإنسانية، في ضوء التطور العلمي المعاصر، حتى يعيد للإنسان إنسانيته وكرامته ويحقق للمجتمعات وحدتها واستقرارها في ظل عالمية الإسلام وعولمته التي تجمع البشرية في وحدة متنوعة تنوع لغة أو ثقافة أو عقيدة كما كان يعيش أهل الذمة في ظل الحضارة الإسلامية ينعمون بعلمها وعدلها وأمنها.

قال الحق تبارك وتعالى يعد المؤمنين بذلك ووعده حق:﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

ولا يتحقق ذلك إلاّ بالتعارف والتعاون مع الغير:﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2].

والذي أملى على المسلمين الأوائل هذه المهمة التي اضطلع بها علم العقيدة والتي ينبغي أن يستعيدها اليوم هو ثلاث خصائص ودواعي حبى بها الله تبارك وتعالى المسلمين وكلفهم بها هي:

---

[1] ـ سورة النور: 55.

[2] ـ سورة الحجرات:13.

الصبغة، والشهادة، والوسطية، المتضمنة في قوله تعالى:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ **وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**، فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا **وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ** فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً** وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾[1].

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ **اجْتَبَاكُمْ** وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ **الْمُسْلِمِينَ** مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا **شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ** هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[2].

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3].

فالدين الإسلامي (التوحيد) هو فطرة الله التي فطر الناس عليها وما صبغ به أنبياءه ورسله والمؤمنين من عباده على سنة الفطرة وهي أحسن الصبغ لأنها جماع الخير الذي يزكي النفوس ويطهر العقول والقلوب، بها يكون المسلمون خيارا عدولا ليسوا من أرباب الغلوّ والتطرف في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعطيل المفرّطين، فهم كذلك في العقائد والأخلاق والأعمال. كما قال الأستاذ محمد عبده، يبلغون الكمال الإنساني الذي ليس بعده كمال، فيحققوا التآلف بين الشعوب والقبائل وينقذوهم من مآسيهم و يرتقوا بهم إلى السعادة الأبدية، وهذه غير صبغة اليهود والماديين أو النصارى والروحيين، بالتفريق في الدين وعدم إقامته[4]: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ،وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ **تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا** مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ[5]. فاقتضت هذه الصبغة أن يكون المسلمون أمة وسطا شهداء على الناس.

---

[1] ــ سورة البقرة:136-138.

[2] ــ سورة الحج:78.

[3] ــ سورة البقرة:143.

[4] ــ انظر رشيد رضا: تفسير المنار، ج1،ص.486. وج2. ص4-5؛ والسيد محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن،ج1، ص.308.

[5] ــ آل عمران: 104 – 105.

وشهادة الأمة الإسلامية على الناس في الدنيا، إلى جانب شهادتها عليهم في الآخرة -كما بيّن المفسرون- هي في حقيقتها إظهار الحق الذي وقع العلم به وتبيينه وتبليغه لهم لإقامة الحق، فبهذا الارتباط العلي بين الصبغة والوسطية والشهادة تكون شهادة المسلمين على الناس إنقاذا للآخرين يخرجونهم من الضلال إلى الهدى، ومن الضيق إلى السعة ومن الضنك إلى الخير والسعادة، فيمتد التحضر الإسلامي إلى الدائرة الإنسانية العامة امتداد استعاب ليلتحق الجميع بالدائرة الإسلامية حسب مبدأ العالمية[1].

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ﴾[2].

[1] – عبد المجيد النجار: فقه التحضر الإسلامي، ج1، ص.83-121، وسيد قطب: خصائص التصور الإسلامي،ص 236.

[2] – آل عمران: 110.

الفصل الثاني
منهج القرآن الكريم
في الاستدلال على العقائد

التمهيد

المبحث الأول: خصائص المنهج

المبحث الثاني: أساليب إثبات العقيدة والدفاع عنها

المطلب الأول: الأسلوب الوجداني (مخاطبة الوجدان)

المطلب الثاني: النظر في الآفاق والأنفس(مخاطبة الحس)

المطلب الثالث: الأسلوب العقلي (مخاطبة العقل)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

إن الأثر الفعال للقرآن الكريم في النفوس والمبهر لمختلف العقول، يرجع لجاذبيته المتميزة للبشر، بل لكل المخلوقات- قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[1] وقال جل جلاله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. وقال: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[3].

فهو يلائم أساليب البشر الحقيقية في التفكير والإحساس، ويلبي طلباتهم الاعتقادية والسلوكية، ويقدم الحل الصحيح لمشاكلهم الكبرى التي تشغلهم.

أي هو يرضي تمام الرضى حاجاتهم للحق والخير والجمال، بعمل ديني وأخلاقي وأدبي في نفس الوقت[4].

ولما كان العنصر الديني هو أصل ذينك العنصرين، متضمنا إياهما وموجها لهما، وكانت غايته بناء عقيدة التوحيد، كانت قضايا العقيدة موضع اهتمام القرآن الكريم، إذ بين "أن الإيمان بإله واحد له صفات الكمال والجلال لا شريك له في ملكه، ولا نظير له في الخلق والإيجاد والتأثير والتقدير هو الذي يتفق مع ما نشاهده ونلاحظه من دقة ونظام في هذا الكون الذي يجري على سنن ثابتة وقوانين مطردة لا تختل ولا تختلف"[5]؛ ومن ثم يكون الله سبحانه وتعالى هو وحده الأحق بالعبادة ومصدر نظام حياة الإنسان، كما حوى القرآن الكريم في أغلب آياته على تقرير العقائد الإسلامية بما فيها حقيقة الإنسان والكون، وذكر العقائد المخالفة والحجج الداحضة لها،

---

[1] ــ الزمر: 23.

[2] ــ الحشر: 21.

[3] ــ الجن: 1، 2.

[4] ــ عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم، ص 70.

[5] ــ عبد الحميد مذكور: مذكرات في علم الكلام: ص28، نقلا عن أبو اليزيد العجمي: الفقهاء وبحوث العقيدة الإسلامية، ص57.

فإذا استثنينا الآيات الواردة في أحكام الشريعة – كما قال الرازي– التي تقل عن ستمائة آية، وجدنا أن جميع آيات القرآن في التوحيد والنبوة ومحاجة الكفار والمشركين، حتى الآيات الواردة في القصص قصد بها معرفة حكمة الله تعالى وقدرته والاستدلال على مسائل العقيدة[1].

وبناء على ذلك كان منهج القرآن الكريم في إثبات أصول الدين والدفاع عنه منهجا فريدا متميزا، سواء من حيث بناء الحجة وإقامة البرهان، وتقرير الدليل، أومن حيث شمولية الخطاب الملائم لكل المستويات الإنسانية والمستوعب لكل ملكات المخاطبين في كل مكان وزمان؛ أومن حيث مضمون الخطاب المتمثل في عقيدة التوحيد التي تتضمن ثلاثة مباحث أساسية هي:

1- أركان الإيمان.

2- الإنسان في علاقته ثلاثية الأبعاد (مع ربه، مع غيره من الناس ومع الكون أي مع بقية المخلوقات).

3- الكون: ميدان ممارسة هذه العلاقات وتحقيق تلك الأركان[2]. وبيان ذلك قال الحق سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[3]،وقال:﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[4]، وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[5].

لذا كان لابد من الإشارة في هذا الفصل إلى حقائق نظنها من أساسيات المنهج القرآني في مجال العقيدة، أولها خصائص المنهج، ثانيهما أساليب المنهج وتطبيقاتها على القضايا العقدية.

---

[1] ــ فخر الدين الرازي: التفسير الكبير، مج 1 ، ج2، ص96.

[2] ــ محمد مبارك: نظام الإسلام العقدي في العصر الحديث، ص 13-30 .

[3] ــ البقرة: 285.

[4] ــ الذاريات:21.

[5] ــ فصلت: 53.

المبحث الأول

خصائص المنهج

ا ــ اقتران القضايا بأدلتها

ما من قضية عقدية ساقها القرآن الكريم إلا قرنها بدليل صدقها وبرهان يقينها القطعي في دلالته، ولهذا كان لابد من التنبه إلى الأدلة البرهانية التي أشار إليها نص الآية وتضمنها، ولا يكفي في الإقناع القول أن الدليل من القرآن كذا ثم نذكر نص الآية، وخاصة إذا كان الخطاب موجها لغير المسلمين أولمن يرغب في التزود بالبرهان العقلي أو ذوي الإيمان التقليدي المعرضين للتحديات والشبهات المزعزعة لعقيدتهم في كل لحظة ومقام، وإن كان ذكر نص الآية كافيا لمن سلمت سريرته وخلا عقله من الشكوك والشبهات[1].

ب-سبل استنباط الدليل وتحقيق اليقين

واستنباط ذلك الدليل البرهاني لا يتم إلا إذا قرأنا الآية القرآنية في سياقها العام وتأملناها في نسقها التام غير مبتورة منه أو منزوعة عنه، وربطنا ذلك بما تختم به الآية من إشارة وإرشاد إلى أداة الاستقبال الصالحة (مثل خواتم الآيات الدالة على العقل أو القلب (أفلا يعقلون، أفلا يتدبرون... إلخ)[2]، في كل مقام سيقت من أجله الآية مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3]، مما يهيئ الأذهان والقلوب لاستقبال ما تحويه الآية من معارف كونية وبراهين عقدية، ويساعد العقل والوجدان- وهما أداتا الاستقبال اللتين يخاطبهما القرآن في الإنسان — على استيعاب تلك المعارف وتذكر عقيدة التوحيد والإقناع بالحجج والبراهين لتحصيل اليقين، لأن العقيدة الإسلامية تقوم على اليقين ولا يفيد فيها الظن، كما هو الأمر بالنسبة للشريعة، وهي أصل الدين الذي تتقوم به حياة الإنسان.

ولأهمية اليقين في بناء العقيدة والمعرفة جاء منهج القرآن الكريم لتأسيس يقين المسلم بعالم الغيب

---

[1] ــ محمد السيد الجليند، تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين. ص78- وراجع:أبو حامد الغزالي:الاقتصاد في الاعتقاد، 74ــ 76.

[2] ــ راجع الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير.

[3] ــ سورة ق:37.

وعالم الشهادة على السواء، بتقديم براهين وحجج يقينية قطعية الدلالة وتذكير وتنبيه الفطرة لتحصيل اليقين أو تأكيده وزيادة الاطمئنان[1].

ومن ثم كان اليقين هو الغرض من إنزال الآيات وعرضها، قال جل جلاله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَو تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[2]، كما جعل القرآن الآيات المعروضة في الكون والأنفس والآثار المتروكة وأخبار الأمم الماضية، بالنظر فيها، طريقا إلى اليقين إذ يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إبراهيم مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ﴾[3] ويقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[4]، يقول: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[5]، و: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾[6]، وقال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[7]، وقال في طلب الدليل المؤسس لليقين: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هودًا أو نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[8].

كما صرف المسلم عن الظن لأن الظن لا يغني عن الحق شيئا، إذ قال سبحانه وتعالى في نبذ الظن:

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾[9]، وقال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ

---

[1] ـــ محمد السيد الجليند. تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين. ص 3. ومحمد الأنور السنهوتي، مدخل نقدي لعلم الكلام، ص 114 – 115، وعبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص 191 ـــ 199.

[2] ـــ البقرة: 118.

[3] ـــ الأنعام: 75.

[4] ـــ الرعد:2.

[5] ـــ الجاثية:04.

[6] ـــ الذاريات:20.

[7] ـــ النساء: 157.

[8] ـــ البقرة:111.

[9] ـــ الأنعام:116.

عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1]، وقال: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[2].

وهنا لابد أن ننبه إلى أن القرآن الكريم لا يسعى إلى تحصيل القضية فقط، بل إلى تحقيق الإيمان بها، فالإيمان الأمر اليقيني هو غير ذلك الأمر اليقيني نفسه، إذ القضية اليقينية لكي تكون كذلك لابد أن يكون بين أجزائها الثلاث- وهي الموضوع والمحمول والنسبة- ترابط محكم غير قابل للزوال، وهذا الارتباط الوثيق الذي يفوق حد التصور ويدخل في حد التصديق، إذعان النفس بالنسبة والعلاقة القائمة بين الأجزاء الداخلية للقضية، وهو ما عرفه الغزالي بقوله:

«العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه مكان الغلط والوهم، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك»[3]؛ وأما الإيمان بالأمر اليقيني فهو متأخر عن الأمر اليقيني نفسه، وهو عبارة عن الانشداد الذي يحصل للنفس تجاه الأمر اليقيني الثابت نفسه، ومن هنا يمكن أن يحصل للنفس اذعان للقضية اليقينية واستيقانها بها مع قيام الدليل، من دون أن يكون الارتباط الإيماني للنفس بتلك القضية قد انعقد بعد أي من دون أن يحصل الموقف اليقيني الذي يتصرف في نفوسهم ويوجههم للإيمان، وهو الإيمان بالقضية اليقينية، وهي الحالة التي وضعها القرآن الكريم لدى بعض الأشخاص في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[4]، فمع حصول اليقين لأنفسهم بتلك الآيات، إلا أنهم لم يؤمنوا بها[5].

ج- ضبط المصطلحات

للقرآن الكريم مصطلحات معرفية ذات الدلالة الخاصة أو المرتبطة والمحدودة بالإطار والسياق العام للآية "من حيث موضوعها وسبب نزولها، ولا يجوز نقل هذا المصطلح بنفس معناه من سياق المصطلح العام إلى سياق آخر، أو نستبدله بلفظ آخر في نفس الآية، ثم ندعي أن هذا اللفظ الجديد

---

[1] ــ يونس:36.

[2] ــ الجاثية:24.

[3] ــ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص82.

[4] ــ النمل:13 - 14.

[5] ــ انظر: تفسير هتين الآيتين: التحرير والتنوير في ظلال القرآن، التفسير الكبير وغيرهم، وانظر عبد الحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص 201.

يدل على نفس المعنى الذي يتضمنه ذلك المصطلح"[1]، وأمام ذلك كان لابد من ضبط وتحديد معنى المصطلحات التي يدور حولها البحث في مجال الجدال والحوار، والاستدلال بصفة عامة حتى يلزم المستمع أو المجادل أو المحاور بالحجة اليقينية والدليل القاطع، ويؤتي المستعمل للدليل القرآني البينة والبرهان لاختلاف دلالات مصطلح الدليل والبرهان والبينة، وغيرها[2].

ومن جهة ثانية تضييق دائرة الخلاف بين المستعملين للدليل القرآني، وتحديد صور الاستدلال المختلفة في تحقيق الغاية من هذا المنهج وهي بناء العقيدة والدفاع عنها لتحقيق الالتزام الكلي بدين الله تعالى ونشره.

د- اللجوء إلى الواقع الحسي للبرهنة على الغيب

لما كانت قضية الغيب من أهم القضايا التي لا يصح إيمان المرء إلا بها، ولا تستقيم عقيدته إلا باليقين فيها يقينا لا يرقى إليه شك ولا يخالطه وهم ولا يداخله خيال ولا يناقضه واقع، كان من خصائص المنهج القرآني أن جعل الحق سبحانه وتعالى (وهو من رحمته بنا) لكل قضية غيبية عنا قضية مادية مشهودة تقرب المعنى من عقولنا[3].

فنحن لم نشهد الخلق: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[4]، ولكنا نشاهد دلالته في الكون لذا قال تعالى:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[5]، ولا نشاهد نهاية الوجود (اليوم الآخر) ولا البعث، ولكنا نشاهد علاماتها في عالم الشهادة، ولا يمكننا رؤية الله تعالى في الدنيا ولا معرفته، ولكنا نشاهد آياته في خلقه في الآفاق والأنفس.

واستعمل القرآن الكريم لهذا الغرض أساليب ومصطلحات تدل على البراهين العقلية المستمدة من الواقع الحسي، وتفيد العلم اليقيني الجازم، من هذه المصطلحات: (البرهان، الآية، الحجة، البينة، السلطان) قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ

---

[1] ــ محمد السيد الجليند: تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين. ص 9.

[2] ــ طه عبد الرحمان اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 131 - 138.

[3] ــ محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، ج 1. ص 214.

[4] ــ الكهف: 51.

[5] ــ العنكبوت: 19.

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1]، و: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[2]، و: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3]، وقال جل وعلا: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلاَ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[4]،و:﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيم عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[5]، وقال: ﴿أَو تَقُولُوا لَو أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾[6]، و: ﴿لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾[7]، وقال:﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنْ الْمُنتَظِرِينَ﴾[8]، و: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[9] و﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَ بِسُلْطَانٍ﴾[10].

ومن الأساليب استعمال "واو القسم" فحين نتبع السور المفتتحة بواو القسم، نلحظ أن القرآن يتجه فيها غالبا إلى أن يلفت إلى مادي محسوس وواقع مشهود، إذ لفت مثلا في سورة العاديات إلى الخيل عاديات ضبحا مثيرات نقعا مغيرات صبحا للاستدلال على البعث واستحضار موقفه،

---

[1] ــ البقرة: 111.

[2] ــ الأنبياء: 24.

[3] ــ النمل: 64.

[4] ــ النساء: 165.

[5] ــ الأنعام: 83.

[6] ــ الأنعام: 157.

[7] ــ البينة: 1 – 4.

[8] ــ الأعراف: 71.

[9] ــ غافر: 35.

[10] ــ الرحمان: 33.

إذا بعثر ما القبور وحصل ما في الصدور[1]، ويبدو ذلك الأسلوب واضحا في الآيات التالية، مثلا:

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾[2].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾[3].

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ فَلْيَنظُرْ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[4].

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ... أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾[5].

ومن ثم كان لجوء المنهج القرآني إلى الواقع الحسي مصدر قوة البراهين العقلية، ووثاقها في الاستدلال لهذا كانت كبريات قضايا الإيمان أسانيدها عقلية علمية تجريبية وطريقة القرآن العظيم في إثباتها تعتمد على لفت نظر الناس إلى هذه الأسانيد والأدلة العقلية العلمية[6].

هـ- شمولية الخطاب وتنوعه

إن المنهج القرآني ذو مرونة حركية قابلة لملائمة أحوال الناس النفسية وأوضاعهم الاجتماعية والفردية ومستوياتهم الذهنية. إذ يخاطب القرآن العظيم في الإنسان كل ملكاته (الحواس والعقل والقلب) مجتمعة ومتفرقة.

فقبل من الناس ثم لهم معرفة التوحيد لسلامة حواسهم من العطب واجتماع واكتمال ملكاتهم:

---

[1] ـ عائشة عبد الرحمان: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، ص 20، و97 - 98.

[2] ـ النازعات:1 - 14.

[3] ـ البروج:1 - 2.

[4] ـ الطارق:1 - 9.

[5] ـ العاديات:1 - 5، و9 - 11.

[6] ـ حسن حبنكة الميداني: براهين وأدلة إيمانية، ص 11- 12 .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَو أَلْقَى السَّمْعَ وَهو شَهِيدٌ﴾[1]، وفئة مقابلة لها تعطلت فيهم الحواس والملكات تماما، فلم تتحقق لهم معرفة التوحيد فضلوا وأضلوا وأفسدوا في الأرض، قال فيهم تعالى:﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[2]، ولكن يمكن ما لم تتحقق سلامة جميع الحواس والقوى الإدراكية، أن ندرك بإحداها التوحيد ونقف عليه[3]، لأن القرآن الكريم لا يعلق معرفة التوحيد على التكامل وتمام سلامة الحواس كلها مجتمعة، وإنما يربط التوحيد بكل أداة على حدة مراعاة لاستعدادات النفس المختلفة وقدرات الإنسان الإدراكية المتفاوتة، وهذا يعني: أولا، أن المسألة المراد تقريرها في النفس ارتبطت بالوسيلة المثبتة لها والدليل المبرهن عليها برهانا يقينيا، وثانيا، أن الخطاب القرآني في المستوى الذي يفهمه معظم الناس، فكان حجة عليهم ملازمة لهم في كل الأحوال والأماكن والأزمان. وثالثا، أن الاختلاف بين معارف العلماء والجمهور في التوحيد – كما يرى أبو الوليد ابن رشد – اختلاف في التفاصيل وبالتالي في الدرجة لا في النوع، فالجمهور يقتصرون "على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على علم الحس، لذلك يخاطبهم الشرع بضرب المثل وتصوير صفات الألوهية والقضايا الأخروية تصويرا حسيا مستمدا مما هو مشاهد عندهم.. أما العلماء فيزيدون على ما يدرك من هذه الأشياء بالحس ما يدرك بالبرهان"[4]، أي ما يتوصل إليه بأنواع الاستدلالات التي يستعملونها لاستخراج المجهول من المعلوم، لذلك قال الحق تبارك وتعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[5].

و- كشف حجج الخصوم وإبطالها

ومن خصائص المنهج القرآني في الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية أنه في نقضه لمزاعم المخالفين وما هم عليه من الباطل والبهتان، يكشف حجج الخصوم

---

[1] – ق:37.

[2] – الأحقاف:26.

[3] – الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 2، ص 25.

[4] – ابن رشد: مناهج الأدلة، ص 122.

[5] – فاطر: 28.

ويبطلها ويقرر في نفس الوقت تلك المسائل العقدية.

ومن أهم حججهم لمحاربة الحق والحقيقة ما يلي[1]:

1- حجة التقليد:

وهي الالتزام بالمحافظة على المعتقدات والعادات الموروثة عن الأجيال السابقة بدون تغيير، واتباعها من غير دليل ولا نظر ولا تأمل ودون إدراك ولا وعي، وهو ما تشير إليه هذه الآيات:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[2].

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[3].

وقد أبطل القرآن الكريم حجة التقليد حتى لا تكون العقيدة تقليدا أعمى، وإنما تأخذ بالفكر والتأمل والنظر ولأن التقليد الأعمى ليس بضامن للحقيقة والصواب ولا مصدرا للمعرفة الحقة. فقد قال جل جلاله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[4].

﴿قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[5]

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَو تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[6].

2- حجة الإيمان بالحس والمشاهدة

لكونهم لا يقرون إلا بالحقيقة الملموسة ولا وجود لحقيقة غيرها، استدلوا بالمشاهدة الحسية

---

[1] ــ أحمد عروة: المنهجية الاستدلالية في القرآن للرد على خصوم الإيمان. ص4 -10.

[2] ــ البقرة:170.

[3] ــ الزخرف:22- 23.

[4] ــ البقرة:170.

[5] ــ الزخرف:24.

[6] ــ الأعراف:172 - 173.

التي ترفض كل أنواع الغيب وتخرج عن اليقين الحسي فقالوا: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[1].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَو نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[2].

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾[3].

وموقفهم هذا يرجع لكون العقل المفكر في معظم أحواله تجد إنكاره للشيء ليس لدليل عقلي يستطيع بيانه، ولا لشبهة طارئة قد تزول مع تقديم البرهان على فسادها، وإنما لأنه طبع على أن ينكر ما يجهل، فيجعل معرفته بالادعاء دليلا على وجودها، كما يتخذ من جهله بالأشياء دليلا على عدم وجودها، وهذا هو عين الجحود والعناد[4]؛ وهم من عميت بصيرتهم فكان ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[5]، لذلك سفه الله عقولهم واتهم دعواهم بالظن فقال: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[6].

كما أنه ليس كل ما نجهله وما لا نشاهده ولا نلمسه غير موجود، لأن العقل الإنساني ليس من طبيعته أن يحيط بما هو خارج عن الإدراك الحسي إذ مجاله هو عالم الشهادة، وإنما في وسعه أن يستشهد عن ذلك بالآثار المحسوسة والمعقولة وهي الآفاق والأنفس كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَو شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا وَهو الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا وَهو الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا

---

1 ــ الجاثية:24.

2 ــ الفرقان:21.

3 ــ البقرة:55.

4 ــ محمد السيد الجليند: قضية التوحيد بين الدين والفلسفة،ص 59 ، وراجع: عبد المجيد الزنداني: علم الإيمان، ص 69- 75.

5 ــ البقرة:16 - 17.

6 ــ الجاثية:24.

وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾[1].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

3- المجادلة والمناقشة

المجادلة والمناقشة الدالتان على عنادهم وسفسطتهم حيث أحبط الله تعالى استدلالاتهم وأطروحاتهم بفضح الخلل الذي تحمله في بنيتها وتصحيحها، فتصبح حججا عليهم كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيات لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]، و﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ قُلْ لِمَنْ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[4].

وجادل فرعون موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُونِينَ﴾[5].

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ

---

[1] ــ الفرقان:45 - 50.

[2] ــ البقرة:164.

[3] ــ البقرة: 164.

[4] ــ المؤمنون:82 - 85.

[5] ــ الشعراء:23 - 29.

مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلاَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

4- التحدي الإعجازي

إذ أنهم طالبوا بإظهار المعجزات التي تخرج عن القدرة الإنسانية العادية كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنْ الأَرْضِ يَنْبُوعًا أَو تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلاَلَهَا تَفْجِيرًا أَو تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَو تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلًا أَو يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَو تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَ بَشَرًا رَسُولاً﴾[2].

﴿وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّه قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾[3].

5- التحدي الاستكباري

وهو الادعاء بالقدرة والسلطة اللتين تنافسان القدرة الإلهية، وقد ابطل القرآن الكريم حجج المدعين بكشف سخافة ادعائهم ومقارنتها بالقدرة الإلهية المطلقة[4]. كتحدي النمرود مدعي الربوبية استكبارا وتعنتا، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إبراهيم فِي رَبِّه أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إبراهيم فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[5].

فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن يعدل إلى دليل بين بيانا لا يقبل المراء والتأويل، يفضح به معارضة النمرود وقطع حججه، وهو أن يأتي بالشمس من المغرب بدلا من المشرق، فبهت الذي كفر.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إبراهيم فِي رَبِّه أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إبراهيم رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إبراهيم فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ

---

[1] ـــ إبراهيم:10 -11.

[2] ـــ الإسراء:90- 93.

[3] ـــ العنكبوت:50 -52.

[4] ـــ أحمد عروة: المرجع السابق، ص 05 - 10.

[5] ـــ البقرة:258.

فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1].

وكتحدي فرعون الذي قال: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى﴾[2]، وبلغ به الاستكبار والجحود أن يخادع قومه بأدلة واهية ويطلب من وزيره (هامان) أن يبني له صرحا عاليا لعله يطلع إلى إله موسى فقال: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾[3]، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلاَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لاَظُنُّهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ﴾[4]، و﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾[5].

وأمام هذه الحقيقة القرآنية تعددت أساليب القرآن للدلالة على توحيد الخالق سبحانه وتعالى وما يقتضيه من مقتضيات الإيمان وأركانه، وتنوعت بين الأسلوب الوجداني والأسلوب التعجيزي والأسلوب الجامع لهم جميعا في دعوته للنظر في الآفاق والأنفس والآثار المتروكة، فهو أسلوب عقلي قلبي تعجيزي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] ــ البقرة:258.

[2] ــ النازعات:24.

[3] ــ الزخرف:51.

[4] ــ القصص:38.

[5] ــ غافر:36.

المبحث الثاني
أساليب إثبات العقيدة والدفاع عنها
في القرآن الكريم

المطلب الأول: الأسلوب الوجداني: (مخاطبة الوجدان)

الأسلوب الوجداني هو طريقة القرآن الكريم في مخاطبة الفطرة الإنسانية لينفذ إلى القلوب ويستحوذ على النفوس، وذلك بتحريك المشاعر، وإيقاظ الضمائر، واستجابة ما كمن في الإنسان من عواطف الخير وبواعث الرغبة في الحق.

ولكن ما هي الفطرة؟ هل هي البراءة من كل معتقد؟ أم هي الاستعداد والصلاحية للإيمان؟ أم هي الإسلام دين التوحيد؟ وهل مع وجود الإنسان وولادته؟ أم تتخلف عن وجوده؟ وإذا كانت تتحقق مع ولادته وكانت هي الإسلام فما جدوى وفائدة الخطاب القرآني؟ ثم كيف نفسر انقسام الناس إلى مؤمنين وغير مؤمنين بوجود الله وتوحيده؟

أ - الفطرة وماهية الإنسان

لما كانت مهمة الإنسان هي الاستخلاف في الأرض، وكانت هذه المهمة لا تقوم إلا على الإيمان بوحدانية الله تعالى القائل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]. أصبحت معرفة الله تعالى وإشهاده بوحدانيته المكون الأول من مكونات حقيقة الماهية الإنسانية. ومقومها الأساسي، ثم تترتب بعدها سائر المكونات الأخرى المادية والمعنوية لتشكل جميعا حقيقة الإنسانية وعلى رأسها العقل[2].

وآية العهد تدل على أن الاعتراف بالوحدانية هو أمر مركوز في أصل الخلقة الإنسانية، إذ أشهد الحق سبحانه وتعالى عباده بأنه هو ربهم فشهدوا بذلك لقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ

1- النور: 55.

2- عبد المجيد النجار: مبدأ الإنسان، ص41.

مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[1]، فكان قوله " ألست بربكم؟ " قول إرادة وتكوين، لا قول وحي وتلقين، إذ خلق سبحانه بني آدم على فطرة الإسلام، وأودع في أنفسهم غريزة الإيمان بالله وتوحيده[2].

كما ويدل على فطرة التوحيد قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

فالمقصود بالدين في هذه الآية هو الإسلام بقرينة أنه ورد معرفا أي الدين الذي يعرفه المسلمون والذي يدينون به. كما أن المخاطب في هذه الآية الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ أمره الله تعالى بإقامة الدين ودين محمد عليه الصلاة والسلام هو الإسلام أي التوحيد وقرينة ثالثة هي وصفه تعالى لهذا الدين بالحنيف وحنيف أتت في الآية حال من الدين، ومعنى حنيف[4]. المَيل من الشر إلى الخير والعدول عن الباطل بالتوجه إلى الحق أي أن هذا الدين خالي من شوائب الشرك. مصداقا لقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[5]، وقوله تعالى:﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[6].

فدل معنى حنيف على أن المقصود بالدين في هذه الآية هو الإسلام، وأن من خصائص هذا الدين التبرؤ من الشرك[7].

ثم قال تعالى:﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[8] كلمة فطرة بدلا من (حنيفا) وحال ثانية (للدين) فكان معنى الفطرة هو الإسلام[9].

ومعنى الآية أن الحق سبحانه خلق الناس على الدين الحنيف دين التوحيد الإسلام.

وزاد هذا المعنى تأكيدا رسول الله ﷺ في قوله: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه

1ـ الأعراف: 172.

2ـ رشيد رضا: تفسير المنار. مج9. ص 387.

3ـ الروم:30.

4ـ انظر الطاهر بن عاشور:التحرير و التنوير، ج، 21.ص 88-99 . و المعجم الوسيط.ج.1 ص 210 مادة الحنيف.

5ـ الأنعام: 79.

6ـ البقرة: 135.

7ـ الطاهر بن عاشور، التحرير والتوير، ج1ص 737.

8ـ الروم: 30.

9ـ انظر مثلا: النجار. مبدأ الإنسان ص 40، محمد عز الدين،دليل الأنفس ص 20 - 23.

أو ينصرانه أو يمسحانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبو هريرة ﷺ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [1] »[2].

وفيما يرويه عن ربه أنه قال: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما حللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا...»[3].

ففي الحديث الأول دلالة على أن الفطرة التي يولد عليها الإنسان هي شهادة التوحيد أي الإسلام[4]؛ بقرينة أنه ﷺ لم يذكر الإسلام فيقول يسلمانه وذكر الأديان الأخرى، والتوحيد يولد عليه الطفل وهو أصل فيه مثل البهيمة فإنها تولد على حال السلامة من العيوب الجسمانية، بينما العيوب تطرأ بعد ميلادها وبعامل خارجي، فكذلك الانحراف عن التوحيد يطرأ على الإنسان بعد ميلاده بتأثير البيئة.

أما الحديث الثاني فيؤكد أن الناس خلقهم الله موحدين وأن الشرك والانحراف عن التوحيد كان سببه تأثير الشياطين. فمن خلال هذه الآيات والأحاديث نفهم أن الفطرة هي الإسلام وأن التوحيد ارتبط بأصل الخلقة الإنسانية، وهذا يعني أن شهادة التوحيد التي تتقوم بها ماهية الإنسان هي عنصر ثابت في ماهيته على مستوى الماهية الصورية أي على مستوى العلم الإلهي، كما أنها قائمة وحاصلة في الماهية الخارجية للإنسان، لكن على مستوى القوة دون الفعل، أي على مستوى الإرادة الإلهية، (إني خلقت عبادي حنفاء).

بمعنى أن الإنسان في وجوده الخارجي تكمن فيه شهادة التوحيد كجزء من ماهيته أي كل إنسان هو مسلم بالقوة ولكن ليس هذا التوحيد متحققا بالفعل في كل فرد من أفراد النوع الإنساني، فهذا نجد أفرادا في واقعهم غير مقرين بالتوحيد، ولا يعني كون الناس مفطورين على التوحيد إذ (لا تبديل لخلق الله) أنه لا يستطيع أحد أن يكفر ويخرج من الإسلام لأنه لا طاقة لمخلوق أن يغير ما قال الله عنه لا تبديل له، ولا يلزم القول بتناقض الآيات. التي ذكرناها مع قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[5]، ولا يستلزم إبطال دعوة الرسل

---

1 ــ الروم: 30.

2 ــ رواه البخاري في كتاب الجنائز. باب، إذا أسلم الصبي فمات يصلى عليه، في فتح الباري، ج 3، ص 172.و مسلم في كتاب القدر.

3 ــ رواه مسلم في كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

4 ــ انظر فتح الباري، ج.3.ص193، وبقية الأقوال التي قيلت في الموضوع ص 193- 194.

5 ــ النحل: 78.

عليهم السلام ولا هدم كثير من الآيات والأحاديث الحاثة على التفكير والنظر في خلق الله تعالى إذ لا قيمة لها ولا معنى من إيرادها ساعتئذ كما يزعم البعض[1].

فالذي يولد به المولود هو ركن الإسلام وأساسه وهو معرفة الله وتوحيده وصحبته وطاعته، والإقرار بالتوحيد في آية العهد، كما بينا سابقا – يتضمن توحيد العلم والقصد، وهذا الأصل الذي بني عليه الإسلام، هو الذي يوجد في فطرة كل مولود، ولا يحتاج إلى موجب خارج، وهو توحيد الربوبية، أما دعوة النظر والتفكير في آيات الله فالغاية منها التذكير وتحقيق توحيد الألوهية التي كانت دعوة كل الرسل لمن لم تكن فطرته سليمة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2]، وقال: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[3]، ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

فقد أمر سبحانه عباده بإفراده بتوحيد العبادة وتخصيصه بها وحده دون سواه، وذكر الإنسان بما فطر عليه من توحيد الربوبية بأنه هو الخالق والرازق، فتوحيد الربوبية فطرة في الإنسان. "ويشبه هذا على مستوى الجسم، ما تحمله نطفة المولود، عندما يأخذها الرب سبحانه من صلب الأب، ويودعها في رحم الأم، من برنامج دقيق ستسير عليه أثناء التخلق والتكوين، فالنطفة لا تحيد عن هذا البرنامج، فإن حصل ما يغيره استمر النُّمُوُّ من غير توقف، لكنه يسير سيرا مشوها، يظهر أثره في الجنين بعد ولادته. فهذا الإصرار في السير الذي يرى في نمو الجنين في الرحم، يماثله إصرار الفطرة بعد الولادة على المضي في طريقها وإن اعترضها ما يوجه سيرها إلى وجه غير صحيح"[5]، وهذا التشويه للفطرة يسبب العوامل الخارجية من تقليد وغفلة وشيطان هو الذي جعل البعض لم يخرجوا شهادة التوحيد من القوة إلى الفعل ويحققوا ماهيتهم وإنسانيتهم في الواقع. إذ قال فيهم الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ

---

1 ــ حسين بن السقاف: صحيح شرح العقيدة الطحاوية. ص 206-208.

2 ــ النحل: 36.

3 ــ النحل:26.

4 ــ البقرة: 21 - 22.

5 ــ محمد عز الدين: دليل الأنفس بين القرآن والعلم الحديث. ص23 - 24.

مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَو تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَو شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهو الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1]، وقال: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَو يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[2].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[3]، فهؤلاء الناس المشار إليهم في هذه الآيات لم تصل عقولهم إلى الإيمان بتوحيد الحق سبحانه وتعالى، وذلك بتقصير منهم في البحث والتدبر والاعتبار بدلائل المخلوقات[4]، ليتذكروا ذلك العهد والميثاق ويخرجوا الفطرة، فلم يتحقق فيهم بالفعل التوحيد وبقي على مستوى القوة ومن ثم لم يحققوا ماهيتهم وإنسانيتهم فكانوا أقرب إلى الحيوانات بل أضل.

ونلمس هذا المعنى في آيات أخرى مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[5]، فالتقويم الذي خلق الله عليه الإنسان، هو أحسن تقويم، وهو ذلك الذي انطوت فيه ماهية الإنسان واشتملت على عنصر التوحيد، ولكن الناس نوعان نوع لم يتحقق بالتوحيد الواقعي، فهؤلاء قال فيهم الحق تعالى: ﴿رددناه أسفل

---

1 ـ الأعراف: 172 - 179.

2 ـ الفرقان: 43-44.

3 ـ الأنفال: 20 -22.

4 ـ عبد المجيد النجار: مبدأ الإنسان ص 43.

5 ـ التين: 4 - 6.

سافلين﴾ أي في مرتبة الدواب والأنعام في الدنيا والعقاب في الآخرة[1]، ونوع ثاني هم ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي الذين أخرجوا قوة التوحيد إلى الفعل، فهؤلاء حققوا ماهيتهم وبقوا على أحسن تقويم ببقاء فطرتهم سليمة.

وخروج التوحيد من مرحلة القوة إلى مرحلة الفعل أي تحقيق الماهية الواقعية يرجع إلى محض إرادة الفرد، إذ الإنسان أتاه الله عز وجل الاختيار والإرادة وبهما يخرج شهادة التوحيد على مستوى التصور والتصديق وعلى مستوى السلوك والعمل، لتحقيق الغاية من وجوده الاستخلاف، مصداقا لقوله تعالى:﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وهذا يعني أن تحقيق التوحيد والماهية هو رهين الجهد الإنساني ولا يكفي في ذلك كونه فطرة، فهي رغم كونها ثابتة لا تتبدل إلا أنها قد تطمس وتنحرف وتتبدل بتأثير الشيطان والبيئة (التنشئة البيئية) الذي لا يتناول ظاهر الإنسان وظاهر بيئته أما حقيقته فلا تتبدل ولا تتغير مصداقا لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، لأن الفطرة متصلة بحقيقة الإنسان وأساس ماهيته الذي لا تكتمل إنسانيته إلا به.

ثم أن الشيطان والبيئة هما من عوامل انطماس الفطرة وتشوهها وموانع وعوارض تعترض تحققها، ولا تزيلها ولا تنزعها من أصل خلقه الإنسان، لذا قال سبحانه وتعالى مخاطبا الشيطان الذي أقدره والأبوين على تشويه الفطرة وتغييرها: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[3]، وقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، فالشيطان إذ ليس له سلطان على الإنسان فالمؤمنون أصحاب الفطرة السليمة لا يقدر عليهم وأصحاب الفطرة المنحرفة هم الذين اتبعوه، بمحض إرادتهم فأغواهم. كما لم يعتد و لم يعترف الحق سبحانه بالاحتجاج بتقليد الآباء والغفلة عن الحق، فقال في آية العهد: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ، وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[5].

---

1 – عبد المجيد النجار: مبدأ الإنسان، ص 43.

2 ــ الروم:30.

3 ــ الحجر:42.

4 ــ سبأ:20.

5 ــ الأعراف:172 - 174.

أي يرجعون إلى فطرتهم السليمة التوحيد، لأن اتباع الآباء يمكن مقاومته والغفلة يمكن الصحوة منها بالتوظيف الحقيقي لوسائل المعرفة (الحواس والعقل) .

وما يمكن أن نخلص إليه هو:

1 -أن الفطرة هي الإسلام دين التوحيد وأنها مركوزة في أصل الخلقة الإنسانية.

2 -أن مضمون الفطرة هو توحيد العلم والقصد أي توحيد الربوبية.

3 -أن الفطرة ثابتة لا تتغير إنما تنحرف وتشوه.

4 -أن تحقيقها في الواقع لتستمر وتصحح رهين الجهد الإنساني أي إنها لا تعبر عن نفسها بتلقائية إذ كانت وسائل المعرفة معطلة لسبب من الأسباب.

5 -وبناء على ذلك تتبين لنا العلاقة بين الفطرة ومهمة وجود الإنسان المتمثلة في تحقيق التوحيد أي العبودية لله تعالى فكانت الفطرة التي هي التوحيد غاية وجود الإنسان وحقيقة إنسانيته أي ماهيته.

وإلى ذلك أشار الراغب الأصفهاني بقوله: «فالإنسان تحصل له الإنسانية بقدر ما يحصل له من العبادة التي من أجلها خلق، فمن قام بالعبادة حق القيام فقد استكمل الإنسانية ومن رفضها فقد انسلخ عن الإنسانية فصار حيوانا»[1]، وتحصيل العبادة يكون معرفة الله تعالى، ومن ثم «لا تتحقق إنسانية الإنسان إلا بعد معرفة الله معرفة حقيقية، لأن معرفة الإنسان ليست منفصلة عنه وإنما هي أرفع وأثمن شيء في وجوده، فبمقدار ما يعرف الإنسان من الوجود ونظامه ومبدئه فإن إنسانيته– التي يصفها العلم والمعرفة– تتحقق بنفس ذلك المقدار»[2]، لذا قال جل جلاله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[3] تعقيبا على قوله: ﴿بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهواءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[4]، فبهذا الاستدراك بين الحق سبحانه وتعالى أن تجلية الفطرة، يكون بالعلم والمعرفة وأن السبب في كون كثير من الناس بقوا على الضلال هو أنهم لم يمارسوا عملية العلم، وهو ذلك الجهد الذي يبذله الإنسان باستعمال عقله وحواسه في إزالة العوائق والعوارض بالتأمل والنظر والتدبر في ملكوت الله تعالى[5].

ب– طريقة القرآن في خطاب الفطرة

تبين لنا مما تقدم أن صلاحية المرء للحياة الحاضرة وللحياة الآخرة لا تتم إلا بسلامة الفطرة

---

1 ــ الراغب الأصفهاني: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين . ص 150.

2 ــ مرتضى مطهري: الرؤية الكونية التوحيدية. ص46.

3 ــ الروم:30.

4 ــ الروم:29 .

5 ــ الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير: ج21 ص 94.

التي هي دين الله الإسلام لأنه قد يوجد أناس«ينتسبون إلى الدين وتظهر عليهم مراسمه وشاراته لكن أفئدتهم معتلة، وأفكارهم مختلة، فثق أن هؤلاء بعيدون عن الدين بمقدار ما في أفئدتهم وأفكارهم من علل وخلل»[1] لتلك المقدمات التي بيناها دعا القرآن الكريم إلى النظر في آيات الله في خلقه لتذكير النفس الغافلة وتصحيح الفطرة المنحرفة، وتوطين الفطرة السليمة وهذا هو مضمون أول معلم من معالم المنهج القرآني وأساليبه : وهو الأسلوب الوجداني أي أسلوب مخاطبه الفطرة.

وطريقة القرآن الكريم في مخاطبة الفطرة تتمثل في التذكير وتهدف إلى تحقيق غايتين هما إرشاد الفطرة التي لم تنحرف حتى تنشأ سليمة كما خلقت، وإصلاح الفطرة التي انحرفت[2].

لترجع إلى أصلها سليمة كما كانت. فالأولى يذكرها ليهيئها لقبول مستلزمات معرفة الله تعالى وتوحيده، حرصا منه على تقويتها والتمكين لوجودها لتبقى على سلامتها.

والثانية يذكرها بأصل ما فيها قبل أن تنحرف لينبهها لمواطن انحرافها وتغيرها لتصحى من غفلتها وتعود إلى رشدها وسلامتها، فأمن لها الطريق الصحيح، وتشترك مع الفطرة السليمة في الانقياد لمستلزمات الأصل المذكور في الفطرة والالتزام بها وأهمها توحيد الألوهية إذ« التعاليم التي جاء بها الإسلام تستهدف حماية الفطرة من الجراثيم الغريبة التي لا تفتأ تهاجمها..»[3] فجاءت آيات القرآن الكريم في مخاطبة الفطرة تذكر النفس الإنسانية لتذكي فيها الوجدان وتوقظ الضمير.

وهذا يعني أن النفس البشرية إذا غفلت عن الله تعالى فسرعان ما تعود مضطرة إلى الاعتراف به، لأنها شهدت أزلا بوحدانيته، ولا شك ان شهادة المرء على نفسه من أقوى أنواع الأدلة لأن من شهد على نفسه بحق فقد أقر به[4].

ولطريقة التذكير ثلاثة مستويات تشمل الفطرة المنحرفة والفطرة السليمة، إذ هي تحتاج في إظهارها لتكتسب صفة الفعلية وتنميتها على التربية والتهذيب والتعليم لما يعترض الطفل من مؤثرات بيئية وغيرها، غير صالحة تنحرف به عن فطرته السليمة وتوجيه وجهات معتلة.

المستوى الأول: تذكير الفطرة بأصل ما فيها وهو توحيد الربوبية، حيث تقف منه الفطرة السليمة

1- محمد الغزالي: هذا ديننا، ص 9.

2 – محمد عز الدين، دليل الأنفس، ص 26.

3 – محمد الغزالي: هذا ديننا، ص09.

4- محمد السيد الجليند: منهج القرآن في تأسيس اليقين،ص 49.

موقف المتيقظ المستجيب للذكرى وتقف منه الفطرة المنحرفة موقف الغافل اللاهي[1] وبالأساليب المختلفة تتنبه لتقر بذلك الأصل.

المستوى الثاني: التنبيه إلى مواطن الانحراف والتغيير لتحترز منها الفطرة السليمة وتجتنب أسبابها، وتتخلص منها الفطرة المنحرفة وتجتنبها[2].

المستوى الثالث: الإرشاد إلى مواطن الحفاظ على الفطرة السليمة وسبل تقويتها والالتزام بما تقتضيه هو العبودية لله وحده، مع استمرار التذكير في المستويين الثاني والثالث بأصل ما في الفطرة وأن ذلك التنبيه وهذا الإرشاد من مقتضيات ذلك الأصل الذي لا تبديل ولا تغيير.

وقد سلك التذكير القرآني على هذه المستويات الثلاثة عدة مسالك متنوعة أهمها:

1- التذكير بالنظر في خلق الله

فتوجيه نظر الإنسان إلى خلق الله تعالى من شانه ان يذكر الفطرة بخالقها وخالق الكون سبحانه وتعالى ويهديها إلى الحق والسبل الثبات عليه فيقول الحق جل جلاله:

- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ، فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[3].

- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ، وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[4].

- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[5].

- ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى، سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى، وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى، فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾[6].

1- محمد عز الدين : دليل الأنفس. ص26.

2- محمد الغزالي : هذا ديننا، ص 09

3 ــ الغاشية: 17 - 21.

4 ــ الذاريات: 47 - 49.

5 ــ النحل: 12 - 13.

6ــ الأعلى:1 - 9.

إنه أسلوب تربوي شديد الوقع على النفس يعتمد على التصور والمشاهدة المحسوسة لتقريب المعاني المجردة فيسهل إدراكها وفهمها.

2-التذكير بالاستفهام

يوجه القرآن الكريم الأسئلة للمخاطبين لكي يثير انتباههم ويستقطب اهتمامهم وينشط أذهانهم للتفكير والفهم، فيوقظ الفطرة الغافلة فتصغي، ويهز القلب القاسي اللاهي فيلين، فتتهيأ النفس لسماع جواب الاستفهام والإقرار به والالتزام به.

وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى سائلا المشركين على لسان نبيه محمد ﷺ:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[1].

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لاَ يَخْلُقُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾[2].

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

فطرهم توحيد الربوبية، فاعترفوا بموجب تلك الفطرة بوجود رب رازق خالق سبحانه، ثم دعاهم بناء على ذلك إلى عبادته.

وفي الآية الثانية (سورة النحل) بعدما ذكر سبحانه وتعالى المشركين بربوبيته وأنه الخالق والرازق، سألهم سؤالا مزدوجا الأول: عمن هو أحق بالربوبية وهو الاستفهام الإنكاري عن المساواة، أي لا يستوي من يخلق ومن لا يخلق[4].

فالله أولى بالإلهية مما يشركون.

والثاني: عن حقيقة تذكر المشركين (أفلا تذكرون) وهو استفهام إنكار على من أعرض عن التذكر.

---

1 ــ يونس: 31 - 32.

2 ــ النحل: 17 - 22.

3 ــ يونس: 18.

4 ــ الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ج.14.ص.123.

ثم يكرر تذكيرهم مرة أخرى ليتذكروا أمرهم ويقلعوا عن الشرك ويتأهبوا لسماع الجواب: "إلهكم إله واحد" فيشكرونه ويعبدونه لأنه الأحق وحده بالعبادة.

وفي الآية الثالثة (سورة يونس 18) يذكر المشركين بربوبيته بأنه هو النافع والضار والعليم وينبههم إلى مواطن الانحراف عن الفطرة السليمة لجعل الشركاء شفعاء ووسطاء بينهم وبين الله، ليخلصوا بعد ذلك التذكير والتنبيه العبادة لله تعالى وحده.

فنلاحظ أن توجيه القرآن تلك الأسئلة الاستدراكية التي يعرف المخاطبون أجوبتها بحكم الفطرة ويهدف إلى شد انتباههم، واستحضار أذهانهم لسماع وفهم ما سيقوله لهم إجابة على السؤال.

3 ــ التذكير بذكر الأحداث والمواقف العملية الحياتية

لتذكير المخاطبين بفطرتهم وحملهم على الإقرار بتوحيد الألوهية، يذكر القرآن الكريم ما يطرأ من أحداث أو ما يمر عليهم من مواقف عملية في الحياة اليومية، ويسرد القصص، لتكون هذه الأحداث والمواقف العملية وتلك القصص أمثلة واقعية يستمد منها المخاطبون العبرة والموعظة، ويعلمهم سبيل إصلاح الفطرة والمحافظة عليها سليمة مجملة في تحقيق معنى العبودية لله تعالى.

ومن الأحداث والمواقف التي تطرأ على حياة الإنسان، حالات الضيق والشدائد والمخاوف والأخطار التي تمر الفطرة فتظهر بقوة عند جميع الناس بكل مستوياتهم وعقائدهم المختلفة، فتتوجه القلوب إلى الله، لأنها مضطرة بالفطرة إلى اللجوء إليه فلا عاصم لها سواه[1].

لهذا يذكر الله تعالى بهذه الحقيقة قائلا: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[2].

ويدعم ذلك بمواقف عملية تحدث في حياة الإنسان فيقول جل جلاله:﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[3]، ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]، ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا

---

1 - أمين جمعة عبد العزيز:منهج القرآن الكريم في عرض عقيدة الإسلام،ص51،انظر علي الطنطاوي: تعريف عام بدين الإسلام،ص52 -57.

2 ــ النمل:62.

3 ــ الروم:33 - 34.

4 ــ يونس:12.

لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[1]، ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

ويزيد ذلك الأمر واقعية بذكر أعلى مستويات الضيق والشدائد وهي عندما تنقطع السبل بالإنسان فلا يجد ملجأ إلا إلى الله تعالى، فيقول سبحانه وتعالى بعد التذكير بقدرته وتفرده في الخلق والملك، مبينا حقيقة ما فطر عليه الإنسان من معرفة بالله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[3]، وهو موقف نشاهده يوميا وعاشه الكثير من الناس المؤمن منهم والكافر الناشئ في صوامع العبادة والمتربي في مخادع الفسوق[4]، المتواجد في الباخرة أو الطائرة أو السيارة وفي الخروب ولحظات الزلازل والكوارث الطبيعية والأمراض.

وفي ذكر القصص تذكير للإنسان بأصل فطرته التي هي توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية، ففي سورة النمل يثير موقف الكفر خروج عن السنن الكونية الإلهية، يحدث بسبب الغفلة وإغواء الشيطان.

يقول الله سبحانه وتعالى على لسان الهدهد: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[5]، فالله سبحانه وتعالى يذكر الإنسان في هذه القصة بربوبيته فهو الرازق الخالق العليم وهو وحده الأحق بالسجود والعبادة دون سواه من المخلوقات، ويبين سبحانه وتعالى للإنسان أحد الأسباب التي قد تغطي الفطرة وتشوهها وهو الشيطان لعنه الله.

4- التذكير بضرب الأمثال

واستخدم منهج التذكير القرآني الأمثال لإيقاظ الفطرة وإرشادها إثارة انتباه المخاطبين، فالأمثال والتشبيهات تساعد كثيرا من الناس على فهم المعاني المجردة التي يصعب عليهم فهمها. يقول الله تعالى:

---

1 ـــ الزمر:8.

2 ـــ الزمر:49.

3 ـــ يونس:22- 23.

4 ـــ طنطاوي: المرجع السابق، ص 52.

5 ـــ النمل:23- 26.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، وقال أيضا: ﴿أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[2].

ففي الآية الثانية يضرب الله تعالى المثل الحسي لفريقي الكافرين والمؤمنين الذين لا يستويان صفة وحالا ومبدأ ومآلا، فالكفار كمثل الأعمى والأصم، الفاقدين في خلقتهما لحاستي البصر والسمع، في حرمانهما من مصادر المعرفة "ومن هو كامل من حاستي البصر والسمع كلتيهما، فهو يستمد العلم من آيات الله في التكوين والتشريع بما يسمع من القرآن وبما يرى من الأكوان"[3]، وهما الينبوعان اللذان يفيضان العلم والهدى على عقل الإنسان.

والغرض من هذا هو تنبيه أذهان المخاطبين واستثارة فطرتهم ليستذكروا ما فطروا عليه من العلم ويرفع عنهم الجهل والغفلة، فيجب أن يتفكروا فيتذكروا فيعتبروا ويهتدوا[4].

وفي آيات سورة إبراهيم مجموعة العمليات النفسية المتكاملة لترقية وجدان المخاطب نحو إظهار الفطرة وترشيدها تحقيقا لعبادة الله تعالى.

فقد ابتدأ الحق سبحانه وتعالى في عملية تذكير الفطرة "لعلهم يتذكرون" بإيقاظ ذهن المخاطب بالاستفهام ليترقب ما يرد بعد هذا الكلام: "ألم ترى كيف ضرب الله مثلا" وتشويقا له إلى كيفية ضرب هذا المثل المتمثل في التفريق بالتشبيه بين التوحيد والشرك[5].

فوصف الله تعالى التوحيد ومقتضياته بالكلمة الطيبة التي شبهها بالشجرة الطيبة، لتحقيق هدفين في نفوس المخاطبين، وهما حصول هيئة من البهجة والفرح، "وازدياد أصول النفع باكتساب المنافع المتتالية كهيئة رسوخ الأصل"[6]، ووصف الشرك – وهو حالة انطماس الفطرة وانحرافها – بالكلمة الخبيثة

---

1 ــ هود : 24.

2 ــ إبراهيم:24 – 27. وراجع سورة التغابن.

3 ــ رشيد رضا: تفسير المنار، ج، 12، ص 58.

4 ــ نفس المرجع، ص 58.

5 ــ الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج، 13، ص 224.

6 ــ نفس المرجع، ص 224.

التي شبهها بالشجرة، لما تدل عليه من الصفات المضادة للإيمان من اضطراب الاعتقاد، وضيق الصدر وكدر التفكير والضر المتعاقب[1].

فضرب الأمثال من الوسائل الوجدانية الشديدة الوقع على النفس الإنسانية لتذكير الإنسان بفطرته. (التوحيد) على مستوى التصور والسلوك "الذين آمنوا وعملوا الصالحات".

والخلاصة، أن هذه الأساليب القرآنية في مخاطبة الفطرة هي أساليب وجدانية تثير في الإنسان عمليات نفسية (التذكر، الانتباه، التفكر، الخوف، الرجاء، الانقياد، الاطمئنان، والفرح...إلخ) وتحرك الذهن وتلين القلب وتصلح النفس وتطهرها فتثبّت الإيمان وترقيه.

لقد أفضت في الحديث عن الفطرة والأسلوب الوجداني لأن الفهم الصحيح لمعنى الفطرة ومستوياتها ومنهج تحققها في الواقع الفردي للإنسان، يساعد على فهم هذا الأسلوب القرآني الذي يتخذ التذكير طريقة لمخاطبة الفطرة.

والتذكير كما بينت وكما سيتضح في نهاية هذا المبحث هو ثمرة الترابط والتكامل بين وسائل إدراك الإنسان وعملياته النفسية والفكرية، فعن طريق السمع والبصر يحصل التفكير العقلي والإحساس الوجداني المرتبط بالقلب فيحدث التذكر فتظهر الفطرة المنحرفة وتوطد الفطرة السليمة.

فالمنهج القرآني في الاستدلال على أصول الدين يقوم على حقيقة الفطرة وتحقيق التذكر لبناء اليقين المعرفي[2].

المطلب الثاني: النظر في الآفاق والأنفس (مخاطبة الحس)

علمنا أن الله سبحانه خلق عباده على الفطرة التي فيها معرفة الحق والتصديق به، ومعرفة الباطل والتكذيب به[3]، وأن هذه الفطرة لا تبقى دائما على حالتها الأصلية من السلامة من الانحراف والتشوه، وهذه المعرفة الفطرية معرفة أساسية تبنى عليها المعارف الإنسانية الأخرى الحسية والعقلية والوحيية.

وإن من خصائص المنهج القرآني في بناء العقيدة تأسيس المعرفة اليقينية بعالم الغيب وعالم الشهادة وجعل لكل قضية مادية مشهودة تقرب المعنى من عقولنا.

---

1 ــ بتصرف من المرجع السابق ص 224 - 225.

2 ــ راجع، راجح الكردي: نظرية المعرفة، ص 193، وابن تيمية: نقض المنطق، ص 33 - 34.

3 ــ ابن تيمية: نقض المنطق، ص28 -29.

ومن ثم كانت أدوات المعرفة الحسية من أهم وسائل معرفة عالمي الغيب والشهادة، وخاصة إذا علمنا أن المعرفة الحسية بوابة للمعرفة العقلية من حيث توصل الواقع المشاهد صورة ذهنية للعقل عبر الحس، كما جعل القرآن الكريم من النظر في الكون مدخلا للإقناع العقلي مناط التكليف.

فعرض القرآن (كتاب الله المقروء) صحائف الكون (كتاب الله المشهود) على الإنسان، وطلب منه قراءتها ببصره وسمعه وسائر حواسه لتكون الحقائق الحسية دليلا على وجود البارئ جل جلاله ووحدانيته وكمال صفاته.

القرآن الكريم حافل بالآيات التي تخاطب حواس الإنسان وتوجهه نحو معرفة يقينية تقوم على التجربة الحسية المستمدة من الملاحظة المقصودة الموجهة التي يعدها العلماء من أهم خطوات المنهج التجريبي وأساسه.

1-الملاحظة في المعرفة الحسية القرآنية

والملاحظة بكل مستوياتها وأنواعها (العادية والعلمية، والكمية والكيفية، البسيطة والمسلحة[1]، هي مراقبة الظواهر الكونية في الآفاق والأنفس قصد تحقيق معرفة وتحصيل منفعة، وأسمى هذه المعارف وغايتها القصوى هو معرفة الله تعالى ومقتضياتها من أصول الدين وفروعه، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلاَ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[2].

ذلك أن المعرفة في مجال العلم تتكون من الوقائع التي تصبح على وعي بها من خلال الملاحظة، ونعتقدها ونصبح على يقين بها من خلال تكرار التجربة الصادقة[3].

وإلا كانت المعارف المتوصل إليها ظنية غير يقينية، ومن ثم لا يمكن الاعتماد عليها في إثبات العقائد والدفاع عنها، التي تقوم على العلم اليقيني.

وهذه الأهمية الخطرة للتجربة أو المشاهدة الحسية في إفادة اليقين، أبرزها القرآن الكريم وأكد عليها في عدة قضايا ومقامات وأهمها مقام جدال المعاندين والكفار الذين أبطل دعواهم ورد ادعاءاتهم.

فقد كذّب الحق سبحانه وتعالى الذين ادعوا أن الملائكة، الذين هم عباد الرحمان، إناثا، لأن دعواهم

---

[1] ـــ محمد فتحي الشنيطي: المنطق والمنهج العلمي، ص 127 - 129.

[2] ـــ فصلت: 53 - 54.

[3] ـــ ابن تيمية: كتاب الرد على المنطقيين، ص 386.

لا تستند إلى مشاهدة خلقهم[1]، التي هي مصدر اليقين، والمشاهدة تجربة حسية بصرية، فمن لم يشاهد خلقهم لا يوثق بقوله ولا يقبل، لأنه لم يستمد من مصدر المعرفة اليقينية فقد قال جل جلاله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَانِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[2].

كما رد سبحانه دعوى الكفار والملحدين الذين يجادلون في كيفية خلق السماوات والأرض والإنسان وبين أن أقوالهم غير صحيحة وغير مقبولة وتفتقد اليقين لأنها لم تشتق من مشاهدة الخلق قال تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[3]، فالخلق غيب لم يشهده أحد ومن ثم كان مصدر العلم اليقيني بهذا الموضوع هو كلام الله تعالى، والمنهج الصحيح في معرفته هو البحث والنظر في الخلق. فقال تعالى: «﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]، فالإنسان إذا لم يشهد الخلق الأول فيمكنه أن يشهد الآثار الدالة عليه لإدراك حقيقة البعث القائمة على الإيمان بوحدانية الله تعالى. فالغاية من النظر والبحث في الخلق ليست لذاتها ولكن للاعتبار والانتفاع الإنساني وتحقيق الاعتقاد الصحيح.

2- التكرار لتحقيق الإيقان

إن المشاهدة الحسية لا تفيد اليقين إلا بإعادة الملاحظة وتكرار التجربة فيرفع كل شك وتزول كل ريبة ويبطل كل ادعاء.

والقرآن الكريم في حثه على إعادة الملاحظة وتكرار التجربة يهدف إلى إثارة الحواس والذهن ليزيل غشاوة التقليد ويكسر بلادة الألف التي تميت فاعلية الحواس.

فأسلوب التحدي الذي من شأنه أن يثير الاهتمام والجد في النظر إلى ملك الله وعجائب خلقه في الأفاق والأنفس يلح القرآن على إمعان النظر في خلق الله المبدع ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾[5]، ويؤكد على إعادته للتثبيت والتأكد من سلامة الخلق ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾[6]

---

1 ــ راجع طاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير وغيره من التفاسير.

2 ــ الزخرف: 19.

3 ــ الكهف: 51.

4 ــ العنكبوت: 20.

5 ــ الملك: 3.

6 ــ الملك: 3.

وتكرار المشاهدة ﴿ثُمَّ ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[1]، فقد يفوته شيء من الملاحظة السابقة لم يتبينه فيعيد النظر حتى يتحقق بالمعاينة من كمال خلق الله تعالى ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهو حَسِيرٌ﴾[2]، فيعرف يقينا أن لهذه الصنعة البديعة، المحكمة وهذا النظام المنسق والخلق الكامل السليم خالق مبدع أحق بالعبودية وحده لا شريك له. ﴿تَبَارَكَ الَّذي بِيَدِه الْمُلْكُ وَهو عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهو الْعَزِيزُ الْغَفُورُ الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهو حَسِيرٌ﴾[3]، كما أكد القرآن هذه الحقيقة المنهجية بأسلوب الحوار الهادئ مع إبراهيم عليه السلام حيث يبين أهمية عملية إعادة الملاحظة وتكرار الاختبارات التجريبية في اكتساب المعرفة اليقينية من خلال التحقق من الادعاء أو الفرض — في مصطلح العلماء التجريبيين — واكتشاف جوانب جديدة من الحقائق المعروفة، قال الباري تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إبراهيم لأَبِيه آزَرَ أَتَتَّخذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إبراهيم مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْه اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾[4].

إن قوم إبراهيم عليه السلام كانوا مشركين يعبدون الكواكب لما رأوه فيها من صفات الفخامة والضياء والنور فاعتقدوها صفات الكمال والألوهية، ولم يدركوا لقصور مشاهداتهم وتعطل حواسهم، جانبا آخر من جوانب حقيقة الكواكب وهو الأفول الذي يدل على النقص وانتفاء صفة الألوهية عنها، فأراهم عليه السلام حقيقة تلك الكواكب والنجوم وأبطل ادعائهم واعتقادهم بالملاحظة والتجربة المتكررتين مع كل منهم، وبين وأثبت لهم «أنها تابعة للنظام الكوني الذي يتبعه الإنسان في حياته ... وليست متبوعة وأنها عابدة وليست معبودة»[5].

---

1 ــ الملك: 4.

2 ــ الملك: 4.

3 ــ الملك: 1 -4.

4 ــ الأنعام، 74 -79.

5 ــ وحيد الدين خان: الإسلام والعصر الحديث، ص18.

3- دور الحواس المعرفي:(وظيفتها)

ومما لا شك فيه أن الثقة في التجربة والمشاهدة ترجع إلى الثقة في الحواس وقدرتها في إدراك المحسوسات، ذلك أن الحواس هي الأدوات المباشرة التي تعتمد عليها الملاحظة، والمصدر الأساسي لاستمداد وقائع عالم المشاهدة التي ندركها وتكون على وعي بها- كما يقول كارل بوبر (K.POPER)[1]، لذا لابد من سلامة الحواس ودقة حساسيتها، حتى تؤدي وظيفتها الحقيقية بفاعلية ودقة.

والقرآن الكريم أبرز قيمة الحواس الإدراكية ودورها المعرفي لأهمية المعرفة الحسية في بناء الإيمان، ذلك أن ما يمكن التفكير والبحث فيه هو حالتين يشملهما عالم الشهادة: الحالة الأولى:وجود واقع مادي يقع عليه الحس المدرك، وهو ما يمكن معرفته مباشرة والاستفادة منه كمعرفة أسرار الكون والحيوانات وغيرها.

والحالة الثانية: وجود أثر محسوس لواقع يمكن أن يقع عليه حس المدرك[2]، وهذا كواقع وجود الله تعالى وحدانيته واليوم الآخر لا يمكن التفكير فيهما ومعرفتها مباشرة ولكن عن طريق التفكير في آثارهما المحسوسة الدالة عليهما لأنهما من عالم الغيب.

ومن أهم هذه الحواس في القرآن الكريم حاستي السمع والبصر[3]، الذين أودعهما الله سبحانه وتعالى في الإنسان وخلافة مزودا بهما وسائلا للمعرفة وطرقا للتصديق بالعقائد الإيمانية.

فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4].

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[5].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[6].

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[7].

---

1 ـــ ماهر عبد القادر: فلسفة العلوم ج 2 " مشكلة المعرفة "،ص37.

2 ـــ حامد عوض الله: الألوهية وفكر العصر، (أهناك إله)، ص 62.

3 ـــ ذكر السمع في القرآن بلفظ السمع ومشتقات وما يتعلق به في الإنسان ما يقارب ثلاثمائة(300)مرة، وذكرت حاسة البصر ومتعلقاتها في ما يقارب مائتين وأربعة وستين(264)موضعا. انظر: عبد الحميد الكردي: مرجع سابق، ص588.

4 ـــ النحل: 78.

5 ـــ الإنسان: 2.

6 ـــ المؤمنون: 78.

7 ـــ السجدة: 9.

﴿قُلْ هو الَّذي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَليلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾[1].

﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[2].

وأمر الإنسان بتوظيفهما في مجالهما الصحيح وعدم تعطيلهما فقال جل جلاله:

﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[4].

﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[5].

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[6].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾[7].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلاَ يَسْمَعُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ﴾[8].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[9].

---

1 ــ النحل: 23.

2 ــ الإسراء: 36.

3 ــ يونس: 101.

4 ــ الأعراف: 185.

5 ــ النحل: 65.

6 ــ النمل: 88.

7 ــ القصص: 71 - 72.

8 ــ السجدة: 26 - 27.

9 ــ فصلت: 39.

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾[1].

﴿فَلْيَنْظُرْ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾[2].

﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[3].

نلاحظ في هذه المجموعة من الآيات:

أولا: أن كتاب الله دعا الإنسان للنظر في الكون المحيط به (آفاقا وأنفسا) باستعمال حواسه وأهمها السمع والبصر، كأداتين من أدوات الإدراك تترتب على النظر معروضتهما معرفة الله سبحانه وتعالى كأعلى أنواع المعرفة وموضوعاتها، والإيمان بالبعث وما يترتب عن ذلك من سلوكات في الحياة.

كما كان حديثه عنهما (السمع والبصر) موضوعيا ودقيقا في تحديد مجالهما عالم الشهادة، (فأفراده وجزئياته وزمانه ومكانه) ووظيفة كل منهما، فحاسة السمع مصاحبة للإنسان دائما لأنها للاستدعاء[4].

فهي تشتغل ليلا ونهارا عند النوم وفي اليقظة، في الظلام والنور، ولذا كان السمع أعم وأشمل:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾[5]، وهذا من أهم التفسيرات لسر تقدم ذكر السمع على البصر في القرآن الكريم[6]، كما أن السمع ينقل المعارف الماضية لأنها تقوم على الرواية والتواتر ولا يمكن مشاهدة وقائعها مباشرة، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلاَ يَسْمَعُونَ﴾[7].

- أما البصر فيعمل في النهار والنور، ومن ثم كانت وسيلة الإدراك الأولى فيهما العين، وهو أهم وسائل

---

1 ــ الذاريات: 21.

2 ــ عبس: 23 -24.

3 ــ الغاشية: 17 - 20.

4 ــ محمد متولي الشعراوي: القضاء والقدر، ص 120.

5 ــ القصص: 71 - 72.

6 ــ نفس المرجع، ص 120- 121، وراجح الكردي: نظرية المعرفة ص 553- 555.

7 ــ السجدة: 26.

الإدراك والملاحظة في التجربة الحسية لأنه أقوى وأكمل، إذ "ليس المخبر كالمعاين" كما قال النبي ﷺ[1]، لأن المعاينة – كما أسلفت – تؤدي إلى اليقين التام إذا سلم البصر، والله تعالى ذكر أهمية المعاينة في تحقيق اليقين في سورة التكاثر فقال:﴿كَلاَ لَو تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ النَّعِيمِ﴾[2] فليس الخبر كالعيان في القوة وليس العيان كالخبر في الشمول والعموم[3].

وللأهمية الكبيرة للحواس، ندد القرآن بمن يعطلها لأن ذلك يؤدي إلى تعطيل العقل الذي إذا انتفى انتفت إنسانية الإنسان، فقد قال الحق تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنْ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ﴾[4]، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[5]، ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[6]، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[7]، ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[8].

ونلاحظ ثانيا أن منهج القرآن الكريم في مقام الاستدلال على وجود الله تعالى – مثلا- يبين بأساليب مختلفة، أن هذا الكون إنما خالقا تشهد عليه الظواهر الماثلة في عالم العيان والواقع، وقد جاء هذا على سبيل التخصيص تارة كما في قوله تعالى في الآيات (17-20) من سورة الغاشية:﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[9] حيث خصص النظر في ظاهرة مستقلة تعد دليلا قائما بذاته على وجود الله ووحدانيته، وتارة على سبيل التعميم، كما في قوله تعالى في الآية 185 من سورة

---

1 ــ أخرجه الضرائي، وعنه ابن ماجة، وأحمد، وابن حبان عن ابن عمر بنحوه.

2 ــ التكاثر: 5 – 8.

3 – ابن تيمية: كتاب الرد على المنطقيين، ص 96، وانظر مجدي منشيئ: مشكلة المعرفة عند ابن تيمية، ص272 وما بعدها.

4 ــ الأعراف:179.

5 ــ الفرقان:44.

6 ــ الأحقاف:26.

7 ــ الأنفال:22.

8 ــ البقرة:171.

9 ــ الغاشية: 17 – 20.

الأعراف: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾، ومرة على سبيل التجزئة كما في قوله تعالى في الآيتين 71-72 من سورة القصص: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾[1].

إذ بتتبع أجزاء الموضوع (وهنا ظاهرتا الليل والنهار) يكون إثبات الدعوة وهي:

«أن الله هو المنشر للكون والمدبر له والقائم على كل شيء، ولذلك قرن السياق في كل جزء بنفي أن يكون إله غير الله معه سبحانه وتعالى عما يشركون»[2]. ومرة أخرى على سبيل الأمر كما في قوله تعالى في الآية 101 من سورة يونس:﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾.

4- خطاب الحواس بأسلوب القسم

والقرآن في دعوة الإنسان إلى النظر في الظواهر الكونية ليتخذ منها حججا للاستدلال على حقائق الدين، يشد انتباه الحواس إلى تلك الظواهر ويؤكد عليها، بجعلها موضوع قسم ويمين، حيث تتبوأ فيه مكانة خاصة لدى صاحب القسم إذ الدلائل الكونية- كما قال الفخر الرازي- أقهر وأبهر، والعجائب فيها أكثر، وانتقال القلب منها إلى عظمة الله وكبريائه أشد وأكبر[3].

قال الله تعالى:

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾[4].

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا فَالْحَامِلاَتِ وِقْرًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[5].

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[6].

---

1 ــ وانظر مثلا الآيات 59 - 64 من سورة النحل، والآيات 29 - 35 من سورة الأنبياء.

2 ــ محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى ص 349 - 351.

3 ــ محمد المكي الناصر: رسالة القرآن في عصر العلم. ص 19. وانظر وليد منير: النص القرآني، ص 89.

4 ــ الصافات: 1 -4.

5 ــ الذاريات: 1 - 6.

6 ــ النجم: 1 - 3.

﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[1].

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[2].

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[3].

﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾[4].

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[5].

﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[6].

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[7].

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾[8].

فالقرآن في هذه الآيات يتخذ من الحقائق الحسية المتضمنة كيفية خلق الإنسان والسماوات

---

1 ــ الواقعة: 75 -76.

2 ــ البروج: 1 - 10.

3 ــ الطارق: 1 -4.

4 ــ الفجر: 1 - 6.

5 ــ الشمس: 1 - 14.

6 ــ الضحى: 1 - 5.

7 ــ التين: 1 -5.

8 ــ العصر: 1 -2.

والأرض وما فيهما، حججا لإثبات المعاد، ووحدانية الله تعالى وعظيم قدرته وعلمه وحكمته، وأسلوبا لتأكيد اليقين وتحقيق الوعيد[1].

إذن فالقرآن الكريم بدعوته للإنسان إلى النظر في عالم الشهادة لم يكتف منه بالنظرة الخاطفة، والرؤية العابرة والنظر السطحي البسيط، الذي يلائم عوام الناس وبسطائهم وإنما طالب منه فوق هذا المستوى من الخاصة، بالنظر النافذ الدقيق، والفكر العميق، واستعمال كافة المواهب والملكات والوسائل والأدوات لاستجلاء آيات الله البينات في كتاب الكون البديع للدلالة على عظمته ووحدانيته سبحانه وتعالى[2].

المطلب الثالث: الأسلوب العقلي (مخاطبة العقل)

رغم هذه الأهمية المعرفية للحواس وللمعرفة الحسية في تحصيل اليقين إلا أن المعرفة الحسية الحية ليست مصدرا مستقلا والحواس ليست الوسائل الوحيدة للمعرفة بل تعد الحواس الحس والمعرفة الحسية بصفة عامة من أهم مصادر المعرفة ووسائلهما، فالحس يقع في أغلاط لأن الأشياء في الواقع ليست على الوجه الذي ندركها فيه إدراكا حسيا كما بين العلم الحديث فالمجهر والمنظار (التلسكوب) البسيط والمتطور، وجميع أدوات القياس المباشر وغير المباشر كل أولئك يذكروننا على الدوام بالفرق بين ما نحسبه من الأشياء وبين الأشياء في ذاتها فبالمجهر الإلكتروني استطعنا رؤية الذرة[3]، وبالمنظار أو المقراب استطعنا رؤية المجرات ومعرفة مادة تكوين الشمس، وبأجهزة القياس الحديثة أدركنا أننا لا نسمع كثيرا من الأصوات ولا نرى كثيرا من الموجات والأشعة.

والحواس تمهد الطريق للعقل بما تمده من معارف حسية يحولها إلى معارف عقلية، ذلك لأن المعرفة الحسية ذات طبيعة جزئية ومحدودة في حيز من الزمان والمكان،« فالحس لا يعلم إلا معينا والعقل يدركه كليا مطلقا»[4]، أي أن المعرفة العقلية هي التي تعمم الظواهر الجزئية والفردية وتجعلها في مقولة الكليات.

فالمعرفة الحسية لا قيمة ولا معنى لها بمعزل عن العقل. والمعرفة العقلية لا يكون لها وجود

---

1 ـــ الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 27، ص 36. 90

2 ـــ محمد المكي الناصر: رسالة القرآن في عصر العلم، ص 27.

3 -Voir :Alain Bourret et Richard Portier, "voir les atomes" p 659-661.

4 ـــ ابن تيمية: الرد على المنطقيين ص 317.

بالمعرفة الحسية.

ولهذا قرن الحق سبحانه وتعالى ذكر الحواس (السمع والبصر) بذكر العقل في مواضع كثيرة كما بينا في الآيات المذكورة سابقا.

وعليه ما هو خطاب القرآن الكريم للعقل؟ وما هي طبيعة أسلوبه العقلي؟ وما هو دور العقل المعرفي في القرآن الكريم؟ وما مدى الثقة في قدرة العقل على تحصيل اليقين؟

أ- مكانة العقل وأهميته في القرآن الكريم

لقد أشاد القرآن الكريم بدور العقل ودافع عنه وأعلى من شأنه وكرمه، ويظهر ذلك من خلال الآيات العديدة التي تحث على استعمال العقل بكل مظاهره ووظائفه، فقد وردت مادة (ع.ق.ل) ومشتقاتها في القرآن الكريم في تسعة وأربعين (49)موطنا، ومادة (فكر) في سبعة عشرة (17) موطنا، ومادة الألباب في ستة عشرة (16) موطنا. إلى جانب مواد أخرى تدل على العقل، وفعل التعقل كالنظر والاعتبار، والتدبر والتذكر، والتفكر[1].

وتتجلى رفعة العقل وقيمته في القرآن، وهو عملية التعقل والتفكير في عدة مظاهر من أهمها:

- الدعوة إلى التأمل والنظر في الكون.
- أنه من مقومات إنسانية الإنسان وتكريمه.
- أنه مناط التكليف.
- شرعت أحكام للحفاظ عليه إذ من مقاصد الشريعة حفظ العقل بتحريم المسكرات ومحاربة التقليد.

ب- ماهيتـــه

لم يستخدم القرآن الكريم أبدا مادة (عقل) بالصيغة الاسمية وإنما استخدمها بالصيغة الفعلية أي ذكر وظيفة أو عملية التعقل التي ورد أكثرها في صيغة فعل المضارع على سبيل الاستفهام أو الاستنكار(أفلا تعقلون)، أو الترجي (لعلكم تعقلون)، أو التقرير (لقوم يعقلون-نعقل)، أو النفي (لا يعقلون). ووردت مرة واحدة في صيغة فعل ماضي (عقلوه)[2] وهذا يعني أن العقل صفة من الأوصاف أو الأفعال أو سلوك من السلوكات التي يطلع بها الإنسان على الأشياء في نفسه وفي أفقه، مثله في ذلك مثل البصر في

---

1 ـــ راجع فواد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

2 - راجع طه عبد الرحمان، العمل الديني وتجديد العقل، ص 37، والكردي نظرية المعرفة، ص 604.

المبصرات وليس جوهرا وذات مستقلة[1]، فكما أن البصر فعل معلوم للعين، فالعقل كذلك فعل معلوم للقلب أي محله القلب وفي ذلك قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَو آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2]. وقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَو أَلْقَى السَّمْعَ وَهو شَهِيدٌ﴾[3]، وليس المقصود بالقلب القطعة الصنوبرية المادية وإنما هي اللطيفة المدركة أو باطن الإنسان[4].

كما استدل على أن القلب محل العقل بحديث الرسول ﷺ: «ألا وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[5].

كما نفهم كذلك أن العقل ليس عقلا نظريا مجردا بل هو العقل العملي الذي يدفع صاحبه إلى الالتزام بشرع الله تعالى فيكسب القدرة على إدراك مصالحه الدنيوية والأخروية والعمل وفقه لتحقيقها فلا يسمى عاقلا من علم ولم يعمل ولا من عمل بلا علم، لذا قال أهل النار(...)،(10) وذم ابن خلدون العلم المجرد فقال: «إن العلم المجرد عن الاتصاف قليل الجدوى والنفع وهذا علم أكثر النظار»[6].

كما رفض ابن تيمية المفهوم اليوناني النظري للعقل على أنه جوهر قائم بنفسه اللذي تقوم عليه نظرية الفلاسفة في الصدور أو نظرية العقول العشرة التي تتعارض مع أصول الدين[7].

ج–مجالاته ووظائفه

لقد أعلى القرآن الكريم من قيمة العقل وأشاد به وأطلقه يعمل في أوسع نطاق مناخ الشهادة، ولم يغلق له الأبواب، أو يجمده في قوالب مصبوبة لا خروج منها، أو يكبله بقيود محددة لا فكاك منها، وكان ذلك كله ممزوجا بالهدى الرباني للوصول إلى الحق والعمل بمقتضاه، إذ العقول لا تستقل بإدراك مصالحها دون الوحي الموجه والمسدد لها[8]، ومن ثم كانت تبعتها (العقول) للشرع أقوم وأفيد من

---

1 ــ عبد الرحمان: المرجع نفسه، ص33، وانظر ابن تيمية. الفتاوي. ج 9، ص286.

2 ــ الحج: 46.

3 ــ ق: 37.

4 ــ ابن تيمية: الفتاوي ج9، ص303.

5 ــ رواه الشيخان، راجع شرحه في ابن العسقلاني، فتح الباري، ج1، ص129. والنووي، شرح صحيح مسلم، ج11 ص28.

6 ــ ابن خلدون: المقدمة، ص461.

7 ــ محمد السيد الجليند منهج القرآن الكريم في تأسيس اليقين ، ص94.

8 ــ أبو إسحاق الشاطبي: الاعتصام ، م1، ص46 - 97.

استقلالها عنه، فكان العقل في القرآن الكريم عقلا مسددا.

1- مجالاته:

لذا وجه القرآن الكريم العقل الإنساني إلى العمل في مجالات عدة يمكن إجمالها في أربعة مجالات أساسية كبرى:

الأول: توجيه العقل إلى تدبر آيات الله في الكون آفاقا وأنفسا لتحقيق غايتين:

أولهما: الإيمان وترقيته،بالتعرف على الحق سبحانه وتعالى المتوحد بعظيم سلطانه وكمال صفاته وأفعاله، ليتوصل الإنسان توحيد الله تعالى، وأدراك ما يستتبع ذلك من مستلزمات الإيمان، كالبعث والنشور والجزاء، لتحقيق الطاعة المطلقة لله تعالى وحده لا شريك له، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى:

- ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1].

- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾[3].

- ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4].

- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[5].

- ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[6].

- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ

---

1 ــ يونس: 101.

2 ــ البقرة: 164.

3 ــ آل عمران: 190.

4 ــ الرعد: 4.

5 ــ النحل: 12.

6 ــ الغاشية: 17.

خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[1].

وثاني الغايتين تتمثل في معرفة أسرار الكون وكشف السنن التي تحكمه وتسيره، قصد تسخيره والانتفاع به لعمارة الأرض، ذلك أن الله جل جلاله سخر هذا الكون للإنسان تسخيرا معرفيا وماديا ودعاه إلى إعمال العقل في استثماره باستعلاء دون أن يكون مدمرا أو عابدا له. فقال:

- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيات لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

- ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[3].

- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[4].

الثاني: توجيه العقل إلى تدبر نصوص الشريعة وفهم معانيها، وإدراك الأسرار والحكم والمقاصد التي تظمنتها أحكامها لإحسان تطبيقها، وأعمال الاجتهاد في هذه النصوص لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها للوقائع المستجدة[5].

ومن الآيات القرآنية التي تدعوا إلى تدبر حكمة التشريع ومقاصده:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[6].

﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[7].

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ

---

1 ــ المؤمنون: 14.

2 ــ الجاثية:13.

3 ــ لقمان: 20.

4 ــ إبراهيم: 32 - 34.

5 ــ محمد عز الدين توفيق: دليل الأصولي، ط2.

6 ــ يوسف: 2.

7 ــ البقرة:184.

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[1].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلْ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَو ضَعِيفًا أَولاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هو فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنْ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلاَ تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَ تَرْتَابُوا إِلاَ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4].

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ وَأَقِمْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[5].

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[6].

الثالث: يخاطب القرآن الكريم العقل لتدبر السنن الإلهية التي تحكم المجتمعات الإنسانية، بما في ذلك ما يطرأ عليها من رقي وانحطاط، ونجاح، وفشل، وسعادة وشقاء على مر التاريخ.

وهي سنن وقوانين ثابتة ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[7]،

---

1 ــ البقرة:240 - 241.

2 ــ البقرة:282.

3 ــ الجمعة:9.

4 ــ البقرة:179.

5 ــ العنكبوت:45.

6 ــ التوبة:103.

7 ــ الأحزاب: 62.

ما على العقل إلا أن يستثمرها من أجل الاعتبار وإقامة المجتمع الإنساني الصالح ويتجنب الاصطدام بها بمخالفتها[1].

وهو حث على البحث الميداني لمعرفة الحقائق والتأكد من الحوادث ومن الآيات التي توجه العقل إلى النظر والتفكير في تاريخ البشرية:

أ- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[3].

- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[4].

- ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[5].

ب- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[6].

- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[7].

- ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[8].

1- مرتضى مطهري: الإنسان والإيمان، ص67. ومحمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج1، ص113-116.

2 ـ العنكبوت: 20.

3 ـ الحج: 46.

4 ـ النحل: 36.

5 ـ آل عمران: 137- 138.

6 ـ الأنعام: 11.

7 ـ يونس: 13 - 14.

8 ـ الروم: 9.

- ﴿هو الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

الرابع: والمجال الرابع الذي يوجه إليه القرآن العقل هو التدبر والنظر في الحكم والأسرار الإلهية الكامنة في الكون والتاريخ والشرع للاعتبار بها وإدراك الغاية البعيدة لتلك الحكم والأسرار الربط بينها وبين وجود الإنسان في هذه الحياة ومهمته فيها.

بهذه المجالات الأربعة، يوجه القرآن الكريم العقل الإنساني ويسدده حتى يكون قادرا على إدراك مصالحه الدنيوية والأخروية،ويحميه من الظلال والتيه والزيغ.

فيدرك العقل المسدد ذلك والتكامل بين تلك المجالات الثلاث الدال على التناسب بين الخلق والأمر،والتطابق بين آيات الله المنظورة وآيات الله المقروءة.

2- وظائفه

ولقد عبر القرآن الكريم عن وظائف العقل في هذه المجالات، بعدة عمليات إدراكية، تعد مظاهر عملية للعقل كالنظر والتفكير والتدبر والتذكر مثلا.

التفكر:

- ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيات لِأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[3].

- ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾[4].

توجه هذه الآيات وأمثالها الإنسان للتفكر في خلق الله تعالى في السماوات والأرض، والتفكير إدراك

---

1 ــ غافر:67 .

2 ــ النحل: 68،69.

3 ــ آل عمران: 190-191.

4 ــ الروم: 8.

عقلي يعني التأمل، والتدبر، أي بحث الظاهرة من جميع جوانبها، واكتشاف علاقاتها بغيرها من الظواهر وعمل المقارنات، والارتباطات، والموازنات، ليتنقل منها كآثار، من وجود الله تعالى ووحدانيته إلى الإيمان به سبحانه وسائر أركان الإيمان.

النظر:

هو أحد طرق المعرفة العقلية، يقوم على البينة والدليل في الاستدلال والبحث، وليس مجرد الإبصار والرؤية، ويدلنا القرآن الكريم إلى أسلوبين من الاستدلال بالنظر، هما: الأسلوب الاسترجاعي أو التاريخ، وهو النظر في وقائع وأحداث الماضي، وأسلوب المعاينة وهو النظر في الشواهد الحاضرة والظواهر الدائمة.

ففيما يتعلق بالأسلوب الأول يقول الله تعالى:

ـ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

ـ ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[2].

ـ ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[3].

ـ وفيما يتعلق بالأسلوب الثاني، يقول الله تعالى:

ـ ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[4].

ـ ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[5].

ـ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى

---

1 ـ العنكبوت: 20.

2 ـ فاطر: 43 - 44.

3 ـ آل عمران: 137.

4 ـ الطارق: 5-7.

5 ـ الأعراف: 185.

الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ، فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾[1].

-﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

-﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[3].

- ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[4].

التدبر:

ويدل على التفكر العميق مع تدبر العواقب،وهو منتج للعلم الذي يدعو للالتزام[5]: كما بينته الآيات القرآنية في المواضيع التي ذكر فيها: قال سبحانه:

- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[6].
- ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[7].
- ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[8].
- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[9].

فتدبر القرآن الكريم،هو النظر والتفكر في غاياته ومقاصده التي يرمي إليها وعاقبة الملتزم بأحكامه المسترشد بهديه، والمخالف له.

التذكر:

وظيفة عقلية لتحصيل المعرفة باسترجاع المعاني من خلال التذكر للمعاني الفطرية، أو المعلومات

---

1 ــ الغاشية:17-21.

2 ــ الروم: 50.

3 ــ الأنعام:94.

4 ــ المائدة: 75.

5 ــ الكردي: نظرية المعرفة، ص640.

6 ــ محمد:24.

7 ــ ص:29.

8 ــ المؤمنون:28.

9 ــ النساء:82.

السابقة، أو النظر في الآفاق والأنفس أو الآيات القرآنية[1]، قال الله تعالى:

- ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[2].
- ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].
- ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].
- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[5].
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[6].
- ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[7].
- ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[8].
- ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[9].
- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾[10].
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[11].
- ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[12].

فالتذكر من آيات الله القرآنية أو الكونية المذكرة للإنسان: لا يتم تلقائيا بل بالاهتداء إليها قلبا،

---

1 ــ الكردي، المرجع السابق،ص240.

2 ــ الغاشية: 21 - 22.

3 ــ الأنبياء:10.

4 ــ الأعراف: 2.

5 ــ غافر:58.

6 ــ الأعراف:57.

7 ــ يونس:71.

8 ــ الذاريات: 49.

9 ــ النحل: 17.

10 ــ الواقعة: 62.

11 ــ ق: 37.

12 ــ ص: 29.

والملاحظة الواعية لها سمعا وبصرا والتدبر فيها عقلا والتحقق منها تجريبيا، وبذلك يتم التذكر محققا بالبحث والدراسة الواعية للحقائق التي تطرحها الآيات، فيؤمن ويصدق بالغيب، ومالا يراه يبصره، كما يعقل ويتحقق مما يواجهه في واقعه، وبذلك يتمكن من اكتساب العلوم عن تحقيق عقلي أو تجريب عملي، ومن إدراك نعم الله تعالى فيعبده على بصيرة.

وقد سمى القرآن الكريم بالذكر لأنه يذكر بنعم الله في الآفاق والأنفس والتاريخ والأحكام،وبعثة الأنبياء والرسل ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

د- أساليب الاستدلال العقلي

يسلك القرآن الكريم عدة أساليب عقلية في الاستدلال على العقيدة لتحقيق الإيمان وترقيته.

إذ جاءت أدلتها حاسمة قاطعة لكل أنواع الإنكار أو الشك أو الظن أو التردد أو الاحتياط، ومحققة للإقناع العقلي النفسي – (أي الاطمئنان القلبي). ومن بين أهم هذه الأساليب العقلية القرآنية في الاستدلال على مسائل العقيدة، الأمثال الأقيسة، وأسلوب التحدي والإعجاز والجدل.

أولا: الأمثال والأقيسة:

لقد بين الله تعالى الحقائق وأقام الأدلة بالأمثال.

فقال جل جلاله:﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2]، وقال:﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[3]، وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس[4].

"فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص لأنها اثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس"[5].

ومن ثم كان الغرض من المثل القرآني إخراج ما لا يقع عليه الحس إلى ما يقع عليه، وما لا يعلم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة، وما لم تجريه العادة إلى ما جرت به العادة، وما لا قوة له من الصفة إلى ما له قوة[6].

---

1 ــ النحل: 44؛ الكردي، المرجع السابق، ص642.

2 ــ الزمر:27.

3 ــ العنكبوت:43.

4 ــ راجع الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج، 1، ص 486، والسيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج،2، ص 167.

5 ــ السيوطي: الإتقان، ج،2، ص 167.

6 ــ الزركشي: البرهان، ج،1، ص 486، وأبو زهرة، المعجزة الكبرى. ص357.

وقد جاءت الأمثال القرآنية في تقرير مسائل العقيدة تؤكد الوحدانية الخالصة وحقيقة البعث بالحجج العقلية المحضة والأدلة البينة الواضحة.

1) ففي إثبات وحدانية الله تعالى، وإبطال الوثنية والشرك يقول الله تعالى:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

- ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

- ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[3].

- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[4].

- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5].

- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ

---

1 ــ البقرة: 26.

2 ــ الحج: 73 - 74.

3 ــ الروم: 28 – 29.

4 ــ الزمر: 29.

5 ــ النحل: 75 – 76.

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[1].

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

فهذه الأمثال كلها أدلة قاطعة على توحيد وإثبات بطلان الوثنية والشرك إذ تبين أن الكون كما كان قائما على قانون واحد يربط بين أجزائه جميعا، فهو من صنع إرادة واحدة لإله واحد "فلو تعددت الإيرادات لتعددت النواميس تبعا لها ولانعدمت الوحدة التي تنسق الكون كله وتوحد سيره واتجاهه وسلوكه، ولوقع الاضطراب والفساد تبعا لفقدان التناسق"[3].

وصدق المولى تعالى القائل: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[4]، وهذا كله واضح للعيان مكشوف، محسوب مبين لا يستطيع إنكاره أشد الملحدين[5].

2) وفي إثبات البعث:

يقول الحق تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[6].

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ

---

1 ــ إبراهيم: 24 – 27.

2 ــ هود: 18 – 24.

3 ــ أمين جمعة: منهج القرآن في عرض العقيدة الإسلامية. ص 89.

4 ــ الأنبياء: 21 – 23.

5 ــ انظر: الله يتجلى في عصر العلم، - Voir L.Golovanov: L'admerable harmonie de la nature.

6 ــ البقرة: 269.

الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[2].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[4].

فهذه الأمثال تقدم أدلة واقعية على البعث والنشور وأنه في قدرة الله تعالى إعادة الموتى، فمن أنشأ الكون قادر على إحياء الموتى، والأمثال كما يقول ابن القيم كلها أقيسة عقلية ينبه بها الله عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، "والقياس في ضرب الأمثال، من خاصة العقل، وقد ركز الله في فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وإنكار التفريق بينهما، والفرق بين المختلفين وإنكار الجمع بينهما"[5].

ومن أهم الأقيسة القرآنية:

1- قياس التمثيل: أو(قياس الدلالة):

وهو "أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أوعلى أمر بديهي لا تنكره العقول، وتقر به الأفهام ويبين الحجة الجامعة بينهما"[6].

وسمي كذلك بـــ(قياس الدلالة) وهو "الجمع بين الأصل والفرع بدليل العلة وملزوماتها"[7].

حيث يقرب القرآن بهذا القياس بين الحقائق القرآنية والبداهة العقلية بكل دقة وإحكام، وقد ورد هذا النوع من القياس في القرآن كثيرا في الاستدلال على البعث وذلك لصحة مقدماته، وضوح دلالاته وقرب تناوله، وبعده من كل معارضة وشبهة وجعله تبصرة وذكرى[8].

---

1 ــ الأعراف: 57.

2 ــ فاطر: 9.

3 ــ فصلت: 39.

4 ــ يس: 78 – 79.

5 ــ ابن القيم الجوزي: أعلام الموقعين: ج 1، ص 130 - 131.

6 ــ أبو زهرة: المعجزة الكبرى، ص 404.

7 ــ ابن القيم: أعلام الموقعين، ج، 1، ص 138.

8 ــ ابن القيم: أعلام الموقعين، ج 1 ص 145.

إذ الجمع بين الأصل وهو البعث الذي سبق الدليل من أجله، وبين الفرع وهو آياته سبحانه التي يبينها في الكون من حولنا، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، فهذا قياس إحياء مشاهد محقق على إحياء غير مشاهد يستبعده المنكرون، بينما لم يرد هذا القياس في مقام الاستدلال على وحدانية الله تعالى وكمال صفاته لأن الله ليس كمثله شيء ولا يجمع هو وغيره تحت كلي يستوي أفراده[2].

2- قياس الأولى: هو "أن يكون الحكم فيه أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل الدال عليه"[3].

أو إثبات الحكم للشيء بناء على ثبوته لنظيره أو لما الشيء أولى بالحكم منه، فما ثبت لغير الله، من كمال لا نقص فيه فثبوته له بطريق الأولى، وما تنزه عنه غيره من النقائص فتنزهه عنه بطريق الأولى[4].

ذكر هذا القياس في دلائل وحدانية الله وكمال صفاته، وإمكان المعاد، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى:

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لاَ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا﴾[5].
- ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾[6].
- ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[7].
- ﴿وَمَنْ لاَ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[8].
- ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ

---

1 ــ فصلت: 39.

2 ــ انظر ابن تيمية: كتاب الرد على المنطقيين، ص 150.

3 ــ ابن تيمية: شرح العقيدة الأصفهانية ص 70.

4 ــ ابن تيمية: كتاب الرد على المنطقيين، ص 150 - 154.

5 ــ الإسراء: 99.

6 ــ يس: 81.

7 ــ غافر: 57.

8 ــ الأحقاف: 32.

وَهو بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنْ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهو الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ﴾[1].

- ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

ففي الآيتين الأولى والثانية إثبات حكم لشيء بناء على ثبوته لنظيره لأن من خلق الشيء يكون قادرا على خلق مثله، فمثلا في الآيات 3-4 إثبات حكم شيء بناء على ثبوته لما هو أبعد في الإمكان منه، فإن خلق السماوات والأرض (في الآية الثالثة) أعظم بكثير من خلق الناس، ومن خلق ما هو أعظم في الوجود يكون قادرا على أن يخلق ما هو أقل منه من باب الأولى وفي الآيتين 4-5 يستدل القرآن على النشأة الأخرى والبعث بالنشأة الأولى، فمن قدر على بدء الخلق من عدم، يكون من باب أولى قادرا على إعادة الخلق مرة ثانية، لأن هذا أهو ن وأيسر، وكذلك من قدر على خلق الشيء، من ضده – وهو النار من الشجر الأخضر– أولى به أن يكون قادرا على خلق الشيء من عناصره.

3- القياس الإضماري: وهو القياس الذي تحذف فيه إحدى المقدمات لظهورها ودلالة المقام على حذفها وهو شائع الاستعمال في الاستدلال الخطابي[3].

ويقوم على الحذف والإيجاز كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِنْ الْمُمْتَرِينَ﴾[4].

فهذا دليل على بطلان زعم النصارى في قولهم أن عيسى ابن الله، ولم تذكر في هذا الدليل إلا مقدمة واحدة وهي إثبات مماثلة آدم لعيسى، (عليهما السلام) في الآدمية، وطوى ما عداها من الأوصاف، وفحوى الدليل: إذا كان آدم ليس ابنا باعترافهم، فعيسى ليس ابنا كذلك[5].

بل الأقرب إلى العقل كما يقول الفخر الرازي أن تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم من تولده من التراب اليابس[6].

---

1 ــ يس: 78 – 81.

2 ــ الروم: 28.

3 ــ محمد التومي، الجدل في القرآن، ص 246 و أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص 64.

4 ــ آل عمران: 59 – 60.

5 ــ أبو زهرة: المعجزة الكبرى، ص 398.

6 ــ الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، ج ، ص 79.

وقد استغنى القرآن الكريم عن هذا كله وحذف هذه المقدمات وأبقى على واحدة فجاء المعنى على إيجازه قوي الدلالة رائع البيان.

4- قياس الخلف:

وهو الذي يتجه فيه القرآن إلى إثبات المطلوب بإبطال نقيضه وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان، ولا يخلو المحال من أحدهما[1].

كما في قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[3].

ثانيا: الجدل:

ومن الأساليب التي استعملها القرآن الكريم في الاستدلال العقلي، أسلوب الجدل والمناظرة والمحاجة ضد أصحاب العقائد الفاسدة من مشركين عبدة الأصنام وصابئة عبدة الكواكب ومجوس عبدة النار وأهل الكتاب الذين أنكروا وجحدوا الدين الإسلامي وما يحويه من عقيدة جديدة، فقاوموه وعاندوه وجادلوا النبي ﷺ الذي ينطق بالقرآن ويجادلهم به.

والهدف من الجدل في القرآن هو إظهار الحق وما أضحى عليه الخصوم من الانحراف عن الدين والعقيدة الصحيحة[4].

ولقد اتبع القرآن في رده على مخالفيه مناهج جدل متعددة[5].

أذكر أهمها:

أ- **السبر والتقسيم**: وهو ما يتخذه المجادل حجة لإبطال كلام خصمه بأن يذكر أقسام الموضوع المجادل فيه، ويبين أنه ليس من خواص واحد ما يوجب الدعوى التي يدعيها الخصم[6].

وهو يمر بعمليتين، أحدهما الحصر وهو المقصود بالتقسيم وثانيهما الإبطال وهو المراد بالسبر.

---

1 ــ محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى، ص 400، وتاريخ الجدل 66.

2 ــ المؤمنون: 91.

3 ــ الأنبياء: 22.

4 ــ راجع المعجزة الكبرى، ص 383.

5 ــ راجع السيوطي: الإتقان والمعجزة الكبرى فيهما تفصيل مناهج الجدل.

6 ــ السيوطي: الإتقان، ص 378، وأبو زهرة، تاريخ الجدل ص 67.

وذكر السبر أولا لأهميته في الدلالة على العلة أو القضية الصحيحة وما التقسيم إلا وسيلة آلية[1].

وفي القرآن من النوع من الاستدلال الكثير من الآيات مثل آية الأنعام في قوله تعالى:

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

ووجه الاستدلال كما بينه السيوطي هو «أن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة، وإناثا أخرى رد تعالى ذلك بطريق السبر والتقسيم فقال: إن الخلق لله تعالى، خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى، فمم جاء تحريم ما ذكرتم، أي ما علته؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم الشاملة لهما، أولا يدري له علة وهو التعبدي» بأن أخذ ذلك عن الله تعالى. والأخذ عن الله تعالى إما بوحي وإرسال رسول، أو سماع كلامه، ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾[3]. فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها:

الأول: يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراما.

الثاني: يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراما.

الثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معا.

فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة، وبعض في حالة، لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه، وبواسطة رسول كذلك، لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي ﷺ، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى، وهو أن ما قالوه افتراء على الله[4].

ب ــ التعريف: ويستعمل الاستدلال بالتعريف في جدال الخصم بأن يؤخذ من ماهية موضوع القول دليل الدعوة، كأن يؤخذ مثلا من حقيقة الأصنام دليلا على أنها لا تصلح أن تكون معبودا، ومن بيان صفات الله تعالى دليلا على أن يكون وحده مستحقا للعبادة[5]؛ ففيما يتعلق بالمثال الأول

---

1 ــ راجع مصطفى شلبي: أصول الفقه الإسلامي، ج.1، ص.242.

2 ــ الأنعام: 143 – 144.

3 ــ الأنعام: 44.

4 ــ السيوطي الإتقان:ج،2، 173 - 174.

5 ــ محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص 347.

جدال إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه إذ قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَاأَبَتِ لاَ تَعْبُدْ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَانِ عَصِيًّا يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنْ الرَّحْمَانِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[1].

وقال جل جلاله: ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنطِقُونَ فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاَءِ يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلاَ يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾[2]؛ وقال تعالى ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾[3]، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبراهيم إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَو يَنْفَعُونَكُمْ أَو يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَ رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[4].

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ

---

1 ــ مريم: 41 – 46.

2 ــ الأنبياء: 61 – 68.

3 ــ الصافات: 95 – 97.

4 ــ الشعراء: 69 – 82.

إِلاَّ أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَو حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيات لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هو الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ﴾[1].

ووجه استدلال إبراهيم عليه السلام في جداله مع أبيه وقومه بيان حقيقة وماهية التماثيل التي كانوا يعبدونها ﴿إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[2].

فهي لا تسمع دعاء عبادها ولا تبصر مكانهم، ولا تنطق فتجيبهم، وأكثر من ذلك فهم الذين ينحتونها من الخشب والحجارة ويصورونها ويشكلونها كما يريدون فكيف تغني عنهم شيئا أو تفعل بهم خيرا من رزق أو نصر وهذا يعني أن الأصنام مخلوقة وهم مخلوقون كذلك، فكيف يتعبد مخلوق لمخلوق مثله فأثبت بذلك إبراهيم عليه السلام بطلان ما هم عليه من عبادة الأوثان إذ ليست العبادة تصلح ولا تجيب إلاَّ للخالق وحده لا شريك له الله سبحانه وتعالى الذي بيَّن إبراهيم عليه السلام صفاته – كدليل بالتعريف – على أنه الوحيد المستحق للعبادة. فهو الخالق لكل شيء والنافع والضار والرازق والرحمان والمميت والمحي وهو على كل شيء قدير[3].

ج– التحدي والإعجاز:

كما تحدى الله تعالى كفار قريش ومازال إلى يومنا هذا (القرن 15 –21) ويبقى إلى قيام الساعة غضا طريا يتحدى الخلائق جميعا ببيانها وفصاحتها ورجاحة عقلها وتقدمها في كل مجالات الحياة. وهذا أسلوب التحدي والإعجاز من أقوى الأساليب والدلالات وأوضح الآيات التي استعملها القرآن في جدال المنكرين للنبوة وتوحيد الله تعالى،فكان القرآن الكريم معجزة الرسول ﷺ الكبرى. لقد أعيا العرب – وهم أصحاب الفن القولي واللغة طوع لسانهم – أن يأتوا ولو بسورة مثله. وأعجز العلماء – وهم أرباب العلم والبحث أدق الأدوات التكنولوجيا طوع أيديهم وما سيتوصلون إليه من معرفة ووسائل تكون أكثر تطورا وتقدما – على أن يخلقوا ولو ذبابة، فآمنوا نبوة محمد ﷺ وهو البشر الأمي. وصدقوا برسالة التوحيد فقال جل جلاله:

---

1 ــ العنكبوت: 16 –27.

2 ــ الأنبياء: 52.

3 ــ راجع ابن كثير: قصص الأنبياء، ص، 129 - 138.

-﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

- ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[2].

- ﴿قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[3].

وقال:﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَو اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ، مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[4].

وقال:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَ قَلِيلًا﴾[5].

فالاستدلال بالتحدي والإعجاز استدلال يقيني لأنه لم يوجد من البشر من ادعى أنه خالق أو شارك في الخلق، كما أن قضية الخلق قضية محسوسة يمكن لكل إنسان إدراكها والتحقق منها، فبطل ادعاؤهم ووجبت العبادة لله تعالى خالق السماوات والأرض.

ونلاحظ في مقام الاستدلال بالجدل والمناظرة «إن القرآن الكريم كان يورد في مناقضة الخصوم في عقائدهم الفاسدة، أدلة فسادها، بحيث لا يستطيع العقل السليم والفطرة المستقيمة إلا الاعتراف والإذعان لهذه الأدلة»[6].

كما أنه وهو يجادل المخالفين كان لا يمد في حبل هذا الجدل.

لقد تبين لنا بناء على ما تقدم أن أساليب القرآن الكريم قد تعددت وتنوعت تبعا لتنوع أغراض البيان القرآني تبعا لتعدد أصناف المخاطبين بذلك البيان، فجاءت مناسبة لكل الأصناف والطبائع، لأنه كتاب يخاطب الناس كافة لم يختص به أحدا أبيضهم دون أسودهم أو أحمرهم، ولم يختص به عالمهم دون عوامهم.

---

1 ــ هود: 13.

2 ــ البقرة: 23.

3 ــ الإسراء: 88.

4 ــ الحج: 73 – 74.

5 ــ الإسراء: 85.

6 ــ عبد الستار نصار، المدرسة السلفية، وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام، ص483.

ففيه البرهان للذين يطلبونه وهم الخاصة من العلماء والمفكرين والفلاسفة، وهناك أسلوب الجدال لأصحاب العقائد المخالفة وقد استعمل معهم طريق الإقناع الإلزامي بتقديم الحجة ودحض الشبهة أو إلزامهم بما عندهم من علم، وهو من أهم الأساليب العقلية، إذ يقوم على عدة مقامات وطرق يستعملها المجادل كالأمثال الأقيسة والتحدي والإعجاز، والتعريف والسبر والتقسيم، أما عوام الناس فقد خصهم بالأسلوب الخطابي الذي يملك عليهم أسبابهم ويستحوذ مشاعرهم وأذواقهم ويستيقظ ضمائرهم وفطرتهم، وفي الحقيقة فإن القرآن الكريم قد مزج بين تلك الأساليب فلم يفصل بين تقديمه للبراهين العقلية، على إثبات الوحدانية أو البعث أو النبوة، وبين جمال الأسلوب وروعة البيان، الذين يستميلان الوجدان، كما أن مخاطبة العامة لم تقتض إلغاء المنطق والعقل[1].

"فالقرآن الكريم نزل بتلك الشريعة الأبدية التي جاءت لكافة وبعث بها النبي ﷺ للناس جميعا بشيرا ونذيرا، لذلك وجب أن يكون القرآن الكريم وهو حجته الكبرى كما علمت فيه من الأدلة والمناهج العقلية وما ينفع الناس جميعا على اختلاف أصنافهم، وتبيان أفهامهم، وتفاوت مداركهم"[2].

وقد كانت الآيات القرآنية هي الزاد الفكري الذي تسلح به علماء الكلام في معارك جدلهم مع منكري العقائد الإسلامية، إذ يقول فخر الدين الرازي "وأنت لو فتشت علم الكلام لم تجد فيه إلا تقرير هذه الدلائل، والذب عنها ودفع المطاعن والشبهات القادحة فيها"[3].

إذا كان كلام الرازي صادقا، فبما نفسر الحملة المضادة لعلم الكلام بذمه وتحريمه والتحذير منه من جهة، والدعوة إلى تجديد منهجه بتجاوز صور استدلاله القديمة التي لم تعد تناسب العقلية المعاصرة من جهة أخرى؟

1 ــ راجع محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، ص 59.

2 ــ نفس المرجع، ص 61.

3 ــ مصطفى عبد الرازق: التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص 264.

الفصل الثالث

دواعي تجديد المنهج

وأسس منهج علم العقيدة المعاصر

(المنهج العلمي)

التمهيـــــد

المبحث الأول: دواعي تجاوز الأدلة القديمة

وتجديد المنهج

المبحث الثاني: التطور العلمي وأسس المنهج الجديد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التمهيد

لقد عرضت منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة الإسلامية استدلالا ودفاعا حتى أؤكد سموّه، وأضعه محكا مقارنا بمنهج علم العقيدة حتى يتضح لنا مدى ما انتهى إليه هذا الأخير من انحراف وعجز وما علق به من شوائب وأفكار دخيلة.

وفي مقارنتنا له بالمنهج القرآني وتطوّر العلوم الكونية المعاصرة تبين لنا مدى صلاحيته لهذا العصر من حيث الخطاب والمخاطب.

فعلم العقيدة لما كان علما زمنيا، كما بيّنا سابقا[1]، قد تحكمت في مساره وتحديد وجهته مجموعة من المكونات والعناصر والعوامل، التي واكبت نشأته أو أدت إلى نشأته وتطوره، وأغلب تلك العناصر والعوامل كما هو معلوم تنتمي إلى عنصر مضى وانقضى ولم يبق منه سوى ما حفظه لنا التاريخ، ولم يكن الفكر الإسلامي عموما ومنه علم العقيدة، الذي ولد وتطور في تلك العصور الماضية إلاّ مرآة ارتسمت فيها الأسئلة والتحديات والعلوم المتداولة آنذاك.

بينما ما يميّز هذا العصر هو العقلية العلمية التي ولّدت معطيات وعناصر جديدة طرحت إشكاليات وتحديات وتصورات مغايرة في أغلبها للعصور السابقة.

علمنا أن علم العقيدة نبع من القرآن الكريم موضوعا ومنهجا ومن واقع المسلمين، وتطور منهجه في الاستدلال على المسائل العقدية ورد شبه الخصوم دفاعا ومنافحة عن الدين الإسلامي مستعينا بأسلحتهم.

فأحسن المسلمون منازلة خصومهم وانتصروا عليهم محتفظين بالروح العامة لطبيعة المنهج القرآني يوم وعوا بحق قسماته وواقعهم المعاش.

إلاّ أن علم العقيدة أصابه الضعف والوهن إلى درجة العجز عن أداء مهمته حيث تحول إلى مجادلات تقوم على التولدات والإلزامات دون أن تغذي القلب أو يطمئن إليها العقل ويرجع ذلك إلى عدة أسباب تتجلى لنا في هذا الفصل نجملها فيما يلي:

أ ـــ الابتعاد عن المنهج القرآني إذ «في القرآن العزيز للعاقل غنية كبيرة ولصاحب الداء العضال دواء وشفاء كامل قال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ومقنع شاف

---

1 ـــ راجع الفصل الأول، تعريف علم العقيدة.

2 ـــ الإسراء: 82.

لمن عزم على طريق النجاة ورغب في سمو الدرجات وترك العلوم التي تورد عليها الشبه والشكوك، فيضيع الوقت ويخاف المقت إذ المنتحل لتلك الطريقة قلما ينجو من التشغيب أو يشغل برياضة نفسه وتهذيبها فإنه مستغرق الأوقات في إرداع الخصوم الذين لم يوجد لهم عين ودفع شبه يمكن أن وقعت للخصم ويمكن إن لم تقع، فقد تقع وقد لا تقع، وإذا وقعت فسيف الشريعة أردع وأقطع»[1].

ب ــ الاختلاط بمسائل الفلسفة: وما ذلك التجريد والافتراضات علم الكلام التي أشار إليها ابن عربي إلاّ نتيجة اختلاطه بالفلسفة وفي الإلهيات والبحوث الطبيعية وغيرها خاصة عند المتأخرين منهم وكان ذلك بغرض الرد على ما تتضمنه من آراء مخالفة للعقيدة الإسلامية، ودعم المواقف الكلامية بعض أفكار هؤلاء الفلاسفة فيما سوى ذلك، والتطلع إلى بناء ميتافيزيقا كلامية أي نظرية شاملة للوجود من منظور إسلامي[2].

وقد تطور الأمر إلى درجة التطابق حيث اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين، والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة[3]، ولولا استشهاد المتكلمين أحيانا بالأدلة السمعية لما تميزت مادة علم الكلام عن الفلسفة.

جـ ــ نظرية تبادل الأسلحة الفكرية: إن ذلك الاختلاط بالفلسفة بالنسبة للموضوع كان له سبب منهجي غائي (وظيفي) وهو الاستعانة بوسائل وأسلحة الخصوم أصحاب الأديان والفلاسفة لمحاربتهم إلى الدرجة التي تأثر فيها المتكلمون ــ إلى حد ما ــ بآراء أصحاب تلك الأسلحة عن طريق كل أنواع النزال والمحاربة كالحوار والجدال والمناظرة والتأليف «فالمحارب مأخوذ بطرق محاربه في القتال مقيد بأسلحته متعرف لخططه، وكل ذلك من شأنه أن يجعل الخصم متأثرا بخصمه آخذا بعض مناهجه، والحال كذلك في معرفة الأفكار، حيث نجد أن للعدو تأثيرا في تكوين الأفكار ليس بأقل من تأثير الحليف فيه»[4].

وفي ذلك يقول أبو حامد الغزالي: «فلقد قام طائفة منهم (المتكلمون) بما ندبهم الله تعالى إليه، فأحسنوا الذبَّ عن السنة، والنضال عن العقيدة المتلقاة بالقبول من النبوة، والتغيير على وجه ما أحدث من البدعة، ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم، واضطرهم إلى تسليمها إما التقليد، وإجماع الأمة، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار.

---

[1] ــ ابن عربي (محي الدين): الفتوحات المكية، ج1، ص 35.

[2] ــ الشافعي (حسن محمود): المدخل إلى دراسة علم الكلام، ص 116.

[3] ــ ابن خلدون، المقدمة،ص 466، وانظر فواتي وغارديه : فلسفة الفكر الديني، ج1، ص 128 وما بعدها.

[4] ــ السنهوتي (محمد الأنور): دراسة نقدية في مذاهب الفرق الكلامية، ص 209 – 210.

وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم، ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم، وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئا أصلا.

فلم يكن الكلام في حقي كافيا، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافيا»[1].

فقد شذ المعتزلة في آرائهم ووقع الأشاعرة في بعض مزالق عقدية وحتى الحنابلة الذين حاربوا علم الكلام وذموا أساليب الخصوم حملتهم قواعد الحرب وسننها إلى الشذوذ في بعض آرائهم والانزلاق وراء أفكار الخصوم كابن تيمية[2] الذي تأثر بالفلاسفة في قوله بالقدم النوعي للمادة[3] وأن الأشياء تكمن فيها أسباب ذاتية[4] وهو الذي ما فتئ يحذر من أضاليلهم وابتدعاتهم ويوصي بالوقوف عند نصوص الكتاب والسنة.

وهذه الظاهرة (التأثر بالخصم) يطلق عليها بعض الباحثين اسم نظرية تبادل الأسلحة الفكرية.

فأدى هذا الوضع المتدهور لعلم الكلام التقليدي إلى دعوة لتجاوز منهجه، وإعادة بناء منهج جديد يقوم على روح المنهج القرآني واستفهامات العصر ومعارفه.

وما ذلك إلاّ لأهمية وخطورة طرق الاستدلال في الدفاع عن العقيدة والدعوة إليها، فكما قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: «إن الأدلة التي نحررها في هذا العلم تجري مجرى الأدوية التي يعالج بها مرض القلوب، ولطبيب المستعمل لها إن لم يكن حاذقا ثاقب العقل رصين الرأي كان ما يفسده بدوائه أكثر مما يصلحه»[5].

وبناء على ذلك ينبغي أن ندرس أهم صور الاستدلال القديمة، سبب قصور مناهج علم الكلام التقليدي، وأحد البواعث الموضوعية للدعوة لتجاوزها، ثم نعرض أسس المنهج الجديد في ضوء التطور العلمي المعاصر وطبيعة العلاقة بين علم العقيدة والعلوم الكونية.

ما هي أسباب ودواعي الدعوة إلى تجاوز صور الاستدلال القديمة؟ وتجديد المنهج؟ وما هي أسس المنهج العلمي المعاصر؟ وما صلته بالقرآن الكريم والتطور العلمي المعاصر؟

---

1 ــ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص 89 – 91.

2 ــ انظر البوطي (محمد سعيد رمضان): السلفية، ص 164 – 186.

3 ــ راجع ابن تيمية: نقد مراتب الإجماع على هامش مراتب الإجماع لابن حزم، ص 168 - 170، وابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج13، ص 318 – 319.

4 ــ ابن تيمية: مجموع الفتاوي: 425/2، 112/3، 287/9، 312، وما بعدها.

5 ــ الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد، ص 07.

المبحث الأول

دواعي تجاوز الأدلة القديمة وتجديد المنهج

إن التقد العلمي في عصرنا هذا أدى إلى ظهور شبهات مستجدة وجعل الشبهات القديمة بلا موضوع مما أدى إلى تجديد التحديات:

كما وفر الكثير من صور الاستدلال والبراهين الجديدة التي لم يعهدها سابقا مما أفقد قيمة الكثير من صور الاستدلال القديمة اليوم فضلا عن فسادها في ذاتها وعدم صلاحيتها وملاءمتها للواقع الذي كان يحياه عامة المسلمين قديما.

يا ترى هل يمكننا استعمال منهج علم العقيدة التقليدي وأساليب استدلاله الذي أملته طبيعة البيئة التي تطور فيها بكل ملابساتها وتحدياتها؟ وثم هل يمكننا تعميم الآراء والمناهج الكلامية التي نتجت عنه، وتبلورت في فضاء أسئلة وتحديات تلك العصور لأسئلة تطرحها حياتنا الراهنة وتنبثق من تحديات تختلف عن التحديات الماضية؟

فما هي مظاهر قصور الأدلة القديمة؟ وما هي التحديات الجديدة؟

يمكننا أن نحصر دواعي تجديد المنهج في سببين رئيسيين هما:

أولا ـــ قصور أهم الأدلة القديمة وعدم ملاءمتها للواقع المعاصر.

ثانيا ـــ التحديات الجديدة.

المطلب الأول: قصور الأدلة القديمة وعدم ملاءمتها للواقع المعاصر والمنهج القرآني

لقد استخدم المتكلمون المتقدمون والمتأخرون منهم أثناء بحوثهم واستدلالاتهم صيغا معينة يصوغون فيها معارفهم وأفكارهم التي أخذوها من طريق النقل أو طريق العقل يثبتون بها دعواهم أو يدفعون بها هجوم خصومهم وشبهاتهم أو يبينون فساد أدلة هؤلاء الخصوم أو نحو ذلك من الأغراض، وتعد هذه الصيغ الأسس المنهجية لصورهم الاستدلالية.

إلاّ أن أغلبها كان قاصرا في ذاته لقصور تلك الأسس وعدم ملاءمتها للواقع المعاصر والمنهج القرآني.

وسنقتصر على دراسة ثلاثة أدلة فقط لكون كل الأدلة الكلامية تنبني عليها وأكثرها تعرضا للنقد ولصلتها المباشرة بالتطور العلمي المعاصر.

فما هي هذه الأدلة، وما هي أسسها المنهجية التي انبنت عليها؟

أولا ــ أهم الصور الاستدلالية:

ا ــ دليل الجوهر الفرد

لقد استعمل المتكلمون نظرية الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ في البرهنة على كثير من المشكلات الكلامية ومن أهمها إثبات حدوث العالم للبرهنة على وجود الخالق وعلم الله وقدرته الشاملة لكل شيء.

1 ــ التعريف به:

وملخص هذا الدليل في الاستدلال على وجود الله تعالى، أن جميع ما في العالم مكوّن من جواهر أو أعراض، والجوهر هو الشيء الذي يقوم بذاته ويكون له حيز، والجواهر إما مركبة للجسم أو غير مركبة كالجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ[1]، أما العرض فهو ما يقوم بغيره أو هو ما يعرض للشيء ثم ينتقل ليحل محله عرض آخر كالحركة والسكون[2]، فالأعراض لا تبقى زمانين متتاليين، وإنما يطرأ عليها التغيير والتحول، والمتغير حادث فهي حادثة.

والجواهر لا تنفك عن الأعراض التي هي ملازمة لها، وما لاينفك عن الحادث أو ما لا يسبق الحوادث، فهو حادث، لامتناع حوادث لا أول لها، فالجواهر حادثة بحدوث الأعراض[3]؛ وما دام العالم مكونا من جواهر وأعراض حادثة، وكان العالم حادثا أيضا، أي وجد بعد أن لم يكن، وكل حادث لا بد له من محدث أحدثه وأوجده[4]؛ لا يمكن أن يكون حادثا مثله وإلا لزم التسلسل والدور وهما باطلان، وهذا المحدث للعالم هو الله تعالى[5].

فقد استدل المتكلمون على وجود الله تعالى بالاستدلال على حدوث العالم، وبنوا حدوثه

---

1 ــ الجرجاني (علي بن محمد): التعريفات، ص 108، ومحمد علي أبوريان: تاريخ الفكر في الإسلام،ص 197.

2 ــ الجرجاني: نفس المرجع، ص 182.

3 ــ ابن تيمية: منهاج السنة، ج1، ص 205، والشهرستاني: نهاية الإقدام: ص 211.

4 ــ أبو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد،ص 15 – 16، والإسفراييني: المبصرة في الدين، ص 129 – 130.

5 – للتفصيل راجع:الجويني:الإرشاد إلى قواطع الأدلة،ص 22،وما بعدها،ومحمود قاسم:مقدمة كتاب مناهج الأدلة لابن رشد ص12.

على القول بتركيب الأجسام من أجزاء لا تتجزأ، أي أن الأجسام تنحل إلى أجزاء صغار لا يمكن البتة أن يكون لها أجزاء، وأن تلك الأجزاء جواهر لأجسام لها، وبأن الجزء الذي لا يتجزأ محدث، لأنه غير متعرى عن الأعراض الحادثة، وأن الأجسام محدثة بحدوثه[1].

وهذه الجواهر الفردة (الذرات) في تصور المتكلمين تتصف بصفتين:

1 ــ أنها نهاية ما يمكن أن تنقسم إليه الجسم، ومن ثم فهي لا تنقسم لا قطعا لصغرها ولا كسرا لصلابتها ولا وهما ولا فرضا لعجز الوهم عن تمييز طر منها عن طرف.

2 ــ أنها محدودة بمعنى أنها متناهية بالفعل، أي أنها الجزء الذي إليه ينتهي.

وقد استدلوا بالجوهر الفرد على علم الله وقدرته، فالله يحيط بكل شيء ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[2]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[3]، ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[4]؛ والإحاطة تقتضي التناهي، والإحصاء لا يكون إلاّ بما له نهاية، لأن ما لا نهاية له من المحال إحصاؤه وأخبرت الآية أن الإحصاء متحقق في حقه تعالى، أي لكي تكون أجزاء العالم قابلة لأن يحيط بها علم الله تعالى وقابلة للعد وجب أن تكون متناهية ومحصورة العدد، الشيء الذي يستلزم وقوف التجزئة عند حد ما أي عند جزء لا يتجزأ[5].

هذا فيما يتعلق بالعلم الإلهي أما فيما يتعلق بالقدرة الإلهية فإنه لما كانت الجواهر لا تقوم بذاتها فإن الله هو الذي أوجدها من عدم، وإذا كان قادرا على كل شيء فهو قادر كذلك على التأليف والتركيب والاجتماع والمماسة والافتراق والانفصال بين الجواهر أو الأجزاء، بل يجوز أن يفرق الله سبحانه الجسم ويبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءا لا يتجزأ[6].

---

1 ــ انظر: بينس Pines: مذهب الذرة عند المسلمين، ص: و ــ ز. و1 - 11؛ وابن تيمية: منهاج السنة: ج1، ص 201؛ وابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج5، ص 223.

2 ــ سورة فصلت: 54.

3 ــ سورة يس: 12.

4 ــ سورة الجن: 18.

5 ــ عابد الجابري: مقدمة كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة. لابن رشد، ص 22، وأحمد صبحي: في علم الكلام، ج1، ص 213.

6 ــ أحمد صبحي: نفس المرجع، ج1، ص 212، وعابد الجابري: نفس المرجع، ص 22 –23؛ وأبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج 2، ص 13.

وهذا ما ذهب إليه المعتزلة وعلى رأسهم أبو الهذيل العلاف مؤسس المذهب الذري الإسلامي[1] وكثير من الأشاعرة وعلى رأسهم الباقلاني؛ إلاّ أن موقفهم كان مغايرا لموقف المعتزلة، إذ حولوا (نظرية الجزء الذي لا يتجزأ) إلى نظرية في مناسبة الفعل الإلهي، الأمر الذي أدى إلى تحطيم مبدأ الضرورة والمعقولية في الطبيعة الذي قام على أساسه مذهب الاعتزال، أي أنهم أنكروا مبدأ العلية[2].

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن دليل الجوهر الفرد استخدمه المتكلمون للرد على دعاوي الماديين والجاحدين لوجود الله تعالى الخالق والقائلين بقدم العالم، فأثبتوا حدوث العالم ووجود الله تعالى، وهذا يدل على أن نظرية الذرة عندهم كان مختلفا عن مصدرها اليوناني عند ديمقريطس (ق 5، ق م) إذ كانت نظريته نظرية مادية آلية تؤمن بالمادة والحركة فحسب[3]، وأما المتكلمون فقد انطوت نظرياتهم على التسليم بالعلية الإلهية المطلقة، فهم يرون أن الوجود يشمل على الألوهية والجواهر الفردة، كما هو الشأن عند الأشاعرة[4]، وكانت غاية المتكلمين من هذه النظرية تأكيد القدرة الإلهية في الخلق والإيجاد والتأليف وعلمه المحيط بكل شيء، وإثبات حدوث العالم الذي يتطلب وجود المحدث وهو الله تعالى، وتفسير العالم تفسيرا يتسق مع فكرة الخلق الإسلامية والإيجاد من عدم[5].

وكان استدلالهم في ذلك استدلالا عقليا محضا لأن الدليل النقلي لا يفيد إلاّ الظن عندهم، ويتوقف ثبوت صحته على الدليل العقلي.

إلاّ أن هذا الدليل تعرض للنقد من طرف الفلاسفة والمتكلمين أنفسهم حيث أثاروا حوله الكثير من الاعتراضات والشكوك ووجهوا إليه العديد من الإبطالات، ولا يهمنا هنا صحة الاعتراضات أو عدمها بقدر ما يهمنا وجود الاعتراض في ذاته الدال على اختلاف مناهج المتكلمين من حيث الظنية وعدم التسليم والتعقيد.

وترجع هذه الاعتراضات لعدة أسباب أهمها:

---

1 ـــ محمد أبو ريان: المرجع السابق،ص 196، وعابد الجابري: نفس المرجع، ص 22.

2 ـــ محمد أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ص 205.

3 ـــ عبد القادر محمد علي ماهر: فلسفة التحليل المعاصر، ص 23 – 28.

4 ـــ محمد أبو ريان: مرجع سابق، ص 145.

5 ـــ أحمد صبحي: في علم الكلام، ج1،هامش ص211،وص215،وانظر:دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام،ص119– 120.

2 ــ عيوبه:

2- 1 ــ أنه طريقة معقدة طويلة:

لقد اتبع المتكلمون (معتزلة، وأشاعرة، وماتريدية) في الاستدلال على وجود الله بهذه الطريقة (الجوهر الفرد) مسلكا عقليا يتسم بالدقة ولكن مع التعقيد والتطويل، تتم خطواته على النحو التالي:

أولا ــ إثبات حدوث العالم، ويترتب على الأصول التالية:

الأصل الأول: إثبات الأعراض زائدة على الجواهر، سواء كانت أعراضا محسوسة، أو أكوانا.

الأصل الثاني: إثبات حدوثها، ويقوم هذا الأصل بدوره على أسس أربعة:

1 ــ استحالة عدم القديم.

2 ــ استحالة قيام الأعراض بنفسها.

3 ــ استحالة انتقالها.

4 ــ استحالة كمونها.

الأصل الثالث: إثبات استحالة تخلي الجواهر عن الأعراض.

الأصل الرابع: إثبات امتناع حوادث لا أول لها، والرد على من أنكروا هذا الأمر.

وبذلك تتم الدلالة على حدوث العالم.

ثانيا ــ إثبات المُحدِث:

ثم ينتقل الدليل إلى إثبات المحدث، إذ يترتب على حدوث العالم احتياجه (جواهره وأعراضه) إلى المخصص المحدث[1].

يتبين لنا مما تقدم طول مقدمات هذا الدليل وكثرة تقسيماته مما يمنع ثبوت مطلوبه، كما سنتبين أن هذه المقدمات غير مسلم بها لأنها ليست بينة بنفسها ولا يمكن التوصل إليها بطريق القطع.

فكانت بذلك طريقة المتكلمين التي سلكوها في بيان حدوث الجزء الذي لا يتجزأ طريقة معتاصة تذهب على كثير من العلماء والمهرة بعلم الكلام والحكمة، فضلا عن العامة، ولو كُلّف الجمهور العلم من هذه الطريق لكان من باب تكليف ما لا يطاق.

كما أنها كما يقول ابن رشد: «قد جمعت بين هذين الوصفين معا، أعني أن الجمهور ليس في

---

1 ــ راجع: هشام قرغلي: الأسس المنهجية، ص 29 – 35.

طباعهم قبولها ولا هي مع ذلك برهانية، فليست تصح لا للعلماء ولا للجمهور»[1]، أي ليست مقدماتها البراهين البسيطة التي كلف بها الجميع من عباده الإيمان بها، فكانت غير مفضية بيقين إلى وجود الباري سبحانه، ومن ثم فهي طريقة غير شرعية ولا برهانية صناعية[2].

وتعقد هذا الدليل وكثرة تشعباته وشكوكه العويصة ترجع إلى كون مسألة الجوهر الفرد مسألة طبيعية فلسفية[3]، والمتكلمون اتجهوا أنفسهم في مجال ليس من اختصاصهم، فلم يفصلوا بين ما هو طبيعي وما هو إلهي عقدي، مما جعلهم يسقطون في مواقف تتسم بالإبهام والالتباس والتناقض أو التوسط، مبتعدين عن القرآن الكريم الذي حرصوا على أن يستشهدوا به فيما ذهبوا إليه والالتزام بمنهجه[4]؛ فليس في قوة صناعة الكلام ــ كما يقول ابن رشد ــ تخليص الحق منها، وإنما ذلك لصناعة البرهان أي الفلسفة أو علم الطبيعة، وأهل هذه الصناعة قليل جدًّا والدلائل التي يستعملها المتكلمون في إثبات الجوهر الفرد هي خطابية في الأكثر، وعليه يجب ألاَّ يجعل هذا مبدأ لمعرفة الله تبارك وتعالى، وبخاصة للجمهور، فإن طريقة معرفة الله تعالى أوضح من هذه[5].

ويقول في موضع آخر: «ولذلك ينبغي أن نجعل الفحص عنه (الجسم السماوي) من أمر حركته، وهي الطريقة التي تفضي بالسالكين إلى معرفة الله تبارك وتعالى بيقين وهي طريقة الخواص (يعني علماء الطبيعة)»[6].

2- 2 ــ أنه يعتمد على مقدمات عقلية غير يقينية ولا مسلمة:

لقد اعترض المفكر المعتزلي إبراهيم بن سيار النظام (ت231هـ) على فكرة الجزء الذي لا يتجزأ مخالفا بذلك أستاذه أبو الهذيل العلاف (135 ــ 226هـ) وجمهور المعتزلة، ذلك أنه ذهب إلى أن لا جزء إلاَّ وله جزء، ولا بعض إلاَّ وله بعض، ولا نصف إلاَّ وله نصف، وأن جائز جائز تجزئته أبدا (بلا نهاية) ولا غاية له من باب التجزؤ ولو كان ذلك في الوهم أو التصور

---

1 ــ ابن رشد: مناهج الأدلة، تحقيق الجابري، ص 103.

2 ــ نفس المرجع، ص 103، 105، 111.

3 ــ فعلم الطبيعة كان ضمن العلوم الفلسفية قبل أن يستقل نهائيا في العصر الحديث ولو أنه استقل جزئيا عند بعض علماء الطبيعة المسلمين.

4 ــ راجع هشام حسن فرغل: الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية، ص 136 وما بعدها، وص 276 –277.

5 ــ ابن رشد: مناهج الأدلة، تحقيق الجابري، ص 105 و107.

6 ــ ابن رشد: نفس المرجع: ص 108.

الذهني[1]، وهو الرأي الذي ذهب إليه ابن حزم في نقده لدليل الجوهر الفرد[2].

وقد نقض ابن رشد وكثير من المتكلمين بعض الأصول التي يقوم عليها هذا الدليل لأنه مشكوك فيها، إذ يرى أن المقدمة الأولى القائلة (إن الجواهر لا تتعرى عن الأعراض)[3] إن المقصود بالجوهر الجزء الذي لا ينقسم أي الجوهر الفرد فإن وجوده ليس معروفا بنفسه، أي ليس معطى حسيا ولا بديهية عقلية بل هو نتيجة نظر واستدلال وفي وجوده أقاويل متضادة شديدة التعاند[4]، وهو ما ذهب إليه رئيس الصالحية من المرجئة صالح بن عمر الصالحي إلى أن الجواهر يجوز أن تخلو من الأعراض كلها[5].

واعتراض ابن رشد عن المقدمة الثانية، القائلة أن جميع الأعراض محدثة[6]، يتمثل في أن أحدا من الناس لا يستطيع أن يؤكد حدوث الأعراض جميعا، فهناك كثير من الحالات كالأجرام السماوية، لا تكفي التجارب والملاحظات في إثبات حدوثها، فالقول بحدوث بعض الأعراض المشاهدة لا يبرر القول بحدوثها جميعا، وبالتالي حدوث كل الأجسام، ولأننا لم نستقرئ الأعراض كلها ولا الأجسام كلها[7]، وهو نفس انتقاد الصوفي ابن عربي إذ يقول: «دلت الأشعرية على حدوث كل ما سوى الله بحدوث المتغيرات وحدوث أعراضها، وهذا لا يصح حتى يقيموا الدليل على حصر كل ما سوى الله فيما ذكروه»[8].

وقد انتقد هذه الطريقة كذلك ابن تيمية (ت 728هـ)[9].

أما الأصل القائل بامتناع حوادث لا أول لها فبحاجة إلى دليل صحيح، كما يقول الدكتور محمود

---

1 ـ راجع مقالات الإسلاميين، ج2، ص 16، وأحمد صبحي، في علم الكلام، ص 236.

2 ـ راجع ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج1، ص 57- 58، و58 -67، وسالم يافوت: ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، ص 322 وما بعدها، وص 328 وما بعده.

3 ـ أوردها في الأصل الثالث من المقدمة الأولى عند ذكر حضرت هذا الدليل، انظر السبب الأول من هذا الفصل. ص137.

4 ـ ابن رشد: مناهج الأدلة، ص 105، وراجع عابد الجابري: ابن رشد سيرة وفكرة، ص 122.

5 ـ راجع: البغدادي: أصول الدين، ص 57، وهشام فرغلي: الأسس المنهجية: ص 35.

6 ـ أوردها في الأصل الثاني من المقدمة الأولى من هذا الفصل. ص137.

7 ـ ابن رشد: مناهج الأدلة، ص 108، والجابري: هامش مناهج الأدلة ص 107، وابن رشد سيرة وفكرة: ص 123.

8 ـ ابن عربي: الفتوحات المكية، ج1، ص 43 وما بعدها.

9 ـ راجع كتاب الرد على المنطقيين، ص 224، ودرئ تعارض العقل والنقل، ص 20 وما بعدها.

غراب: «اعتراف الشهرستاني نفسه (الأشعري) في مطلع كتابه نهاية الإقدام بأن هذا الدليل لا يتم للأشعري ومن تابعه في الاستدلال به، إلاّ إذا تم لهم أولا الدليل على بطلان وجود حوادث متعاقبة لا نهائية»[1]؛ وقد ساق الأشاعرة المتأخرون أدلة كثيرة للرد على هذا الاعتراض وإثبات استحالة وجود حوادث لا أول لها، منها برهان التطابق وبرهان التضايف، إلاّ أن الشيخ محمد عبده ردهما وبين بطلانهما، فقال: إن جميع ما قالوه في بطلان التسلسل من البراهين فإنما هو مبني على أوهام كاذبة يردعها البرهان الصريح، وإلى الآن لم يقم برهان خطابي، فضلا عن يقيني على وجوب تناهي سلسلة اجتمعت أجزاؤها في الوجود على الترتيب، أو لم تكن كذلك، فإن ثبت تناهي الحوادث فلشيء آخر لا يتعلق بالتسلسل استحالة أو جوازا، وطريق إثبات الواجب متسع بما فيه منذوحة عن ارتكاب مثل هذه الأوهام»[2].

فبرهان التطابق عنده سفسطة، وبرهان التضايف فيه تمويه، وليست له صحة على أي تقرير تقرير.

ومما يبين كذلك أكبر هوة الخلاف بين المتكلمين، والمواقف المتناقضة والمتغيرة للمدرسة الواحدة والشخص الواحد ـــ فضلا عن المدارس المختلفة ـــ حول دليل الجزء الذي لا ينقسم، وظنيته ومن ثم عدم التسليم به، موقف أبي الحسن الأشعري (260 – 324هـ) المتغير من هذا الدليل.

فاستنادا إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[3] رأى أن الإحصاء لا يحيط إلاّ بما له نهاية. لأن ما لا نهاية له من المحال إحصاؤه، وقد أخبرت الآية الكريمة أن الإحصاء متحقق، ولذا يجب أن تكون أجزاء أي جسم ـــ والعالم جسم كبير ـــ متناهية في عددها، وهذا يعني حدوث العالم[4].

إلاّ أنه في رسالته إلى أهل الثغر صرح بأن هذه الطريقة بدعة محرمة في دين الأنبياء[5]، والفخر الرازي نفى الجزء الذي لا يتجزأ في كتابه المباحث[6].

كما أن المتكلم الأشعري أبي المظفر الإسفراييني (ت 471هـ) انتقد إلزامات العلاف القائل بالجزء

---

1 ـــ محمود غراب: الأشعري، ص 139 – 140.

2 ـــ محمد عبده: حاشيته على شرح جلال الدواني على العقائد العضدية، ص 115، وراجع ص 105 – 115.

3 ـــ سورة يس: 12.

4 ـــ الأشعري: رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام، ص 94.

5 ـــ الأشعري: أصول أهل السنة وإجماع الأمة = رسالة أهل الثغر، ص 54 – 96.

6 ـــ فخر الدين الرازي: شرح الإشارات والتنبيهات، ص 89 – 90.

الذي لا يتجزأ[1]، وإلزامات النظام الرافض لهذا الدليل ورد على قوله بأن أجزاء الجزء لا تتناهى ؟! [2].

فقد خالف الإسرافيني المعتزلة ونصر الأشاعرة خصومهم الذين تبنوا نظرية العلاف في الجزء الذي لا يتجزأ، إلاّ أنهم اتخذوا موقفا مغايرا لموقف المعتزلة مما أدى بهم إلى إلزامات مخالفة لإلزاماتهم.

2 – 3 ــ إلزاماته:

واستعمال المتكلمين هذا الدليل قد ألجأهم إلى مآزق لم يمكنهم التخلص منها، واضطروا إلى أن ألزموا أنفسهم لأجلها لوازم معلومة الفساد[3].

1ــ فلقد التزم المعتزلة والأشاعرة لأجله القول بتناهي مقدورات الله تعالى ومعلوماته، إذ لا يقدر ــ كما يقول أبو الهذيل العلاف ــ أن يقسم الجسم إلى أقل مما قسم إليه وهو (الذرة).

2 ــ والتزم كذلك لأجله الأشاعرة القول بأن الماء والهواء والتراب والنار له طعم ولون وريح لأنهم احتاجوا إلى جواب النقض الوارد عليهم لما أثبتوا صفات الله مع الاستدلال على حدوث الأجسام بحدوث الأعراض، فقالوا: إن صفات الأجسام أعراض، أي أنها تعرض فتزول فلا يبقى بخال، بخلاف صفات الله فإنها باقية[4].

3 ــ بينما التزم لأجله المعتزلة وغيرهم نفي صفات الله مطلقا، أو نفي بعضها لأن الدال عندهم على حدوث الموصوفات (الأجسام) هو قيام الصفات (الأعراض) بها، ولما كان المتعلق بالحادث حادثا، التزموا حدوث كل موصوف بصفة قائمة به.

4 ــ ومن ثم التزموا (المعتزلة) القول بانقطاع حركات أهل الخلدين (الجنة والنار)، وأنهم يصيرون إلى سكون دائم جمودا، إذ قال أبو الهذيل العلاف: «إذا دخل ذلك الوقت (انتهاء مقدوراته سبحانه وتعالى فلا يقدر على شيء) فني نعيم أهل الجنة، وعذاب أهل النار، حتى لا يقدر الباري سبحانه وتعالى على أن يزيد في نعيم أهل الجنة ذرة، ولا في عذاب أهل النار ذرة ...»[5]، والحكم بفناء الجنة و النار

---

1 ــ الأسفرايني: التبصرة في الدين، ص 60.

2 ــ نفس المرجع، ص 61، وينظر: مذهب الذرة عند المسلمين، ص 11 وما بعدها.

3 ــ محمد السيد الخليفة: قضية التوحيد بين الدين والفلسفة، ص 124.

4 ــ الأسفرايني: التبصرة في الدين، ص 134 – 135، وانظر: الخليفة: قضية التوحيد، ص 124.

5 ــ الأسفرايني: نفس المرجع، ص 60، وانظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص 51، وابن حزم: الفصل، ج1، ص 52 – 58، وج4، ص 43 – 158.

قريب من مذهب جهم بن صفوان (ت 124هـ)[1].

كما التزم المعتزلة بناء على مذهبهم في الصفات القول بخلق القرآن وإنكار رؤية الله في الآخرة، وغيرها من الإلزامات الباطلة التي التزمها المعتزلة وغيرهم من المتكلمين من أطرد مقدمات هذا الدليل الذي جعلوه أصل دينهم[2].

فالقول بفناء الخلدين يبطل الرغبة والرهبة، ويهدم الوعد والوعيد، كما أن القول بتناهي مقدورات الله تعالى وعلمه حتى يحصيها الله ويحيط بها علما، ونفي الصفات، إنما هو تصوّر للصفات الإلهية على نحو إنساني وهذا باطل في حق الله تعالى، وخلل منهجي معرفي عند المتكلمين.

وبناء على ما تقدم، إذا كان هذا الدليل غير برهاني ولا مسلم به عند المتكلمين والفلاسفة (ولا علماء الطبيعة) المتقدمين منهم والمتأخرين والمحدثين، فما هو موقف العلم المعاصر من مسألة الجوهر الفرد أو الذرة؟

3 ــ دليل الجوهر الفرد في ميزان العلم المعاصر

لقد اعتمد علم الكلام على الطبيعيات التقليدية أو ما توفر منها في عصرهم، واستند إلى معطياتها كحقائق نهائية، بينما نسخت العلوم الطبيعية المعاصرة معظم الأفكار والقوانين التي قامت عليها الطبيعيات بالأمس قديما وحديثا، وبرهنت الاكتشافات المعاصرة لقوانين الطبيعة في الفيزياء والكيمياء والفلك، وغيرهم، على أن الكثير من قوانين تلك الطبيعيات وأفكارها خرافات وأوهام محظة.

ومن بين تلك المسائل الطبيعية وأهمها نظرية الجزء الذي لا يتجزأ أو الذرة، حيث تجزء الجزء الذي لا يتجزأ حينما فجرت الذرة، فانهارت بذلك نظرية الجوهر الفرد وانهار معها دليل الجوهر الفرد، وكل ما قام على هذا الدليل من نتائج وبنى فكرية وعقدية بناء على مبدأ، «بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول»، الذي قال به الأشاعرة المتقدمون على الخصوص، أي بطلان حدوث العالم ووجود الله تعالى وهذا غير صحيح.

فقد أثبت العلم المعاصر في مجال الفيزياء والكيمياء أن العالم متكون من عدة مواد بسيطة تسمى العناصر اكتشف منها أكثر من مائة عنصر، وأن هذه العناصر تتألف من دقائق صغيرة جدا،

---

[1] ــ الشهرستاني: نفس المرجع، ج1، ص 87 –88، وابن حزم: الفصل، ج5، ص 58.

[2] ــ ابن تيمية: درئ تعارض العقل والنقل، ج1، ص 25 – 26، والملل والنحل، ج1، ص 44 – 45.

تسمى الذرات بحيث أن الملمتر الواحد من المادة يحتوي على ملايين من تلك الذرات، فدخلت الذرة إلى المجال التجريبي ومناهج العلم وأدواته التفسيرية، أو كما قال ريشنباخ (H . Reichenbach) اقتلعت نظرية الذرة من تربة التأمل الفلسفي وأعيد غرسها في تربة البحث العلمي[1].

والذرات تحتوي على نواة تمثل مركز الثقل بالنسبة لوزن الذرة، وإليكترونات Electrons تحمل شحنة سالبة تدور حول النواة، والنواة تحتوي على جسيمات البروتونProtons وجسيمات النيوترونات Neutrons، والفرق بينهما أن البروتون يحمل شحنة موجبة تعادل الشحنة السالبة في الإلكترون، بينما النيوترون متعادل أي لا يحمل أي شحنة كهربائية على الإطلاق فهو جسم محايد[2]، فتشكلت بذلك الصورة الأساسية للذرة.

وهذا يعني أن الذرة قابلة للانقسام، وحتى نواتها قابلة للانشطار، وقد تم ذلك فعليا بتفجير القنبلة الذرية والنووية والهيدروجينية.

ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، إذ باطراد تطور الأبحاث وتقدم الدراسات المعمقة والتجارب في مجال الذرة اكتشف العلماء أن هذه الجزيئات الأساسية تنقسم أيضا إلى نوعين من الجسيمات الدقيقة نوع خفيف يدعى ليبتون Lipton يتكون منه الإليكترون ونوع ثقيل يدعى الكواركات Quarks يتكون منه البروتون والنيوترون، والكواركات يعرف ستة (06) أنواع منها تتشكل في ثلاثة أجيال مجموعات في كل جيل نوعان حسب الشحنة الكهربائية وهي:

1 ــ كوارك قمة أو نهائي Q. Top (t) وزميله كوارك أدنى (قاع) Botton (b)

2 ــ كوارك ساحر Q. Charm (c) وزميله كوارك غريب Strong (s)

3 ــ كوارك أعلى Q. Up (u) وزميله كوارك أسفل Down (D)[3].

وقد أثبتت التجارب وجود كل هذه الكواركات إلاّ الكوارك النهائي (t) الذي ما زال قيد الدراسة حيث يسعى مئات العلماء والباحثين في كثير من الدول إلى الكشف عن أسراره وتفجيره بأضخم

---

1 ــ هانز ريشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ص 151، وانظر: ماهر عبد القادر، فلسفة التحليل المعاصر، ص 37.

2 ــ جسم الإلكترون اكتشفه العالم البريطاني جوزف ضمسون Thomson عام 1898، وجسم البروتون اكتشفه مواطنه العالم إرنست رادرفورد E. Rutherford عام 1914، واكتشف العالم البريطاني جيمس شادويك J. Chaduik عام 1932 جسم النيوترون.

3 ــ محمد ممدوح الخطيب: بنية المادة بين الوجود والعدم، ص 208، وانظر: Science et Vie. 1996. p 24.

الوسائل التكنولوجية وأدقها وأعقدها[1] (انظر الشكل رقم 1)؛ وكل ما يعرف عنه أنه أثقل 180 مرة من البروتون، أي يقارب وزن ذرة الذهب[2].

فجزيئ الإلكترون السالب يتكون من ثلاث (03) جسيمات لبتون وتشدها معا جسيمات أخرى حاملة للقوى النووية الضعيفة[3]؛ تعرف باسم بوزون Boson، اكتشف سنة 1983[4]، ويتكون جزء البروتون الموجب من ثلاثة (03) كواركات معا منها اثنان من نوع أعلى (2u)، وواحد من نوع أسفل (d1) ويكون مجموع الشحنة الكهربائية في النهاية «واحد» بالموجب هي شحنة البروتون الحالية.

والنيوترون يتكون كذلك من ثلاثة كواركات، لكن اثنان من نوع أسفل (d2) وواحد من نوع أعلى (u1) فيكون الناتج مجموع الشحنة الكهربائية «صفر»، ويشد هذه الكواركات معا جسيمات أخرى حاملة للقوى النووية الشديدة تعرف باسم جليون Gluon[5]، أي اللاصق، (انظر الشكل رقم 2).

كما أن هناك مكونات أخرى عديدة للذرة ليس هذا مجال العديد عنها يتجاوز عدد المكتشف منها حتى سنة1993حوالي136 جسيما، ويبدو أنها تنقسم إلى ما لا نهاية، بل اكتشف العلماء أن لكل جسم نقيضا مضادا له تماما مساويا له في الكتلة ولكنه مغاير في الشحنة مثل الإليكترون السالب ونقيضه البوزيترون Positron.

وقد أثبت العلم إمكان تبديل العناصر بعضها ببعض كتحويل عنصر اليورانيوم إلى عنصر الراديوم مثلا، بل أكثر من هذا قد تمكن العلم من تحويل بعض أجزاء الذرة إلى جزء آخر،

---

1 — Science et vie, op, cit, p p 23 – 24. et p 27.

2 — Ibid. p 26.

3 — القوى النووية الضعيفة هي إحدى القوى الأربع الأساسية في الكون التي تعمل على تماسك المادة في الكون، وهي القوة الجاذبية، والقوة الكهرومغناطيسية، والقوة النووية الشديدة والقوة النووية الضعيفة.

— فالقوة الكهرومغناطيسية: هي قوة ذات مدى لا نهائي أو غير محدود، وتؤثر على الجسيمات المشحونة، وتأثيرها يحدد حجم الذرة وانتظام حركة الجسيمات بداخلها.

— القوة النووية الشديدة: تعمل على تفكك الجسيمات داخل الذرة، وتتحاد نوى الذرات معا، وتعد من أكبر القوى في الطبيعة.

— القوة النووية الضعيفة: تعمل على تفكك الجسيمات المكونة للذرة.

— القوة الجاذبية: تؤثر على جميع الجسيمات المكونة للمادة كما تؤثر على الطاقة، وهي أضعف القوى الأربعة على الإطلاق.

(انظر: جلال عبد الفتاح: الكون ذلك المجهول، ص 123 – 124. و Science et vie, op, cit. p 24).

4 — محمد ممدوح الخطيب: المرجع السابق، ص 90 – 93.

5 — انظر: محمد ممدوح الخطيب: المرجع السابق، ص 93 – 103. وجلال عبد الفتاح: المرجع السابق، 116 — 117.

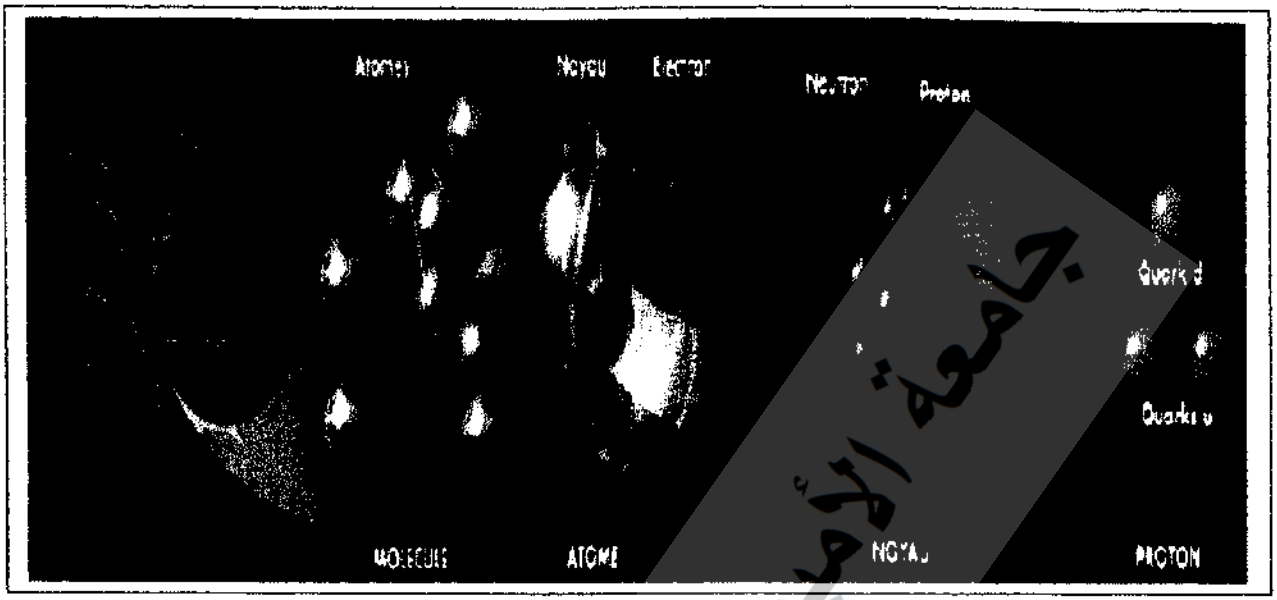

الشكل 1: مكونات الذرة

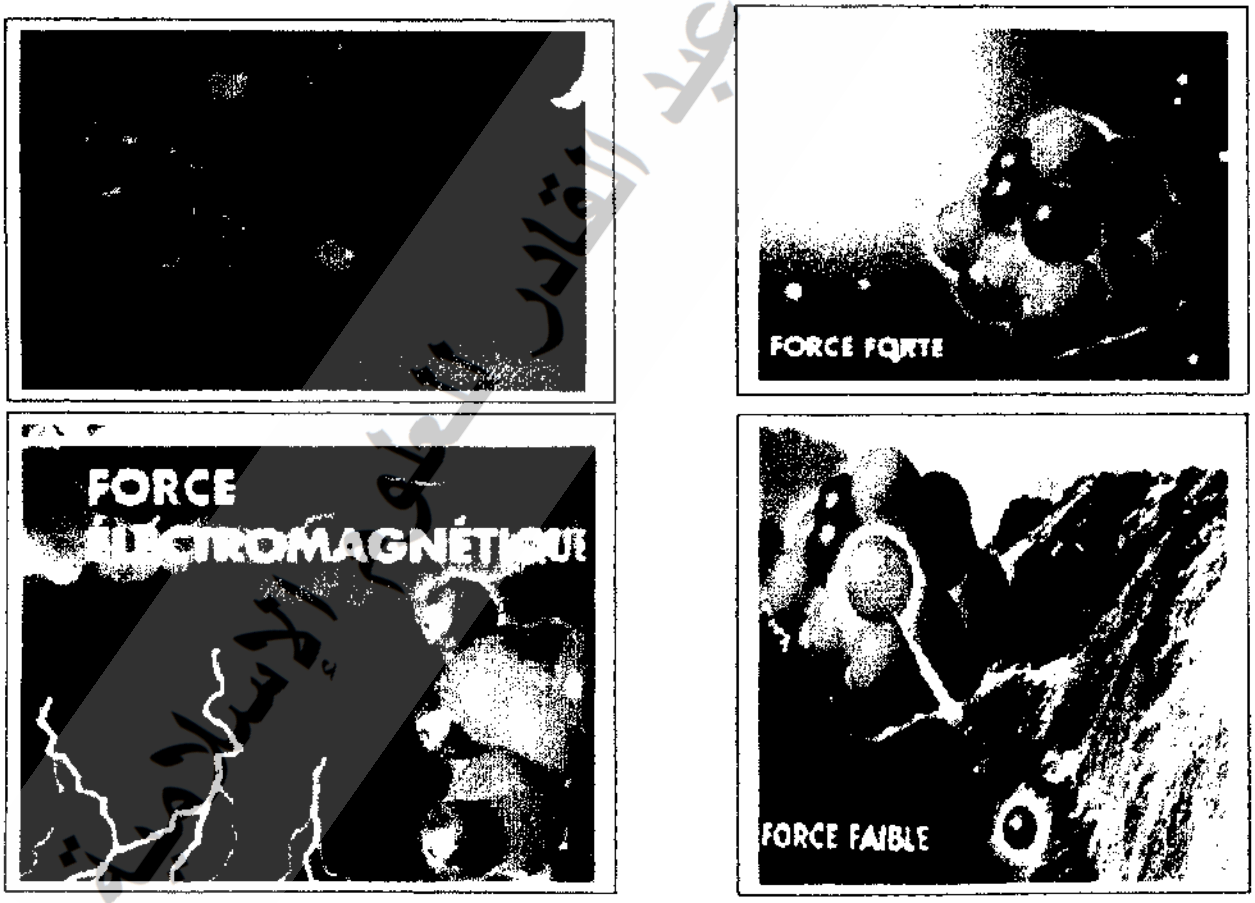

الشكل 2: القوة الأساسية للطبيعة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فيمكن لبروتون ــ أثناء عملية انقسام الذرة ــ أن يتحول إلى نيترون وكذلك العكس[1].

وما زاد مجال الذرة تعقيدا اكتشاف العلماء أن الجزئيات تتصرف على أنها إشعاعات (موجات) أي أنها تبدو مرة صلبة (حالة المادة)، ومرة أخرى تبدو أمواجا (حالة الطاقة)، فأثبتوا أن المادة (أي الذرة) ليست في الحقيقة إلاّ طاقة متكاثفة تظهر في أشكال مختلفة وصور متعددة، كهربائية ومغناطيسية، وصوتية وكيمائية وميكانيكية.

وأثبت أينشتاين (A. Einstein) بناء على نظرية النسبية الخاصة أن الطاقة يمكن أن تتحول إلى كتلة والكتلة يمكن أن تتحول طاقة وقدم المعادلة التاريخية لهذه العلاقة بين الطاقة والكتلة فهي المعادلة التي صنعت القنبلة الذرية على أساسها أي تفجير الذرة[2]،

الطاقة = الكتلة x مربع سرعة الضوء، وسرعة الضوء تساوي 300000 كم/سا، أي (ط = ك x سرض^2 ــ $E = m.c^2$).

فأصبح هذا الازدواج طبيعيا في الكون يدل على نظام الكون ووحدته وليس تناقضا[3] كما يعتقد البعض، نظام يدل على المنظم الواحد الخالق لكل شيء ومبدعه.

وما يمكن أن نخلص إليه بناء على هذا العرض لنتائج الفيزياء المعاصرة، وبناء على هذا التطور الكبير الذي حدث على مستوى الفيزياء النووية وما أحدثه من انقلاب في مفهوم العالم ومكوّناته، يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

1 ــ أن الذرة لم تعد هي الجزء الذي لا يتجزأ وإنما كل مكوناتها، بل أدق مكونات البروتون، أي الكواركات قابلة للانقسام، وأن هذا الانقسام غير متوقف كما يبين العلم المعاصر، وبذلك تتبخر فكرة الجزء الذي لا يتجزأ.

2 ــ أن كل خواص المركبات المادية وخواص العناصر البسيطة كذلك، ليست ذاتية للمادة وإنما عرضية.

3 ــ أن صفة المادية أصبحت صفة عرضية فهي لون من ألوان الطاقة أو شكل من أشكالها.

4 ــ كانت الذرة «مفردة» وبسيطة وثابتة في التصور القديم وأصبحت في التصور المعاصر

---

1 ــ باقر الصدر: فلسفتنا، ص 337.

2 ــ أدريين كوخ: آراء فلسفية في أزمة العصر، ص 95، وانظر: محمد ممدوح الخطيب: بنية المادة، ص 62 – 64.

3 ــ انظر: ريشنباخ: المرجع السابق، ص 156 –158، ومصطفى محمود: أينشتاين والنسبية، ص 95 – 54.

كثرة ومعقدة وديناميكية.

5 ــ إن التنوع والتعدد الموجود في الكون على مستوى المجرات والذرات يفسر بالوحدة أو النظام الموحد والأصل الواحد[1]، مما جعل العلماء يسعون إلى توحيد القوى الكونية الأساسية الثلاث (عدا الجاذبية) حيث أصدروا سنة 1973 «النظرية الموحدة الكبرى» أو «نظرية المجال الموحد» ونجحوا في توحيد بعض هذه القوى[2].

6 ــ هذا يدل بكل بساطة على وحدة الأصل والمصير للكون وافتقاره إلى موجد هو الله الباري المبدع سبحانه وتعالى.

فالعلم يقدم نتائجه النهائية (الحقائق) وعلم العقيدة يأخذها كأدلة مباشرة على المسائل العقدية، دون أن يدخل في تفاصيل وتعقيدات العلوم الكونية التي ليست من اختصاصه كما فعل المتكلمون سابقا.

وهذا يدل على بطلان نظرية الجوهر الفرد ونتائجها عند المعتزلة والأشاعرة، ومن ثم ينفي تحقيق القصد من الدليل المبني عليها وهو إثبات وجود الله وكمالاته، وخاصة وأن الأشاعرة وبعض المعتزلة فرضوا الإيمان بها وحصروا الدليل بها حيث أن عدم الإيمان بها يعني اختلال الإيمان العقلي بوجود الله تعالى ومخالفة لقواعد دين الإسلام[3]، بل ذهب البعض منهم إلى درجة تكفير من أبطل الجزء الذي لا يتجزأ[4]، لأن انتفاء الدليل عندهم يؤذن ببطلان المدلول ــ كما سنبين ــ مما يترتب عنه إبطال الدين الإسلامي كله، وهذا غير صحيح.

ومن ثم لا يمكن الأخذ بدليل الجوهر الفرد الذي لم يكن مسلّما عند المتكلمين أنفسهم في عصرهم، وألغى العلم المعاصر النظرية التي يقوم عليها.

لكن المتكلمين لم يعتمدوا على هذا الدليل فقط بل استعملوا دليلا آخر في الاستدلال على وجود الله تعالى، هو دليل الممكن والواجب، فما هو؟ وما مدى صلاحيته هذا العصر؟ وملاءمته للقرآن الكريم؟

---

1 ــ Science et vie, op. cit, p 27.

2 ــ أصحاب هذه النظرية هم: أحمد عبد السلام الباكستاني المسلم، والأمريكيان: ستيفن واينبرج weinberg، وشيلدون جلاشوف Shegdon Gleshow، حيث حصلوا على جائزة نوبل للفيزياء مشاركة عام 1979 لأعمالهم في هذا المجال، انظر: أحمد عبد السلام: ص 24، والكون ذلك المجهول: ص 12.

3 ــ عبد القاهر البغدادي: أصول الدين، ص 231.

4 ــ أمثال جعفر بن حرب المعتزلي، الذي صنف كتابا في تكفير النظام بإبطاله الجزء الذي لا يتجزأ، (انظر: الفرق بين الفرق: ص 133).

ب ــ دليل الممكن والواجب:

في مواجهة الانتقادات التي وجهت لدليل الحدوث أو الجوهر الفرد كان لا بد للمتكلمين أن يعدِّلوا من موقفهم، فيجعلوا علة الاحتجاج هي الإمكان، وعلى رأسهم إمام الحرمين الجويني (ت 478هـ ــ 1085م) الذي ينسب إليه هذا الدليل[1] في رسالته العقيدة النظامية[2].

1 ــ مفهومه:

ويختلف مفهوم دليل الممكن والواجب عند المتكلمين عن مفهومه عند الفلاسفة منهجا مضمونا.

فالفلاسفة يقسمون الوجود إلى ممكن وواجب ويقصدون بالممكن الذي يحتاج في وجوده إلى غيره قطعا للتسلسل أو الدور الباطلين، ويقصدون بالواجب، الموجود الذي لا يحتاج في وجوده إلى غيره، بل هو الذي يحتاج إليه غيره[3].

أما المتكلمون فيقصدون بالممكن أن العالم بجميع ما فيه كان يمكن أن يكون على خلاف ما هو عليه، فكان من الممكن أن يكون النهار مظلما والليل مضيئا، وكان من الممكن أن يصعد الحجر إلى أعلى بدلا من أن يسقط على الأرض مع أنه من الأجسام الثقيلة، وكان من الممكن أن تتحرك النار إلى أسفل رغم أنها خفيفة، وكان من الممكن أن تكون الأرض أكثر برودة وتكون الشمس أقرب إلى الأرض وكان من الممكن أن يكون المدور مربعا والمربع مدورا؛ وبصفة عامة كان يصح أن يأخذ كل شيء شكلا غير الشكل الخاص وهيئته المعينة ومكانه المحدود، بل كل الأجسام المتشكلة لا يستحيل فرض تشكلها على هيئة أخرى[4].

ولكننا نجد أن لكل شيء شكلا مخصوصا وهيئة معينة، فكان لا بد أن يكون للشيء مخصِّص خصصه وحدد شكله وجعله على وجه من وجوه الجواز بإرادة مؤثر مختار أوقعه على مقتضى مشيئته وهو الله تبارك وتعالى[5]، لأن «الأجسام ــ كما يقول الأسفراييني ــ لو كانت بأنفسها مع تجانس ذواتها لم يختلف بالصفات والأوقات والأحوال، والمحال، فلما اختلفت علمنا أن لها مخصِّصا قدم ما قدم،

---

1 ــ أبو الوليد ابن رشد: مناهج الأدلة، تحقيق الخامري، ص 111.

2 ــ سميت النظامية نسبة إلى نظام الملك الوزير السلجوقي صديق الجويني الذي أهدى له رسالته هذه.

3 ــ ابن سينا: النجاة، ص 77، وراجع كتابه: عيون الحكمة، ص 55 – 56.

4 ــ أبو المعالي الجويني: العقيدة النظامية، ص 61؛ وانظر أبو الوليد ابن رشد: مناهج الأدلة، ص 112.

5 ــ المرجع نفسه، ص 61، 83.

وأخر ما أخر، وخص كل واحد منها بما اختص به من الصفات، لولاه لم يقع الاختصاص في شيء من الأوصلف، لأن الاختصاص بأحد الجائزين يقتضي مخصصا لولاه لم يقع التخصيص به»[1].

وهذ الدليل يمكن أن يصاغ على النحو التالي:

ـــ إن أجسام العالم كان يمكن أن تكون على شكل وهيئة خلاف ما هي عليه.

ـــ لكننا نرى أن كل جسم قد اختص بشكل معين وهيئة محددة.

ـــ وإذن فلا بد من وجود مخصص خصص كل جسم بشكله الذي هو عليه وهو الله تعالى.

وهذا يعني أنه يعتمد على مقدمتين كما يرى ابن رشد:

«إحداهما: أن العالم بجميع ما فيه جائز أن يكون على مقابل ما هو عليه.

والمقدمة الثانية: أن الجائز محدث وله محدث أي فاعل صيره بأحد الجائزين أولى منه بالآخر»[2]. وتبيانها بثلاث مقدمات: «إحداها، أن الجائز لا بد له من مخصص يجعله بأحد الوصفين الجائزين أولى منه بالثاني، والثانية أن هذا المخصص لا يكون إلاّ مريدا، والثالثة: أن الموجود عن الإرادة هو حادث»[3].

ولكن هذا الدليل أخذ المفهوم الفلسفي مع فخر الدين الرازي (544 – 606هـ) الذي أخذه عن ابن سيناء إذ يقول: «كل ما سوى الموجود الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته محدث، فإنا لو فرضنا موجودين يكون كل واحد منهما واجبا لذاته فلا بد أن يكونا مشتركين في الوجوب الذاتي، ولا بد أن يكونا غير متشاركين في الأعيان بمعنى أن ذات كل منهما مستقلة بعينها عن ذات الأخرى، والقدر المشترك بينهما وهو مسمى الوجود يختلف عما يفترق به كل منهما عن الآخر وهو تعين ذاته واستقلالها بالوجود الخارجي، فيكون الواجب حينئذ مركبا من شيئين (ما يشترك فيه مع الممكن وما يتميز به عنده) والمركب مفتقر إلى غيره ... فثبت أن كل ما سوى الموجود الواحد يجب أن يكون ممكنا لذاته، وهذا محدث، فثبت أن ما سوى الواحد لذاته محدث، وهذا يحتاج إلى محدث»[4].

---

1 ـــ الأسفراييني: التبصرة في الدين، ص 130.

2 ـــ أبو الوليد ابن رشد: مناهج الأدلة، ص 112.

3 ـــ المرجع نفسه: ص 115.

4 ـــ فخر الدين الرازي: كتاب الأربعين في أصول الدين، ص 30 –31، وانظر كتابيه: أصول الدين: 38 – 39؛ ولباب الإشارات والتنبيهات: ص 151 – 159.

2 ــ عيوبه:

لكن هذا الدليل لم يكن هو كذلك محل ثقة كثير من العلماء المسلمين ــ متكلمين وفلاسفة ــ إذ ليس بالمسلَّم به بسهولة، كما أنه ليس سهلا أن تقبله الفطر السليمة دون عناء، بل قد يُشوش عليها بديهيتها ويدخلها في الزلاقات وإلزامات تصرفه (الدليل) عن غرضه الأصلي وهو إثبات وجود الله تعالى.

فهذا الدليل على الرغم من أن أصحابه ــ وعلى رأسهم الإمام الجويني ــ يعنون به إطلاق المشيئة الإلهية إلاّ أنهم في نفس الوقت نفهم منه إنكار للحكمة الإلهية في ترتيب العالم على نظام معيَّن محكم، وإنكار للأسباب الضرورية وتأديتها إلى مسبباتها كما يرى ابن رشد فهو دليل غير برهاني ولا شرعي، من حيث الواقع ومن حيث العقيدة.

2 ــ 1 ــ من حيث الواقع:

فأصحاب هذا الدليل يقولون بإمكان وجود الشيء الواحد على نحو مختلف تماما عما هو عليه الآن ــ كما تبين المقدمة الأولى لهذا الدليل ــ وفي وسعنا أن نستنبط من هذا الإمكان الذي لا حدود له، صنوف إمكان أخرى، فنقول أن العالم الحالي ليس أفضل عالم ممكن، ومن الجائز عقلا أن الله كان يستطيع أن يخلق عالما أفضل منه، إذ ليس مكلفا بفعل الأصلح على رأي الأشعرية[1]، وهذا يعني أن في الإمكان أبدع مما كان على رأي الجويني[2].

وهذا الموقف يتماشى مع رأيهم في نفي السببية في خلقه سبحانه وتعالى.

غير أننا عند التحقيق نجد أن الواقع يكذب هذه المقدمة، ذلك أننا ندرك ونلمس بحواسنا أن كل نوع من الأنواع متميز بخلقه خاصة به، فالهيئة التي خلق الإنسان عليها محكومة بنظام دقيق يسري على جميع أجزائه بحيث لو خلف فيه عضو في غير مكانه لاختل نظامه، وكذلك الحيوانات والنبات وحركة المجرات والكواكب في الفضاء يحكمها نظام دقيق لو تغيرت سرعتها أو أبعادها لاختل الكون كله وأكثر ذلك على الكائنات بما فيها الإنسان واستحالة الحياة.

وهذا التميز والنظام والأحكام والإتقان يُمَكِّننا من الاهتداء إلى بعض الحكمة في وجود نوع ما

---

[1] ــ انظر: محمود قاسم: مقدمة مناهج الأدلة لابن رشد: ص 16.

[2] ــ محمد عبد الفضيل القصي: هوامش على العقيدة النظامية، ص 67.

على هيئة أو في وضع خاص، مما يوحي إلينا بأن هناك أسبابا ثابتة أودعها الله في الكون.

فجهلنا للأسباب الطبيعية التي خلقها الله تعالى، لكونها غير بيّنة الوجود بنفسها أو من العلل الخفية عنا، لا يعني عدم وجودها، ولا أن الكائنات جائزة[1].

إن جهلنا بحقائق الأشياء لا يصلح مطلقا أن يكون مقياسا لدرجة الإمكان فيها، أي ليس لأحد أن يتخذ من جهله سبيلا إلى القول بجواز أن يكون العالم على نحو أفضل أو أقل مما هو، وهذا الأمر هو الذي أدى إلى نشأة فكرة اللاحتمية في الفزياء التقليدية (فزياء العين المجردة) قبل ذلك، وجرت محاولات لاستبدال العلية الحتمية بما يسمى (علاقة الارتياب) أو (قوانين الاحتمال) التي نادى بها عام 1927 العالم الألماني (فيرنر هايزنبرغ werner heisenberg) الذي يرى أن العلوم الطبيعية كل ما تستطيعه هو أن تصوغ احتمالا من الاحتمالات[2].

والواقع أن هذا الموقف الارتيابي الذي أثاره العلماء في الميكروفيزياء يرتكز على كون مبدأ العلية مبدأ علميا قائما على أساس التجارب والمشاهدات في حقل الفزياء الاعتيادية، من ثم كان رهن التجربة في ثبوته وعمومه، ولما لم يتمكنوا من إثباته تجريبيا في الفزياء الذرية نفوه، ولم يدركوا — مثل المتكلمين الأشاعرة — أن تطبيق مبدأ العلية على المجالات الاعتيادية للفزياء، والاعتقاد بالعلية كنظام عام للكون فيها، لم يكن بدليل تجريبي بحت، وإنما هو مبدأ ضروري فوق التجربة، وإلا لم يستقم علم طبيعي على الإطلاق[3].

إن الكون قائم في منهجه ومظهره على نظام العلية، وهو في ذلك يرمي غلى تنبيه العقول، عن طريق النظام الكوني وإتقانه وروعة ترتيبه ودقة صنعه، والحتمية التي تتجلى في السنن الكونية إلى أن للعالم خالقا ومدبرا، ولهذا نجده سبحانه يدعو الإنسان إلى النظر والتدبر في خلقه في الآفاق والأنفس[4]، إذ يصور لنا القرآن الكريم مثلا، العلاقة بين الكواكب كما قدرها خالقها الحكيم بحيث حدد سبحانه لكل نطاقه ومداره، فلا تملك الشمس أن تدرك القمر ولا يملك الليل أن يسبق النهار، والنظام الكوني مرهون في بنائه بهذا النظام المحكم الدقيق: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ

---

1 — محمد عبد الفضيل القصي: هوامش على العقيدة النظامية، ص 16، و ابن رشد مناهج الأدلة، ص 112.

2 — باقر الصدر: فلسفتنا، ص 311 – 314.

3 — المرجع نفسه، ص 313.

4 — محمد سعيد البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، ص 147.

الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1].

وهذا الأمر اللاحتيمة أو الإمكان) يتنافى وكمال المشيئة الإلهية المطلقة الشاملة لكل شيء، ومن هذه الحقيقة يتبين لنا أن القول بالاحتمالات الممكنة في الكون مبني على نفي مبدأ العلية الذي يهدم فكرة علمية صادقة وهي فكرة القوانين[2]، ولكن لا يعني ذلك إخضاع المشيئة الإلهية لضرورات الخلق ـــ كما فعل المعتزلة وابن رشد[3] ـــ وكأن الإبداع والخلق الإلهي محكوم بضرورات سابقة عليه تقتضيه أن يأتي بهذا الخلق على هذا النحو دون سواه، وما خلقه لآدم وعيسى، عليهما السلام، دون أبوين، على غير السنن الكونية في الخلق والتكاثر، إلاّ دليل على سعة قدرته وإطلاق إرادته، ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[4].

ومن هنا نجد المتكلم الأشعري أبو حامد الغزالي خالف أستاذه الجويني وقال مقولته المشهورة (ليس في الإمكان أبدع مما كان).

2 – 2 ـــ من حيث العقيدة:

لقد تبين لنا أن الله تعالى خلق هذا الكون في نظام وإحكام ينم على وجود قوانين وسنن كونية أودعها الله تعالى فيه مما ينبه الأذهان إلى أن وراء أفعاله تعالى حكما ومصالح تأتي مترتبة عليها يعلمها الله ﷻ، وأنه جعل لمخلوقاته المختلفة حكما ومصالح عظيمة، ولا يمكننا أن ننفي مبدأ العلية أو الغايات ولا العلم بها وإنما ـــ كما قال العلامة مصطفى صبري رحمه الله تعالى ـــ ننفي التعليل بالغايات[5]، وهذا يدل على وجود الله سبحانه العليم الحكيم الباري، وينفي العبث عن فعله، إذ يقول جل جلاله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[6]، وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾[7]، وقال: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾[8]، وقال: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ

---

1 ـــ سورة يس: 40.

2 ـــ راجع أبو الوليد ابن رشد، مناهج الأدلة، ص 112.

3 ـــ نفس المرجع، ص 113، و119.

4 ـــ سورة آل عمران: 59، وانظر رشيد رضا: تفسير المنار، ج3 ص319 – 321.

5 ـــ مصطفى صبري: موقف العقل والعلم من رب العالمين، ج 3 ص 3 – 17.

6 ـــ سورة القمر: 49.

7 ـــ سورة الأحزاب: 38.

8 ـــ سورة الملك: 03.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[1]، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[2].

بينما القول بإمكان عالم على أوضاع غير أوضاعه الحالية ففيه إبطال لحكمة الله وعلمه، «إذ لو كان يمكن أن توجد الأشياء أو تصنع على نحو أو شكل آخر لما كان وجودها الحالي دالا على حكمة أو علم، أي لو لم يكن هناك أسباب تحدد وجودها والغاية منها لما كانت هنالك للخالق سبحانه وتعالى معرفة تخصه دون المخلوقات، ولكان في ذلك إنكار لحكمته تعالى»[3].

أما صورة الدليل كما وردت عند الفخر الرازي فتشهد بالأثر العميق الذي خلفته الفلسفة الأرسطية، المجافية لروح الدين الإسلامي، على الرازي الذي استغل تميزا أرسطيا بحتا كالإمكان والوجوب أو الضرورة في البرهنة على الله تعالى[4].

ففكرة الإمكان الفلسفية تجعل الخلق ليس إيجادا من عدم وإنما تجعله إخراجا أو تحويلا للوجود من حالة الإمكان بالقوة إلى حالة الوجود بالفعل، والوجود في هذا التصور قديم، ذلك أنه وإن لم يكن تحققا بالفعل فهو بالقوة.

وقد انتقد ابن رشد هذا الدليل عند الجويني، من خلال انتقاده لابن سينا[5]، وجانب فيه الصواب، لإخضاعه القدرة والمشيئة الإلهية لضرورات الخلق كما أسلفنا ولأن الجويني مع الأشاعرة حاول تبرئة الإرادة الإلهية عن مثل هذه الشبهة.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن ذلك التميز يضمر تصوُّرا وثنيا لإله تتحكم فيه الضرورة أو الالتزام أو الواجب، وهو تصوّر بعيد كل البعد عن التصوّر الإسلامي للذات الإلهية، لأن الله سبحانه وجل جلاله حر في أفعاله ولا يجب عليه شيء، فعال لما يريد[6].

وأريد في هذا المقام أن أبيّن أن دليل الإمكان والوجوب لم يكن مسلّما به، بل كان موضوع خلاف بين المتكلمين والفلاسفة وبين المتكلمين أنفسهم، وأنه ليس دليلا برهانيا ولا قرآنيا، ولا يهمني بالدرجة

---

1 ــ سورة الرعد: 08.

2 ــ سورة المؤمنون: 115.

3 ــ محمود قاسم: مقدمة الكشف عن مناهج الأدلة لابن رشد، ص 17.

4 ــ فتح الله خليف: فخر الدين الرازي، ص 75.

5 ــ ابن رشد: مناهج الأدلة، ص 113 - 114.

6 ــ محمد ثابت الفندي: الله والعالم، ص 200 – 219.

الأولى مدى صحة هذه الانتقادات والاختلافات والرد عليها، لأن كثيرا من الانتقادات لهذا الدليل كانت تحاملا على أصحابه من الأشاعرة، واتهامات مبالغ فيها.

فلا أظن أن عالما فذا كالجويني يقول بالعشوائية أو الصدفة في الكون وهو الذي عقد فصلا خاصا يفصل فيه الحديث عن الإتقان والإحكام، وهو أول أشعري يخالف الأشعرية في قضيتهم الكبرى المتمثلة في إسناد الأشياء إلى الله تعالى القادر المختار ابتداء وبلا واسطة[1].

ج ــ دليل التمانع

إن دليل التمانع هو أشهر الأدلة التي أخذها المتكلمون (معتزلة وأشاعرة وماتوريدية) لإثبات وحدانية الله تعالى، وهو ينبني أساسا على الآيات التالية: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2].

قل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[3]؛ وأول وأهم هذه الآيات قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[4].

1 ــ صورتا الدليل:

حيث تصوّروا أن يتم التعدد الذي افترضوه على صورتين:

أحدهما وقوع الخلاف بين الآلهة، والتي صاغها الجويني على النحو التالي:

«لو افترضنا وجود إلهين قادرين على الفعل والترك، وأراد أحدهما تحريك الجسم، وأراد الآخر تسكينه وقصد كل منهما إلى تنفيذ مراده، فلا يخلو الأمر من وقوع أحد الاحتمالات الآتية:

الاحتمال الأول: تقدير حصول مراد كل منهما وذلك محال، لما يلزم عليه من اجتماع الضدين.

الاحتمال الثاني: تقدير ارتفاع مراد كل منهما، وذلك محال أيضا لامتناع خلة الجسم عن الحركة والسكون، ولو صح وقوع هذا التقدير لما استحق كل منهما أن يكون إلها لعجزه عن تنفيذ مراده.

الاحتمال الثالث: تقدير نفاذ مراد أحدهما دون الآخر، وحينئذ فالذي نفذ مراده هو الإله القادر دون غيره»[5].

---

1 ــ محمد عبد الفصيل القصي: هوامش على النظامية، ص 645 – 65، وراجع الإيجي: المواقف: ج1، ص 246 –248.

2 ــ سورة المؤمنون: 91.

3 ــ سورة الإسراء: 42.

4 ــ سورة الأنبياء: 22.

5 ــ الجويني: الشامل في أصول الدين، (كتاب التوحيد)، ص 302، وانظر الأشعري: كتاب اللمع، ص 8، والماتوريدي، كتاب التوحيد: ص 20 - 21، والفخر الرازي، أصول الدين: 74 – 75.

فعلى الاحتمال الأول يكون العالم موجودا ومعدوما في آن واحد، وعلى الاحتمال الثاني يكون غير موجود، وغير معدوم، وعلى الاحتمال الثالث يكون الذي تتم إرادته هو الإله القادر حقيقة والآخر عاجزا، والعاجز ليس بإلأه، ولما كان العالم موجودا دلّ ذلك على أنه أثر لإله واحد.

والصورة الثانية: حصول الاتفاق بينهما، ويترتب على ذلك محال لا يليق بالإله، إذ اتفاقهم بطريق التعاون دليل على عجز كل إله وجهله[1]؛ لأن فيه تجديد لقدرة وإرادة وعلم كل منهما، حيث لا يستطيع أن يؤثر بالإيجاد أو الإعدام والتحصيص والإحاطة في غير الدائرة التي اختص بها، وفي هذا ما يتعارض مع طبيعة الصفات الثابتة للإله الحق لأنها كاملة مطلقة وشاملة لمتعلقاتها[2].

2 ــ عيوبه:

ولكن هذا الدليل لم يكن مقبولا عند كثير من المفكرين المسلمين، من عدة أوجه نجملها في ملاحظتين أساسيتين، تتعلق الأولى بضعف صياغته، والثانية بطبيعة علاقته بالآية القرآنية.

الملاحظة الأولى: أنه دليل ضعيف لضعف صياغته، حيث افترض المتكلمون التعدد ورتبوا عليه محالات ليسلم لهم الدليل، مما فتح عليهم باب الاحتمالات غير المتناهية التي أدت إلى تولد شبه وشكوك في ذهن بعضهم فضلا عن عامة الناس، مما جعل هذا الدليل دليلا غير برهاني.

فصورة الدليل الثانية هي رد لجأ إليه المتكلمون بناء على الانتقادات التي وجهت للصورة الأولى، ومنها إمكانية وجود احتمال رابع وهو اتفاق الآلهة وتعاونها بدلا من أن تختلف، وهذا أليق بالآلهة من الخلاف؛ وهذا يلغي الاحتمال الثالث ويبطل الدليل كله.

إلاّ أن ردهم لم يكن حاسما في الصورة الثانية، إذ من الممكن -كما قال ابن رشد[3]- أن يقال إن أحدهما يفعل بعض العالم والآخر يفعل بعضه على سبيل التراضي، فلا يكون كل واحد منهما مقهورا بالنسبة للآخر، أو لعلهما يفعلان على المداولة، إلى غير ذلك من الاحتمالات والتشكيكات التي لا تليق بالجمهور، وهذه شبه أخرى تطيح بالدليل كله.

ولما كان دليلا جدليا غير برهاني، بطل أن يكون دليلا شرعيا، فلا يخاطب كل مستويات الناس الذين لا يقدرون على فهمه فضلا عن أن يقع لهم به إقناع، بل هو مصدر

---

1 ــ الماتريدي: كتاب التوحيد، ص 21.

2 ــ محمود قاسم: المرجع السابق، ص 31 – 32، وابن رشد: مناهج الأدلة، ص 125 – 127.

3 ــ ابن رشد: مناهج الأدلة، ص 125.

إنبات الشكوك والشبه وتشويش إيمانهم.

وهذا الأمر الذي آل إليه الدليل، جعل بعض المتكلمين يطعنون في الأساس الذي بني عليه الدليل، فقالوا إن دليل الآيات التي اعتمد عليها إقناعي فقط (إذ لا يجوز الاتفاق على خلق العالم بنظامه الذي نشاهده)[1]، وهذا غير صحيح من وجهين، الأول أن ضعف الدليل كما بينا إنما جاء من طريقة تركيبه وصياغته، وليس من الأساس الذي بني عليه، وهو الآيات القرآنية، لأن ما تفيده الآيات يشكل دليلا برهانيا صحيحا، والوجه الثاني يتمثل في الملاحظة الآتي شرحها.

الملاحظة الثانية: «إن الدليل الذي فهمه المتكلمون من الآية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[2]، ليس هو الدليل الذي الذي تتضمنه الآية، فمطلوب المتكلمين منها هو نفي التعدد في الربوبية، ومطلوب الآية هو الاستدلال على وحدة الألوهية ونفي أن يكون هناك شريك يعبد مع الله، إذ فساد العالم يدل على تعدد المعبودين، ونظامه يدل على وحدانية المعبود، وهذا ما أشار إليه ابن تيمية في نقده لهذا الدليل، إذ بنى نقده على التمييز بين نوعي التوحيد، وهما توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فالنوع الأول يعني أن خالق العالم واحد لا شريك له، وهذا النوع كان معروفا لدى مشركي العرب، ويقرون به، ولكن لا يكفي وحده[3]، والنوع الثاني يعني ألاّ يعبد مع الله غيره، وهو متضمن النوع الأول، فكل توحيد للألوهية هو توحيد للربوبية، والعكس غير صحيح، وهو لب التوحيد وجوهره الذي بعث الله من أجل الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وكثير من المتكلمين لم يتعرض لهذا النوع من التوحيد، إذ أقروا الوحدانية من جهة الربوبية، غفلوا عنها من جهة الألوهية[4]، أو أنهم خلطوا في دليلهم بين معنى الألوهية ومعنى الربوبية، أو ظنوا أن الإقرار بتوحيد الربوبية كاف وحده، ومن ثم من أقر بها فقد أخلص الدين لله، وعليه لجؤوا إلى تقرير أدلة الربوبية، وظنوا أن الآية مسوقة لتقرير دليل التمانع[5]، وهذا غير صحيح.

---

[1] ــ التفتازاني: شرح العقائد النسفية، ص 222.

[2] ــ سورة الأنبياء: 22.

[3] ــ ابن تيمية: كتاب التوحيد، ص 155 – 156.

[4] ــ المرجع نفسه: ص 177.

[5] ــ الجليند: قضية التوحيد، ص 141.

ثانيا ــ أهم الأسس المنهجية لأدلة المتكلمين:

اتضح لنا مما سبق أن صور الاستدلال الكلامي المذكورة كانت محل خلاف بين المتكلمين أنفسهم ومحل انتقاد من غيرهم، أي أنها أدلة ظنية لا تفيد اليقين، وأدلة العقائد يجب أن تكون يقينية برهانية.

كما أنها معقدة مطولة من حيث الصياغة أو المصطلحات المستعملة مما جعلها جدلية لا تفيد في ترقية الإيمان ولا دفع الشكوك فضلا عن إيجاد ذلك الإيمان وغرسه في قلوب المسترشدين؛ ويرجع ذلك إلى كون المتكلمين اعتمدوا في تركيب أدلتهم على مجموعة من الأسس والقواعد المنهجية ألزموا أنفسهم بها مما جعلهم يقعون في تناقضات تبطل أدلتهم أو تتعارض مع العقيدة، وهو ما جعلها تبتعد في أغلبها عن روح المنهج القرآني.

ومن أهم هذه الأسس فكرة الدور الباطل وظنية النقل، وانتفاء الدليل يؤدي إلى انتفاء المدلول، والمنطق الأرسطي والإفراط في التجريد.

1 ــ فكرة الدور:

ومفادها أن العقل أصل الشرع، ومن ثم لا يمكن الاستدلال بالشرع على أصول العقيدة لأنه يتوقف ثبوت صحته وصدقه على الدليل العقلي[1]، فلوتوقف ثبوت هذه الأصول على الشرع للزم الدور.

لذا قدم المتكلمون (معتزلة وأشاعرة) العقل على النقل لأن هذا الأخير يفيد الظن، بينما الأول يفيد اليقين، وعليه كان الدليل النقلي عندهم مشروطا بإثبات الجواز العقلي وإثبات عدم المعارض العقلي، ومن ثم وجب تأويل النصوص الموهمة للتشبيه وعدم الاعتماد على أحاديث الآحاد في أمور العقيدة[2].

والدليل العقلي هو الذي يقوم فيه العقل بالاستدلال بجهد ذاتي يتبع فيه الطرق العلمية المنطقية دون أن يستند إلى الشرع، والدليل العقلي هو ما يكون مستندا إلى خبر في القرآن أو السنة وإجماع الأمة.

والمراد بأصول العقائد التي ينفرد بها الدليل العقلي، إثبات حدوث العالم، وإثبات الصانع، وكونه قادرا وعالما وكمالاته وأفعاله التي منها إرسال الرسل وتأييدهم بالمعجزات ليدل بها على صدقهم وصدق رسول الله ﷺ فإذا ثبت صدق الرسول أمكن أن نأخذ عنه ما بقي من أصول العقيدة وهي السمعيات.

---

1 ــ ابن تيمية: الفرقان بين الحق والباطل، ص 161.

2 ــ ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، ج1، ص 5 – 6.

فالقاضي عبد الجبار المعتزلي يرفض إثبات العقائد بالأدلة النقلية لأنها فرع على حجة العقل، «فلو استدللنا بشيء منها على الله والحال هذه كنا مستدلين بفرع للشيء على أصله، وذلك لا يجوز»[1]، وبيان ذلك عنده «أن الكتاب (القرآن) إنما ثبت حجة متى ثبت أنه كلام عدل حكيم لا يكذب ولا يجوز عليه الكذب، وذلك فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده وعدله، وأما السنة فلأنها إنما تكون حجة متى ثبت أنها سنة رسول عدل حكيم، وكذلك الحال في الإجماع، لأنه إما أن يستند إلى الكتاب في كونه حجة أو إلى السنة، وكلاهما فرعان على معرفة الله تعالى»[2]، ومن ثم لو استدللنا على هذه الأصول الاعتقادية بالنص الذي يتوقف إثباته على العقل وكونه حجة على ثبوتها لكان ذلك دورا، لتوقف كل منهما على الآخر، لهذا لا يجوز عند المعتزلة الاستدلال بالنقل على مسائل العدل والتوحيد.

وأما الأشاعرة فإن موقفهم من الدليل النقلي بدأ بالتوسط والحفاظ على التوازن بين العقل والنقل مع المتقدمين من الأشاعرة إلى الباقلاني، ثم أخذ المتأخرون يوسعون من سلطان العقل حين تسربت فكرة الدور منذ الجويني حتى بلغ هذا التوسع أقصى مداه عند الفخر الرازي الذي رجح العقل على النقل.

فمع عبد القاهر البغدادي بدأت تتجلى ملامح فكرة الدور عند الأشاعرة إذ كان يرى أن صحة النبوة تتوقف على النظر والاستدلال، وهذا يعني أن العقل أصل الشرع، إذ يقول: «وإنما أضيفت العلوم الشرعية إلى النظر، لأن صحة الشريعة مبنية على صحة النبوة، وصحة النبوة معلومة عن طريق النظر والاستدلال، ولو كانت معلومة بالضرورة من حس أو بديهة لما اختلف فيها أهل الحواس والبديهة»[3].

ومع الجويني برزت نظرية الدور كما نجدها عند المعتزلة إذ جعل مسائل حدوث العالم ووجوب المحدث وقدرته وإرادته وحياته وأن له كلاما لا يثبته السمع وإنما يستأثر به العقل وذلك لأنه ما لم يثبت ذلك بالدليل العقلي لم يثبت بالشرع، فلو توقف ثبوت هذه الأصول على الشرع للزم الدور، وأما الظواهر التي هي عرضة التأويل لا يسوغ الاستدلال بها في العقليات[4]، وهي السمعيات لأنها مما يمكن للعقل معرفته، في مثل الحكم بوقوع ما يجوز في العقل وقوعه. كالحكم بوقوع الرؤية، ووقوع المعاد ومتعلقاته، وخلق أفعال العباد وأحكام التكليف والقدرة مما يقع في هذا الموضوع[5].

---

[1] ــ القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ج1، ص 40 – 41.

[2] ــ نفس المرجع، ص 41.

[3] ــ عبد القاهر البغدادي: أصول الدين، ص 14 – 15.

[4] ــ أبو المعالي الجويني: الشامل في أصول الدين، ج1، ص 31، و166.

[5] ــ الجويني: الإرشاد، ص228، و301- 302.

ونلاحظ هنا أن الدليل السمعي عند الجويني لم ينفرد إذ يشاركه الدليل العقلي في السمعيات.

كما نجد فكرة الدور عند تلميذه أبو حامد الغزالي، الذي يقول: «إن ما يعلم بالضرورة ينقسم إلى ما يعلم بدليل العقل دون الشرع وإلى ما يعلم بالشرع دون العقل وإلى ما يعلم بهما، أما المعلوم بدليل العقل دون الشرع فهو حدوث العالم ووجوب المحدث وقدرته وعلمه وإرادته فإن كل ذلك ما لم يثبت بالشرع إذ الشرع مبني على الكلام فإن لم يثبت كلام النفس لم يثبت الشرع»[1].

أما الفخر الرازي فقد زاد على فكرة الدور فكرة «المعارض العقلي»، وأعلن صراحة أن العقل مقدم على النقل وأن النقل لا بد وأن يخضع للعقل لأن الدليل السمعي لا يفيد العلم إلاّ إذا عرف صدقه بالعقل، إذ يقول في المحصل[2]: «أما السمعي المحض فمحال لأن خبر الغير ما لم يعرف بالعقل صدقه لم يفد»، ثم يقول: «الدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلاّ عند تبين أمور عشرة: عصمة رواة مفردات تلك الألفاظ وإعرابها وتصريفها وعدم الاشتراك والمجاز والنقل والتخصيص بالأشخاص والأزمة وعدم الإضمار والتأخير والتقدير والنسخ، وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه، إذ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم القدح في النقل لافتقاره إليه وإذا كان المنتج ظنيا فما ظنك بالنتيجة»، ويضيف أن: «النقليات بأسرها مستندة إلى صدق الرسول، فكل ما يتوقف العلم بصدق الرسول على العلم به لا يمكن إثباته بالنقل وإلا لزم الدور».

ويؤكد موقفه هذا في أساس التقديس حيث يقول: « ... أن القدح في العقل لتصحيح النقل، يفظي إلى القدح في العقل والنقل معا وإنه باطل، ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلاّ أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة، بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة، أو يقال: إنها صحيحة إلاّ أن المراد منها غير ظواهرها، ثم إن جوزنا التأويل: اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل وإن لم نجوز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع الشبهات»[3].

وعليه فالاستدلال بالسمع عند الرازي مشروط بألا يعارضه قاطع عقلي، والعلم بانتفاء المعارض العقلي متعذر أي لا يمكن الجزم والقطع[4].

---

[1] ــ الغزالي (أبو حامد): الاقتصاد في الاعتقاد، ص 102.

[2] ــ الرازي (فخر الدين): المحصل، ص 51.

[3] ــ الرازي: أساس التقديس، ص 220 – 221.

[4] ــ ابن تيمية: الفرقان، ص 163، 165.

وهذا الموقف يبين لنا أن المنهج الأشعري انتهى إلى قبول فكرة الدور الاعتزالية[1] التي تقسم المسائل الكلامية إلى تلك الأقسام الثلاث، كما هو جلي عند الرازي[2].

فما مدى صحة هذه الفكرة؟ وما مدى تأثيرها في صور الاستدلال الكلامية؟

نخلص من مسألة الدور إلى عدة قضايا نجملها في ثلاث، تبين مدى صحتها وخطورة أثرها في أدلتهم.

أولا ــ أن الموضوعات الأساسية في العقيدة عند المتكلمين يستدل عليها بالأدلة العقلية، ولا تنظم إليها الأدلة النقلية ــ للتعارض المتوهم بين العقل والنقل ــ إلاّ على سبيل الموافقة لا الاستدلال، أي أن دورها مجرد التأييد لا غير[3]، ولهذا خلت جل أدلتهم من الأدلة النقلية وإن وردت فورودها لاحق وعلى سبيل الموافقة، وهذا ما يفسر لنا الخطأ الذي وقع فيه المتكلمون في استعمال دليل التمانع الذي استدلوا به على توحيد الربوبية وأيدوا دليلهم العقلي في ذلك، بالآيات القرآنية الدالة والمثبتة لتوحيد الألوهية وليس لتوحيد الربوبية؛ ومن هنا كانت أدلتهم تلك بعيدة كل البعد عن منهج القرآن الكريم في الاستدلال على العقائد.

ثانيا ــ أنهم وقعوا في الدور الفاسد الذي اجتهدوا تجنبه.

ــ إذ تتوقف المعرفة بالله ــ عندهم ــ على المعرفة العقلية النظرية.

ــ وتتوقف المعرفة العقلية النظرية على العلوم الضرورية.

ــ والعلوم الضرورية يخلقها الله.

ــ إذن تتوقف الثقة في العلوم الضرورية على معرفة الله.

ــ فمعرفة الله تتوقف على معرفة الله، وهذا دور فاسد.

«ومن هنا يقع البنيان العقلي لعلم الكلام في جملته في الدور الذي هرب منه ما لم يقبل أن تكون معرفة الله عن طريق السمع وذهب يقيم بنيانه العقلي لذلك»[4]، والوقوع في هذا الدور «أشد خطورة مما يوجه إليها من كونها من حيث النتائج متضاربة، أو صعبة أو ظنية، أو مؤدية

---

[1] ــ فرغل (يحي هشام حسن): الأسس المنهجية، ص 165.

[2] ــ انظر: فتح الله خليف، المرجع السابق، ص 69، ومحمد العربي، المنطلقات الفكرية عند الإمام فخر الدين الرازي، ص 80.

[3] ــ انظر: الإيجي: المواقف، ج1، ص 52.

[4] ــ فرغل (يحي هشام حسن): الأسس المنهجية، ص 273.

إلى محضورات؛ ذلك لأن المتكلمين يمكنهم هناك الدفاع بأنه لم يكن إلاّ نتيجة عدم الالتزام الدقيق بالأصول العلمية لعلم الكلام»[1]؛ ومن ثم تنهدم أحد أسسه المنهجية (فكرة الدور).

ثالثا ــ إن الدور الذي زعمه المتكلمون لا محل له، إذا عرفنا أن الاستدلال على وجود الله تعالى يتم بطريقين ــ طريق التدرج من الأعلى وهو التحقيق في وجود الله أولا ومباشرة، والثاني طريق الصعود من الأدنى، وهو البدأ بالنظر في صدق الخبر أو النبوءة وأن القرآن وحي أو كلام الله[2] ــ وعرفنا أنه ليس من الضرروة للناظر في أمور الدين أن يبدأ بإثبات وجود الله تعالى مباشرة، فمن الممكن له أن يبدأ بإثبات النبوءة أولا ويترك البحث في ذات الله، فإن تبين له صدق الرسول ﷺ ــ بدلالة أنواع الإعجاز في القرآن والسنة ــ وهي الاستدلال بالنقل والعقل معا ــ تبعه في كل ما جاء به، سواء في الإلهيات التي اعتبرواها أو أكثرها عقليات محضة، أم في غيرها من السمعيات والأحكام العملية التي قبلوا فيها الدليل الشرعي.

ومن هنا يتبيَّن لنا أن الأدلة النقلية هي أدلة عقلية، بل أجل الأدلة العقلية وأفضلها التي بيَّنها القرآن الكريم وأرشد إليها الرسول الكريم لأنها يقينية قطعية وخاصة بعدما بيَّنه اليوم الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، بينما ما زعمه المتكلمون أدلة عقلية لا نقلية هو في غالبه أفكار وأقوال منقول من كتب شيوخهم أو مروية عن فلاسفة قدماء، وليس محل اتفاق بينهم، إذ اختلف المناطقة والمتكلمون مثلا في معرفة الدليل القاطع وشروطه[3]، فما الذي سوغ الاعتماد عليها والإعراض عن أدلة الكتاب والسنة بحجة أنها نقلية أو لفظية أو سمعية، فهي هذا ظنية لا تصلح للقطعيات؟[4].

ثم إن التطور العلمي بيَّن ظنية وبطلان كثير من الأصول التي اعتبروها عقلية يقينية وأثبت صحة وقطعية النص (النقل) مثلما بيَّنا بالنسبة لدليل الجوهر الفرد.

والحق أن مسألة الدور هذه، التي أدت إلى ظن التعارض بين العقل والنقل، وتقديم الأول على الثاني، «قد جرَّت إلى كثير من المفاسد، فإن المتكلمين قد ذهبوا إلى القول بوجوب تأويل النصوص السمعية عند هذا التعارض المزعوم، فجرت تأويلاتهم في العقيدة مجرى السوس في العظام وجلبت من الخلاف والتعادي

---

1 ــ فرغل (يحي هشام حسن): الأسس المنهجية، ص 272.

2 ــ البوطي (محمد سعيد رمضان): كبرى اليقينيات الكونية، ص 77 – 78.

3 ــ ابن الوزير اليمني: إيثار الحق على الخلق، ص 117.

4 ــ الشافعي (حسن محمود): المدخل إلى دراسة علم الكلام، ص 167.

والابتداع ما لا يزال أثره باقيا إلى اليوم»[1]، كما هو متجل في أطروحات أصحاب فكرة تاريخية النص القرآني اليوم، وهو ما أدى بابن تيمية إلى تأليف كتابيه: «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول»، و«درء تعارض العقل والنقل»، حيث أشار فيهما وفي غيرهما إلى خطأ المؤولين بما فيهم المتكلمون إذ يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه من معنى تارة، أو يحملونه دلالات لا يطيقها وضعُه الأصلي، فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول معا[2]، وهذا يجعل النص تابعا للمؤوِّل، أي أن عملية التبليغ قد انقلبت في اتجاه معاكس، فبدل أن يتجه المعنى من النص إلى القارئ، فإنه أصبح يتجه من القارئ (المؤول) المزود برؤى قلبية ومعان جاهزة، مما أدى إلى عد القرآن مصدرا رمزيا تستند إليه كل فرقة في دفاعها عن أفكارها وتصوراتها[3]، وهو أخطر ما في هذا الاتجاه الذي تطور إلى آراء وتصورات عدمية، في عصرنا هذا تؤكد قبول النص لكل التأويلات حتى المتناقضة منها[4].

كما أثبت ابن تيمية أن الأدلة السمعية تفيد اليقين ومن ثم أبطل القول بتعارض العقل والنقل وأن الدليلين القطعيين لا يجوز تعارضهما، وهو الاتجاه الذي ظهر في كتابات ودعوات المفكرين المسلمين المحدثين والمعاصرين التي تسعى إلى تأكيد توافق العقل والنقل والعلم والدين.

2 ــ مقدمة: «بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول»

ومعناها ما لا دليل عليه يجب نفيه، ذلك أن الدليل يكون مطردا ومنعكسا، وهذه مقدمة باطلة في المباحث العقدية، لأنه يجوز أن يكون المدلول متحققا، وإن لم يخلق الله تعالى دليلا عليه[5].

فلقد جعل المتكلمون كل ما يسهم في تدعيم عقيدة الألوهية من علوم وأفكار جزءا منها، مما أدى ببعضهم إلى أن يرى أن تلك القضايا العلمية، كإثبات الجوهر الفرد، أو تلازم الجواهر والأعراض، وكل القضايا الطبيعية، مقدمة ضرورية للعقيدة، فكل مساس بما هو مساس بالعقيدة ذاتها، أي أن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول[6].

---

1 ــ انظر: رزق الحجر: ابن الوزير اليمني ومنهجه الكلامي، ص 162 – 163.

2 ــ ابن تيمية: مقدمة في أصول التفسير، ص 54 – 55، وانظر: ابن رشد: مناهج الأدلة: ص 100.

3 ــ مثل ما ذهب إليه محمد شحرور في كتابه «الكتاب والقرآن ــ قراءة معاصرة» وحسن حنفي في كتاباته ومنها «من العقيدة إلى الثورة»، ومحمد أركون، ونصر حامد أبو زيد وغيرهم.

4 ــ انظر: مصطفى تاج الدين: «النص القرآني ومشكل التأويل»،ص 17 – 22.

5 ــ حسن الشافعي: الآمدي وآراؤه الكلامية، ص 150.

6 ــ ابن خلدون: المقدمة، ص 45، وانظر: علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص 139.

ومن ثم فرض الأشاعرة ــ كما بيَّنا سابقا ــ الإيمان بنظرية الجوهر الفرد، وحصروا الدليل بها، بحيث أن عدم الإيمان بها يعني اختلال الإيمان العقلي بوجود الله تعالى، كما كفَّر بعض المعتزلة (النظام) لإبطاله الجزء الذي لا يتجزأ، فضيقوا بذلك على الناس، «ولم يوغلوا في الدين برفق، وليت شعري ــ كما يقول محقق كتاب الإرشاد ــ ماذا يرون في إيمانهم أنفسهم قبل ذلك، وفي إيمان الصحابة وعامة المسلمين الذين يجهلون هذه الأدلة من قبل ومن بعد»[1].

وقد بيَّنا أن نظرية الجوهر الفرد مثلا ــ قد انهارت، وتجزأ الجزء الذي لا يتجزأ إلى طاقة، حين فجرت الذرة، فكان ذلك انهيارا للبناء المنهجي لعلم الكلام القائم على تلك النظرية، وهذه المقدمة.

فلقد انتقد هذه المقدمة ورفضها كثير من المتكلمين المتأخرين وعدلوا عنها حين اكتشفوا واقتنعوا بضعفها وبطلانها، فقد قال الفخر الرازي: «اعلم أنه لا يلزم من عدم الدليل على الشيء عدم مدلوله ألا ترى أن في الأزل لم يوجد ما يدل على وجود الله تعالى، فلو لزم من عدم الدليل عدم المدلول لزم الحكم بكون الله تعالى حادثا وهذا محال»[2]، وقال الآمدي: «لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول في نفسه وإن انتفى العالم بوجوده»[3]، وذلك أن دلالة الآية الكونية (في الآفاق والأنفس) على خالقها يلزم من وجودها وجوده، ولكن لا يلزم من عدمها عدمه، ولهذا فإن وجود المخلوقات علامة وآية على وجود خالقها الباري سبحانه وتعالى، ولكن لا يلزم من عدم هذه المخلوقات عدم خالقها؛ لأن كل دليل مستلزم مدلوله فإنه يجب طرده ولا يجب عكسه، بخلاف الحد الأوسط في المنطق الأرسطي ودلائل الفلاسفة، فإن مدلولها لازم لها طردا وعكسا، وهو ما وجدناه في دليل الممكن والواجب ودليل الجوهر الفرد.

3 ــ المنطق الأرسطي والنزعة التجريدية

إن المتقدمين من علماء الكلام لم يلتفت أي واحد منهم إلى المنطق اليوناني إذ «لم يكن أحد من نظار المسلمين يلتفتون إلى طريق المنطقيين، بل الأشعرية والمعتزلة والكرامية والشيعة وسائر الطوائف كانوا يعيبونها ويثبتون فسادها، وإنما أنشأوا منطقا كلاميا مستمدا بعض قواعده وأسسه من قواعد أصول الفقه وتناولوها بالزيادة والتعديل، في الوقت الذي نقدوا فيه المنطق ورفضوا كثيرا من مباحثه، كمبحث الحد، ومبحث القياس.

---

[1] ــ محمد يوسف موسى: مقدمة كتاب الإرشاد للجويني، ص: ف.

[2] ــ الرازي: معالم أصول الدين، ص 66.

[3] ــ الآمدي: غاية المرام، ص 136.

ولكن هذا الموقف لم يحفظهم من تأثير المنهج الفلسفي التجريدي في مناهجهم، إذ ليس التأثير وتوصل المعرفة للكتب المترجمة وحدها بل للاختلاط في المجالس دخل في هذا التأثير والصلة العلمية[1]، فالمتكلمون المتأخرون لما وضعوا ثقتهم في النظر العقلي، وتوجهوا إلى نقد مناهجهم التقليدية، لتقوية ما ضعف منها وتجاوز ما بطل منها، والتصدي للرد على الفلاسفة وغيرهم ممن يستخدمون المنهج الأرسطي ويستدلون به، ارتضوا المنطق الأرسطي سبيلا إلى المعرفة العقلية اليقينية واستخدموا أساليبه الصورية وتعاملوا معها كمسلمات أساسية في البحث الكلامي، وركزوا على القياس الأرسطي وأشكاله كقوالب أساسية في الاستدلال على المسائل العقائدية والآراء، فأصبحت البرهنة العقلية في نظرهم يجب أن تسلك طريق المنطق الأرسطي الصوري الذي يمكن أن يحفظ صور الفكر من الخطأ والاضطراب في نظرهم.

وهذا ما جعل علم الكلام يزيد إيغالا في التجريد والصورية ويبتعد أكثر عن المنهج القرآني الذي يضع أبنية الاستدلال على أساس «الشواهد الطبيعية»، وقد تجلى هذا الأمر أكثر بعد الإمام الغزالي الذي يعد أول من مزج المنطق بعلم الكلام بصفة «رسمية»[2] حيث حاول رد أشكال المنطق الصوري إلى القرآن الكريم في كتابه القسطاس[3]، ومقدمة المستصفى ومعيار العلم ومحك النظر؛ وتطور استعمال المنطق في علم الكلام على يد الفخر الرازي، ومن أتى بعده إلى درجة أصبحت المباحث المنطقية كمقدمات ضرورية لدعم بحوثهم العقدية، وارتضى الأشاعرة المتأخرون المنهج المشائي الأرسطي طريقا إلى المطالب الإلهية بديلا لقياس الغائب على الشاهد.

مع العلم أن الاستدلال القياسي صوري خالص يتهم بالعلاقات بين القضايا من حيث الشكل لا من حيث المضمون ـــ وذلك لأن المنطق الصوري يعتني بالكشف عن القواعد والعمليات العقلية التي تتبع في التفكير القياسي، بغض النظر عن الموضوعات التي يمكن تطبيق هذه العمليات أو القواعد عليها[4]، أي دون البحث عن الموضوعات التي ينصب عليها بحسب الواقع.

كما «أن العملية القياسية ليست عملية استنتاج نتيجة من مقدمتين وإنما هي عملية تهتم بلزوم النتيجة

---

1 ـــ محمد البهي: الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، ص179، وراجع صباح بعماني: القياس بين المنطق وعلم أصول الفقه، ص29 – 34.

2 ـــ جلال الدين السيوطي: صون المنطق والكلام، ج 1، ص 46.

3 ـــ أبو حامد الغزالي: القسطاس المستقيم، ص 42 وما بعدها.

4 ـــ محمود قاسم: المنطق الحديث والمنهج العلمي، ص 26.

عن المقدمتين، وذلك لأن مهمة القياس المنطقي هي التأكيد والبرهنة على علاقة بين طرفين إثباتا أو نفيا، وليست اكتشاف حقائق جديدة، وذلك لأن العلاقات في العمليات القياسية علاقات تحليلية، لأنها تعبر عن القضايا التحليلية التي يتكون منها القياس، والقضايا التحليلية — Propositions Analytiques — لا يضيف المحمول في أحكامها التحليلية إلى معرفتنا بالموضوع جديدا»[1]، وهذا يعني أن القياس لا يؤدي إلى معلوم جديد لأن النتيجة متضمنة في المقدمات، والعلم بالمقدمات علم بالنتيجة في نفس الوقت.

وهنا يتبين لنا أن من أهم الجوانب السلبية في المنطق اليوناني هو سوء استخدامه من حيث الطريقة والمجال، لفساد المواد أو التعسف والإسراف في الاستخدام، إذ أضحى كل خصم يحاول نقض حجة الآخر بالتوكؤ على أساليب الحاجة الأرسطية ذاتها، حيث «جعلوا حكم الحدود الحقيقية وأجزائها مطردا في المفاهيم الاعتبارية، واستعملوا البرهان في القضايا الاعتبارية التي لا مجرى فيها للقياس الجدلي، فتراهم يتكلمون في الموضوعات الكلامية كالحسن والقبح، والثواب والعقاب، والحبط والفضل، في أجناسها وفصولها وحدودها، وأين هي من الحد؟ ويستدلون في المسائل الأصولية والمسائل الكلامية من فروع الدين بالضرورة والامتناع، وذلك من استخدام الحقائق في الأمور الاعتبارية، ويبرهنون في أمور ترجع إلى الواجب تعالى، وأنه يجب عليه كذا، ويقبح منه كذا، فيحكمون الاعتبارات على الحقائق، ويعدونها برهانا، وليس بحسب الحقيقة إلاّ من القياس الشعري[2]»[3].

واستعمل المتكلمون القياس التمثيلي الذي يستوي فيه الأصل والفرع، وهو قياس لا يصلح في الأحكام الإلهية لأن الله تعالى ليس كمثله شيء، ومن ثم لا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوي فيها الأصل والفرع، كما أن هذا القياس الأرسطي لم يكن طريقا إلى اليقين كما كان يطمع المتكلمون، لأن طريق العلم بالمقدمة الكبرى ظني وهو الاستقراء، فالاستقراء التام غير ممكن، والاستقراء الناقص ترد عليه الاحتمالات العقلية، وما دامت مقدمات القياس ظنية فنتائجه ظنية؛ وإذا فشل القياسان كطريقين إلى المطالب الإلهية فإن قياس الأولى الذي ارتضاه التيميون

---

1 — صالح نعمان: المرجع السابق، ص 60.

2 — القياس الشعري: «هو قياس مقدماته قضايا مخيلة، إذا أوردت على النفس أثرت فيها تأثيرا عجيبا من قبض أو بسط. والغرض منه انفعال النفس بالترغيب والترهيب، ويروجه الوزن والصوت الطيب».

3 — الطباطبائي (السيد محمد حسين): الميزان في تفسير القرآن: ج3، ص 286.

كبديل عنهما لم يكن أكثر حظا من سلفيه فقد حمل في طياته التشبيه[1].

ثم إن القضية الكلية هي كلية في الذهن لا في الوجود[2]، و«الكليات إنما هي كليات في الأذهان لا في الأعيان،وعلى هذا التقدير لا يغير البرهان القياسي العلم بشيء موجود بل بأمور مقدرة في الأذهان لا يعلم تحققها في الأعيان، وإذا لم يكن في هذا علم بشيء موجود لم يكن في البرهان علم بموجود، فيكون عديم المنفعة»[3]، أي أن القضية الكلية أو العامة ـــ كما يسميها المناقطة المحدثون ـــ لا تتضمن أي تقرير وجودي واقعي لأفراد الموضوع.

وهذا يعني أن ما أثبته المتكلمون بالمنهج القياسي لا حقيقة لوجوده في الخارج الحسي مطلقا، وأن هذا الوجود الذي أثبتوه لا يختص بذات الباري جل جلاله، لأن تصوُّرَه لا يمنع من وقوع الشركة فيه[4].

وهو ما لاحظناه ولمسناه في دليل الجوهر الفرد ودليل الممكن والواجب ودليل التمانع، إذ لم يثبت المتكلمون بدليلهم «ربا خالقا للعالم ولا إلها معبودا يقصده المسلمون في عبادتهم وإنما أثبتوا واجبا عقليا، أو جوهرا قائما بنفسه، وهذا لا وجود له إلاَّ في العقل فقط فيكون وجود الله حسب دليلهم قاصرا على وجدان العقل وله فقط»[5]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أمست مهمتهم التفتيش عن حلول وإلزامات في عوامل أخرى غير الحياة البشرية وعوالمها، والتدقيق في مسائل افتراضية ترتكز على محاججات منطقية من دون أن يكون لها ارتباط بالواقع الذي قد تخالفه وتناقضه، وهذا نتيجة استقصائهم في البحث لكافة وجوه الاحتمالات الممكنة وغير الممكنة، والتدقيق في تفصيلات لا طائل تحتها ولا فائدة عملية من ورائها.

إن صياغة العقيدة صياغة منطقية مجردة تشويه لحقائق الإيمان التي تعد أمورا قلبية تعني التصديق والتسليم، قد تعلوا أحيانا فوق مناقشات العقل ومناقضاته وحججه، وليس معنى ذلك أنها ضد العقل، كما أدى هذا الأمر إلى تمسك كل فريق بما يرتضيه من صياغة معينة وينكر على غيره، ويرى أنه وحده

---

1 ـــ هشام حسن فرغل: الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية. ص 281.

2 ـــ ابن قدامة (المقدسي): روضة الناظر وجنة المناظر، ص 194.

3 ـــ ابن تيمية: كتاب الرد على المنطقيين، ص 116، راجع نصار عبد الستار: المدرسة السلفية، ص 369.

4 ـــ الخليفة (محمد السيد): منهج القرآن في تأسيس اليقين، ص 78.

5 ـــ نفس المرجع، ص 72.

الذي أصاب الحق[1]، فدل هذا التعصب والخلاف على فشل مناهج المتكلمين العقلية وعدم تحقيقهم لمقصود علم العقيدة.

وهذا ما أجمله أبو حامد الغزالي في المنقذ قائلا: «وخاضوا (المتكلمون) في البحث عن الجوهر والأعراض وأحكامها، ولكن لم يكن ذلك مقصود علمهم، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى، فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق»[2] وهو ما لم يسلم منه الغزالي نفسه.

وقد امتد أثر هذه النزعة التجريدية الإلهية إلى بقية العلوم الإسلامية الأخرى كالفقه ومازالت عند الكثير من المفكرين المسلمين، إذ يكاد يكون الخطاب الفكري الإسلامي اليوم محكوما بهذه التجريدية في الخطاب[3].

وهذا ما نتج عنه كذلك انفصال الفقه عن علم الكلام وسائر العلوم الإسلامية، التي انفصلت أيضا عن العلوم الكونية والعلوم الإنسانية الاجتماعية، مما أدى إلى فصل العمل عن النظر وتغليب هذا الأخير عن الأول.

وبناء على ما تقدم نخلص إلى أن المناهج التي أبدعها العقل الإنساني وقفت تعلن فشله في الوصول إلى اليقين فيما يتعلق بالجانب الإلهي.

كما «كانت مادة الدلالة التي قدمها هذا العقل هي الأخرى إعلانا جديدا على فشل العقل الإنساني في محيط ما وراء الطبيعة إذ اختلف المتكلمون عقليون ونصيون حول الضروريات في مادة الدلالة فما رآه المعتزلة ضروريا وبنوا عليه قضاياهم في العدل الإلهي رآه الأشاعرة والمشاؤون من قبيل القضايا المشهورة، وما رآه التيميون ضروريا في باب التوحيد وأثبتوا به ما ذهبوا إليه من علو الله على خلقه واستوائه على عرشه فقد اعتبره الأشاعرة والمشاؤون من قبيل الوهميات، وبذلك كانت المناهج العقلية صورة ومادة إعلانا صريحا عن فشل مناهج العقل فيما وراء الطبيعة»[4].

وما المواقف الأخيرة لبعض المتكلمين (من ندم وتراجع) إلاّ دليلا على فشل مناهجهم في بلوغ اليقين في علم الغيب وتحقيق غاية علم العقيدة (الدعوة والنصرة)، ومدى ابتعادهم عن منهج القرآن الكريم وانحرافهم

---

1 ــ المغربي (علي بن عبد الفتاح): حقيقة الخلاف بين المتكلمين، ص 158.

2 ــ الغزالي (أبو حامد): المنقذ من الضلال، ص 91.

3 ــ عبد المجيد النجار: مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ص 152.

4 ــ عماد خفاجي سالم: مناهج التفكير في العقيدة، نقلا عن حسن فرغل، الأسس المعرفية، ص 282.

عنه مما أوقعهم في الحيرة والاضطراب والتناقض، إذ يقول أبو حامد الغزالي: «حتى شفى الله من ذلك المرض، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة»[1]، ويقول في فشل علم الكلام في تحقيق فائدة المرجوة «وأما منفعته، فقد ظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه، وهيهات، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدّث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة، وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود»[2].

أما الإمام الرازي الذي كان أكثر المتكلمين الأشاعرة إيغالا في العقليات، فقد قال في مرضه الذي توفي فيه: «لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما وجدت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذلك إلاّ لأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية»[3]، وقال في مقام آخر: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تنفي عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، إقرأ في الإثبات قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، واقرأ في النفي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»[4].

وهذا يدل على مدى قصور أدلة المتكلمين القديمة، وضرورة تجاوز صورها أو مادتها أو صورها ومادتها معا، لتقوية الضعيف منها، وتطوير الصالح والاستبدال بالباطل منها أدلة جديدة قوية تناسب العقلية المعاصرة وتصمد أمام التحديات المستجدة، وتصل عقول ونفوس كل المستويات وأنواع المخاطبين.

فما هي هذه التحديات الجديدة الدافعة إلى تجديد مناهج المتكلمين؟

---

1 ــ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص 85.

2 ــ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص 168.

3 ــ السبكي: طبقات الشافعية، ج5، ص 37.

4 ــ ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، ج1، ص 93، قارن أساس التقديس للرازي، ص 30- 39، وراجع، المطالب العليا، للرازي، ج1، ص 10 –21.

المطلب الثاني: التحديات العقدية المعاصرة

يواجه الإسلام بصفة عامة والعقيدة الإسلامية (أصول هذا الدين) على الخصوص تحديات فكرية ـــ سلوكية (حضارية) أكثر حدة وشمولية من أي وقت مضى تعمل على اختراقها، أو تحريف مضمونها أو تقويضها.

ومن أهم هذه التحديات، من حيث خطورتها في ذاتها وأثرها على المسلمين وعلى البشرية جمعاء في الحاضر والمستقبل (وظيفة ومصيرا): التلوث البيئي، والعولمة، وتفكك المجتمع، وعقيدة الخلود الإنساني في الحياة الدنيا، الناتجة عن تحريف مفهوم حقيقة الألوهية ونقلها من الله تعالى إلى الإنسان، فأصبح هذا الأخير إلها متجليا من خلال ثلاثة مظاهر:

1 ـــ «مسيطرا» على الطبيعة قاهرا «بعلمه» وتقنيته بعد ما كان خاضعا عابدا لها.

2 ـــ مهيمنا بقوانينه على الكون بما فيه الإنسان نفسه، حين أحل شريعته محل الوحي.

3 ـــ مغترا «بخلوده وأبديته الدنيوية» بتحويله غريزة البقاء، عقيدة ثابتة، متناسيا حقيقة الموت والفناء، بناء على ما أوصله إليه «علمه».

فأدى المظهر الأول إلى كارثة التلوث البيئي ومخاطره (الاحتباس الحراري، ظاهرتي النينيو والنينيا...)، وأدى الثاني إلى اختلاق فكرة العولمة وجعلها حتمية لا مفر منها لتحقيق السلام العالمي والحرية الإنسانية ووحدة الشعوب، بمحو الفوارق الثقافية والدينية ونفي الآخر، أي (أمركة العالم).

وأدى المظهر الثالث إلى إنكار البعث وتضييق، الخلق والحياة والجزاء، في المفهوم الزمني المكاني، فأفسد في الكون وسفك الدماء، وأخرج نفسه من سعة الدنيا والآخرة إلى ضيق الدنيا، ومن عدل الإسلام إلى جور الفلسفات والأديان.

ولا يمكن للإنسان أن يصلح الكون ويتجنب هذه الأزمات ويحقق سعادته ما داء في غفلته عن منهج خالقه (الله سبحانه) ألا وهو الإسلام دين التوحيد، وقال الحق تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[1].

وإلى هذا المعنى يشير ابن عطاء الله السكندري بقوله: «كيف يُشرق قلب صوَّر الأكوان منطبعة فيه؟ أم كيف يرحل إلى الله وهو كليل وهو مكبل بشهواته؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته؟»[2].

---

[1] ـــ سورة البقرة: الآية 282.

[2] ـــ ابن عطاء الله السكندري: الحكم العطائية، الحكمة 13، شرح ابن عباد النفري الرندي، ص 122.

وما سبب ذلك في الحقيقة إلاّ لتزييفه لما تعلمه من الأسماء:﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[1]، ولإخلافه العهد: ﴿أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[2]، فانحرافه عن وظيفته.

ولذلك حدد الإسلام علاقة الإنسان بالله تعالى، وهي العبادة، لتحقيق العبودية، علاقة الإنسان بالكون وهي التسخير، لتحقيق العمارة، وبالغايتين يحقق وظيفته الوجودية وهي الاستخلاف وفق منهج التوحيد؛ فتقويم الإنسان المسلم للفكر (التصور) وللسلوك، يُطهِّرُ البيئة الثقافية من التلوث الفكري والبيئة الكونية من التلوث المادي، ويهيمن على الكون بالتمكين الإلهي فيستبدل بالعولمة العالمية ويغرس عقيدة البعث ويوجه غريزة الخلود البشري إلى الحياة الآخرة، ثمرة الحياة الدنيا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3].

ولا يمكن مواجهة تلك التحديات وصدها إلاّ إذا استعاد علم العقيدة عناصر قوته الطبيعية ومنهجه القرآني[4]، وأهمها: الواقعية والحيوية والحركية والوعي.

فبمنهج واقعي بعيد عن التجريد وبأسلوب بسيط مرن واع تستوعبها العقلية المعاصرة العقلية العلمية، يعالج علم العقيدة تلك القضايا والتحديات العقدية الحية في النفوس وتمثل مشاكل حقيقة يحياها المسلمون بل البشرية جمعاء.

فما هي حقيقة وأصول هذه التحديات؟ وما مدى خطورتها؟ وما هي العلاقة بين مستوياتها؟

فمعرفة الواقع الفكري للخصماء من حيث الأفكار ومن حيث المنهج والأسلوب والوسائل، ومن حيث المخاطر ومآلات، يعرفنا بحقيقة التحديات ومدى خطورتها، وهذا يمثل أحد أهم أبعاد التحرر من منهج علم العقيدة القديم أو تطويره.

والتحديات الفكرية المعاصرة تتعلق بمصدرية المعرفة الإلهية، والوحي والنبوة، ومصير الإنسان وحقيقته

---

1 ـــ سورة البقرة: 31.

2 ـــ سورة الأعراف: 172.

3 ـــ سورة النور: 55.

4 ـــ انظر وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، ص 102، وما بعد.

الوجودية، وما آلت إليه هذه القضايا من تحديات واقعية عملية كالتلوث البيئي والتفكك الاجتماعي وغيرهما من التحديات.

ومن أهم وأبرز القضايا العقدية السائدة في الفكر المعاصر والتي تمثل تحديات فكرية للعقيدة الإسلامية، وأسس نظرية وأسباب فكرية لتلك التحديات الحضارية الواقعية، لما لها من تأثيرات عميقة في فكر الإنسان المعاصر وحياته وفي توجيه سلوكه الحضاري في علاقته بغيره (الله، الكون، الإنسان، (المجتمع)).

أ ــ طبيعة المعرفة ومصدريتها

إن ما يطبع الفكر المعاصر بصفة عامة بل غير الإسلامي بالتحديد هو أن المعرفة ذات طابع مادي ومتغيرة متطورة، فهي معرفة مادية لكونها تعتمد على الملاحظات والتجربة حيث حصرت حركة العقل في مجال ضيق هو مجال الطبيعة أو عالم الشهادة فقط، وهذا يعني أن مصدر المعرفة هو الخبرة الحسية التي يقوم بها العقل على أشياء عالم الشهادة منتهيا إلى قوانينها وتطبيقاتها العملية[1]، وهذا إنقاص لدور العقل وإلغاء لدور الوحي، وهما المصدران الأساسيان في نظرية المعرفة الإسلامية.

فليس للوحي وفق هذه الرؤية أية قيمة معرفية علمية لأنه أمر غيبي لا صلة له بعالم الظواهر الطبيعية وليس خاضعا للتجربة، فهو أمر غير عقلاني ولا تجريبي.

وبناء على ذلك كان مفهوم العلم عندهم هو: «جملة المعارف اليقينية التي أنتجها دستور البحث الجديد في الوجود وكائناته من جعل الشك أساسا للبحث والاستناد إلى القاطع الذي يؤيده الحس دون سواه»[2].

ولهذا قال زكي نجيب محمود في المرحلة الثانية من فكره[3]: «إن الأمور لتستقيم أمامنا إذا جعلنا للعلوم الطبيعية منهجا، ولما يتصل بالحقيقة منهجا آخر، أما منهج العلوم فقائم على مشاهدة الحواس وإجراء

---

1 ــ عبد الرحمان بن زيد الزبيدي: مناهج البحث في العقيدة الإسلامية، ص 476 – 478.

2 ــ محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان، ج1 ص 58.

3 ــ لقد مرت حياة زكي محمود الفكرية بثلاث مراحل أساسية: المرحلة الأولى: المرحلة العلمية التي ظهر فيها أخذه بالعلم ومناهجه، وتمثلت في مؤلفاته منها (المنطق الوضعي، خرافة الميتافيزيقا، ونظرية المعرفة..الخ)، والثانية: هي التي ظهر فيها الوجدان إلى جانب العلم، مثلتها مجموعة من المؤلفات (الشرق الفنان، تجديد الفكر العربي، والمعقول واللامعقول في تراثنا العربي)، ثم المرحلة الأخيرة التي اتخذ فيها الجانب الوجداني والتي يمثل الدين حيزا كبيرا فيه ــ مكانة أكبر من ذي قبل، وهي مرحلة الشيخوخة من عمره جمعت بين العلم والدين تمثلت في مؤلفاته الأخيرة من أهمها: (أفكار ومواقف، قيم من التراث، رؤية إسلامية، وبذور وجذور... الخ)، انظر منى أبو زيد، الدين والعلم في فكر زكي نجيب محمود، ص 103.

التجارب وسلامة التطبيق، وأما منهج ما وراء الوقائع الصماء من حقائق ـــ كالقيم الأخلاقية مثلا ـــ فنلجأ فيه إلى إدراك البصيرة، أو إملاء الوحي، أو ما يسري بين الناس من عرف وتقليد»[1].

ولقد كان محمد أركون أكثر جرأة حين طبق هذا المنهج المعرفي ونفى الوحي مصدرا للمعرفة حين قال: «ضمن هذا المنظور راحت الفكرة الإسلامية تنغرس في النفوس، مستندة في ذلك على الظاهرة القرآنية المعتبرة كظاهرة للوحي، نقول ذلك دون أن ندخل في متاهات اللاهوت، ودون أن نعتبر القرآن كلاما آتيا من فوق، وإنما ـــ فقط ـــ كحدث واقعي تماما كوقائع الفيزياء والبيولوجيا التي تكلم عنها العلماء...»[2].

ويقول: في كتاب آخر: «أما التمييز بين "القرآن الكريم" والظاهرة القرآنية، فأقصد به الفرق بين تغذية الروح الإسلامية بكلام الله تعالى ودراسة النصوص كما تدرس الظاهرة الفيزيائية أو البيولوجية أو الاجتماعية أو الأدبية...»[3].

وأما أن المعرفة متغيرة متطورة، فذلك لكونها تعتمد على الظواهر الطبيعية المتغيرة بناء على نظرية التطور العضوي الداروينية التي تنفي في المجال المعرفي وجود الحقائق الشمولية، لمعرفة متطورة متغيرة لا تثبت على حال.

وهو الاتجاه الذي تمثله النسبية الفلسفية التي ترفض القول بوجود حقيقية كلية إذ ليس هناك حقائق عالمية عن العالم والوجود، وليست هناك معارف عامة، بل كل ما هناك تفسيرات مختلفة للعالم، وقد وصلت بعض اتجاهات الفلسفة النسبية إلى درجة الشك الفكري والمعرفي فكارل بور K. Poper يرى فيما يتعلق بالنظريات العلمية "أن كل قضية قابلة للتكذيب"، ويعمم الفيلسوف كواين Quine شكه ليقول إنه: «ليست هناك قضية يمكن أن تكون لها حصانة حتى ولو كانت قضية رياضية أو منطقية، أي أن كل ما تعارفنا على تسميته بالقضايا التحليلية يمكن أن يراجع فليس هناك فرق عنده بين القضايا التحليلية والقضايا التركيبية[4]، ومن ثم لا يمكن تحديد المعاني فهي نسبية بل ذهب البعض إلى درجة القول بنسبية النظريات والمناهج العلمية.

---

1 ـــ زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، ص 202.

2 ـــ محمد أركون: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص 284.

3 ـــ محمد أركون: الفكر العربي، ص 19.

4 ـــ عبد الله حسن زروق: "منهج الدراسات الفلسفية" ص 65.

ومن الاتجاهات النسبية الشكية فلسفة التفكيك التي تعتمد على المنهج التفكيكي Déconstructionisme في دراسة النصوص والآراء والمواقف الفلسفية لكشف عدم اتساقها وسلب خصوصية مفاهيمها، حيث يرى أصحاب هذا المنهج أن معنى النص غير محدد ونسبي كما يقول دريدا Derrida ويقول ميشال دو فوكو M. Defoco: «إن المعرفة عبارة عن إدارة القوة».

كما تقول الذرائعية العملية المحدثة: Pragmatisme بنسبية المعارف مع كل من رورتي Rorty وبُتنام Putnam، ذلك أن منهجهما يعدّ معنى القضية وصدقها مرتبطان بالنتائج العلمية وما يترتب عليها من مصلحة وفائدة ونجاح، ومن ثم كلما تغيرت المصلحة أو الفائدة أو كان تحقيقها ضئيلا كلما تغير معنى وصدق القضية[1].

ولا يخرج عن هذا الاتجاه أصحاب مذهب التاريخية الذين ينفون القوانين العامة والكلية في العلوم الإنسانية ذلك أنها مرتبطة بأحداث تاريخية محددة زمانا ومكانا ومن ثم لا يمكن تعميمها على كل المجتمعات البشرية وتطبيقها في كل زمان، فالقوانين الاجتماعية والتشريعات نتاج العقل الجمعي ومن ثم فهي تتصف بالنسبية التاريخية[2].

فأدى تطبيق مناهج هذه المذاهب والاتجاهات إلى رفض الوحي كمرجعية معرفية أساسية في كل مجالات الحياة الإسلامية والإنسانية بصفة عامة.

وبناء على ذلك يستحيل بناء أي منهج معرفي موحد يقوم أساسه نظام تربوي أو أخلاقي أو اقتصادي من شأنه تمكين الإنسان من تحقيق غايته من الوجود التي تكون بناء على ذلك ثابتة محددة، ولا يمكن اكتشاف السنة الكونية الثابتة التي تيسر له تسخير الكون، فيتيه الإنسان في متاهة الزمن (الماضي والحاضر والمستقبل) مما يدفعه إلى القعود والسلبية مذهولا، أو إلى مصارعة الواقع، كونا ومجتمعا، بالتدمير والتخريب غرورا.

أي الانفصام بين معطيات الوحي ونتائج المعرفة الكونية الموضوعية.

من هنا تتبين لنا خطورة هذه القضية العقدية في المجال المعرفي والسلوكي، وهو ما نتج عنه التلوث البيئي الفكري العلماني اللذين أديا إلى عدم الاستقرار الأمني والاجتماعي، حيث قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

---

1 ـــ عبد الله حسن زروق: "منهج الدراسات الفلسفية" ص 57 – 67.

2 ـــ محمد عمارة: النص الديني بين الاجتهاد والجمود والتاريخية، ص 17.

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[1].

كما ندرك مدى تأثير هذا الفكر المادي على المسلمين فكرا وسلوكا، حيث استبدلوا العقل الحسي في نظرية المعرفة بالوحي الإلهي، فحرموا أنفسهم ومجتمعهم وأساتذتهم الغربيين والحضارة الإنسانية مما بينه الوحي وأثبته، مما يعجز العقل الحسي عن إثباته في عالم الغيب وحتى في عالم الشهادة، وأضاعوا الوقت والجهد في ما كان يغنيهم عنه الوحي مما يستعصي عن عقولهم الحسية في عالم الشهادة،كما خدعوا أنفسهم ومجتمعهم والحضارة الإنسانية، فساهموا في ما تسير إليه من دمار وانتحار.

بينما القرآن الكريم حرص على تثبيت وتنفيذ بين المنافذ والوسائل المعرفية المتمثلة في الوحي والعقل والحس والبصيرة، وتحقيق التكامل في وظائفها للوصول إلى الحقائق، ذلك أن مجال المعرفة في الإسلام يتمثل في عالمي الشهادة والغيب، إذ عالم الغيب لا يمكن معرفته إلاّ عن طريق الوحي مصدر المعرفة، الأوثق والأول، وعالم الشهادة وسيلة معرفة العقل المصدر الثاني مستعينا بملكاته وبحواس الإنسان المتعددة التي تعد قوات إيصال المادة المعرفية الخام للإنسان من عالم الشهادة، كما يمثل العقل وسيلة الإنسان لمعرفة ما جاء به الوحي من تعاليم عقدية وتشريعية في انسجام تكاملي بينهما (الوحي والعقل)، ومن ثم كان دور العقل فهم وتنزيل الوحي في الواقع الإنساني.

وبالتالي كان هذا المنهج المعرفي طريقا للترقي في سبيل التعبد والتعمير، مما يمكّن الإنسان المؤمن من العمل على تحقيق الغاية في وجوده بناء على حقائق وليس على أوهام وفرضيات تجعل منه وحشا جبارا مدمرا للكون لا معمرا فيه، لقصور معرفته وسطحيتها متجاوزا ضوابطها، فالمعرفة الحقة لا تتم: «إلاّ بالتكامل بين أنواع المعارف تكاملا يفضي إلى التوازن الذي يبلغ به الإنسان إلى تعمير مثمر يرشده في الاتجاه المبتغى به وجه الله تعالى»[2]؛ وهذا التكامل يتحقق بالجمع بين القراءتين قراءة كتاب الوحي المقروء وهو القرآن، وقراءة كتاب الكون المتحرك المتطور الذي يتضمن ظواهر الوجود كافة، فالقرآن يقود إلى الكون والكون يقود إلى القرآن.

ب ــ إنكار الغيب:

بناء على هذه الرؤية المعرفة المادية والمنهجية النقدية القائمة على التجربة الحسية، ظنت

---

1 ــ سورة النور: 55.

2 ــ عبد المجيد النجار: «الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي». ص 98 – 100؛ وراجع المعهد العالمي للفكر الإسلامي: إسلامية المعرفة: ص 89 – 112.

في الثقافة الغربية ـــ وخاصة فلسفتها الإلحادية ـــ موجة من الرفض الشديد لكل ما هو ما وراء عالم المادة المدرك بالخبرة الحسية ومن ثم لا حقيقة ولا موجود إلاّ ما يدرك بالحواس ويثبت بالتجربة وما سوى ذلك يعد ضربا من الخرافة والوهم مما جعل البعض يسميه (خرافة الميتافيزيقا).

وعليه انبهارا بما أنجزه العلم من تطور تكنولوجي وما حققه من مصالح ورفاهية، نبذ الإنسان الغربي كل ما هو غيبي، وأقام حربا على الغيب والعقلية «الغيبية الخرافية» بحجة تنوير هذه العقول وتطوير مجتمعاها.

فاقتنع بذلك كثير من المسلمين المقلدين المستغربين ورؤوا ـــ كما يقول مصطفى صبري ـــ أنه لا مناص أمام المسلمين إلاّ أن يتبنوا العقلية الغربية ويطاردوها في كل مكان حتى تستوي فيهم عقلية علمية من هذا الطراز الذي نشاهده في معامل العلماء[1].

وإنكار الغيب هو إنكار لأصول الدين الإسلامي وأهمها وجود الله تعالى ووحدانيته، والوحي، واليوم الآخر، وما يتعلق بها من بقية أركان الإيمان كالجن والملائكة والبعث والجزاء الأخروي، وغيرها.

وقد تباين هذا الموقف المنكر للوحي عند المسلمين وغير المسلمين بين الإنكار الصريح بالنفي القطعي عند الملحدين منهم، وبين الإنكار المبطن بالتأويل للنصوص وتطويعها للتفسير المادي، وإثارة الشبهات الطاعنة في العقيدة، كما فعل ذلك المستشرقون والمستغربون، اعتمادا على التطور العلمي المعاصر وما استحدثه التكنولوجية في مجالات عدّة من العلوم الكونية والإنسانية والاجتماعية، كعلم الوراثة، وعلم الأحياء، وعلم الفلك والفيزياء والأنثربولوجيا، والمسانيات الحديثة وغيرها من العلوم، وقد تجلت تحدياتهم في ثلاث مجالات عقدية أساسية هي: (الألوهية، والوحي، واليوم الآخر).

1 ـــ إنكار الألوهية:

قضية الألوهية من أهم القضايا وأسسها، فهي قضية كل وقت وعصر ومجتمع، حتى أن العالم لينقسم معها إلى شطرين، ملحد ومؤمن، ورغم التقدم العلمي الهائل الذي أصبح يدعو للإيمان فإن قضية الإيمان بوجود الله تعالى ما زالت تحت وطأة الهزة العنيفة التي هزت الدين منذ منتصف القرن التاسع عشر (19)، معتبرة أن الله قد (مات) بل الميتافيزيقا قد انتهت، مع كل من نتشه وماركس وفرويد وهيدجر، وسارتر وغيرهم أصحاب الفلسفات الماركسية والوجودية والوضعية[2].

---

[1] ـــ مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ج1، ص 186.

[2] ـــ Claude Tresmontant: Sciences de l'univers et problèmes métaphysiques, p 07.

بل يحاول البعض استغلال منجزات العلم ونتائجه لتجريد الله تعالى من كمال صفاته وأفعاله كالعلم والقدرة والحاكمية والخلق وغيرها، إذ اعتبر البعض الاستنساخ محاكاة لخلق الله تعالى ومجاراة لإرادته وأن التعرف على جنس الجنين لتحسين النسل وتطويره هو إسقاط لحجب الغيب التي استأثر بها الله، فأصبح الإنسان عالما كالله كما تقول أسطورة بروموثيوس اليونانية، وبالتعرف على "جينات الخلود"[1] في إطار الخارطة الجينية (الجينوم البشري) التي تيسر التحكم الوراثي في "عمر الإنسان"، يكون الإنسان قد خطى خطوة عملاقة نحو محو كلمة "الموت" من قاموسه البشري، وتعويضها بكلمة البقاء والخلود فيصبح مثل الله باقيا خالدا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وهي دعوة معاصرة إلى سوبرمان نيتشه المجسد في أفلام الخيال العلمي ويسعى إلى تجسيده أصحاب هذه الدعوة في الواقع الإنساني، الذين إن لم ينفوا وجود الله كلية فإنهم يعترفون به ولكنه اعتراف مجرد من حالة التعظيم والإكبار والإجلال.

أما "المؤمنون" بوجود الله المناهضون لهذه الدعوة فهم مؤمنون بربوبيته دون الإيمان بألوهيته والخضوع له بالعبادة.

كما أن كثيرا من هذه النماذج من الاعتراف بوجود الله تعالى تنكر وجدانيته وتعمل على طمس دلائلها وآياتها في الكون والمصادر الإسلامية بكل ما أوتيت من قوة ووسائل، وهي ما نلاحظه من مظاهر الشرك في المجتمعات الإسلامية ومظاهر الشرك والوثنية في المجتمعات الإنسانية، وما تقوم به الإرساليات التنصيرية المعاصرة ومدارسها من تنصير المسلمين بالقضاء على التوحيد ونشر المسيحية عقيدة الشرك خاصة بعدما خلى لهم المجال إثر سقوط المعسكر الشرقي الشيوعي في الثمانينات، حيث أصدر البابا يوحنا بولس الثاني وثيقتيه "روعة الحقيقة" و"ادخلوا في الرجاء"، إذ قال في الثانية متحدثا عن القرآن: «إن أي شخص يقرأ القرآن وهو على دراسة مسبقة بالعهد القديم والجديد سيلحظ بوضوح سياق الاختزال الذي تعرض له التنزيل المسيحي. ومن المحال ألا يصدم المرء من عدم الفهم الذي يظهر بوضوح في القرآن لما قاله الله عن نفسه... إن الله القرآني تطلق عليه أجمل الأسماء المعروفة في اللغة الإنسانية، لكنه في نهاية المطاف مجرد إله يظل غريبا عن العالم، إنه عبارة عن "إله جلالة" فحسب، وليس

---

1 ــ راجع على سبيل المثال مجموعة من المؤلفين: الاستنساخ في حدود العلم والدين والأخلاق، وعبد الهادي مصباح: الاستنساخ بين العلم والدين؛ ومحمد فتحي: الجينوم الوراثي.

أبدا عمانويل»[1]، أي الله معنا، إنها الحرب على عقيدة التوحيد لترسيخ عقيدة التثليث على الرغم مما وصلت إليه الدراسات المعاصرة في الغرب نفسه من إنكار لعقيدة التثليث وإنكار لصلب المسيح.

فكان لزاما على علم العقيدة المعاصر أن يحارب هذه الدعوات بسلاح التطور العلمي ليعلي عقيدة التوحيد بإثبات وحدانية الباري تعالى وهداية البشرية إلى عبادته سبحانه جل جلاله، وحده لا شريك له.

2 ــ دعوة بشرية وتاريخية القرآن الكريم

لما كان الوحي هو المصدر الأساسي للمعرفة عند المسلمين، معرفة الغيب وشؤون العقيدة وأحكام التشريع، بل هو منبع يقينهم وإيمانهم بما جاء به محمد ﷺ من عند الله تعالى، وبه يتحقق معنى النبوة والرسالة، وهو الفيصل الوحيد عن ربه دون أن يغير أو ينقص أو يزيد»[2].

لما كانت هذه حقيقة الوحي حرص أعداء الإسلام على التلبيس عليها، فشككوا في مصدر القرآن الكريم على أنه ليس وحيا وإنما من تأليف محمد ﷺ مستعينا برهبان النصارى وأحبار اليهود وقدحوا في صحته ورموه بالتناقض والاضطراب والتحريف، وما هو إلاّ مجموعة من الأساطير والأحكام المرتبطة بتاريخ ومكان حدوثها ليس لها علاقة بأحداثنا المعاصرة، وهذا معنى تاريخية القرآن ، فالأحكام التشريعية والمفاهيم والأحكام العقدية نسبية غير صالحة لمجتمعنا المعاصر وفي ذلك يقول حسن حنفي: «الوحي ذاته مجموعة من الآيات، نزلت إبان ثلاثة وعشرين عاما، كل آية أو مجموعة من الآيات تمثل حلاً لموقف معين في الحياة اليومية لفرد، أو لجماعة من الأفراد، نصوص الوحي ليست كتابا أنزل مرة واحدة مفروضا من عقل إلهي ليتقبله جميع البشر، بل مجموعة من الحلول لبعض المشكلات اليومية التي تزخر بها حياة الفرد والجماعة، وكثير من هذه الحلول قد تغيرت وتبدلت كذلك حسب التجربة على مقدار الإنسان وقدرته على التحمل، وكثير من الحلول لم تكن كذلك في بادئ الأمر معطاة من الوحي، بل كانت مقترحات من الفرد أو الجماعة، ثم أيدها الوحي وفرضها»[3].

ومن ألدّ هؤلاء الأعداء المستشرقون التقليديون والمجددون المعاصرون الذين لم يكتفوا بما أثاروه

---

1 ــ تقارير اللجان العلمية لرابطة الجامعات الإسلامية: «التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل»، ص 50.

2 ــ محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، ص 186.

3 ــ حسن حنفي: التراث والتجديد، ص 115.

من شبهات وتشويهات، بل استماتوا في تربية أذيال لهم من المسلمين السذج الأغرار الذين تبنوا أطروحات وأفكار أساتذتهم وروجوها في مجتمعاتهم الإسلامية بدعوى التجديد والتقدمية والحداثة وما بعد الحداثة، وهم الذين قال في أمثالهم اللورد كرومر: «إنهم مسلمون وليس فيهم خواص المسلمين، وأوربيون وليس فيهم خواص أروبية»[1].

ورغم جهود المستشرقين المنصفين للإسلام ودعوتهم إلى تدمير آليات الاستشراق التقليدي، فإن التحدي بنفي نبوة محمد ﷺ ونفي ربانية القرآن الكريم ما زال قائما وعلى أشده، ذلك أن هؤلاء المنصفين يمثلون ظاهرة هامشية في الفكر الغربي[2]، كما أن بعض الدراسات الاستشراقية المعاصرة، مثل كتاب أرنالديز: "رسل ثلاث لإله واحد"[3]، وكتاب جاك بيرك "إعادة قراءة القرآن"[4]، دراسة ملحقة بترجمة للقرآن الكريم، جعلتنا مع كثير من المفكرين المسلمين نشك في الأطروحة التي تقول بأن الاستشراق المعاصر بدأ ينحو منحى اعتداليا واضحا في تناوله العالم الإسلامي وقضاياه، وذلك يرجع لسببين أساسيين:

أولهما: يتصل بطبيعة منهجهم الاستشراقي الذي يعتمد في مادة بحثه على الصحيح والسقيم ولا يميز بينهما، وقد يرجحون السقيم بمجرد التوهم والظن.

والثاني: يرجع إلى تعصبهم الذي يظهر من خلال تأثرهم بخلفيتهم الدينية، وجهل غالبيتهم العظمى باللسان العربي[5].

ومن أهم أسلحة المواجهة التي يمتلكها علم الكلام المعاصر سلاح العلم وما أثبته من حقائق تدل على الإعجاز العلمي للقرآن.

3 ــ دعوة الخلود وإنكار البعث

تعد عقيدة البعث من أهم وأخطر العقائد الإيمانية في الإسلام، فكما قال العلامة شبلي النعماني: «مهما قيل، فإن روح الدين هي عقيدة المعاد،فإن كل ما يتمتع به الدين من تأثير، وكل ما للدين من أثر على أفعال الإنسان يرجع إلى قوة هذه العقيدة، وبقدر ما هي عظيمة الشأن بقدر ما هي

---

1 ــ هوڤروب ستوورارد: حاضر العالم الإسلامي، نقلا عن محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص 5.

2 ــ محمد إبراهيم الفيومي: الاستراق رسالة استعمار، ص 186.

3 ــ روجيه أرنالديز: رسل ثلاث لإله واحد.

4 ــ جاك بيرك: إعادة قراءة القرآن.

5 ــ عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس: مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، ص 99.

عسيرة التصور، يقول عربي شاعر بدوي:

أموت ثم بعث ثم نشـــر حديث خرافة، يا أم عمرو!»[1].

والإيمان باليوم الآخر والبعث يعني الإيمان بالفناء والخلود في نفس الوقت، والفناء والموت بعد انقضاء أهل الحياة الدنيا، والخلود في الآخرة بعد البعث، التي هي امتداد للحياة الدنيا لأنها جزاء والأولى عمل وابتلاء، وبالتالي يعلم المؤمن باليوم الآخر علم اليقين أنه آيل إلى الزوال والفناء، وأن كل ما عليها فان إلاّ الباري سبحانه وتعالى، ومن ثم يدرك بنفس ذلك اليقين أنه مهما تطورت علومه ومعارفه وتقنياته، ومهما حقق من رفاهية وسعادة في حياته الدنيا، لن يستطيع أن يحقق حلم الخلود في الحياة الدنيا.

فالاعتقاد الوهمي بخلود الإنسان وإنكار الموت والبعث عند الإنسان المعاصر غير المؤمن، سببه تحريف غريزة الخلود التي أودعها الله في الإنسان عن اعتقاد الخلود المطلق (بعد البعث والجزاء) إلى اعتقاد الخلود في الحياة الدنيا، إذ لا حياة في نظره إلاّ الحياة الدنيا؛ ورغم حتمية الموت التي يعمل على تجاوزها، ظل يعتقد بالخلود بالعود الأبدي إلى الحياة الدنيا.

الحياة الدنيا، ورغم حتمية الموت التي تواجهه وما زال يعمل على تجاوزها ومقاومتها، ظل يؤمن بالخلود الذي أسماه بالعود الأبدي إلى نفس الحياة الدنيا[2]،

(l'éternel retour, et l'éternel répétition, cyclique du même)[3].

وهذا الاعتقاد ناتج بدوره عن اعتقاده أنه حر حرية مطلقة كم أوهمته الفلسفات العدمية(نيتشه Nietzche)والوجودية وغيرها، فتمرد عن الله وشرعه، والمجتمع وتقاليده وأعرافه وقوانينه، والكون وسننه، فوقع في اللامبالات والأنانية الطاغية، فقال: «الغير هو الجحيم»، و﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَ مَا أَرَى﴾[4]، وغفل عن الفطرة ونسي العهد واتبع هواه وغواية الشيطان رغبة في تحقيق دوام الراحة وانتظام المعيشة ولكن بالمقاييس والمعايير الإبليسية وليس بالمعايير والمقاييس الإلهية، قال الله تعالى على لسان إبليس: ﴿يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ

---

1 ــ وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ص 42.

2 ــ ويل ديورانت: قصة الفلسفة، ص 522 – 523.

3 ــC, Tresmontant: op, cit ; p 13.

4 ــ سورة غافر: 29.

وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى﴾[1]، و﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[2]، إنه خطاب إبليس لبني آدم كلهم إذ أقسم أن يغوي كل إنسان ضال عن هدى الله، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[3]، فكان الطمع في مثل هذا الخلود معصية لله تعالى.

ومدفوعا بهذا الطمع والغرور والأمل الواهي ذهب الإنسان يبحث عن سر الحياة وسبب الموت ليتحكم فيهما، مسخرا لذلك معارفه وتقنياته، متحديا المشيئة الإلهية، متجاهلا الحقيقة الإنسانية، (قتل الإله وأله الإنسان، الإنسان الأعلى: Super man)، فتوصل حسب ادعائه إلى معرفة سر الموت وأسبابه، ومن ثم تحقيق سبل مقاومته والعمل على حفظ حياة الإنسان واستمرارها إلى الأبد[4].

فعلى مستوى البيوكيمياء، نجح العلماء في تجميد الأعضاء المستأصلة لحفظها أطول مدة ممكنة قبل غرسها في جسم آخر، كتجميد المواد الغذائية والبيكتيريا، ويعملون الآن على تجميد جسم الإنسان الحي عن طريق سائل النيتروجين (الأزوت) حيث تتوقف جميع الوظائف الحياتية (البيولوجية) للأعضاء عند حرارة (196° –) وهي درجة الأزوت السائل[5].

وبناء على ذلك حجز كثير من الأغنياء في فرنسا والولايات المتحدة أماكن أو أحواضا، ودفعوا أموالا طائلة تتراوح بين خمسين (50) أو عشرين (20) ألف دولار لشركات متخصصة في صناعة التبريد وحفظ الحياة، كشركة (ألكور Alcor) الأمريكية لتجميد أجسامهم أملا في بعثهم من سباتهم عند اكتشاف علاج لأمراضهم المزمنة والشفاء منها، ولو دام ذلك السبات (التجميد) عشرات السنين كما بينته أحد أفلام الخيال العلمي (Démolition man) لسيلفستر ستالون (Sylvestre Stallone)[6].

وعلى مستوى علم الوراثة توصل العلماء إلى استنساخ النباتات والحيوانات، ويحاولون استنساخ الإنسان قبل نهاية سنة 2002، لعدة دوافع من بينها الخلود رغم الموانع العلمية والأخلاقية

---

[1] ــ سورة طه: 120.

[2] ــ سورة الأعراف: 20.

[3] ــ سورة ص: 82 – 83.

[4] ــ وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص 111.

[5] ــ Voir Encyclopidia Universalis, T . p 891 . et voir Mimo Larousse encyclopédie, p .

[6] ــ Voir Science Illustrée. Lorsque la science rattrape la fiction, [illegible] p 14.

والقانونية، إذ استنساخ شخص معين إلى نسخة أو عدَّة نسخ طبق الأصل يعد ضربا من الامتداد لحياة ذلك الفرد المستنسخ في الحياة وبعد الموت ــ التي ليست في تصورهم واعتقادهم سوى تحلل كيمائي للجسم[1] ــ كاستنساخ الأمراء ورجال الأعمال والزعماء والأبطال.

لقد توصل العلماء إلى عدة اكتشافات تساهم كثيرا في علاج العديد من أمراض الجهاز العصبي وأمراض الخلايا وتأجيل الشيخوخة، عن طريق التحكم في المادة الوراثية الكامنة في نواة الخلية (A.D.N)، عدَّها كثير من العلماء والفلاسفة محاولة لإطالة عمر الإنسان ومقاومة الموت ومن ثم فتح أبواب الخلود أو تكريس عقيدة البقاء الأبدي.

ففي إطار رسم الخريطة الخاصة بموروثات خلية الإنسان (الجينوم) بتوالي اكتشاف الموروثات التي يتوقع الدارسون أنها تقوم بإتلاف الخلايا وإحداث الشيخوخة ومن ثم موت الكائن الحي.

وعلى هذا الطريق اكتشف فريق من العلماء الكنديين حينا يوجد في جميع الخلايا البشرية يدعى (سوبر أكسيد ديسميوتيز Super Oxyde desmiotise) يقوم بدور تأجيل الشيخوخة، حيث «يقلل من تأجيل مجموعة الذرات الحرة المتخلفة عن العمليات الحيوية في الجسم والتي يعتقد العلماء أن لها دورا كبيرا في الإسراع بالشيخوخة لقدرتها الفائقة على التفاعل بطريقة تدميرية مع كل خلايا الجسم التي تصادفها»[2]. ويعتقد هذا الفريق أن أهم وظائف الجين في صورته الطبيعية هي حماية الجهاز العصبي.

وفي جامعة ماك ماستر بكندا استطاع فريق من العلماء الكنديين والأمريكيين بقيادة الدكتور (كالفين هارلي) الذين يعملون في اهندسة الوراثية من تحديد ومعرفة الأسلوب الوراثي والجين المسؤول عن إحداث الشيخوخة في الكائنات البشرية، وذلك من خلال تحديد أجزاء معينة في نهايات الكروموسومات، تسمى "تيلو ميرز- Telomerze) وتكرر نفس الشفرة الوراثية الموجودة عليها مرات عديدة.

وعندما تنقسم الخلية كي تتكاثر، فإنها تفقد ما بين خمسة إلى عشرين من هذا "التيلوميرز" أو هذه القطع من الحامض النووي، وبالتالي فإن العدد الذي تحمله كل خلية من هذا التيلوميرز

---

1 ــ عادل الأمين: «الاستنساخ الحيني من تجربة تطوير العنداء إلى إنتاج السوبرمان !!» ص 32 – 33، وانظر د. مختار الظواهري: «ليس في الاستنساخ خلق جديد» في مجلة التقدم العلمي، ص 33 – 35.

2 ــ توني باركر وفريقه: مجلة (بيتشر جينيتكس)، نقلا عن جريدة العالم السياسي، ص 12.

هو الذي يحدد عمر الخلية، وكم من الوقت تستطيع أن تحيا وتنقسم وتفقد تيلوميرز، وكان هذا التيلوميرز أو أجزاء الحامض النووي الموجود في نهايات الكروموسومات هي التي تمثل الميقات أو التوقيت الذي سوف يصبح عليه عمر كل خلية قبل أن تصيبها الشيخوخة»[1].

وفي جامعة كاليفورنيا اكتشف الدكتور (ميشيل روز) أستاذ علم الأحياء التطوري في أواخر شهر جوان 1999: «أنه استطاع من خلال التجارب على ذباب الفاكهة تحديد المورثات (الجينات) القادرة على إصلاح ما يحدث في الخلية الحية من خلل إلى ما لا نهاية.

وأن عمل موروثات الخلود هذه ارتفع بعمر أجيال من هذه الذباب إلى 130 يوما أي (ثلاثة أضعاف العمر النوعي الذي كان معروفا له)، وقال: «أنا مؤمن أن موروثات الخلود موجودة في الإنسان، كما هي موجودة في الذباب، والناس يحتاجون إلى الاستفادة من هذه الموروثات في عمر مبكر، قبل أن تعاني أجسادهم من أعطاب كثيرة»[2] وهي أعراض الشيخوخة.

وعليه أكد العالم ومجموعة من العلماء الآخرين أنه بتحديد المركبات الكيمائية التي تنتجها هذه الموروثات يستطيع الأطباء بعد عشر سنوات أن يقدموا دواء يطيل العمر، ويحفظ للإنسان شبابه الدائم حيث يصون خلايا الإنسان ويصحح ما يحدث فيها من خلل.

وهذا يعني أنه ــ عندما يحدث ذلك كما يتوقع بعض العلماء ــ يمكن أن يضاف إلى عمر الإنسان مئات من سنوات الصبا والشباب، حيث يمكن أحفادنا من الحياة لأعمار تتراوح ما بين 400 و700 عام وربما الخلود كلية بحيث أن يعرف الموت أبدا.

ولكن نسي هؤلاء غرورا أن طول عمر الإنسان وقصره بمشيئة الله تعالى القائل: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[3]، والقائل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾[4].

جـ ــ اغتراب الإنسان وشعوره بالإهمال

إن المذاهب والمناهج السابقة الذكر أدت إلى اغتراب الإنسان وضياعه (Aliénation) حيث

---

1 ــ عبد الهادي مصباح: الاستنساخ بين العلم والدين، ص 105 – 106.

2 ــ محمد فتحي: التحكم الوراثي في الإنسان (الجينوم البشري)، ص 63.

3 ــ سورة فاطر: 11.

4 ــ سورة الرحمن: 26 – 27.

ضيع حقيقته وإنسانيته ففقد عبوديته لله تعالى ووقع عبدا لأهوائه وشهواته والمادة، بل أدت إلى موته مع البنيوية أو موت الجنس الإنساني وتأليه الفرد.

فعدت الإنسان الموجود المشكل L'être problématique بأعلى درجات الإشكال، لأنه أكثر الموجودات شقاء وأعمقها ألما في نظرهم وأرهفها حساسية، لأن الذات الإنسانية لا تستطيع مطلقا أن تبلغ مرحلة الاتزان المطلق أو التطابق التام مع الذات ولا الانسجام مع الغير.

ولأنه الموجود الذي كان ومازال لا يعرف مكانه في الطبيعة، فهو ينظر ويتأمل ويبحث، ويتردد ويتعثر، ولكنه لا يكاد يعثر لوجوده على قرار طبيعي يطمئن إليه[1]، ولا يستطيع الانسجام معها، إنه في الطبيعة لكنه غريب عنها أو غريبة عنه، وينظر إليها نظرة العدو والخصم الذي يهدد وجوده.

كما تناقض الفلاسفة والمفكرون في تعريفه فلم يعرف من هو، أهو حيوان متميز (ناطق، اجتماعي، ضاحك،...) أم كائن بشري خارق أو إله سامي؟ أهو خيِّر أم شرير ذئب لأخيه الإنسان؟

ومضى بعض الوجوديين إلى حد أبعد من ذلك في تصوير "عبث" الموجود البشري إذ يقول زعيمهم سارتر في كتابه "الوجود والعدم": «إن الإنسان هو الموجود الذي يشعر بأنه قد وجد جزافا، أعني أنه يدرك ذاته بوصفه عبثا لا طائل تحته، ويعرف دائما أنه زائد عن الحاجة "de trop"»[2].

كما يجهل أصله ومصيره، أو بالأحرى لم يستقر على حقيقة يطمئن إليها، بسبب تغير النظريات وتطورها وتسارع المعلومات وتناقضها بين المذاهب الفلسفية والدينية المتعصب لآرائها، أصله المادة والطبيعة خاضع لقانوني النشوء والارتقاء والانتخاب الطبيعي مع التطوريين، فليس إلاّ حلقة من حلقات التطور الميكانيكي للمادة في الكون، لا يتميز عن غيره من الموجودات إلاّ بدرجة التطور والتعقيد.

كما أنه في الجهة المناقضة هو الإنسان الخارق (السوبرمان) الذي يتحكم في وجود الإنسان عن طريق المعالجة الوراثية أو العبث بالموروثات، فيكون عبدا مملوكا لصانعه في المخبر، وسبب وجوده وولي نعمته، أو منعزلا عن البشر والكون، لا يعرف عنها إلاّ ما يسمح بتعريفه إياه أو ما برمج عليه.

فهو إنسان متوحد في عالم غريب عنه يشعر بالحرية المطلقة لا تحكمه أية قيود أخلاقية أو دينية «فكل فرد عالم قائم بذاته يصنع بذاته لنفسه أخلاقه وآدابه وعقائده وآراءه، فيختار الإباحة إن شاء،

---

[1] ــ زكرياء إبراهيم: مشكلة الإنسان، ص 6 – 7.

[2] ــ نفس المرجع، ص 07.

وهو المسؤول عما يصيبه من جراء إباحته أو جراء نسكه، وزهده»[1]، إلاّ أن حريته هذه تجعله يعيش التناقض بين المسؤولية واللامبالات، ومع خواء النفس من الإيمان عصف به القلق واليأس.

وقد وصف هيدجر أحسن وصف الحالة النفسية التي آل إليها الإنسان المعاصر الملحد ويؤول إليها في كل مكان وزمان: «حينما يستولي على أنفسنا الشعور بالقلق، فهنالك لا بد من أن ندرك أنه قد قذف بنا إلى هذا العالم على الرغم منا، وأنه قد خلي بيننا وبين أدواتنا، وأننا (مهجورون) لا نجد خلفنا أية دعامة نستند إليها، ولا نلمح أمامنا أي هدف نترع إليه، ولا نرى فوقنا أية قوة عليا تعيننا على التحكم في مصيرنا»[2].

وهذا الإحساس بالإهمال Le Délaissement يرجع أساسا لعدم وجود الألوهية، فالإنسان مهمل في هذا الوجود لأنه لا يجد في باطنه ولا في خارجه قيما يحتكم إليها، وبالتالي لا توجد هنا حتمية سُلوكية، أي لا مبررات ومعاذير لأفعاله فيفعل ما يشاء[3].

وأمام قيم المجتمع التي يصطدم بها ينتابه الخوف التدميري لنفسه ومجتمعه وللكون كله.

لكن الخوف الحقيقي الذي يشعر به المؤمن هو الخوف من الله مقرونا بالرجاء، إذ الخوف من الله يؤدي في نهاية الأمر إلى تحقيق الأمن النفسي، إذ يغمر المؤمن شعور الرجاء في عفو الله تعالى ورضوانه[4] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[5].

فما عساه أن يفعل مثل هذا الإنسان المستلب المهمل الضائع إلا أن يتمرد عن القيم والأخلاق والمجتمع كله ويعيث فسادا في الكون محاولا التغلب على الطبيعة والسيطرة عليها في صراعه الوهمي معها، ويستعبد أخاه الإنسان ويقتله بتجريب أسلحة الدمار الشامل، التي يتباها بها ترهيبا وترغيبا، والهيمنة عليه بالعولمة التي تسلبه خصوصياته.

---

1 ــ سارتر: الوجودية مذهب إنساني، ص 25.

2 ــ زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص 434 – 435.

3 ــ محمد ثابت الفندي: مع الفيلسوف، ص 231.

4 ــ محمد عثمان نجاتي: القرآن وعلم النفس، ص71.

5 ــ فصلت: 30.

فكانت النتيجة أن ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[1] على كل المستويات الفكرية والعملية أغرقت الإنسان في أزمات لا يحصيها إلا الله ولا يعلم عواقبها إلا هو العلي العليم، لقد اغتر بعلمه المنفصل عن الوحي وعمله المجرد من الإيمان ففسد وأفسد، وضاع وأضاع في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[2].

فكان على علم العقيدة اليوم مسلحا بالمنهج العلمي المعاصر، أن يتصدى لهذا التحدي بتبيان حقيقة الإنسان في العقيدة الإسلامية من حيث الأصل والمصدر والغاية والوظيفة ليبعث فيه الأمن والأمان والأمل والطمأنينة، لينقذه وينقذ العالم كله.

د ــ الانعكاسات العملية للتحديات الفكرية (التحدي على المستوى الواقعي)

ومن أهم مظاهر الانعكاسات العلمية لتلك التحديات الفكرية وأخطرها "التلوث البيئي"، لكونه أكثر التحديات شمولية للأزمات الإنسانية المختلفة (إنسانية وطبيعية) وأسبابها، وأكثرها ظهورا من حيث النتائج الملموسة.

وذلك للانفصام الذي حدث بين السلوك النفسي للإنسان المعاصر والقوانين الكونية، فالأزمة البيئية الحالية كشفت عن الأزمة النفسية التي تعاني منها الحضارة المعاصرة، وهي عدم التجانس في تطورها الصناعي والتكنولوجي مع السنن الإلهية في الكون، لأن التكنولوجيا المركبة على نفسية مرضية – متكونة من الغرور والصراع والأنانية، ولا ترى في المجتمع والكون والله إلا خصوما لابد أن تنفصل عنهم لتحقق وجودها[3] سرعان ما تؤدي إلى إشاعة النفسية الفردانية التي تهدف إلى تحقيق المنفعة الخاصة، فلا يكون الإنتاج إلا لغاية الاستهلاك، وتنمية قوى الطغيان وإحكام

1 ــ الروم: 41.

2 ــ غافر: 81 – 85.

3 ــ زكريا ابراهيم: مشكلة الإنسان، ص135.

السيطرة وتوسيع مناطق النفوذ وتنمية الأموال.

وتكون القيم الأخلاقية والتشريعات محققة لتلك الأهداف، ومعاكسة لمبادئ الوجود أو الحق الذي أودعه الباري الحق في الكون[1]، وهو التسخير المادي والتسخير المعرفي، وهدى إليه عباده (البشر) عن طريق رسله.

وبناء على هذا التصور المنحرف عن الفطرة والرؤية التوحيدية الكونية خصت عملية اقتحام الكون واستغلاله (وخاصة الأرض) على أولية عليا تحقيقا للمصلحة الشخصية، والربح السريع والمنفعة و"السعادة الأبدية" من خلال التصنيع والاستزراع واستهلاك الثروات المختلفة (النباتية والحيوانية والمعدنية) بل استنزافها، حيث كان هذا النشاط على حساب الحفاظ على البيئة وإزالة التلوث[2].

فكان من عواقب ذلك أن تلوث الغلاف الجوي، وارتفعت درجة حرارة كوكب الأرض وتغير مناخه، كما تدهورت الموارد الطبيعية بتلوث المياه والبحار والتربة وأصبح العالم مهددا بخسارة التنوع البيولوجي.

ويعد الاحتباس الحراري وظاهرة النينيو (NINIO) المترتبة عنه ظاهرة النينيا (NINIA) المترتبة عنهما الصورة الواضحة المجملة للتلوث البيئي أو النتيجة المباشرة له في كثير من المجالات.

وقد انعكس ذلك على حياة الإنسان فردا وجماعة من الناحية البيولوجية والفيزيولوجية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية، وأصبحنا نعيش اليوم – كما قال اشفلتزر – في ظل انهيار الحضارة[3].

فلقد أدى النشاط الإنساني اللامسؤول إلى تلوث الهواء بصورة سريعة جدا حيث ازداد انبعاث الغازات الدفيئة (gaz a effet de serre. G.E.S.) وهي: (ثاني أكسيد الكربون (CO2) والميثان(CH4) وأكسيد النترات (N2O) إلى جانب بخار الماء والأزون الأسترانسفيري(O3) والكربون الكلوري القلوري (CFC) وهي غازات قليلة في الطبيعة)[4]، التي لو استمرت في الزيادة بالمعدل الحالي فإن كمية ثاني أكسيد الكربون (CO2) المتضاعفة في الجو تصل إلى ثلاث أضعاف منذ اليوم وحتى عام 2100[5].

---

1 – مرتضى مطهري: الرؤية التوحيدية الكونية،ص21 - 22، وانظر حسين نصر: مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية، ص 13 - 18.

2 ــ عبد المجيد النجار: قضايا البيئة من منظور إسلامي، ص 65 - 71.

3 ــ ألبيرت اشفلتزر: فلسفة الحضارة، ص.19.

4 ــ فرانس بيكيت: " التغير في المناخ: الحوار الكبير"، ص40.

5 ــ مصطفى كمال طلبة: إنقاذ كوكبنا: التحديات والآمال، برنامج الأمم المتحدة للبيئة، ص 19.

مما أدى إلى مجموعة من النتائج الخطيرة وهي تغير توازن الغازات في الجو، وضعف تأثير الدفيئة الطبيعي[1]، وضعف قدرة الكوكب الطبيعية على امتصاص ثاني أكسيد الكربون (خاصة بعد قطع نسبة كبيرة من الغابات مثل غابات الأمزون في البرازيل)، وارتفاع درجة حرارة الأرض بانبعاث أكسيد النيتروجين من محركات الطائرات النفاثة والانفجارات النووية، وانبعاث مركبات الكربون الكلورية الفلورية C.F.C التي تدخل في صناعة المبردات والمطهرات والمبيدات، والمتسبب الأول في ذلك الدول الصناعية الكبرى[2] (انظر الشكل رقم 03).

فأدى مجموع هذه النتائج وأسبابها إلى استنفاد وتدمير غاز الأوزون الاستراتوسفيري (L'ozone stratosphérique) الذي يقي الأرض من الأشعة الفوق البنفسجية المضرة بالحياة وخاصة في القطب الجنوبي مما جعل الباحثين يتنبؤون بارتفاع متوسط درجات الحرارة بين 1,4° و5,8° (درجة مئوية) في أفق عام 2100 (انظر شكل رقم4 (1- 2- 3) مما يؤدي إلى ذوبان الجبال الجليدية بالقطبين الذي يؤدي بدوره إلى ارتفاع مستوى المحيطات الذي يقفز إلى 80 سم ارتفاعا وكثير من المناطق على الكرة الأرضية تصبح مهددة بالغرق لارتفاع مستوى البحار بين 30, م ومتر واحد، تزداد نسبة الأعاصير والعواصف في مناطق ويصيب الجفاف مناطق أخرى من كوكبنا مما يمنعه من "التنفس"[3].

وسرعان ما بدأت تتحقق كثير من هذه التنبؤات وتتجلى تلك الحقائق فيما يسمى بظاهرة النينيو التي تجسدت في الكوارث الطبيعية كالأعاصير المتكاثرة، والأمطار الغزيرة والفياضانات والجفاف والحرائق، إلى جانب الزلازل والانفجارات البركانية والاهيالات والتسونامي أو الزلازل البحرية[4]، وهذا التلوث

---

1 ـــ تأثير الدفيئة الطبيعي effet de serre: يتمثل في امتصاص الأرض لأشعة الشمس، وتعيد إرسالها في شكل أشعة تحت الحمراء التي يحتبسها غلاف غازات الدفيئة في طبقة التروبسفير troposphere، مما يؤدي إلى التدفئة الطبيعية للكرة الأرضية، وبدون تأثير الدفيئة الطبيعي تنخفض درجة حرارة الأرض إلى (– 18°) وتكون الأرض غير قابلة للحياة. وهذا يجعل كوكبنا بدرجة حرارة متوسط (15°). (انظر:

Science et vie: Nov.1996. p50. et voir Abdelazize Barrouhi:"Climat: demain il sera trop tard".p 46

2 ـــ مصطفى كمال طبة: إنقاذ الكوكب ص 50 وانظر:

Abdelazize Barrouhi. ibid : p.p 42,53 ; et Science et vie. ibid ; p.p 48-50

3 ـــ RENNES. P « Menaces sur l'antaractique ». p21. et voir MEGIE. G et Stalarski p. « la disparition de l'ozone antaractique ». p26-30 et voir jeune Afric, op cit. p 42-43. et Science et vie, op cit. p48-50.

4 ـــ (يحدث على الأرض – حسب تقرير الأمم المتحدة – كل عام 100 ألف عاصفة رعدية و10 آلاف فيضان وآلاف من الاهيالات الأرضية أو الانهيارات، أكثر من 100 زلزال تتسبب في أضرار، مئات من الحرائق الهائلة، عدد لا يحصى من الأعاصير الحلزونية الاستوائية، عشرات من الانفجارات البركانية والتسونامي، ونوبات الجفاف) (رسالة اليونيسكو، أكتوبر1997، ص 10).

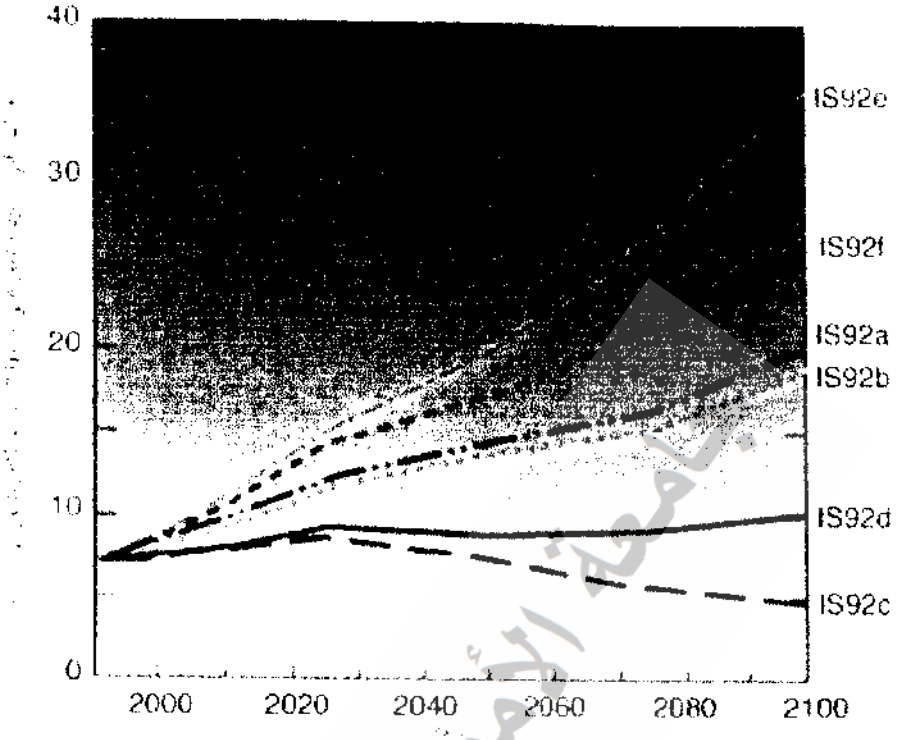

الشكل3-1 الانبعاثات سيناريوهات ثاني أكسيد الكربون في الجو وفقا لمختلف سيناريوهات انبعاث التي وضعتها فريق العمل الدولي لخبراء المعني بتغير المناخ مع عدم اتخاذ سياسات لضبط الانبعاثات

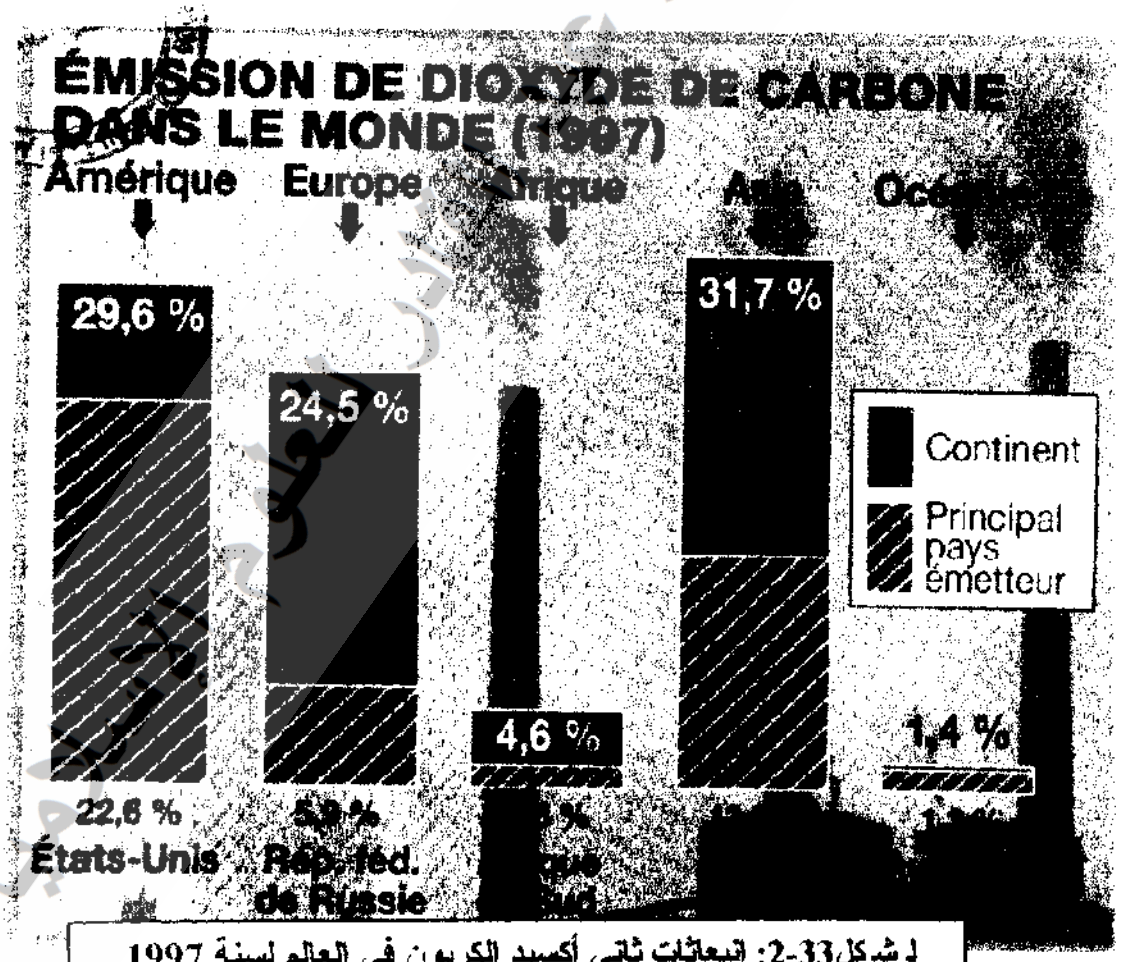

لـ شـكل33-2: انبعاثات ثاني أكسيد الكربون في العالم لسنة 1997.

الشكل رقم: 3

الأرض تمتص أشعة الشمس التي ترجعها في شكل أشعة تحت حمراء ولكن هذه الأخيرة يتحتجزها في الجو غلاف غازات الدفيئة(ثاني اكسيد الكربون-الميثان ...) مما يؤدي إلى التدفئة الشاملة للكوكب.
هذه العملية الطبيعية الضرورية للحياة على الأرض بعنايته و فضله سبحانه وتعالى، قد تصبح يوما ما، بسبب التلوث، سببا لكوارث جمة لا يعلم عواقبها إلا الله اللطيف العلي.

الشكل رقم : 4-1

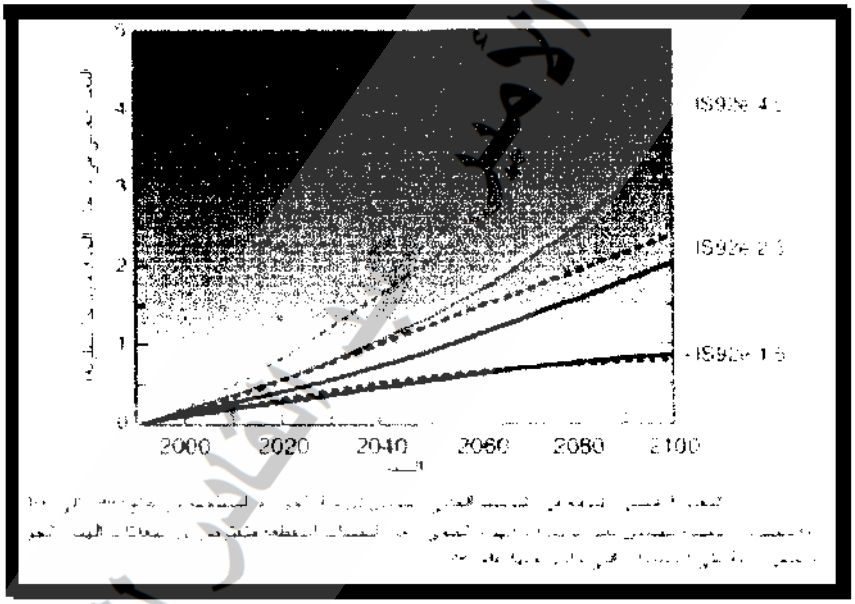

الشكل رقم: 4-2

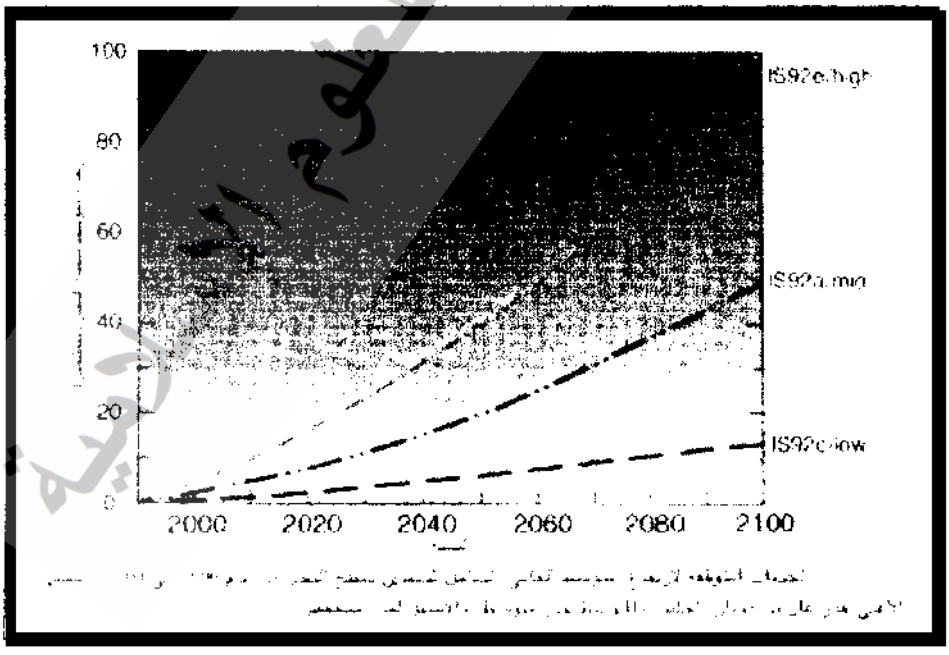

الشكل رقم: 4-3

البيئي والكوارث الطبيعية المترتبة عنه آثار سلبية على الإنسان من عدة جوانب، صحية واجتماعية واقتصادية.

فعلى المستوى الصحي ظهرت عدة أمراض جلدية وتنفسية[1]، وفقدان المناعة، والضعف الجنسي والعقم في بعض الحالات، وازدياد حالات الإصابة بالأمراض المعدية كالملاريا[2] وأمراض العيون، وارتفاع حالات الإصابة بالسرطان بأنواعه وعدة أمراض أخرى مازال الإنسان عاجزا عن معرفة ماهيتها، منها مرض الالتهاب غير النمطي (السارس) الذي بدأ يجتاح قارة آسيا وكندا منذ شهر أفريل 2003.

وعلى المستوى الاجتماعي أدى التلوث البيئي إلى التمزق الاجتماعي بسبب التشرد الناتج عن الكوارث الطبيعية والبحث عن الأماكن الصالحة للعيش، وارتفاع نسبة الوفيات، فرملت نساء ويتمت أطفال وفقد آخرون من الرجال والنساء والأطفال.

أما على المستوى الاقتصادي فتعاني كثير من الدول الفقر والمجاعة، وانهيار اقتصادياتها، بسبب تناقص مصادر الغذاء عندها الناتج عن تلوث البحار والمحيطات والمياه والأمطار الحمضية، والتصحر، وتقلص الأراضي الصالحة للزراعة بسبب تلوث التربة والانهيارات، أو زحف المباني، كما أن الأعاصير والعواصف والفياضانات، وارتفاع درجات الحرارة المتسببة في الحرائق، أدت إلى إتلاف المحاصيل الزراعية والثروات الحيوانية.

تلك هي الأسباب المادية للمشكلة البيئية التي تحددها العلاقة المادية بين الإنسان والبيئة غافلة عن الأسباب العقدية التي تحددها العلاقة الروحية بينهما، وهذه هي النتائج التي يجنيها الإنسان.

إنها لصورة مفزعة ومرعبة يعيشها الإنسان في نهاية هذا القرن، تذكرنا بأهوال يوم القيامة – كما وصفها لنا القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ كلما رأينا مشاهدها على شاشات التلفزيون في النشرات الإخبارية اليومية والتقارير العلمية. والعلم الإنساني يقف عاجزا أمام التنبؤ

---

1 ــ (ذكرت تقارير الأمم المتحدة: أن أربعة ملايين طفل أقل من 5 سنوات مصاب بالتهابات صدرية حادة بسبب الدخان المنزلي غير المعالج، ويقتل التلوث البيئي 11 مليون طفل سنويا – سموم، مياه الشرب، الهواء. (تقرير منظمة الصحة العالمية 071998- – 10).

2 ــ (الملاريا Le paludisme: هو أحد الأمراض الطفيلية القاتلة يتسبب في قتل أكثر من مليون شخص في السنة أغلبهم أطفال إفريقيا، عن طريق بعوضة المستنقعات الناقلة للطفيلي)، انظر:

Robert Walgate, « paludisme: le séquençage, et après?», la recherche، N° 361, Février 2003, p55-59.

بسلوكات الإنسان وسلوكيات الظواهر الطبيعية لأنها لم تعد عادية لما أحدثه بنشاطه من خلل في الكون وفي نظام حياته وأنماط معاشه، ولم يعد كوكبنا ذلك البيت الآمن، المنظم الغني والقوي المتين، بل أصبح وهنا كبيت العنكبوت يوشك على الانهيار إن لم يسعفه الإنسان ويسعف نفسه بالعودة إلى منهج الله تعالى (الإيمان) لتحقيق التوحيد، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

ولم يصل الإنسان إلى هذه التحديات إلا لانحراف تصوره عن التصور القرآني الذي يحدد علاقة الإنسان بالكون علاقة مادية وروحية؛ فلقد أخذ بكل أسباب العمارة والحضارة والسنن الكونية والاجتماعية التي علمها وتوصل إليها، ولكن متعرية عن الإيمان بالله تعالى، لأن الإيمان هو الواقي والحافظ للحضارة والعمارة من غضب الله وسخطه، وانتفاؤه هو الذي أدى إلى سقوط الحضارات واندثار الأقوام[2]، قال الحق تبارك وتعالى:﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3].

وقال أيضا:﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[4].

لقد أدرك اليوم كثير من الناس قوة هذا التحدي وأنهم كانوا في خسران حين كانوا يظنون أنهم يحسنون صنعا: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[5].

---

1 ــ العنكبوت: 41.

2 ــ انظر: الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج24، ص 219 -223، و284 – 285.

3 ــ غافر: 21- 22.

4 ــ غافر: 82 – 85.

5 ــ الكهف: 103- 105.

وكانوا يظنون أنهم في مأمن من التعرض لأدنى خطر من أزمة قد تقوض البناء الحضاري بأسره، لثقتهم العمياء بالعلم إذ اعتقدوا: "أن من مزايا العلم الأبدية أنه استطاع بتأثيره في العقل البشري أن يتغلب على شعور الإنسان بالخوف من نفسه ومن الطبيعة"[1].

فاقتحموا الكون استغلالا إلى درجة الاستزاف حتى وقعوا في الأزمة البيئية هذه التي تكاد تقوض البناء بأسره، وصدق فيهم قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[2].

إنها إذن أزمة إيمان أكثر من كونها أزمة معرفة، لأن العلم البشري قاصر ومحدود في الزمان والمكان بقصور قدرات الإنسان، كما أنه اليوم بتقنيته يفرض العلم نفسه قوة مسيطرة، نافيا القيم الأخلاقية والتاريخ أو تجارب الحياة والأمم[3].

إنه عمل بمعزل عن الوحي ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[4]، ولما كان الأمر كذلك أصبح الإنسان بمعزل عن عناية الله وعونه وهو لضعفه في أمس الحاجة إليهما ليوفقه ربه نحو تحصيل العلم وتحقيق الأمن والاستقرار، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[5] ونجنبه الجهل والعصيان والمعيشة الضنك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى

---

1 ــ أدرين كوخ: آراء فلسفية في أزمة العصر، ص 106.

2 ــ الروم: 41 – 45.

3 ــ انظر:

Marcel Blanc: "la science, ni bonne ni mauvaise?" Enjeux éthiques, l'état des sciences et des techniques, p.p 135,136

4 ــ الروم : 07.

5 ــ النور: 55.

فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلاَ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى»[1].

ودور علم العقيدة هنا يتمثل في التبشير بالحل الإسلامي لأزمة البيئة عبر التعريف بالأبعاد العقدية للكون وحقيقة العلاقة بين الإنسان والله والكون وما يجب أن تكون عليه، للحفاظ على البيئة وصيانتها والاستزادة منها بارتقائها ونبذ محاربتها، تلك الحرب والصراع الذي ولده وغرسه في الأذهان التصور المادي الإلحادي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] ـــ طه: 115 – 124؛ انظر فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، م 11، ج22، ص 123 – 124.

المبحث الثاني

التطور العلمي وأسس المنهج الجديد

نشهد في هذا العصر طفرة علمية وفيضا من التطور العلمي التجريبي الذي يكشف لنا كل يوم بل كل ساعة عن كثير من النظريات والقوانين، ويخطو خطوات هائلة نحو التقدم، ويقرر كثير من الباحثين في هذا العلم أن المنجزات التي حققها في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين يمكن أن تتجاوز في كمها وكيفيها كل منجزات العلم في سابق الزمان، ويتجلى ذلك من خلال التغير الكبير الذي يحدثه هذا التطور في جانبه العملي التطبيقي من تطور تكنولوجي مذهل، ذلك أن التقدم التكنولوجي يركز على منجزات العلوم الكونية الطبيعية، كالفيزياء والكيمياء وعلم الفلك بالدرجة الرئيسية.

وهذا التقدم العلمي المطرد والانتشار الواسع للعلوم أديا بدورهما إلى تغيرات ثورية في أسس ومبادئ المعرفة، مما نتج عنه ثورة وانقلابا في كثير من المفاهيم والتصورات عن الإنسان والكون والوجود بصفة عامة وتركا أثرا عميقا في المعتقدات الدينية، فقد ضاعفت العلوم معلوماتنا العلمية عن العالم في مجالات عدة ولكنها في نفس الوقت أوجدت شبهات وتساؤلات ومشكلات جديدة حول الدين.

كما أوجدت في تطورها من ناحية أخرى عددا كبيرا ومتكاثرا من منكري الدين والمحاربين له بسلاح العلم، حتى ظن هؤلاء أن العلم قد حل كل شيء وأن عصر الإيمان قد ولى.

فهل حقيقة انتهى عصر الإيمان مع ميلاد عصر العلم والتكنولوجيا؟ هل العلم والدين متعارضان ينفي أحدهما الآخر؟ ولماذا؟ وما هي حقيقة كل من العلم والإيمان؟ وما هي طبيعة العلاقة بينهما ومن ثم ما مدى صلة علم العقيدة بالعلوم الكونية إذا كانت هناك صلة بينهما؟

للرد على تلك الشبهات وضع دعاة تجديد منهج علم العقيدة أسسا للمنهج الجديد يقوم على نتائج ومعطيات التطور العلمي المعاصر، فما هي أسس منهج علم العقيدة على ضوء هذا التطور العلمي وتلك الصلة بينهما؟

المطلب الأول: التطور العلمي المعاصر وصلته بالدين (العلم والإيمان)

مازال الكثير من الناس يتصور– وقد اكتسب العلم باستقلاله قوة ونجاحا واهتماما متزايدا – أن عالم الحقائق بأسره وبجميع أجزائه أصبح مفتوحا لبحوث العلم، وأن العلم باطراده وتطوره، قد حل كل أسرار الكون ولم يعد للدين مكان بعد ذلك، ويخيل إليهم أن كثيرا من القضايا التي كانت تعزى إلى الدين من حيث تعليلها وتفسيرها، أصبح العلم كفيلا بها يعللها ويفسرها، أي أن العلم أصبح يكفي نفسه في نموه وتطوره، وذلك لاعتقادهم أن أول سمة للروح العلمية هي عدم التسليم بأي مبدأ للبحث وأي مصدر للمعرفة سوى التجربة وأنه لا حقائق ولا يقين إلا ما تبينه التجربة، ومازال لسان حالهم يكرر ما قاله من قبل أحد المفكرين "إميل بوترو، E.Boutroux" في كتابه (العلم والدين) : "لم يكن مجديا أن تحاول العقائد الدينية تسخير العلم، فقد تحرر العلم من هذا الرق وكأنما انعكست الآية منذ ذلك وأخذ العلم ينذر بفناء الأديان"[1].

ويصرح كثير من الفلاسفة المعاصرين في الغرب أن "رؤية الإنسان الحديث حول الفهم الأسطوري للعالم ولمفاهيم كالمعاد والنجاة كلها تتعلق بالماضي وقد انتهى وقتها وزمانها،...

كما يعتبر حركة العالم تابعة للقانون العلمي، أي القانون الطبيعي الذي يستطيع العقل البشري اكتشافه، من هذا المنطلق يعتبر الإنسان الحديث الظواهر الواقعية هي القابلة للفهم في إطار النظام العلمي العقلاني، فلا يقبل المعجزات لأنه لا مكان لها في النظام القانوني، فعندما تقع صدفة غريبة أو خارقة للعادة لا يهدأ باله إلا بمعرفة سببها العقلاني"[2].

ولكن هل حقيقة الظواهر الواقعية قابلة للفهم؟ أي هل الحقيقة في آخر صورها تخضع للمشاهدة؟ وهل يعني ذلك أن حقائق الدين غير معقولة؟ وهل موقف وأدلة معارضي الدين تستند إلى المشاهدة والتجربة نفسها التي يؤمنون بها أم إن خلفيات عقدية وفلسفية أو منفعية؟

إن من أسباب محاربة الدين باسم العلم وصمود موجة الإلحاد في عصرنا هذا ترجع إلى عدة أسباب أخص بالذكر ثلاثة منها، أولها وثانيها يلخصهما الدكتور (وولتر أوسكار لندبرج)[3].

---

1 ــ محمد رضا كاشفي :"فلسفة الدين والكلام الجديد"، ص 48-49.

2- مصطفى عبد الرازق:الدين والوحي والإسلام،ص 7-8؛ نقلا عن توفيق الطويل، قصة الصراع بين الدين والفلسفة، ص255.

3 ــ عالم الفيزيولوجيا والكيمياء الحيوية، أستاذ الكيمياء الفيزيولوجيا والكيمياء الحيوية الزراعية بجامعة مينسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية.

«**أولا**: يرجع إنكار وجود الله في بعض الأحيان إلى ما تتبعه بعض الجماعات أو المنظومات الإلحادية أو الدولة من سياسة معينة ترمي إلى شيوع الإلحاد ومحاربة الإيمان بالله بسبب تعارض هذه العقيدة مع مصالح هذه الجماعات أو مبادئها.

ثانيا: وحتى عندما تتحرر عقول الناس من الخوف فليس من السهل أن تتحرر من التعصب والأهواء، ففي جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله هو على صورة إنسان، بدلا من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض. وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية فإن تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير أو مع أي منطق مقبول.

وأخيرا عندما تفشل جميع المحاولات في التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمي، نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية.

وعندما يصلون إلى هذه المرحلة ويظنون أنهم قد تخلصوا من أوهام الدين وما ترتب عليها من نتائج نفسية، لا يحبون العودة إلى التفكير في هذه الموضوعات، بل يقاومون قبول أية فكرة جديدة تتصل بهذا الموضوع وتدور حول وجود الله»[1].

ثالثا: ولو فرضنا أن تلك الأفكار الدينية القديمة صحيحة كما هو الشأن في الدين الإسلامي الذي ينسجم مع أسلوب التفكير العلمي والمنطق الصحيح، فإن أولئك المفكرين سيصرّون على إنكار وجود الله تعالى ووحدانيته وكل مقتضيات الإيمان، لأن المبدأ عندهم هو- كما بينت من قبل- أن الحقيقة ليست إلا نتاج المشاهدة والتجربة العلمية، فلا قيمة في نظرهم لأي فكرة إذا لم تكن تعبيرا مباشرا عن وقائع وقد أثبت المنطق وتطور المنهج العلمي خطأ هذا الوهم - كما سنبين لاحقا-.

وهذا المبدأ إذا طبق في كل المجالات واتخذ مقياسا لإثبات الدعاوي والقضايا «لن تستقيم قضية معارضي الدين إلا إذا توصلوا بالمشاهدة والتجربة نفسهما إلى أن الدين في حقيقته النهائية باطل. فيجب أن تصل مشاهدتهم ودراستهم إلى الحد الذي يسمح لهم بالمجاهرة بأنهم قد شاهدوا وجربوا كل شيء داخل الكون وخارجه، في أقصى مداه، وأنهم- بناء على ذلك - يعلنون أنه ليس هناك إله ولا ملائكة ولا جنة ولا جحيم، بنفس الثقة التي يتمتع بها رجل بصير يدير عينيه في حجرة مقياسها 10×10 من الأمتار ثم يعلن

---

1 ــ جون كلوفر مونسما: الله يتجلى في عصر العلم، ص50-51.

أنه لا توجد في هذه الحجرة فيل ولا أسد!! ومن الواضح أن معارضي الدين لا يتمتعون بهذا الموقف....إنهم لم يشاهدوا مبادئ الدين ولم يجربوها في معاملهم، وإنما هم يفسرون بعض مشاهداتهم على أنها أبطلت حقيقة الدين، فمثلا نراهم قد ادعوا بعد اكتشاف نظام الجاذبية في علم الفلك أنه لا وجود للإله الذي كانوا يظنون في الماضي أنه يمسك بالكون. فقانون الجاذبية يكفي الآن في رأيهم لتفسير ذلك الواقع.

والجلي كل الجلاء أن هذا الدليل المستند على المشاهدة لا ينهض- على الإطلاق- دليلا على عدم وجود الله، ذلك لأن منظارا ما لم يخبرنا حتى هذه اللحظة، أنه لا وجود للإله في الكون الفسيح، وإنما غاية ما هناك أن بعض العلماء بناء على المشاهدات زعموا أنه لا ضرورة للإله في حالة وجد قوانين محكمة ثابتة.

فالمشاهدة أو التجربة لا تتعلق ولو من بعيد، بعدم وجود الله وإنما تتعلق بواقع آخر أقاموا في ضوئه زعمهم بأنه «لا ضرورة للإله»[1].

كما أننا من جهة أخرى لا ندري شيئا عن ماهية وطبيعة وكنه ومصدر الجاذبية أو المغناطيسية أو الكهرباء أو النطاقة مثلا، إذ ينحصر سعي العلم في التوصل لقانون رياضي محكم يعطي وصفا دقيقا للكيفية التي تتحرك بها الجسيمات تحت قوة الجاذبية أو التي تعمل بها القوى الكونية، أي أن العلم لا يفسر الظواهر ولا يعللها، ومن ثم من غير الممكن أن تجدي الوسائل التجريبية في هذا الجانب، لأنه ظور فوق إدراكه، هو ظور الإيمان بالله تعالى الذي به يمكن تعليل تلك الظواهر.

ومن هنا يمكننا أن ندرك حقيقتين أساسيتين من أهم خصائص العلم، أثبتتهما الدراسات الحديثة والمعاصرة في فلسفة العلوم:

أولهما: أن الوجود لا يقتصر على المشاهدة، فالأجهزة التجريبية مهما تطورت لن تستطيع رصد كل شيء، ولا معرفة كنه وحقيقة كل ما ترصده، لذا استنجد العلماء بالمنهج الاستنباطي الذي يعد مصدر القوة في العلم الحديث بعد تطور المفاهيم بتطور العلوم الطبيعية وتطبيقاتها، وهو المنهج الذي يضع تفسيرا في صورة فرض رياضي يمكن استنباط الوقائع الملاحظة منه[2]، فنحن لا نستطيع أن نشاهد الحقائق في عالم الشهادة أو عالم الغيب، بل جل ما نستطيعه هو استنباط الحقائق الكامنة بدراسة ومشاهدة الأشياء الظاهرة، وذلك بطريقتين:

أ- الضرورة المنطقية اللازمة لتفسير الوقائع المشاهدة وفي ذلك يقول الدكتور جون كمني:

---

1 ـــ وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ص10.

2 -هانز ريشنباخ:نشأة الفلسفة العلمية، ص97، وراجع: عبد القادر ماهر: فلسفة العلوم، ج2ص43 وما بعدها. وص137 وما بعدها.

«نحن نعتقد بوجود أجسام أصغر من الذرة لا لأننا رأيناها- ولو بشكل غير مباشر- ولكن لأن افتراض وجودها يشكل أسهل أرضية يمكن لها تعليل الوقائع المشاهدة»[1].

ب- والطريق الثاني الذي تعرف به الحقائق «غيبيات المادة وغيبيات الغيب»، آثارها، إذ يقول الأستاذ جيمس كولمان:«إننا لا نستطيع رؤية الذرة فضلا عن الإلكترون، ولكن ليس من الضروري أن نرى الإلكترون فعلا وهو يدور لكن نحدد شكل مساره، إذ أنه لحسن الحظ ينتج عن مساره آثار معينة يمكن اختبارها تجريبيا»، ويقول فيرنر هيزنبيرج: «إنه يمكن ملاحظة المادة في ظواهرها عن طريق التقدم الرائع في الطرق التجريبية إلا أنها لا تخضع لإحساساتنا»[2]، فبيئة علم الإنسان التي تشمل كل ما نراه ونحسه أجهزتنا: ليست كل الكون، وليست نظاما معينا واحدا (حراريا أو جاذبية) بل هي جزء ضئيل مما لا يدرك أبعاده إلا الله سبحانه وتعالى؛ فعالم الشهادة نفسه مغلق على الإنسان فما بالك بعالم الغيب. وهذا يؤكد مدى محدودية ونسبية علم الإنسان المحدود بقصور قدراته ووسائله المعرفية ونسبية الزمان والمكان الذين يعيش فيهما، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[3]، وقال:﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[4]، وقال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[5]، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[6]، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[7].

وهو ما أكده الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام قائلا: «إن الله جعل للعقول في إدراكها حدا تنتهي إليه لا تتعداه و لم يجعل لها سبيلا إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون وما لا يكون، وقد دخل في هذه الكلية

---

1 ــ يحي حسن فرغل: « غيبيات المادة»، ص 1161.

2 ــ يحي حسن فرغل: « غيبيات المادة»، ص 1161. وانظر وحيد الدين خان : تجديد علوم الدين، ص 68.

3 ــ سورة الإسراء:85.

4 ــ طه:114.

5 ــ الروم:07.

6 ــ الكهف: 109.

7 ــ لقمان: 27.

ذوات الأشياء جملة وتفصيلا، وصفاتها وأحوالها وأفعالها وأحكامها جملة وتفصيلا.... » بخلاف العبد فإن علمه بالشيء الواحد قاصر ناقص[1].

ويقول كارل ياسبرس: «في عصرنا الذي يتميز بالتشكيك وعدم الاستقرار، اتجه الناس نحو العلم وظنوه أساسا ثابتا ووضعوا ثقتهم فيما أسموه نتائج البحث العلمي، وأخضعوا أنفسهم خضوعا أعمى لمن افترضوا أنهم خبراء، واعتقدوا أن الدنيا ككل يمكن أن تنتظم بالتخطيط العلمي، وتوقعوا من العلم أن يمدهم بأهداف الحياة- وهو ما لا يطيقه العلم بتاتا- وتوقعوا معرفة الوجود ككل، وهو ما يخرج عن دائرة العلم»[2]، ويقول (نيوتن): «لقد كنت أشبه بالصبي الذي يلهو على شاطئ البحر أتسلى بين الحين والحين بالتقاط حصوة ناعمة أو صدفة جميلة عما حولها بينما محيط الحقيقة العظيم أمامي غامضا»[3].

فالراسخون في العلم يشعرون بضعف علمهم وضآلة فهمهم ويخشون ربهم، يقول الحق تبارك وتعالى:

- ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[4].
- ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[5].
- ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[6].

وعليه لم يعد لدعوة الإلحاد أي أساس تقوم عليه بعد تطور مفهوم المادة والطاقة والوجود، وتطور المناهج العلمية.

ثانيهما: إن البحث العلمي كان دائما مقترنا بفرضيات فلسفية أو مواقف عقدية لا تقتضيها بالضرورة التجارب العلمية فقد قدمت تلك الفرضيات والمواقف إسهاما معينا للعلم، إذ يقول (كارل بوبر) في كتاب منطق الكشف العلمي: «إنه من الحقائق المسلم بها أن الأفكار الميتافيزيقية

---

1 ـــ أبو إسحاق الشاطبي: الاعتصام، ج2، ص 216.

2 ـــ كارل ياسبرس:« الملحاد الدائم للفلسفة » نقلا عن أدريين كوخ. آراء فلسفية في أزمة العصر، ص367.

3 ـــ محمود فرج الدمرداش، وعلم آدم الأسماء كلها، ص50.

4 ـــ فاطر:28.

5 ـــ الإسراء:107.

6 ـــ آل عمران:07.

البحتة - ومن ثم الأفكار الفلسفية- ذات أهمية قصوى للكوسمولوجيا، فمن طاليس إلى انشتاين، أو من الذرة القديمة إلى تأملات ديكارت عن المادة، ومن تأملات جلبرت ونيوتن وليبنتز وسيكوفيك عن القوى إلى تأملات فراداي وانشتاين عن مجالات القوى، أضاءت الأفكار الميتافيزيقية معالم الطريق»[1].

وهذا يعني أن الأفكار العلمية التي تؤدي إلى صدور نظريات علمية انطلقت من أفكار وآراء فلسفية ومواقف عقدية ذلك أن العالم الباحث يترع دائما لأن يعبر عن الفرضيات العامة بعبارات تمكن من تطبيقها على أوسع نطاق ممكن، ثم هو يمتحن صحتها على هذا المدى الافتراضي بمواجهتها بمزيد من التجربة فيعدلها أو يقلص من نطاق صحتها متى اضطر لذلك وأجبر عليه[2].

فالاعتقاد بأن ذكاء الإنسان وفكره وتدبيره أعلى مراتب الذكاء والتدبير في الوجود وأنه لا يخفى عليه أي شيء في هذا الكون، كان من المواقف الفلسفية العقدية التي انطلقت منها عدة صياغات علمية، كالمبدأ الكوني العام في علم الفلك القائل «إن الكون يبدو منتظما ومتجانسا من أي موضع في أي وقت» ومن ثم فإن الأشياء والظواهر الجديرة باهتمامنا هي تلك التي رصدها مراصدنا، وأن ما وراءها لا يخفي سرا ولا يحجب مجهولا، ومن ثم تكون المعرفة البشرية شاملة للكون كله ولا يخفى على الإنسان من الوجود شيء ذو بال، فالعلم البشري قادر على معرفة كل شيء في هذا الوجود.

ويتناسى هؤلاء أن العالم غير المشاهد قد لا يكون بالضرورة امتدادا فاترا للعالم المشاهد أو صورة مطابقة له، وقد أثبتت التجارب عدم صحة ذلك الاعتقاد المغتر، فما رصده الإنسان وأثبته بالتجربة مقتصر على العالم المشاهد من الوجود وليس له امتداد لا نهائي نستنتج منه خصائص الخلفية حيثما شئنا[3]، ثم أن المنهج المعتمد هو الاستقراء الذي قد يأتي بنتيجة كاذبة لعمومية القضايا الكلية، واستحالة القيام باستقراء تام لكل الجزيئات.

بينما الإنسان المؤمن ينطلق من عقيدة أن الكون خلقه الله تعالى في نظام وانسجام وأنه في توافق مع وجوده الإنساني مسخر له بما فضله الله تعالى به وأكرمه، وهذا ما جعله يدرك أن العالم

---

1 ـــ كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، نقلا عن عبد القادر ماهر: فلسفة العلوم، ج2، ص 35-36.

2 ـــ عبد الوهاب المسيري وآخرون: إشكالية التحيز(محور العلوم الطبيعية)، ص31.

3 ـــ نفس المرجع ص 35-36.

المشاهد هو جزء ضئيل بالنسبة للعالم غير المشاهد، وأن دراسته لبيئته انطلاقا من التجانس التقريبي في الرقعة المشاهدة والعالم الغيبي الذي أمده به الوحي، هو دافع قوى نحو الإبداع والاكتشاف مما يزيده معرفة بسنن الله في خلقه ويعمق إدراكه لروعة خلق الله تعالى في تلك البيئة وهو ما أشار إليه ابن خلدون في مقارنته بين منهج الفلسفة ومنهج علم الكلام قائلا: «واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا، والجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات إلا أن نظره فيها مخالف لنظر المتكلم، وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل، وكذلك نظر الفيلسوف في الإلهيات إنما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته، ونظر المتكلم في الوجود من حيث إنه يدل على الموجد، وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهله إنما هو العقائد الإيمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع»[1].

فالباحث «لا يقبل على عمله خاليا من الأحاسيس والمحتوى الفكري، وإنما يقبل عليه بطموح وتصور وتوقع في إطار فلسفة عقدية أصبحت من خصائص كيانه وشخصيته»[2].

فذلك الانحراف الفكري العقدي عند العلماء الذي أدى بهم إلى الغرور والإلحاد سببه الابتعاد عن الالتزام بحدود المنهج العلمي أصولا وقواعد مما جعلهم يتحيزون لأفكارهم وآرائهم الإلحادية في الصياغة النهائية للقوانين المكتشفة.

فالعلم والدين الصحيحان لا يتنافيان ولا يتعارضان وإنما يتكاملان خدمة للحقيقة، وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الإنجليزي (هربرت سبنسر) في كتابه التربية قائلا: «إن العلم الطبيعي لا يناقض الدين ... متى اتفق العلم والدين نموا نموا صحيحا. فالدين ينمو بامتداد جذوره وتغذية أصوله في رياض العلم الصحيح. والعلم الصحيح يؤيد الدين ويشد أزره، فيكون قويا متينا... فمن ذا الذي يرى منافاة الدين للعلم؟ ألا إنما المنافي للدين هو ترك العلم، وما أحاط بنا من المخلوقات...لذلك أكرر القول بأن مخالفة الدين ليست هي في دراسة العلم الطبيعي،بل هي في تركه والانصراف عنه! ألا إن التوجيه للعلم الطبيعي عبادة صامتة، وتسبيح عملي.... إن العلم الطبيعي موافق للدين

---

1 ــ عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، ص 466.

2 ــ عبد الوهاب المسيري : إشكالية التحيز، ص37.

وهو مقوله ومؤيد من جهات كثير، إنه يرى الإنسان عالما منظما بحركات ثابتة جارية على نظام لا تتخطاه، وناموس لا تتعداه. وهذا النظام يدل على قوة وراءه، وحكمة ابتدعته وسوته أحسن تسوية. العلم الطبيعي يعرفنا بسبب الكائنات معرفة صحيحة، ويعلمنا أن الثواب والعقاب مرتبطان بالأعمال ارتباط المتسببات بأسبابها. فيوقن الطالب حينئذ إيقانا تاما بهما، وأن ذلك ارتقاء في معارج الكمال والسعادة العليا. والعلم الطبيعي يعرفنا أن لنا حدا محدودا لا تتجاوزه في العلم، فلا تتخطاه إلى معرفة السبب الأول - صانع الكائنات- وحقيقته. لكنه يهدينا إلى الحدود التي نقف دونها ولا نتجاوزها، فلا إلى كنهه ومعرفة حقيقته ... إياك أن تظن أن العالم الطبيعي هو من يعرف التحليل الكيميائي، أو يقرأ الهندسة، وإنما نعني به ذلك العالم الذي يتخذ أسافل الحقائق سلما لأعاليها، حتى يبلغ الحقيقة العليا. ومن سواه يعرف الهوة السحيقة الفاصلة ما بين ذلك الصانع الحكيم- الذي جعل الطبيعة والحياة والعقل من مظاهر ذاته- وبين العقل الآدمي والفكر الإنساني؟ إن الفرق عظيم»[1]. وقال الأستاذ (هكسلي): «إن العلم الطبيعي الصحيح والدين الصحيح توأمان، إذا انفصل أحدهما عن الآخر خرا صريعين، وماتا حتف أنفسهما»[2]، والدين الإسلامي هو الدين الحق لأنه هو الدين الصحيح بشهادة العلم الصحيح[3]، حيث يعلمنا ديننا أن نؤمن بما يقوله العلم الصحيح الحق ولا نزري عليه ونؤمن بما جاء به الدين الحق على لسان نبيه الحق وفي كتابه المنزل، حيث يعتقد أنه ليس فيه من الآيات القطعية الدلالة ما يتعارض مع قطعيات العلم.

ومن هنا تتجلى لنا حقيقة العلاقة بين العلم والإيمان في النسق المعرفي الإسلامي أخصها في النقاط التالية:

1- أن موضوعات العلم هي أيضا موضوعات الإيمان وإنما يكون الفرق في أن هذه الموضوعات شاهدة في حالة العلم وغائبة في حالة الإيمان، ولذا فمفهوم العلم ومفهوم الإيمان متداخلان وغير متقابلين، ومن ثم فالفصل بينهما لا ينبع من العقل السليم (العقل المسلم) الذي يدرك طبيعة العلم والدين[4].

2- ومن ثم فإن العلم هو إدراك الشاهد والإيمان هو إدراك الغائب.

---

1 ــ هربرت سبنسر، كتاب التربية، نقلا عن الشيخ مصطفى الغلاييني : الدين والعلم، ص 16-17.

2 ــ نفس المرجع، ص18.

3 ــ راجع موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، وجون كلوفر مونتا: الله يتجلى في عصر العلم: وغيرهما.

4 ــ طه جابر العلواني: تصدير كتاب، العلم والإيمان، للدكتورابراهيم أحمد عمر، ص05.

3- وبناء على ذلك، العلم مدخل للإيمان ومقدمة ضرورية له، ووسيلة لمعرفة الله سبحانه. فالإيمان مترتب على العلم وإلا كان تقليدا، ومن جحد الشاهد (العلم) فقد قطع طريقه إلى الغائب (الإيمان)،كما أن الإيمان هو لجام العلم الذي يصونه ويحميه من الزلل.

لهذا كان العلم والإيمان مكملين الواحد للآخر متلازمين يحتم أحدهما الآخر[1]، تلازم "دوران" كما يقول الأصوليون- (اطرادا وانعكاسا) لو انفصل أحدهما عن الآخر يفقد كل منهما معناه ومفهومه الحقيقي كما ذكر هكسلي.

فالعلم لابد أن يؤدي إلى الإيمان الذي علامته خشية الله تعالى، الذي قال:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فالإيمان لا يتحقق ولا يكتمل إلا بالعلم.

والإيمان هو التصديق بالعقائد الإيمانية (الغيبية) والعمل بمقتضياتها، وهذا العمل هو عمل الجوارح (وسائل الإدراك) والعقل، هو النظر في الكون والبحث لمعرفة واكتشاف أسرار الكون ومن ثم العمل وفقها لعمارته وتحقيق الأمن والسعادة، لذا قال الحق سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[2] وقال كذلك: ﴿...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ... ﴾[3] وقال العليم الحكيم: ﴿ ...وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[4]، فدل هذا أن العلم الحق لا يتحقق إلا بالإيمان، وإذا انفصل أي منهما عن الآخر أدى إلى تشويه المفاهيم وفساد التصورات ومن ثم يؤدي إلى انحراف السلوكات والأعمال المؤدية بدورها إلى الإفساد في الكون والخوف والاضطراب في الحياة الإنسانية.

وقد جنت البشرية اليوم في نهاية هذا القرن 20 ومنذ منتصفه – نتائج ذلك الفصل والمفهوم الخاطيء عن الدين والعلم الذي افتعل الصراع بينهما-، فأدى «العلم الأعور»، في معزل عن الإيمان إلى كثير من الكوارث البشرية والكونية كالحروب والأمراض (الجنسية) كالإيدز والتلوث البيئي.

وأدى «الإيمان المغشوش» في معزل عن العلم، إلى ظاهرة التعصب الديني الذي تطور إلى ظاهرة العنف والإرهاب والتطهير العرقي.

---

1 ــ زيغريد هونكه: العقيدة والمعرفة، ترجمة عمر لطفي العالم، ص. 242.

2 ــ الإسراء:36.

3 ــ البقرة: 282.

4 ــ البقرة: 255.

وهو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[1].

ومن ثم أمكننا القول أن الذنب في الأزمات التي يعيشها الإنسان اليوم، ليس ذنب العلم ولا الدين كما يتهمهما أحادي النظر وإنما الذنب هو ذنب الفصل بين العلم والإيمان، هو ذنب الكفر والجحود والإلحاد، إنه أكبر خطإ ارتكبه الإنسان في تاريخه وهو يدخل القرن الواحد والعشرين، قرن العلم والإيمان وإنسانية الإنسان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 ـــ الروم: 41-42-43.

المطلب الثاني: صلة علم العقيدة بالعلوم الكونية

حتى تتبين حقيقة هذه الصلة بين علم العقيدة والعلوم الكونية إلى جانب ما بينته سابقا لابد أن نميز بين الموقف العقدي الشامل الذي يكون سابقا للعمل البحثي ومهيمنا عليه وهو ما أشرت إليه من قبل بالخلفية العقدية والفلسفية للنظريات وللنتائج العلمية، وبين التأمل الفكري العقدي والفلسفي، بل الاجتماعي والأخلاقي، الذي قد يبنى على- أو يكون بوحي من — نتائج العلوم الكونية[1].

فكثير من الاعتقادات والعادات والأفكار والقضايا الفلسفية تعدل وتبدل بتأثير العمل التجريبي والحقائق التي اكتشفها العلم في تطوّره، ذلك أن العلوم من أهم خصائصها التغير السريع في النتائج كلما تقدمت وارتقت أدوات البحث التجريبي، وتعددت طرائقه واختلفت وسائل تحصيله: وإلى ذلك يلفت الفارابي نظرنا مبينا أهمية العلم ودوره في تغيير الآراء والمعتقدات «الإنسان من قبل أن يتأدب ويتحنك يستنكر أشياء كثيرة، ويستبشعها ويخيل إليه فيها أنها محالة، فإذا تأدب بالعلوم واحتنك بالتجارب، زالت عنه تلك الظنون فيها، وانقلبت الأشياء التي كانت عنده محالة فصارت هي الواجبة، وصارت عنده ما كان يتعجب منه في حد ما يتعجب من ضده»[2].

وبما أن حقائق العقيدة الإسلامية عقيدة صحيحة ثابتة يقينا بثبات ويقينية مصدرها الوحي، فإنها لا تتغير ولا تتبدل بتغير وتبدل نتائج العلم، وإنما تأخذ بالصحيح اليقيني منها (أي الحقائق) في تطوير طرق استدلالاتها وتنويعها لتثبيت الإيمان وترقيته وتصحيح وتقويم ما ألفه الناس من الأفكار والعادات الخاطئة المنحرفة، ذلك أن علم العقيدة يستثمر قواعد وحقائق العلم- وفق ضوابط التعامل مع نتائجه المتغيرة تحصيلا وتوظيفا- ليستخدمها في الاستدلال على حقائقه، فأي حقيقة من حقائق العلوم الكونية تصلح لأن تنصر العقيدة الإسلامية بإثبات مفرداتها أو برد شبهة عنها، فإنها تكون مادة صالحة لأن يستخدمها علم العقيدة في الاستدلال[3]، بل كما يقول وحيد الدين، العلم كله يصبح «علم كلام قرآني» لأن كل ما يعثر عليه العلم إنما هو نفحة من أعمال خالق هذا الكون[4].

وهذا ما يثبت الصلة الوطيدة بينه والعلم الذي يعد بمثابة الآلة أو الأداة التي تساهم في فهم

---

1 — عبد الوهاب المسيري: إشكالية التحيز (محور العلوم الطبيعية)،ص38.

2 — الفارابي: إحصاء العلوم،ص.134.

3 — عبد المجيد النجار: الإيمان بالله وأثره في الحياة، ص 16-17.

4 — وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامي، ص99 وما بعدها.

القرآن والوقوف على آيات الله في الآفاق والأنفس، مما يضيف إلى المفكر المسلم المعاصر المزيد من الأدلة العلمية والبراهين التجريبية، وهو ما يشكل ويكون كذلك العقلية العلمية والنظر العقلي العلمي لدى المفكر المسلم المعاصر.

وهذا ما حدث بالفعل مع العلماء والمفكرين المسلمين الأوائل حين تحكموا في هذا الجانب التوظيفي للعلم بوعي وحكمة، أمثال الراغب الأصفهاني(502هـ)، أبو حامد الغزالي(505هـ) وفخر الدين الرازي (606هـ)، والزركشي (794هـ) وجلال الدين اسيوطي(ت911 هـ)، وأبو الوليد ابن رشد وابن القيم وابن تيمية(728هـ) وغيرهم.

وتتجلى حقيقة هذه الصلة وأهميتها بالحديث عن كيفية التعامل مع علوم العصر وكيفية الاستفادة منها في مجال علم أصول الدين من خلال معرفة النماذج التاريخية والحديثة.

والقرآن الكريم المصدر الأول والأساسي لعلم العقيدة يبين لنا هذه الصلة الوطيدة بين العلوم الكونية والعقيدة، وكيفية استعمالها في الاستدلال إثباتا ونفيا، ففي الآيتين 27 و28 من سورة فاطر مثلا، يذكر الله تعالى مجموعة من العلوم الكونية الحديثة الكاشفة لآيات الله تعالى في خلقه مما أدى إلى إدراك حقيقة وجوده ووحدانيته من خلال عظيم صنعه ونظمه وهدايته وعنايته، ومن هذه العلوم (علوم الأرض، والبيئة والوراثة والنبات والحيوان والأجناس البشرية، قال تعالى:« .....»

فخشية الله تعالى لم تأت هنا – وهي غاية علم العقيدة – إلا بعد ذكر تلك العلوم، فكانت العلوم الكونية خادمة لعلم الإيمان أو علم العقيدة، بهذا المفهوم القرآني – الذي فهمه العلماء المسلمون الأوائل – ووظفوها أحسن توظيف في التدليل على مسائل العقيدة ومقاومة الإلحاد ودفع الشبه.

وهذا المزج والتكامل بين العلوم الكونية وعلم العقيدة يرجع إلى كون الأبحاث في العلوم الكونية (في الآفاق والأنفس) يؤدي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، وإلى وحدة الهدف بينهما الذي هو خدمة الحقيقة الدينية بصفة عامة كما بينت في المبحث الأول من الفصل الأول.

أ–عند المتقدمين:

1– ابن حزم :(ت 456 هـ)

لذا حرص ابن حزم الأندلسي على إبراز أهمية النظر في الآفاق والأنفس، وإثارة الانتباه إلى ارتباط ذلك بالدليل على وحدانية الله تعالى والقضايا العقدية، وذلك وفق أسس وضوابط لتوظيف

العلم التجريبي تعتمد على قاعدة أساسية هي (نقل وسند جيد مع نظر وتأمل محكم)[1]. حتى يمنع عن تفسير القضايا العقدية والخرافات الموضوعات والأكذوبات المفتعلات التي يولدها الزنادقة تدليسا على الإسلام وأهله، وضعاف العقول الجهال تحريها للعلم التجريبي وإخلاصا للعلم الديني !؟ معتمدا في ذلك على منهج القرآن الكريم في الاستدلال بالآيات الكونية في الآفاق والأنفس، إذ يقول: «لقد نص تعالى في غير ما آية من كتابه على أصول البراهين وقد برهنا عليها في غير ما موضع من كتابنا هذا، وحض تعالى على التفكير في خلق السماوات والأرض، ولا يصح الاعتبار في خلقيهما إلا بمعرفة هيئاتهما وانتقال الكواكب في أفلاكيهما واختلاف حركاتها...»[2]، فقد ضمن كتابه: «الفصل» العديد من القضايا العلمية موظفا إياها توظيفا جيدا في تثبيت دلائل التوحيد، والاستفادة منها، في رد مزاعم الأعداء وشبههم، وإبطال الخرافات والإسرائيليات والموضوعات، وفي زيادة الإيمان واليقين المعرفي لدى الإنسان.

2 ــ الراغب الأصفهاني:(ت.502هـ)

و حمل لواء هذا المنهج الراغب الأصفهاني الذي دعى إلى الأخذ بهذه العلوم وانتقد الرافضين والمنكرين لأهميتها، بل رماهم بالجهل والعمى، فقال هم الصم البكم العمى الذين لم يجعل الله لهم نورا[3]. ذلك أن من أهم فوائد استخدام العلوم الكونية: «الشهود والتحقق بالتجريب» فمن لم يشهد ويتحقق كذب وإن كان ما يشهد به على ما شهد به، ألا ترى أن الله تعالى كذّب المنافقين حين قالوا:«إنك لرسول الله وإن كان هو رسول الله»[4].

3- أبو حامد الغزالي(ت565 هـ 111 م)

لقد أكد تلميذه أبو حامد الغزالي هذه الدعوة في "الرسالة اللدنية" مبينا مدى أهمية العلوم الكونية في بناء أدلة التوحيد قائلا: «وهذا العلم (علم التوحيد) وإن كان شريفا في ذاته كاملا في نفسه لا ينفي سائر العلوم، بل لا يحصل إلا بمقدمات كثيرة، وتلك المقدمات لا تنتظم إلا من علوم

---

1 ــ ابن حزم الأندلسي: الفصل في الأهواء والملل والفصل، ج2، ص93.

2 ــ ابن حزم الأندلسي: الفصل في الأهواء والملل والفصل،ص94.

3 ــ الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص203.

4 ــ نفس المرجع،ص203 ، والآية المقصودة قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، (المنافقون-1).

شتى مثل علم السماوات والأفلاك وعلم جميع المصنوعات، ويتولد من علم التوحيد علوم أخر...»[1].

بل يرى أن من جملة معرفة الله تعالى معرفة أفعاله، ومن أفعاله تعالى مثلا الشفاء والمرض كما قال ابراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[2]، وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطب بكامله، ومن أفعاله تقدير الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[3]، ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[4]، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[5]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[6]، ﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[7]، ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[8].

ولا يعرف حقيقة هذه الأفعال إلا من عرف هيئات تركيب السماوات والأرض وهو علم برأسه ولا يعرف كمال معنى قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[9]، إلا من عرف تشريح الأعراض من الإنسان ظاهرا وباطنا وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها، وقد أشار في القرآن إلى مواضع إليها، وهي من علوم الأولين والآخرين، وفي القرآن مجامع علم الأولين والآخرين[10]. فتلك الجملة في القرآن تشتمل على هذه التفاصيل التي في العلوم.

---

1 ــ أبو حامد الغزالي: الرسالة اللدنية، ص 99.

2 ــ الشعراء: 80.

3 ــ الرحمان: 5.

4 ــ القيامة: 8 -9.

5 ــ يونس: 5.

6 ــ الحج: 61.

7 ــ لقمان:29.

8 ــ يس: 38.

9 ــ الانفطار: 6 - 8.

10ــ أبو حامد الغزالي:جواهر القرآن، ص46.

4- فخر الدين الرازي (543، 606 هـ/11491210-م)

وإذا كانت دعوة الراغب والغزالي (إلى استخدام العلوم الكونية كعامل مساعد في إثبات العقائد الإيمانية) لم تتجاوز الموقف النظري، فإن دعوة فخر الدين الرازي كانت تطبيقا عمليا بصفة أوسع من ابن حزم في مؤلفاته المتأخرة خاصة تفسير مفاتيح الغيب والمطالب العليا في علم الكلام، مستخدما العلم التجريبي مستعينا بمعارف عصره، من خلال علم الفلك والهيئة وعلوم الأرض والطب وعلم التشريح وعلم الأجنة وعلم الحيوان، مستدلا في ذلك على وجود الله تعالى ووحدانيته وكمال صفاته خاصة صفة العلم والقدرة (الخلق)، بمنهج علمي واقعي رصين يتجاوز فيه في بعض استدلالاته وتحليلاته معارف عصره.

وذلك لأنه كان في قياساته العلمية في تفسيره متطورا مع تطور علوم عصره، حيث جاءت تفسيراته في الأجزاء الأخيرة من تفسيره مصححة لما ورد في بدايته[1]. ذلك أن تأليفه لمفاتيح الغيب استغرق فترة زمنية لا تقل عن عشر (10) سنوات، وعلى فترات متقطعة وفي أماكن مختلفة[2].

ففي تفسير مثلا يستخرج من الآيات الكونية العديد من الأدلة الفلكية والنباتية والجيولوجية، وما يتعلق بالظواهر الجغرافية والمناخ كمعرفة صفات وخصائص الرياح والسحب وأنواع الأمطار، والرعد والبرق، وكذلك ما يتصل بالحيوان والإنسان وخاصة ما يتعلق ببداية خلق الإنسان وكيفية تولده من النطفة متقلبا في أطواره الجنينية والطب موظفا ذلك كله في التدليل على وجود الله الواحد الحكيم القدير[3]. وفي كتابه "المطالب العليا" عقد مباحث كاملة عن خلق الإنسان وعلم الفلك[4]، جمع فيها الدلائل العلمية مستنبطة من القرآن الكريم من خلال النظر في ملكوت الله تعالى.

وهو في كل ذلك لا يتردد في الأخذ بحقائق الأشياء التي تثبتها التجربة وتدعمها المشاهدة وتفسرها حقائق العلم، «لأن هذا النوع من الدلائل أوقع في القلوب، وأكثر تأثيرا

---

1 ـــ محسن عبد الحميد: الرازي مفسرا، ص273.

2 ـــ راجع هند شبلي:«مشاكل الألوهية من خلال تفسير الرازي». ص 48 - 50، ومحمد العربي: المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي، ص 48.

3 ـــ الرازي: مفاتيح الغيب. ج4،ص 178 - 203.

4 ـــ الفخر الرازي: المطالب العليا، ج1، ص 218 - 232.

في العقول، وأبعد عن جهات الشبهات»[1].

وتمثل هذه الأدلة العلمية عند الرازي دليله الرابع على وجود الصانع جل جلاله، وهو دليل حدوث الأعراض أو الصفات المتفرع إلى دليل الآفاق ودليل الأنفس والذين يعتبرهما قسما دلائل التوحيد[2].

حيث أولاهما اهتماما كبيرا لأنهما أقرب إلى أفهام الخلق وأشدها التصاقا بالعقول، ولذلك خص الله تعالى هذا النوع من الدلالة في سائر كتبه المنزلة[3]، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[4]: (أي نريهم الدلائل مرة بعد الأخرى إلى أن تزول الشبهات، ويحصل الجزم والقطع بوجود الإله القادر الحكيم العليم المنزه عن المثل والضد[5].

ولقد عدد فخر الرازي خمس فوائد وأسرار تبين مدى أهمية هذا المنهج العلمي التجريبي في إثبات القضايا العقدية من خلال رده على من عاب أو سيعيب عليه هذا المنهج قائلا: «وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال: إنك أكثرت في تفسير كتاب الله تعالى من علم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد، فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله تعالى حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته.

الأول: إن الله تعالى ملأ كتابه بمثل تلك الاستدلالات الكونية، فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابه منها.

الثاني: إنه تعالى قال: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[6]، فهو قد حث على التأمل في كيفية بنائها، ولا معنى لعلم الهيئة إلا هذا.

الثالث: إن الله تعالى رغب التأمل في أبدان الإنسان بقوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[7]،فما كان أعلى شأنا وأعظم برهانا منها أولى بأن يجيب التأمل في أحوالها ومعرفة ما أودع الله فيها من العجائب والغرائب.

---

1 ــ نفس المرجع، ص 216.

2 ــ الفخر الرازي: معالم أصول الدين، ص40 ، ومفاتيح الغيب، ج 9، ص 142.

3 ــ مفاتيح الغيب، ج.1،ص 210.

4 ــ فصلت:53.

5 ــ الرازي: مفاتيح الغيب، ج27،ص 139 – 140، و(راجع أهمية هذين الدليلين عند عمر التريكي: المرجع السابق، ص 151و ما بعدها، وهند شبلي:«مشاكل الألوهية من خلال تفسير الرازي»، ص 59 – 64.

6 ــ سورة ق: 6.

7 ــ سورة الذاريات:21.

الرابع: إن الله تعالى مدح المتفكرين في خلق السماوات والأرض: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1]، ولو كان ذلك ممنوعا منه لما فعل.

الخامس: إن الناس في ذلك التفكير على درجتين: منهم من يكتفي بالاستدلال الإجمالي، ومنهم من يسمو إلى الاستدلال التفصيلي، وإن لكثرة الدلائل وتواليها أثرا في تقوية اليقين وإزالة الشبهات. فإذا كان الأمر كذلك ظهر أنه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والأسرار لا لتكثير النحو الغريب والاشتقاقات الخالية عن الفوائد والحكايات الفاسدة ونسأل الله العون والعصمة»[2].

وبناء على هذا المنهج الكلامي العلمي الجديد كانت أدلة الرازي على وجود الله تعالى وكمال صفاته والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، أدلة لا تترك مجالا للنقاش ما دامت مستقاة من الواقع المحسوس أو العالم المشهود، الذي لا يستطيع دفعه أحد، فلم يبق للإنسان إلا أن يؤمن بهذا الخالق.

كما «أن الغرض من الدلائل القرآنية ليس المجادلة بل الغرض منها تحصيل العقائد الحقة في القلوب»[3]، لأن مسألة وجود الله تعالى ليست محلا للقبول والرفض عنده؛ لهذا نجده يرجح هذا المنهج على سائر المناهج وهذا النوع من الأدلة على بقية الأدلة الكلامية، وما أسماه وحيد الدين خان بـــ« علم الكلام القرآني» هو بعينه ما قصده الرازي «بالدلائل القرآنية» و هي البراهين الاستدلالية على العقيدة المعتمدة على العلوم الكونية من القرآن الكريم.

5- ابن تيمية وابن القيم الجوزية

وابن تيمية (ت729هـــ) لم يعارض استعمال العلوم الكونية في الاستدلال على العقائد، بل وظف علم الهيئة في إيضاح أحد أهم وأعوص مسائل العقيدة وهي صفات الله تعالى، فبعد حديثه المطول حول بيان قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[4]، وسرده اثني عشر دليلا عن أبطال من تأول (استوى) بمعنى (استولى)، أحال الباحث عن الحقيقة، ومريد اليقين، إلى النظر في علم الهيئة، فقال: «ومن أراد أن يزداد في هذه القاعدة نورا فلينظر في شيء من الهيئة وهي الإحاطة

---

1 ــ سورة آل عمران: 191.

2 ــ الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، ج.14.ص122.

3 ــ مفاتيح الغيب، ج 2، ص59.

4 ــ طه:05.

والكرية، ولا بد من ذكر الإحاطة ليعلم ذلك»[1]، ثم تحدث بعد ذالك عن كروية الأرض والأفلاك ووصف موقع الأرض من الأفلاك[2].

أما ابن القيم الجوزية (691-751 هـ) فكان أكثر منه توسعا في توظيف علوم عصره في الاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته، حيث عرض منهجه بأسلوب مفصل ربط فيه بين الآيات المسموعة والمرئية مبينا حقيقة العلاقة بين صفات الله تعالى وأسمائه وبين المظاهر الكونية المختلفة الباهرة وعجائب خلق الله، فالنظر في السماوات والأرض والإنسان والحيوان والنبات والجماد والقوى المعنوية والأخلاقية والنفسية التي أودعت في الإنسان، يوقع الإنسان على العلم بالله سبحانه وتعالى ووحدانيته ورحمته وبره ولطفه وإحسانه وقيوميته وعدله وثوابه وعقابه.

فهو منهج يقوم على أصلين أو ركيزتين: أولهما: بيان الآيات والعجائب في هذا الكون وثانيهما: ربط ذلك وبيان علاقته بخالقه وعظيم قدرته[3].

وبناءا على ما تقدم تبين لنا ثلاث نقاط:

1- أهمية توظيف العلوم وجعلها سندا للعقيدة.

2- أن هذا الأمر ليس بدعا ولا مستحدثا في القرنين الأخيرين وإنما فطن إليه العلماء المسلمون (المتكلمون) المتقدمون قبلهم وفق ضوابط وقواعد وأهداف وغايات تعصمهم قدر الإمكان عن الوقوع في المحضور في هذا المجال.

3- ليس هناك ثمة صراع بين العلم الصحيح والدين الإسلامي، ولا هناك فجوة بين العلم والقرآن أو بين الدين والعلم يحاول المسلمون ردمها أو تقريبها أو تجاوزها كما يزعم أعداء الإسلام من المستشرقين والمستغربين، وادعائهم أن (العلم) في القرآن المقصود به هو العلم الديني فحسب وليس المقصود به العلم المطلق والحث على تعلمه وتعليمه[4]، فقد أبطل هذا الزعم والادعاء هؤلاء المسلمون الأوائل بمناهجهم الواقعية في هذا المجال.

---

1 ــ ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج5، ص 149.

2 ــ ابن تيمية.نفس المرجع، ص150و ما بعدها.

3 ــ ابن القيم الجوزية: مفتاح دار السعادة: ج.1، ص 187 وما بعدها، و214.

4 ــ انظر مثلا: جولد تسيهر: موقف أهل السنة القدماء بإزاء علوم الأوائل. في التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، لعبد الرحمان بدوي، ص123 - 167.

ب–عند المحدثين والمعاصرين

لقد أدرج العلماء المسلمون المحدثون والمعاصرون (المتكلمون) المنهج العلمي في سياق المناهج المعتمدة لإثبات أصول العقيدة، حيث استخدموا هذا المنهج الاستدلالي على وجود الباريء سبحانه وتعالى والنبوة، واليوم الآخر، وصلاحية الشريعة للبشرية..إلخ.

كما استخدموها لربط المؤمن بربه وإذكاء حيوية مشاعر التعظيم والحب والخوف والرجاء، إدراكا منهم أن المناهج الكلامية التقليدية لم تعد تنسجم مع أنماط التفكير والعقلية السائدة في عالم اليوم في ظل التطورات العلمية والتحولات التي طبعت أذهان البشر، كما بينت في المبحث الأول من هذا الفصل – مما جعل التزام الخطاب العلمي ضرورة واقعية لتوعية المسلمين ودعوة غيرهم ولرد شبهات الخصوم.

ويركز أصحاب هذا الاتجاه المنهجي على قضيتين: الأولى الاستدلالات المنهجية للعلم التجريبي بوضع ضوابط وأسس لتوظيفها وما يتفق مع العقيدة الإسلامية والأسس القرآنية في الاستدلال.

والثانية توظيف مكتشفات العلم من أجل البرهنة على صدق الحقائق العقدية التي جاء بها الإسلام، وذلك إيمانا منهم بوجوب مواجهة التحديات المعاصرة التي يواجهها الإسلام والمسلمون بنفس المصطلحات والأساليب والوسائل التي يستخدمها الأعداء[1].

ومن أهم ممثلي هذا الاتجاه أذكر بعض العلماء : حسين الجسر، بديع الزمان النورسي، وحيد الدين خان، عبد المجيد الزنداني وهيئات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

1- حسين الجسر (1261 - 1327هـ/1845 - 1909م)

لقد عمل الجسر على عرض العقيدة الإسلامية ببراهينها العقلية العلمية التي تناسب عصره، حيث اعتمدت الفلسفة على أصول الرياضيات والطبيعيات في إثارة الشبه وإيراد الكثير من الاعتراضات على الدين الإسلامي عقيدة وشريعة، واتبع في ذلك منهجا ذو شقين.

أما الشق الأول: فتناول فيه عرضا مسهبا لمسائل العقيدة المختلفة من الإلهيات والنبوات وماهية الإنسان وبداية وجوده، وكل ذلك بأسلوب تقريري دون مناقشة.

---

1 ـــ عبد الرحمان الزيندي: مناهج البحث في العقيدة الإسلامية. ص127.

والشق الثاني: خصصه لعرض شبهات الخصوم وتفنيدها دفاعا وصيانة وحصانة للدين الإسلامي موظفا العقائد العلمية المناسبة لذلك.

وجاء ذلك في كتابيه: كتاب (الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية) وكتاب (الحصون الحميدية لمحافظة العقائد الإسلامية)[1].

وقد حصن منهجه بمجموعة من المقدمات والضوابط التوظيفية لنتائج العلوم من أهمها:

1- الغاية من توظيف العلوم: إن التعامل مع هذه العلوم الكونية ليس مقصودا لذاته، كالحديث عن السماء والأرض وكيفية الخلق والتدبير وما يتعلق بنظام العالم وجماله، وإنما المقصد الأساسي لهذا التوظيف فلأجل أن تكون :«دليلا عقليا للناس على وجود إله العالم، وعلى اتصافه بالعلم والقدرة والحكمة»[2]، كما أن تعلمها والتعامل معها يحفظ على أجيال المسلمين القادمين إيمانها واعتقادها في وجه الأخطار الماثلة في العلوم الحديثة كما يوظفها الملحدون.

2- قاعدة التأويل: لما كان المعتمد في العقائد الإسلامية الدليل العقلي القاطع لا الدليل العقلي الظني- ومصطلح "عقلي" مرادف "علمي" عند الجسر- وضع قاعدة كلية يرجع إليها مع كل دليل وبرهان مفادها أنه: لا يسوغ لنا تأويل النص «وصرفه إلى معنى آخر غير متبادر. إلا إذا قام دليل عقلي قطعي يناقض معناه الظاهر، فحينئذ يكون قيام ذلك الدليل العقلي قرينة دالة لنا على أن معناه الظاهر غير مراد الشارع، بل مراده معنى آخر غير ما يتبادر منه فؤول النص حينئذ»[3]، فالأدلة العلمية هي أدلة عقلية تأخذ حكم الدليل العقلي، والدليل الظني هو نتيجة النظرية العلمية والدليل القطعي هو ثمرة الحقيقة العلمية[4].

ومن ثم فلا بد من التحرز في الاستدلال من هذا الفرق والاعتماد على الحقيقة العلمية أو الفعل موضوع الملاحظة لأن هذا الأخير غير قابل للتعديل أو التغيير مع مرور الزمن، وتطور قدرات الإنسان العقلية ووسائل البحث العلمية.

وقد حرص على تطبيق منهجه هذا في مناقشة الاتجاهات المادية الإلحادية التي كانت سائدة في

---

1 ــ فهمي جدعان: أسس التقدم عند مفكري الإسلام. ص210.

2 ــ حسين الجسر: الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية،ص162 - 163.

3 ــ نفس المرجع، ص 157 - 158.

4 ــ انظر ندم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، ص209 - 210.

عصره كنظرية النشوء والارتقاء ورد شبهاتهم التي من أهمها إنكار القضايا العقدية الغيبية في الإسلام كاليوم الآخر ومتعلقاته والجن والملائكة ووجود الله تعالى وكمال صفاته، وغيرها لأنه لا دليل عليها في علومه وما يبدو منها خارقا لنواميس الطبيعة كالمعجزات، يرفضه الماديون ويرونه ممتنعا، وفي حقيقة الأمر أن العلماء الذين يطلعون على تفاصيل المخلوقات: «وتظهر لهم أسرارها ودقائقها وحكمها، هم الجديرون بأن يكونوا من أقوى الناس إيمانا بوجود الإله الخالق الحكيم المدبر العليم، بل لو قيل إنهم جديرون بذلك أكثر من بعض علماء الكلام الذين يقيمون الأدلة الإجمالية لكان حقا»[1].

لذا نجد الجسر يتجه إلى الاستدلال بدليل النظام والإتقان والأحكام، موظفا الحقائق العلمية في الإشارة إلى ما في الأشياء من خواص وطبائع ووظائف جعلت فيها بتخصيص قادر عليم حكيم، لولاه ما كان لها أن تخص نفسها بنفسها. فهو يلفت الأنظار إلى كثير مما في هذا العالم من آيات الإبداع والإحكام في الآفاق والأنفس[2].

2- بديع الزمان سعيد ميرزا النورسي: (1877 – 1960م)

أ ــ نظرية المعرفة:

يعتبر النورسي في هذه القضية امتدادا لأستاذه أبي حامد الغزالي، إلا أنه لم يتوقف عند حدود كلام الغزالي – الذي أشرت إليه سابقا–، فلقد طور بعض الأفكار، ودلل على بعض الحقائق، وأسند كلام الغزالي إلى دعامات قوية، أتيحت له من حيث اطلاعه على العلوم الكونية، واستفادته من الدراسات القرآنية السابقة عليه. ويتجلى اتجاهه التأصيلي في الاستعانة بالعلوم الكونية، (في الآفاق والأنفس) في علم العقيدة، في دعوته الملحة إلى الجمع بين العلوم الكونية الحديثة والعلوم الشرعية، لأن :«ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلوم الحديثة، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة، فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين. وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى، والحيل والشبهات في الثانية»[3]. وهو ما تجاوز القول والفكرة إلى العمل الفعلي في واقع حياته وجهاده في سبيل إصلاح المجتمع الإسلامي منهجا وموضوعا.

---

1 ــ نفس المرجع، ص204.

2 ــ حسين الجسر: الحصون الحميدية، ص 163 وما بعدها.

3 ــ النورسي: صيقل الإسلام، ص 428.

فقد طالب من السلطان عبد الحميد بفتح المدارس التي تعلم العلوم الكونية الحديثة، بجانب العلوم الإسلامية، وسعى إلى تأسيس مدرسة الزهراء التي تقوم على مزج العلوم الكونية الحديثة ودرجها مع العلوم الدينية[1].

وهي محاولة لربط العلوم بمصدرها وهو الوحي، إذ أن جميعها تدل في انتظام واتفاق على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى، وعلى دليل عنايته سبحانه بالخلق، وانتظام هذا الخلق واتساقه على درجة الكمال والشمول. ومن هنا أمكن الاستعانة بهذه العلوم والاستفادة بها في بناء الأدلة على وجود الباريء سبحانه ووحدانيته وسائر أركان الإيمان ومسائله فلا تعارض بين العلم والدين عنده بل يرى أن علم الكلام في حاجة إلى مقدمات علمية للوصول إلى تلك الغاية المنشودة والمقصد أساسي وهذه المقدمات لا تتماشى ولا تتحقق إلا من خلال النظر في ملكوت الله سبحانه وتعالى.

ب ــ منهجه في الاستدلال على العقيدة الإسلامية بثمرات العلوم

سعى النورسي من استعماله لهذا المنهج إلى تحقيق غاية عظمى وهي لإثبات الحقيقة الكبرى (معرفة الله سبحانه وتعالى) من أجل تحقيق العبودية الكاملة له جل جلاله.

وكان الدافع إلى ذلك منطلقه في التسلح بسلاح العلوم الكونية الحديثة في علم العقيدة، أربعة دوافع ومنطلقات:

أولها: تحديات المدنية الغربية ضد الإسلام وعبثها بالعلوم.

ثانيها: تطور العلوم الكونية الحديثة وإنجازاتها الرائعة.

ثالثها: دعوة القرآن الكريم إلى معرفة الله تعالى بالمعرفة الكونية ومعرفة الكون بهداية الوحي وذلك على أول ما نزل من القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[2].

– ورابعها أن الفطرة أو الوجدان مستند الأدلة العلمية إذ الوجدان لا ينسى الخالق مهما عطل العقل نفسه وأهمل عمله. فالوجدان يبصر الخالق ويراه ويتأمل فيه ويتوجه إليه فكل مولود يولد على الفطرة وبن التوحيد :﴿بَلْ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا

---

1 ــ انظر،محسن عبد الحميد: النورسي متكلم العصر الحديث، ص13.

2 ــ العلق:1.

لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[1]. ومن الكون يستمد الأنوار الإلهية وتجليات الكمالات الربانية بنور معرفة الخالق الكريم التينشرها وبثها في وجدان كل إنسان المتيقض المتفتح دائما مهما غفل العقل[2].

وتتجلى معالم منهجه هذا من تقريره لجواب على سؤال طرحه بعض تلاميذه فقد سألوه أن يعرفهم بخالقهم لأن مدرسيهم لا يذكرون الله لهم، فكان جوابه "إن كل علم من العلوم التي تقرأونها يبحث عن الله دوما، ويعرف بالخالق الكريم بلغته الخاصة فاصغوا إلى تلك العلوم دون المدرسين.

فمثلا لو كانت هناك صيدلية ضخمة في كل قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيوية وضعت فيها بموازين حساسة وبمقادير دقيقة كما أنها ترينا أن وراءها صيدليا حكيما وكميائيا ماهرا، كذلك صيدلية الكرة الأرضية التي تضم أكثر من أربعمائة ألف نوع من الأحياء – نباتا وحيوانا – وكل واحد منها في الحقيقة بمثابة زجاجة مستحضرات كيمياوية دقيقة، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة فهذه الصيدلية الكبرى ترى حتى للعميان صيدليها الحكيم ذا الجلال، وتعرف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها وعظمتها، قياسا على تلك الصيدلية التي في السوق، على وفق مقاييس علم الطب الذي تقرأونه.

ومثلا هب أن ملايين المصابيح الكهربائية تتجول في مدينة عجيبة دون نفاد للوقود لا انطفاء؛ ألا ترى بإعجاب وتقدير أن هناك مهندسا حاذقا، وكهربائيا بارعا لمصنع الكهرباء، ولتلك المصابيح؟ فمصابيح النجوم المتدلية من سقف قصر الأرض وهي أكبر من الكرة الأرضية نفسها بألوف المرات – حسب علم الفلك – وتسير أسرع من انطلاق القذيفة من دون أن تخل بنظامها أو تتصادم مع بعضها مطلقا ومن دون انطفاء، ولا نفاد وقود على وفق ما تقرأونه في علم الفلك .

هذه المصابيح تشير بأصابع من نور إلى قدرة خالقها غير المحدودة ...(واللانهائية) فهذا الكون العظيم وما فيه من مصابيح مضيئة، وقناديل متدلية يبين بوضوح – سلطان هذا المعرض العظيم والمهرجان الكبير، ويعرف منوره ومدبره البديع وصانعه الجليل، بشهادة هذه النجوم المتلألئة، ويحببه إلى الجميع بالتحميد والتسبيح والتقديس بل يسوقهم إلى عبادته سبحانه»[3]، فهدف العلوم الكونية النهائي هو تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى، بتحقيق الأبعاد المعرفية والعملية للعقيدة الإسلامية من حيث تصورها الصادق للكون والحياة والإنسان.

---

1 ــ الروم:29.

2 ــ النورسي: المثنوي العربي النوري، 430 – 431.

3 ــ النورسي: الشعاعات، ص 257.

وعليه فمنهجه العلمي في الاستدلال على العقيدة يقوم على ركيزتين أساسيتين:

الأولى الجمع بين العلوم الكونية والعلوم الدينية، والثانية الاعتصام بالمنهج القرآني، فكانت العلوم الكونية بتوجيه وترشيد من القرآن الكريم خادمة لعلم الكلام بإمداده بمادة أدلته الكونية على العقائد تثبيتا للإيمان ودفعا للشبه.

وهذا يعني أن عملية الاستدلال والدعوة الإسلامية تقوم على تأصيل العلوم وتوجيهها إسلاميا في قالب علم عقيدة جديد يتناسب والعقلية المعاصرة الجديدة.

ج- الأدلة (أو تطبيق المنهج)

ومن أهم الأدلة التي استخدمها النورسي في منهجه العلمي هذا دليل العناية والغاية ودليل الاختراع والنظام، على وجود الله تعالى ووحدانيته، وله أدلة على كمال صفات الباري تعالى ومجلى أسمائه الحسنى، كما استدل على اليوم الآخر والنبوة.

فدليل العناية والغاية مثلا يقول فيه: «فجميع الآيات الكريمة التي تعد منافع الأشياء وتذكر حكمها، إنما هي نساجة لهذا الدليل، ومظاهر لتجلي هذا البرهان، وزبدة هذا الدليل هي:

إتقان الصنع في النظام الأكمل في الكائنات وما فيه من رعاية المصالح والحكم، يدل على قصد الخالق الحكيم وحكمته المعجزة، وينفي نفيا قاطعا وهم المصادفة والاتفاق.

... إذ كما أن القرآن يأمرنا بالتفكير في المخلوقات، فإنه يقرر في الأذهان هذا الدليل- دليل العناية – بتعداده الفوائد والنعم، ومن بعد ذلك الإحالة إلى العقل في خواتيم الآيات وفواصلها، فينبه العقل ويحرك الوجدان في أمثال هذه الآيات ﴿أولا يعقلون﴾، ﴿أفلا تتذكرون﴾، ﴿فاعتبروا﴾[1]، أو إحالة العقل إلى إدراك عظمة الحق سبحانه وتعالى.

فمثلا يقول النورسي- رحمه الله – في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2]: لا يريد القرآن أن يبين استخراج الحديد تدريجيا من المخزن الصغير – الأرض – بل يريد أن يبين أن تلك النعمة العظمى قد أنزلت من

---

1 ــ النورسي: المثنوي العربي النوري، ص429.

2 ــ سورة الحديد 25.

الخزينة الكبرى للكون مع كرة الأرض، وذلك لإظهار أن الحديد أكثر ضرورة لخزينة الأرض، بحيث أن الخالق الجليل عندما فصل الأرض من الشمس أنزل معها الحديد ليحقق أكثر حاجات البشر ويضمنها[1]، وهو عينه ما عبر عنه أبو الوليد ابن رشد في تعريفه لدليل العناية بقوله: «إن جميع الموجودات التي هنا موافقة لوجود الإنسان»[2]، وإننا كلما تعمقنا في معرفة منافع الموجودات ازددنا معرفة بالله تعالى[3].

- **وأما دليل الاختراع والنظام** فكما يستدل به على وجود الله تعالى يستدل به على وحدانيته تعالى كذلك، بالإشارة إلى نظام الوحدة الذي تنتظم به موجودات الكون، فكل أنواع الموجودات على اختلافها يحكمها نظام قائم على التعاون والتساند والتجاوب والتعانق، تكامل كلي بين مهام كل جزء منها، بحيث تمثل بمجموعها وأجزائها وحدة واحدة كوحدة أجزاء جسم الإنسان التي يصعب انقسامها وتفككها «إن هذه السمات الواضحة على وجه الكون إنما هي أحكام كبرى، وبصمات ساطعة للتوحيد»[4].

- **وأما أسماء الله الحسنى** فيستدل عليها من خلال كمال العلوم نفسها، ذلك أن كل علم من العلوم يستند إلى اسم من أسماء الله الحسنى، وفي هذا الاستناد يجد كل منها كماله، ويصبح حقيقة فعلا، وإلا فهو ظل باهت ناقص مبتور ومشوش[5]. ودليله على ذلك قوله سلحانه وتعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[6]، وهذه الأسماء هي أسماء الأشياء مخلوقات الله تعالى، وحقيقتها تستند إلى الأسماء الإلهية الحسنى، والإتقان الموجود في الأشياء يستند إلى اسم من الأسماء، بل يمكن مشاهدة آثار تجلي عشرين اسم من الأسماء على ظاهر كل ذي حياة فحسب[7]، وكل علم هو تكشيف وتعريف لهذه الكائنات بما يسمى

---

1 ـــ النورسي: اللمعات، ص 423 - 424.

2 ـــ أبو الوليد ابن رشد: مناهج الأدلة، ص118 .

3 ـــ نفس المرجع، ص118 .

4 ـــ النورسي: اللمعات، ص540 - 552.

5 ـــ النورسي: الكلمات، ص290.

6 ـــ البقرة:31.

7 ـــ النورسي: الكلمات، ص 749.

ويكتمل فكان بدوره مستند إلى اسم أو أكثر من اسماء الله الحسنى.

فعلم الطب مهارة ومهنة، وحقيقته الاستناد إلى اسمه تعالى «الشافي»، فيصل الطب إلى كماله، ويصبح حقيقة فعلا بمشاهدة التجليات الرحيمة لاسم «الشافي» في الأدوية المبثوثة على سطح الأرض الذي يمثل صيدلية عظمى.

والعلوم التي تبحث في حقيقة الموجودات كالفيزياء والكيمياء والنبات والحيوان، هذه العلوم التي هي حكمة الأشياء يمكن أن تكون حكمة حقيقية بمشاهدة التجليات الكبرى لاسمه تعالى «الحكيم» جل جلاله في الأشياء. وهي تجليات تدبير، وتربية، ورعاية، وبرؤية هذه التجليات في منافع الأشياء ومصالحها تصبح تلك الحكمة حكمة حقا.أي باستنادها إلى ذلك الاسم وإلى ذلك الظهير تصبح حكمة فعلا[1].

هذا هو منهج الدفاع الاستراتيجي للنورسي من خلال التأمل في الطبيعة، به يحيا الدور الأساسي والوظيفة المفصلة لعلم التوحيد بعدما فقدها في عصور الانحطاط، من خلال استثمار منتجات العلوم الكونية وإنجازاتها التكنولوجية، والممثل في وقف تحقيق العدو للمزيد من الأهداف وإيقاف مسلسل الهزيمة عند هذا الحد الذي وصلت إليه تمهيدا للهجوم المضاد ... عليه حول الشيخ النورسي علم التوحيد الإسلامي من مجرد مناقشات وعرض أدلة فلسفية مجردة جافة، إلى منهج علمي يعتمد على حقائق العلم وبساطة الأسلوب واحتوائه على الحركة والحياة، بحيث يصبح تيارا اجتماعيا عارما يلائم مختلف المستويات الثقافية والفكرية وليست قاصرة على طلاب العلوم الفلسفية وحدهم. إنه منهج قرآني واقعي أصيل[2].

3- وحيد الدين خان

تبنّى وحيد الدين خان منهجا تقريريا تقديريا مبنيًّا على منجزات العلم الحديث والأدلة الطبيعية، أو الشواهد العلمية الكونية، تماشيا مع قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[3]. ويهدف إلى بيان تهافت الفكر المادي من قضية الإيمان، وأن العلم يقوي

---

1 ــ نفس المرجع، ص 290-291، وانظر، زياد دغامين: «إسلامية المعرفة في ضوء إعجاز القرآن الكريم كما يصورها النورسي»، ص 63-65، وانظر كذلك، عماد الدين خليل: الموضوع الجمالي الطبيعة والعالم والكون، ص 155.

2 ــ انظر حسين عاشور«الأستاذ سعيد النورسي والدفاع الاستراتيجي من خلال التأمل في الطبيعة، ص 181.

3 ــ سورة فصلت: 53.

ويدعم الإيمان. وهو منهج موجّه إلى منكري الدين، والذين يرون عدم أحقية الإسلام في أن يكون دينا عامًّا خاتما للأديان. كما يطلبه ويستفيد منه كثير من المسلمين، الراسخي العقيدة من باب ﴿ليطمئن قلبي﴾، حتى يجدوا جوابا علميا مقنعا للكثير من التساؤلات، ولا يعتريهم شعور بالنقص في صحة عقيدتهم في هذا العصر عصر العلم والتفكير العلمي القائم على المشاهدة والتجربة[1].

وعليه دعا إلى تجديد علم التوحيد، الذي يقصد به استجلاء حقائق الدين بالأدلة التي تطمئن الذهن الجديد والعقلية الجديدة، وتوصل التعاليم الإسلامية بأحدث أساليب الاستدلال الملائمة للعقل الجديد[2].

والعقلية الجديد، تعني العقلية العلمية، التي تهمها الحقائق، وتتمثل في تقديم علم التوحيد على أساس التجربة والمشاهدة، لا على أساس التخمينات أو القياسات المنطقية التجريدية، لذا لم يعد الإنسان المعاصر يقبل فكرا إلا إذا كان يطابق الحقائق العلمية.

والحقائق العلمية هي سنن الله في خلقه، فهو جل جلاله - يجري إرادته في الكون بواسطة هذه القوانين التي اكتشفت علومنا الحديثة بعض أجزائها فقط حتى الآن[3]، ولا يمكن اعتبار تلك القوانين والاكتشافات بديلا للإله كما يزعم معارضو الدين.

فكان بذلك نمط الاستدلال عنده، الذي عبر عنه بالاستدلال بالحقائق الطبيعية هو نفس نمط الاستدلال القرآني[4] الذي يتجلى في كثير من الآيات مثل قوله سبحانه: ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[5].

وذلك النمط من الاستدلال تبناه الأنبياء والرسل عليهم السلام. فمثلا يذكر لنا القرآن الكريم أنه لما دعا إبراهيم عليه السلام قومه المشركين إلى التوحيد أقام الدليل على دعوته بمشاهدة الشمس والقمر والنجوم والكواكب، إذ قال الحق تعالى في ذلك: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ

---

1 – وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ص4.

2 – وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامي، ص105.

3 – وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ص 54.

4 – وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامي، ص104.

5 – سورة الغاشية:17-20.

مِنْ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[1]، ثم عقّب الله تعالى على حجة إبراهيم قائلا: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾[2]. فكانت الحجة الإلهية هي الاستدلال من الحقائق المعلومة المشاهدة لهذا الكون، (أي المعلومة في عالم الشهادة).

وبناء على هذا يبدو لنا أن القرآن الكريم والكون كليهما إظهارٌ للمشيئة الربانية، وهو إظهار بصورة كلامية في مكان، وإظهار بصورة عملية في مكان آخر[3] في نظر وحيد الدين خان.

أ – منهجه الكلامي:

يقوم منهج علم الكلام عند وحيد الدين خان على ركيزتين أساسيتين، تعدّ الأولى مدخلا للثانية، بالنسبة لمنكري الدين عموما، وهما:

1- عرض قضية معارضي الدين ونقدها.

2 ــ طريقة الاستدلال العلمي، أو مبادئ علم الكلام الجديد.

وقد عرض هاتين الركيزتين في أربعة كتب له هي: الإسلام يتحدى، الدين في مواجهة العلم، قضية البعث الإسلامي، والإسلام والعصر الحديث.

1 ــ عرض قضية معارضي الدين ونقدها:

هذه الركيزة أساسية لتحطيم الحواجز التي أقامها الملحدون بين العلم والدين، فلا يمكن دعوتهم إلى الإسلام في هذا العصر والاستدلال على العقائد الإسلامية دون إبطال دعوة معارضي الدين وحججهم، وإثبات حقيقة الإيمان وأحقية الدين الإسلامي.

وبهذا المنهج يتبع وحيد الدين خان منهج الرسول ﷺ مع أصحابه، إذ كان "يفرغهم ثم يملأهم". فكان من الضرورة إفراغ المتشبعين بالمعتقدات والأفكار المعادية للإسلام من هذه الأفكار، حتى يمكن ملؤها بالعقيدة الإسلامية.

---

1 – انظر سورة الأنعام: 74-78.

2 – سورة الأنعام: 83.

3 ــ وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامي، ص 104.

لهذا عرض قضية معارضي الدين الإسلامي التي قامت عليها المعارضة بكل أمانة، من واقع وجودها لدى زعمائها. وهي ثلاثة أسس:

الأساس الأول في ميدان الدراسات البيولوجية والطبيعية، والثاني في ميدان علم النفس، والأساس الثالث في ميدان التاريخ[1].

ثم عمل على نقض ودحض هذه الأسس بالطريقة العلمية[2]، مستعملا طرقهم ومقاييسهم، معتمدا على قاعدة هي: «إذا كان المبدأ هو أن الحقيقة ليست إلا نتاج المشاهدة والتجربة العلمية، فلن تستقيم قضية معارضي الدين إلا إذا توصلوا بالمشاهدة والتجربة نفسها إلى أن الدين في حقيقته النهائية باطل»[3].

وقد اعتمد معارضو الدين على أربعة معايير ومقاييس للاستدلال العلمي استغلها وحيد الدين خان في نقد ادعائهم.

أن يكون الأمر المراد مشاهدته أو تجربته في متناول أيدينا مباشرة[4].

ألا تكون الدّعوَة قابلة كليا للمشاهدة، بل يمكن مشاهدة بعض أجزائها، وعلى سبيل المثال، فإن دعوى "الأرض كروية" لا يمكن أن يشاهدها الإنسان في صورتها الكاملة، لأنه يستطيع أن يشاهد أجزاء مختلفة تؤكد حقيقة أن الارض كروية[5]. بواسطة الطيران مثلا، أو من الفضاء.

إن الاستدلال يعتبر مقياسا علميا سليما إذا شوهدت بعض جوانب التجربة التي تؤكد وجود حقيقة ما، وذلك بالرغم من عجزنا عن مشاهدة تلك الحقيقة بكامل جوانبها في تلك التجربة[6]. ومثال ذلك الإلكترون في الذرة الذي لا يخضع للمشاهدة نظرا لتناهي وجوده في الصغر. ولكن بالرغم من ذلك يعتمد العلماء بأن الإلكترون حقيقة علمية والسر في ذلك أن له آثارا نشاهدها

---

1 – وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص35-40.

2 – نفس المرجع، ص23.

3 – وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ص 10.

4 – وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ص6.

5 – وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ص 70.

6 – وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ص70.

في صورة تجارب قابلة للتكرار والإعادة.

فبالاستناد إلى التجربة غير المباشرة يسلم العلماء بوجود الإلكترون مع أنه في ذاته فرض[1].

المقياس الرابع: هو الاستدلال بـــ"القرينة الجائزة"، «فالمشاهدات والتجارب، وإن لم تكن مرتبطة بالقضية المطروحة، بالمعنى العلمي التكنيكي البحت، إلا أنه إذا كانت هناك قرينة جائزة لتأييد تلك القضية، وذلك في حالة عدم وجود نظرية أقوى لتفسير تلك المشاهدات، فإن ذلك الاستدلال بالقرينة الجائزة على القضية المطروحة سيكون مقبولا وسليما»[2].

فالتطبيق الصحيح لهذه المقاييس التي توصل إليها العقل الحديث توصلنا إلى نتيجة مهمة، وهي «أن العقل الحديث لا يحصر دائرة العلم في تلك الوقائع التي يمكننا تجربتها مباشرة، وإنما يعتبر أن أية قرينة منطقية تستند إلى تجارب ومشاهدات غير مباشرة، يمكنها أيضا أن تصبح حقيقية علمية بنفس درجة الحقائق العلمية التي يمكن مشاهدتها مباشرة»[3].

وهذا يعني أن الدين في حقيقته يتعلق بميدان يقبل الأدلة العلمية، فهو ليس باطلا. والعقيدة الإسلامية بناء على ذلك حقيقة لا يمكن إنكارها. والإلحاد أصبح مستحيلا.

2 ــ طريقة الاستدلال العلمي (أو تطبق المنهج)

يستدل الأستاذ وحيد الدين خان على حقائق العقيدة بطريقين.

الأولى: الاستدلال على الحقائق بالطرق الطبيعية

فكما ورد في القرآن الكريم: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[4]

قد أورد وحيد الدين خان أمثلة توضح هذا المبدأ تتمثل فيما يأتي:

الإيمان بوجود الله تعالى:

لقد أقام القرآن الكريم أدلة المشاهدة على الدّعوَة إلى الإيمان بالله تعالى الذي خلق هذا الكون، في حين أقام المتكلمون القدامى أدلة قياسية تحت ضغط عليتهم الفلسفية فبيّن القرآن الكريم «أن هذا الكون الواسع الذي ترونه رأي العين ولا تنكرونه، إنما هو في حد ذاته دليل على خالق

---

1 - Tremntant.C. op, cit, pp50-64.

2 – وحيد الدين خان، الدين في مواجهة العلم، ص 80.

3 – وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص15.

4 – سورة فصلت، الآية 53.

الكون» ﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾[1]. ففي هذه الآية إشارة إلى حادث كوني يسمى بنظرية الانفجار الكبير (Bin-Bang) في العصر الحديث[2]، وهذا يعني نفي الصدفة في خلق الكون، كما تفيد نظرية "الانفجار الكبير" أن هذا الكون ليس أزليا إذ هو بدأ في وقت معين لا نعرفه، وإننا نعيش في عالم يزيد حجما باستمرار[3]. فهي دليل على وجود الله بالقوانين الطبيعية، لأن الكرة المادية الجامدة، لا يمكن أن تتحرك إلى اتجاه الخارج بصفة منتظمة بدون محرك خارجي. وأن كل شيء ذي بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته، ولا بد أن يحتاج إلى من يرجحه للوجود، وهذا المرجح هو الخالق الإله، كما يقول الأستاذ إدوارد لوتر كسيل، العالم الأمريكي في علم الحيوان، في كتابه " The evidance of God"[4].

الإيمان باليوم الآخر

من أهم الحقائق التي يدعونا الإسلام إلى الإيمان بها قضية اليوم الآخر، إذ يخبرنا القرآن الكريم أن هذا العالم ليس بعالم نهائي، بل يعقبه عالم آخر، ولو أنه في الغيب، لكنه حقيقة واقعة.

ولتأكيد هذا الخبر يقدم الأدلة بالعلم التجريبي[5]، إذ يقول المولى ﷻ: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[6]. فإذا كان لكل شيء زوجه، - كما يقول وحيد الدين خان- الذي يستكمل به نفسه، فلابد أن يكون لهذه الدنيا زوج، وزوج الدنيا هي الآخرة[7].

فقد أعلمنا العلم الحديث أن سائر الذرات الكائنة في الخليقة توجد بأشكال أزواج، فهناك جسيمات مضادة للجسيمة، وذرة مضادة لذرة، ومتر مضاد للمتر، وعالم مضاد للعالم. ولكن لا

---

1 – سورة الأنبياء : 30.

2 – وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامي، ص 108.

3- Ahmed Abdu - Salam: "L'Islam et l'Occident devant les conquêtes de la science concordance au conflit". pp16-17-18.

4 – وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص74.

5 – نفس المرجع، ص110-194.

6 – سورة الذاريات: 49.

7 – وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامي، ص 110.

يمكن الإخبار تفصيلا عن ذلك العالم المضاد بالقوانين المعلومة للطبيعة[1].

الثاني: إبراز القرآن الكريم لجانب من هذا الكون الذي قرره الله لنا ميزانا نحتكم إليه

فالقرآن يدعونا لأن نعبد الله وحده لا شريك له، ويسلم نفسه لخالقه ذليلا وخاشعا، ولتأكيد هذه المطالبة لم يستخدم الأدلة الفلسفية، بل استخدم أدلة الطبيعة، إذ تبيّن لنا أن الأحكام الإلهية لتتمثل لنا في الكون من خلال نماذج متعددة، منها عبادة الله في ظل الاتصال بقوانين الطبيعة، ومثل السلوك الممتاز القوي المتمثل في الحديد، ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2]. ومثل سفر الحياة دون اصطدام مع الكواكب الأخرى في مداراتها، كما بينه الله تعالى: ﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[3]. ومثل التضامن والتعاضد كما في أعمال النحل، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]. ومثل الإفاضة على الناس دون أي تمييز كما تفعل أشعة الشمس. والأمثلة كثيرة.

فهذا الأسلوب للدعوة إلى التوحيد والطاعة الإلهية إنما هو أسلوب طبيعي يقوم على الاستدلال الكوني الذي هو إرهاص لازدهار علم الإنسان وعمله.

وإذا ما أخذنا هذا الأسلوب واستعملناه بطريق مؤثر، فسنجد قلوبا واعية وآذانا صاغية للإنسان في المجتمع البشري. وهذا يعني أن القرآن يجعل الأخلاقيات الكونية نموذجا لأخلاق الإنسان وسلوكه، ويدعوه إلى ذلك حتى لا يتخذ الكون مقياسا له في المجالات المادية فقط، دون أن يتخذ الكون مقياسا أخلاقيا له كذلك[5].

---

1 – وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامي، ص 111.

2 – سورة الحديد: 35.

3 – سورة يس: 40.

4 – سورة النحل: 69.

5 – وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامي، ص 116.

ومن هنا يبيّن لنا وحيد الدين خان أن منهج علم الكلام الجديد هو منهج القرآن الكريم في الاستدلال على العقائد الإسلامية. فكانت دعوته إلى تجديد علم الكلام وتجاوز صور الاستدلال القديمة في حقيقتها مجرد الدّعوة إلى العودة إلى منهج القرآن الكريم أو "الكلاميات القرآنية" كما أسماه.

وعليه كان من الضروري اتباع المنهج الجديد في عرض العقيدة والاستدلال عليها وفهم قضاياها المترتبة والمتفرعة عنها، والتي تعدّ موضوع النقاش والجدل في هذا العصر، مثل "موضوع الإنسان وقيمته" وقضايا الشريعة.

4 ــ عبد المجيد الزنداني:

عالم إسلامي معاصر من علماء اليمن، ومن أشهر المتخصصين في الإعجاز العلمي في هذه الأيام، كان رئيسا لهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي، بمكة المكرمة، لقد ألقى عددا من المحاضرات وأجرى عدة مناظرات وحضر كثيرا من المؤتمرات حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الشريفة في عدد من المؤسسات العلمية والعامة في أماكن مختلفة من العالم، كما له العديد من البرامج التلفزيونية حول هذا الموضوع من أشهرها «حتى يتبين لهم أنه الحق» كما أصدر عددا من المؤلفات تبين إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية كتحدي للإلحاد المعاصر. ومن أشهر مؤلفاته كتاب «توحيد الخالق» ثلاثة أجزاء من مجلد واحد في طليعة سنة 1978، والكتاب الثاني «علم الإيمان» صدر أول مرة بالجزائر سنة 2002 وألفه صاحبه سنة 1420هـ- 2000م، ويتمثل منهجه في الكتابين في توظيف مكتشفات العلم التجريبي من أجل البرهنة على صدق الحقائق العقدية التي جاء بها الإسلام، ومن أهم ما يعتمد عليه في ذلك الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الذي يؤيد به قضايا العقيدة الإسلامية من وجود الله ووحدانيته وصدق نبوة محمد ﷺ واليوم الآخر وحقيقة الإنسان خلقا ووظيفة ...إلخ، مستعينا في ذلك بالرسوم والصور الاستشهاد بها[1].

وهو في ذلك كله يتمثل «المنهج القرآني والنبوي الذي يقدم القضية بأدلتها المقنعة ويهيج القلب بمواعظه المؤثرة، ويجعل من الغيب صورة حسية مشاهدة، لأن القرآن الكريم يعرفنا بربنا بمخاطبة العقول، ودعوتها للنظر في آيات الله تعالى... كما يدل القرآن على الإيمان بالله بمنهج

---

1 ــ عبد المجيد الزنداني : توحيد الخالق، ص 3.

عملي محسوس يعرفه المؤمنون، ويراه المستغيثون به سبحانه والمتمثل في إجابة الله لدعائهم، ...

وهذا المنهج هو منهج الرسل جميعا[1] فرؤية آيات الله في الكون هي طريق لليقين والإيمان به سبحانه»[2].

ويذكر الشيخ الزنداني عدة أهداف لهذا المنهج وفوائد للمخاطبين به من المسلمين وغير المسلمين، من أهمها:

1- عرض آيات الله تعالى في الكون ليشاهد الناس بأعينهم أدلة الإيمان بالله ربهم وخالقهم، ويروا آثار صفاته ذات الكمال والجلال.

2- تحريك العقول لتتعرف على خالقها، وتستدل على الإيمان به سبحانه بمناهج عقلية سليمة.

3- إيقاظ الفطرة، وتذكيرها بخالقها، ونعمه التي لا تحصى.

4- تركز الضوء على معجزات وبينات رسالة محمد ﷺ، في عصر الاكتشافات العلمية في الآفاق والأنفس.

5- التعريف بأركان الإيمان وأدلتها وأثرها في حياتنا بالأدلة العلمية الواضحة والموعظة المؤثرة.

6- تحرير العلوم الكونية مما ألبسها الملاحدة من أثواب الإلحاد والكفر ووضعها في مسارها الصحيح دليلا على الإيمان وبرهانا عليه.

7- الرد على شبهات الكافرين والمشركين والمنافقين والملحدين وفضح دعواهم الباطلة.

8- ربط اليقين بالقول والشهادة وبالسلوك المستقيم والخلق القويم.

9- تسليح الطلاب والدعاة وسائر المؤمنين بالأدلة العلمية القطعية التي تكشف الزيف، وتجلي الحق أمام العقول[3].

وفي تطبيقه لذلك المنهج ولتحقيق هذه الأهداف سلك الشيخ الزنداني مسلكين طبعا أسلوبه في الاستدلال والعرض، هما:

1- الأخذ من نتائج العلم التجريبي أمثله للاستشهاد بها على قضايا العقيدة، ففي معرض الاستدلال على وجود الله تعالى وكمال صفاته بأدلة الآفاق والأنفس بين أنه لابد لكل فعل من فاعل،

---

1 ــ الأنعام:75.

2 ــ عبد المجيد الزنداني. علم الإيمان، ص 23-3

3 ــ نفس المرجع، ص 4 – 5. وانظر : توحيد الخالق: ص 3 - 4.

ولابد لكل مصنوع من صانع ولا بد لكل مخلوق من خالق ولا يمكن أن يكون شيء في الفعل ليس للفاعل قدرة على فعله وحكمة فيه، وهو أسلوب استعمله كثيرا في حواراته ومناظراته مع الملحدين. وخلاصته أن التفكير في أي مصنوع أو فعل، يوصلنا إلى معرفة بعض صفات صانعه أو فاعله وبعض قدرته، لأن المصنوع كالمرآة يدل على بعض صفات الذي صنعه، فلا يكون شيء في المصنوع إلا وعند الصانع صنعة أو قدرة أوجد بها ذلك الشيء الذي نراه، وكذلك إن التفكر في المخلوقات يعرفنا ببعض صفات الخالق وبعض قدرته سبحانه وتعالى[1].

2- الحديث عن بعض عناصر الطبيعة وتكوينها وربط الحديث بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، مستعينا بالصور الموضحة.

مثلا في حواره مع الدكتور عالم الجيولوجيا والفلك المسلم فاروق الباز[2]. يدعونا الشيخ الزنداني للتفكر في خلق الشمس والنجوم بنظرة مقارنة بين حقائق علم الفلك والحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:«أوقد على النار ألف عام حتى احمرّت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودّت فهي سوداء مظلمة»[3]، فالنار إذا كانت حمراء فدرجة حرارتها أقل وإذا كانت تشع ضوءا أبيض فهي أشد حرارة وإذا كانت سوداء فقد وصلت إلى هذه الحرارة، وهذا ما يحدث في حالة النجوم، إنه سواد ظلام النجوم التي تكدست وماتت والتي تسمى بالثقوب السوداء لا يشع منها الضوء وإذا جاء بها النور يختفي[4]. إنه الدلالة على نبوة محمد ﷺ[5].

كما يدعو إلى التفكير في خلق الإنسان في أطواره الجنينية من التراب إلى النطفة إلى الولادة[6].

---

1 ــ الزنداني: علم الإيمان: ص 72 - 73.

2 ــ فاروق الباز: عالم فلك وجيولوجيا مسلم مصري، اختارته الولايات المتحدة الأمريكية لتحديد مواقع هبوط سفن الفضاء الأمريكية على سطح القمر سنة 1967، وسنة 1969 كلفوه بتدريب رواد الفضاء في مشروع (أبولو) . وفي سنة 1973 انتقل إلى واشنطن ليشرف ويدير بحثا في دراسة الأرض والكواكب وهو الآن مدير معهد الاستشعار عن بعد التابع لوكالة الفضاء الأمريكية NASA وما زال حيا يرزق إلى حين كتابة هذه الأسطر.

3 ــ أخرجه، الترمذي وابن ماجه والبيهقي ورواه الإمام مالك في الموطأ موقوفا ومختصرا.

4 ــ عبد المجيد الزنداني وفاروق الباز: الإعجاز العلمي في القرآن. محاورة علمية بينهما. ص 36 – 39.

5 ــ سورة النجم 3 - 5.

6 ــ انظر مثلا: الزنداني ومجموعة من علماء الأمة في ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة، بدون تاريخ، ص 51 - 54.

والتفكر في الطعام كيف يتكون عبر مراحل ووفق عناصر معينة من التربة والماء والهواء والضوء إلى مختلف المواد الغذائية إلى جسم الإنسان عبر الجهاز الهضمي مرورا ببقية الأجهزة الأخرى في جسم الإنسان التي تستفيد منه لصالح الجسم إلى أن تنتهي بالجهاز الإخراجي. بإشراف كلي لهذه العملية من الجهاز العصبي مراقبة وتنظيما. مما يدل على قدرة الخالق وحكمته وعنايته سبحانه وتعالى[1].

5- هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

لشدة إقبال الباحثين المعاصرين على دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وكثرة البحوث والمقالات والمحاضرات والمؤتمرات والكتب، مما نال إعجاب المخاطبين والدعاة، المعاصرين بما قدمه لهم أولئك الباحثون، شكلت هيئة خاصة بالإعجاز العلمي لتأطير تلك البحوث وتوجيهها شرعيا وعلميا، رفعا للخلافات وتوحيدا للجهود، فترشد الدعوة وتنظم البحوث والمناهج التربوية التعليمية.

1- التعريف: وهيئة الإعجاز العلمي هيئة علمية ذات شخصية اعتبارية مستقلة تسعى لإظهار وتحقيق ونشر أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، تأسست سنة 1406هـ-1986 م بناء على قرار المجلس الأعلى العالمي للمساجد برابطة العالم الإسلامي في دورته التاسعة بمكة المكرمة، وأقامت لها فروعا أخرى في داخل المملكة وخارجها تحقيقا لأهدافها، ويضم المجلس التأسيسي للهيئة ثمانية عشر عضوا من مختلف بلدان العالم الإسلامي، ترأسه أمانة عامة.

وينظر في البحوث المقدمة للهيئة مجلس علمي يدعى (اللجنة الاستشارية لهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) ومن مهامها كذلك وضع الإطار العام لخطط العمل، وإجازة الكتب في الإعجاز العلمي ...الخ[2].

2- أهداف الهيئة:

وللهيئة عدة أهداف تسعى لتحقيقها من خلال نشاطاتها الكثيرة المتنوعة في مجال دراسة الآيات الكونية والأحاديث النبوية في الأفاق والأنفس، من أهمها:

1- وضع القواعد والمناهج وطرق البحث العلمي التي تضبط الاجتهادات في بيان الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

---

1 ـــ الرمداني، توحيد الخالق، ص 31 - 46.

2 ـــ انظر مجلة الإعجاز، العدد الثاني جماد الأول1417هـ ـــ سبتمبر1996م، ص5 وانظر العدد 03، 1418 هـ ـــ ص 07.

2- إعداد جيل من العلماء والباحثين لدراسة المسائل العلمية والحقائق الكونية في ضوء ما جاء في القرآن والسنة.

3- صبغ العلوم الكونية بالصبغة الإيمانية وإدخال مضامين الأبحاث المعتمدة في مناهج التعليم في شتى مؤسساته ومراحله.

4- الكشف عن دقائق معاني الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالعلوم الكونية في ضوء الكشوف العلمية الحديثة ووجود الدلالة اللغوية ومقاصد الشريعة الإسلامية دون تكلف.

5- امداد الدعاة والإعلاميين في العالم وأفراد مؤسسات بالأبحاث المعتمدة للانتفاع بها كل في مجاله.

6- نشر هذه الأبحاث بين الناس بصورة متناسبة مع مستوياتهم العلمية والثقافية وترجمة ذلك إلى لغات المسلمين المشهورة واللغات الحية في العالم»[1].

3- وسائل الهيئة في تحقيق أهدافها: ولتحقيق هذه الأهداف جندت الهيئة عدة وسائل معاصرة متطورة لمواكبة العصر والوصول إلى كافة مستويات المخاطبين من المسلمين وغير المسلمين، ومن أهم هذه الوسائل:

1- جمع جهود الباحثين العاملين في مجال الإعجاز العلمي و تنظيمها.

2- تشجيع البحث الفردي والجماعي في هذه المجالات والتنسيق مع الجامعات والمؤسسات العلمية لإقامة دراسات عليا متخصصة وتمحيص الأبحاث في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ووضع الضوابط اللازمة لذلك.

3- مناقشة بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة والتدقيق فيها من النواحي الشرعية والكونية وإجازتها.

4- دراسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بموضوع الإعجاز العلمي.

5- تتبع ما يتوصل إليه علماء الكون وما يكتبون وما ينشرون من حقائق علمية مما له صلة بالقرآن والسنة ودراستها وتمحيصها على المستوى العالمي وابتعاث المتخصصين من المسلمين للمشاركة في المؤتمرات العلمية العالمية.

6- الاستعانة بالعلماء الشرعيين والعلماء الكونيين من المسلمين وغيرهم وتوثيق الصلة

---

[1] ـــ دليل هيئة الإعجاز العلمي، ص 29 - 30.

بالمختصين من الهيئات والعلماء، بالاستشارة وتبادل المعلومات، في سبيل تحقيق أهداف الهيئة.

7- إقناع العلماء الكونيين بوضع الإضافات الإسلامية في كتبهم أسوة بما حدث في كتاب علم الأجنة للدكتور الكندي كيث مور.

8- عقد المؤتمرات والندوات والتعاون مع الجامعات والهيئات العلمية.

9- تجنيد الباحثين وإعداد المتخصصين في هذا المجال.

10- تقديم المنح الدراسية في مجال أبحاث الإعجاز العلمي وحث الجامعات على إتاحة الفرصة لتسجيل دراسات عليا في هذا المجال.

11- إنشاء مراكز وفروع للهيئة في داخل المملكة وخارجها.

12-توفير الأجهزة الفنية لتغطية متطلبات الأبحاث والنشر.

13- السعي لدى المسؤولين عن التعليم العام والخاص في العالم الإسلامي لإدخال الأبحاث المعتمدة ضمن المناهج التعليمية في المراحل الدراسية المناسبة.

14- عقد اجتماعات ولقاءات علمية بين العاملين في المؤسسات ذات الاهتمام بموضوع الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لتحقيق التعاون في هذا المجال.

15-الاستفادة من الحاسب الآلي في جمع ما نشر من بحوث حول الإعجاز العلمي وتطويرها حسب المواضيع العلمية المتعلقة بها وحصر ما قاله المفسرون وشراح الحديث وكافة ما يتعلق بها من بيانات ومعلومات.

16-إصدار مجلة دورية متخصصة بأبحاث الإعجاز العلمي وفق أدق المقاييس العلمية لعرض البحوث وإيجاد الصلة بين الباحثين وإمداد المهتمين بها والراغبين في الإطلاع عليها عند توفر الإمكانية.

17- إعداد أفلام و برامج تلفزيونية لعرض حقائق الإعجاز من خلالها بصورة مشوقة.

18- تتبع الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام ويلبسونها أثوابا علمية للرد عليها بأسلوب علمي مقنع.

19- إقامة دورات تدريبية للراغبين في المحاضرة والبحث في مجال الإعجاز العلمي وتزويدهم بما يحتاجون إليه من الأفلام و الشرائح العلمية المصورة.

20-إصدار أبحاث الإعجاز العلمي في كتيبات و إمداد الخطباء وأساتذة المدارس بها.

21-إقامة محاورات علمية مع كبار علماء العالم الكونيين يدعى الناس لحضورها مع دعوة الصحفيين والإعلاميين لتغطيتها ليسمعوا شهادة العلم بصدق ما ورد في الكتاب والسنة. ومن ثم

يؤدون دورهم في إيصالها للجماهير»[1].

4 – من منجزات الهيئة: لقد حققت الهيئة منجزات جليلة على عدة أصعدة ترجمت تلك الأهداف وبينت حسن استثمار الوسائل المتاحة لها، ومن أبرز هذه المنجزات:

1- على صعيد المؤتمرات عقدت الهيئة بين سنتين 1986-1997 أكثر من ثمانية مؤتمرات ندوات وفي كل من باكستان وروسيا والسنغال ومصر والسعودية وأندونيسيا وإسبانيا بمشاركة كبار العلماء في جميع التخصصات العلمية الكونية والشرعية في أقطار العالم.

2 ـــ وعلى صعيد الأبحاث والإصدارات، أصدرت في نفس الفترة الزمنية أكثر من 22 كتابا في مختلف المجالات العلمية من طب وفلك وجيولوجيا وعلوم الأرض ونبات وأرصاد وبحار، وغير ذلك ترجع الكثير منها إلى أكبر لغات العالم ولغات الدول الإسلامية.

كما قامت في نفس المجال بعمل إضافات إسلامية لبعض الكتب في العلوم الكونية المشهورة مثل كتاب "علم الأجنة" لمؤلفه د. كيث مور، رئيس قسم التشريح بجامعة تورنتو بكندا.

3- على صعيد التسجيل الوثائقي والأفلام أعدت الهيئة عدة أشرطة فيديو كاسيت وأقراص مضغوطة (سيدي روم) عن وقائع المؤتمرات العالمية العلمية التي عقدتها بعدة لغات وإعداد شريط فيديو وترجمته، بعنوان "إنه الحق" يضم عدة لقاءات ومحاورات علمية مع 14 من رواد العلوم المعاصرة من أنحاء العالم وغيرها كثير[2].

5- هيئات عامة في حقل الإعجاز العلمي:

وتأسيا بهيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة، تأسست عدة هيئات علمية في مجال الإعجاز تعمل بالتعاون والتكاتف مع بعضها البعض لترقية الأعمال العلمية في الإعجاز وتكثيفها وتوسيع انتشارها في كافة أنحاء العالم، باعتبار العلم لغة القرآن ولغة الإنسان المعاصر، والسلاح الفتاك للبناء الشامل للعقول والتدمير الشامل للنفوس الضعيفة والعقول الضالة الشبه المضللة. ومن أبرز هذه الهيئات[3]، جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمصر (1988)، الأكاديمية الإسلامية للبحث العلمي بإلينوى – الولايات المتحدة الأمريكية (1992)، جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

---

1 ـــ دليل هيئة الإعجاز العلمي، ص 30 -36.

2 ـــ انظر مجلة الإعجاز، عدد 2، ص 05.

3 ـــ مجلة الإعجاز: العدد الأول، 1955 ص 18 - 19.

بكاليفورنيا، وجمعيات أخرى أكثر تخصصا مثل الجمعيات الفلكية والطبية وغيرها في كثير من أنحاء العالم الإسلامي والعالم بصفة عامة والتي توجد في الدول المتطورة علميا كالولايات المتحدة الأمريكية لها أهمية عظمى لكونها دول يسهل من خلالها الإحاطة والإلمام بأحداث المكتشفات العلمية، ويسير الاتصال بالباحثين والمتخصصين بغرض الاستشارات العلمية أو إجراء الأبحاث المشتركة أو تصحيح معارفهم ومفاهيمهم العلمية بنقل أبحاث الإعجاز إليهم ولفت أنظارهم إلى هذا اللون الهام من المعرفة.

وذلك لإيمان القائمين على هذه الهيئات بمجموعة من القواعد التصديقية العملية الإيمانية اليقينية، وهي:

ـــ أنه لا يمكن أن يقع صدام بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم.

ـــ لا يجوز تفسير القرآن إلا بالحقائق العلمية الثابتة.

ـــ الحقائق القرآنية هي المعيارية التي يجب أن يحتكم إليها العلم.

ـــ وبناء عليه بإمكان المسلمين عبر أبحاث الإعجاز العلمي تصحيح كثير من المفاهيم العلمية، وتصحيح مسيرة العلم وجعله طريقا إلى الإيمان بالله.

ـــ إيمانهم أن التفكر في معاني الآيات الكونية عبادة وتقديمها إلى الناس دعوة.

وفي حقيقة الأمر أن هذه المسلمات هي قناعات كل العلماء المسلمين الذين اتخذوا هذا المنهج وسيلة لترقية الإيمان والدفاع عن الإسلام، كما تجلى في أعمال من ذكرت سالفا، وهم يمثلون الاتجاه التأصيلي في توظيف العلم التجريبي.

إلا أنه هناك من غالى في استعمال العلوم الكونية الحديثة دون مراعاة الضوابط الشرعية والأسس العلمية في أعمالهم، حيث حملوا جميع النظريات العلمية والاكتشافات الحديثة والمعاصرة وأسندوها إلى القرآن والسنة وألهما احتواياها، وذهبوا يوفقون بينها وبين القرآن والسنة بأي دليل اتفق[1]، وهذا تكليف بما لم نكلف به وخروج بالقرآن عما أنزل له، بل أدى الأمر ببعضهم إلى التلفيق والخطأ في التأويل، فوقعوا فيما وقع فيه المتكلمون المتقدمون، فكانوا مثل المعتزلة حين شطوا وغلوا في استعمال العقل، حين استعمل هؤلاء النظريات العلمية دون تحقق وتميز بينها والحقائق العلمية، ووقعوا منهجيا فيما وقع فيه الأشاعرة الأوائل حين قالوا "إن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول"، وخاصة أن النظريات العلمية متغيرة ومتطورة والعلم بصفة عامة نسبي النتائج.

---

1 ـــ وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص 25 - 26.

من أهم من مثّل هذا الاتجاه من المحدثين والمعاصرين محمد عبدو ومحمد إقبال في موقفه من نظرية التطور وعلاقتها بفناء النار[1]، ومحمد فريد وجدي وبشير التركي وموقفهما من نظرية التطور والتلفيق بينها والقرآن، وطنطاوي جوهري وحنفي أحمد في تفسيرهما العلمي للآيات الكونية بمغالات وغيرهم، ولكن ذلك كله مع حسن الظن وطيب القصد وهو خدمة الإسلام والمسلمين.

المطلب الثالث: أسس المنهج الجديد (المنهج العلمي المعاصر)

بناء على عدم ملاءمة معظم صور الاستدلال القديمة لروح هذا العصر (العلمية العملية) لصبغتها التجريدية، وابتعادها عن المنهج القرآني، وتصدع كثير من أسس البناء العقلي لعلم العقيدة الذي تفطن إليه علماء الكلام المتأخرون قبل المعاصرين، مما جعلها أدلة غير برهانية.

والتطور العلمي المعاصر واطراده الذي أدى إلى تغيير العقلية القديمة واختلافها عن العقلية (العلمية العملية)، التي تهتم بتقديم الكلام على أساس التجربة والمشاهدة حيث تهمها الحقائق؛ وتغير وتجدد التحديات الواردة على الدين الإسلامي عقيدة وشريعة؛ وغيرها من الأسباب الدافعة إلى تجديد علم العقيدة – التي كانت موضوع المباحث السابقة- وجد المتكلم المسلم المعاصر نفسه مضطرا لتطوير أسلحته الدفاعية وتحصين مواقعه ومواكبة التطورات عن طريق تجديد مناهج علم العقيدة وطرقه، ذلك أن مناهج النصرة إنما هي مرتبطة بالمخاطبين من المسلمين وغير المسلمين، وعليه كانت عقلية هؤلاء المخاطبين المعاصرين عقلية علمية، مما يجعل عنصر المنطق العلمي العملي من بين أهم عناصر المنهج في علم العقيدة اليوم الذي يسعى إلى استثمار حقائق العلوم الكونية لاستخدامها في الاستدلال، وإلى إبراز الفوائد العملية للعقيدة الإسلامية وصلاحية هذا الدين لكافة الناس.

ومن أهم المناهج الجديدة لعلم العقيدة " منهج العلم التجريبي – الاستنباطي المعاصر "والذي من أبرز أسسه العناصر التالية:

أ ــ المعرفية والعلمية في المنهج

1- المعرفية في المنهج (أو نسبية العلم الإنساني)

القرآن الكريم بتقسيمه للآيات القرآنية إلى قسمين محكمات ومتشابهات يؤكد حقيقة نسبية العلم الإنساني، حيث قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[2].

---

1 ــ محمد إقبال، تجديد الفكر الديني في الإسلام، ص 139 - 141.

2 ــ آل عمران:07.

أما المحكمات فعرفها الجرجاني بقوله: "المحكم ما أحكم المراد به عن التبديل والتغيير، أي التخصيص والتأويل والنسخ"[1]، فهي تتصل بدنيانا المعلومة ونستطيع فهم مدلولاتها، مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾[2]، والسعي لفهم مدلولاتها أو مفاهيمها أمر مفيد، أما المتشابهات فقد عرفها الجرجاني بقوله: «المتشابه ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلا، كالمقطعات في أوائل السور»[3]، لأنها تختص بأمور الغيب وقد بين الله تعالى هذه الأمور بأسلوب رمزي مثل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[4].

وبين أن السعي لتعيين مدلولاتها سيعود بالضرر والخسران على المسلمين، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[5].

وما تنافر وتصادم الفرق الكلامية إلا بسبب خوضها في هذه الآيات، وابتغائها تأويله إلى درجة الفتنة، مثلما وقع في قضية خلق القرآن، لهذا حذر القرآن الكريم والسنة النبوية من الأخذ بالمسالك المنهجية الفاسدة في العقيدة الغافلة عن مرجعية الوحي، كتعقل الذات والصفات الإلهية وأمور أخرى، إذ نهى الحق تبارك وتعالى عن اعتماد قياس الغائب عن على الشاهد في المباحث الإلهية، لأن الله ليس كمثله شيء فقال:﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾[6]، كما أنه سبحانه وتعالى لا يجيب عن الأسئلة المتعلقة بالأمور الغيبية الأخرى كالروح والساعة، وإنما يثبط همة السائل حتى لا يثير مثل تلك الأسئلة لأن أجوبتها الحقيقية الكاملة توجد خارج حدود إدراك الإنسان، فلا يستطيع أن يفهمها[7].

فمثلا يقول الحق جل جلاله عن الروح: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[8]، ويقول عن الساعة (يوم القيامة): ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً

---

1 ــ الجرجاني:: التعريفات، ص363.

2 ــ سورة المائدة:38.

3 ــ الجرجاني : التعريفات، ص253.

4 ــ سورة الأعراف:54.

5 ــ سورة آل عمران:07.

6 ــ سورة النحل:74.

7 ــ وحيد الدين خان: قضية البعث الإسلامي، ص 106.

8 ــ سورة الإسراء:85.

يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وهو ما أسميته بروح التهيب.

فهناك حقيقة بشرية أقرها القرآن الكريم هي "محدودية العلم البشري"، لهذا كان ذلك التقسيم القرآني للعلم (المحكم والمتشابه) يتلاءم مع الطبيعة البشرية، كما أقر القرآن الكريم حقيقة ثانية وهي أن ما هو فوق طاقة العقل المحدود أو ما هو خارج مجال التعقل فمرجعيته المعرفية هي الوحي، وحقيقة ثالثة هي الغاية من هتين الحقيقتين وهي تحقيق البعد الواقعي للمنهج أو الضرورة العملية الدافعة إلى السلوك وفق الإنذار الإلهي، وتصديق الرسول ﷺ التي (الضرورة العملية) تكتمل بتوافق قوى الإنسان العقلية والوجدانية والحسية[2].

وتتجلى لنا هذه الحقيقة المعرفية من المعطيات العلمية الحديثة، حيث أثبت العلم المعاصر أن الحقيقة ليست محصورة فيما علمناه من التجربة المباشرة، كما بينت سابقا، إذ يعترف الأستاذ (ماندير Monder) «أن الحقيقة التي نعرفها مباشرة تسمى الحقائق المحسوسة، بيد أن الحقائق التي توصلنا إلى معرفتها لا تنحصر في الحقائق المحسوسة، فهناك حقائق أخرى كثيرة لم نتعرف عليها مباشرة، ولكننا عثرنا عليها على كل حال، ووسيلتنا في هذا السبيل هي الاستنباط، فهذا النوع من الحقائق هو ما نسميه بالحقائق المستنبطة، والمهم هنا أن نفهم أنه لا فرق بين الحقيقتين، وإنما الفرق هو في النسبة من حيث تعرفنا على الأولى مباشرة، وعلى الثانية بالواسطة، والحقيقة دائما هي الحقيقة سواء عرفناها بالاستنباط أو بالملاحظة»[3]، وهذا يعني أنه قد أصبح من المسلم الآن أن الإنسان غير قادر على الاستدلال بالمشاهدة بكفاياته ووسائله المحدودة، وأنه لا يقدر إلا على الاستدلال الاستنباطي، فنحن لا نستطيع أن نشاهد الحقائق، بل جل ما نستطيعه هو استنباط الحقائق الكامنة بدراسة ومشاهدة الأشياء الظاهرة[4]، وهذا يدل على أن البناء المعرفي لعلم العقيدة يقوم على الجمع بين منافذ معرفية ثلاث هي: (التجربة والعقل والوحي) في توازن وتكامل في وظائفها للوصول إلى الحقائق وإدراكها

---

1 ـــ الأعراف:187.

2 ـــ انظر، الواقعية في المنهج، 241.

3 ـــ A.E.Monder : dearer thinking . P41.

نقلا عن وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص 63-64.

4 ـــ وحيد الدين خان: تجديد علوم الدين، ص68.

وتحقيق الدليل أو البرهان والمعرفة اليقينين، فتجاوز بذلك الإشكاليات المتعلقة بالبناء المعرفي لعلم الكلام التقليدي حيث تشتت وانهار بتشتت وافتراق المذاهب الكلامية، العقلية والذوقية والحسية (معتزلة وصوفية وأشاعرة وحشوية... إلخ)، كما يتجاوز بذلك من جهة أخرى الإشكاليات المتعلقة بالنظريات المعرفية السائدة في الغرب والتي تتوزع على المذاهب العقلية والتجريبية والشكّية، وهي الإشكاليات التي أدت إلى تجزئة المعرفة واختلاف المواقف وظنية الأدلة.

بينما هذا البناء المعرفي المتكامل يهدف إلى تحقيق شمولية المعرفة التي تتحقق بها شمولية النظرية الكونية في الآفاق والأنفس وشمولية المعرفة الوجودية (الله – الإنسان – الكون) في الجمع بين القراءتين القرآن والكون، مما يجعل الاستدلال على حقائق العقيدة والدين الإسلامي بصفة عامة، يعتمد على أدلة برهانية عقلية نقلية في آن واحد.

ذلك أن التعليم الذي أعطاه الله في كتابه بصورة عامة، جعل الكون بأسره دليلا علميا لتأييده وتأكيده.

فالاعتراف بمحدودية العلم البشري القائم على المنهج التجريبي الاستنباطي. يدل على مدى تطابق هذه الحقيقة مع الحقيقة العلمية القرآنية (المحكم والمتشابه) ومن ثم كان أسلوب الاستدلال القرآني هو الاستدلال العلمي عينه، أي اعتماد هذه الحقيقة المعرفية المنهجية يعني بناء منهج كلامي علمي صحيح، يقوم على العقل العملي والضرورة العملية.

2- العلمية في المنهج

أما العلمية في المنهج فهي الاستدلال على الحقائق العقدية بالطريقة الطبيعية، لكون القرآن الكريم والكون كليهما إظهار للمشيئة الربانية، وهو إظهار بصورة كلامية في مكان وإظهار بصورة عملية في مكان آخر، مصداقا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1].

ويتم تحقيق ذلك باستثمار حقائق العلم التجريبي لاستخدامها في الاستدلال، لأن التقدم العلمي المعاصر أعطى تأييدات جديدة لأصول وفروع الإسلام، حيث يمكن الاستفادة منها في بحث البراهين العقدية، كبرهان النظم والاختراع وبرهان العناية والغاية على وجود الله تعالى وصفاته، وبراهين اليوم الآخر والنبوة، والبراهين التشريعية في الاستدلال على صلاحية المسائل العملية في كل مجالات الحياة.

---

[1] ـــ فصلت:53.

ولذا أكد العلماء المسلمون المعاصرون – كما بينا في المبحث السابق – على الدور التأييدي لمثل هذه الإنجازات العلمية لمسائل الدين الإسلامي عامة والعقيدة خاصة، وتنقسم هذه المؤيدات العلمية إلى قسمين، الأول: الشواهد العلمية على معرفة الله تعالى والقضايا العقدية، والشواهد العلمية الدالة على الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

فيما يتعلق بالقسم الأول يقول الأستاذ مرتضى مطهري حول دور العلم التأييدي في برهان النظم في إثبات وجود الله تعالى ومعرفته: «هنا يكون العلم لنا عونا، فإنا عندما نقول: بأن العلم – علم التجربة والاختبار – كلما يتطور يساعدنا أكثر، كان المقصود من ذلك هذه المواطن، فإن العلم كلما أخضع تلك الموجودات للتجربة والاختبار كلما توصل إلى معرفة النظام الداخلي فيها أكثر، (فمثلا تمكن علم التشريح القديم من الوصول إلى معرفة بعض أنسجة العين، لكنه لم يصل إلى ما وصلت إليه المعرفة الدقيقة للعلم الحديث في هذا المجال)، فالعلم كلما تقدم كلما توصل لكشف أسرار نظام الطبيعة أكثر، ذلك النظام الحاكي على الاختيار للأفضل، وعن حسن التدبير والإدارة في الخلق والإيجاد»[1].

ومن الأمثلة على ذلك استعمال «نظرية الانفجار الكبير وتمدد الكون» في الاستدلال على وجود الله تعالى، إذ تدل هذه النظرية على أن الكون له بداية وغاية، وما له بداية ليس أزليا وله نهاية ومن ثم كان مفتقرا إلى موجد أوجده من العدم، وما له غاية لا بد له من حكيم أوجده وهداه لغاية مصالح للإنسان، وهو ما أسماه الأستاذ مطهري «برهان الهداية» وابن رشد من قبله «دليل العناية» وعبر عنه أحد علماء الفلك المعاصرين وهو الأستاذ تران تيون (Trinh Thuan) في حديثه عن نظرية تمدد الكون بقوله: «إن كثير من الفلكيين يؤمنون بأن الكون خلق من أجل الإنسان، أي أنه كان مبرمجا»[2].

ومن الشواهد العلمية الدالة على الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، ما أثبته العلم من سبق واكتشاف قرآني في علم الأجنة والجبال والبحار والأمطار والرياح والطب الوقائي وعلم التشريح ووظائف الأعضاء وغيرها من الحقائق العلمية في مختلف العلوم – كما سنبينه في الفصل القادم بحول الله تعالى – مما يثبت ربانية القرآن الكريم وصدق نبوة محمد ﷺ وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. يتم التأسيس للإيمان اليقيني لبقية أركان الإيمان وخاصة الإيمان بالبعث والجزاء. ومقتضياته السلوكية المتجسدة

---

1 ـــ مرتضى مطهري: التوحيد، ص70-71.

2 ـــ Michel Leclerq: "Dieu revient très fort" un débat métaphisique avec l'astronome Trinh.Thuan. P.8.

في صفات المؤمن. كما بينته بداية سورة (المؤمنون) إذ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ هُمْ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

ولا يتسنى تجسيد هذا المبدأ (العلمية) إلا بتحقيق عملين أساسيين، هما:

1- **تدوين «آيات الآفاق»**: إن القرآن الكريم «يستخدم الآيات الكونية لتدعيم دعوته، إلا أن هذه الإشارات إجمالية، والحكمة في إجمالها هي أن الإنسان القديم لم يكن ليفهمها لو فصلت له، ولكان قد دخل في متاهات تبعده عن الهدف الحقيقي للوحي، ألا وهو هداية البشر وإنذاره من يوم الحساب القادم (واليوم قد تجمعت لدينا مواد مفصلة عن كثير من تلك الإشارات القرآنية بفضل تطور العلوم الطبيعية) وليس من المبالغة أن أقول إن العلوم الطبيعية الحديثة قد أصبحت علم الكلام الإسلامي، ولم يبق علينا إلا تدوينها، والحاجة تقتضي تدوين آيات الله الكامنة في خلقه وكونه. باستخدام الاكتشافات العلمية الحديثة»[2].

2- **تدوين: «آيات الأنفس»**: مصداقا لقوله تعالى: ﴿**و في أنفسهم**﴾ وقوله: ﴿**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**﴾ وتشمل آيات الله المتعلقة بالذات الإنسانية (المادية) (بداية الوجود أو (الأصل) والتخلق الجنيني، ووظائف الأعضاء، ووظيفة الإنسان الوجودية... إلخ) كما تشمل من جهة أخرى آيات الله الكامنة في النفس البشرية (الجانب النفسي المعنوي). وهذا الجانب كان مجهولا إلى حد كبير في القديم ومما كتبه الصوفية في هذا المجال من بحوث قيمة كثير منها اعتمدوا فيها على القياس أكثر مما اعتمدوا على الحقائق العلمية والجزء الآخر من كتاباتهم فقد بعضه مغزاه ووظيفته في عصرنا هذا.

ويعتمد النوع الأول من آيات الأنفس على العلوم الكونية الطبيعية والنوع الثاني يعتمد على «علم النفس الحديث الذي وفر لنا معلومات كثيرة تساعدنا على تفصيل إشارات القرآن إلى حد كبير؛ ولو أنجز هذا العلم على المستوى العلمي العصري لأصبح تصديقا نفسيا عظيما لحقائق القرآن»[3]، على مستوى النوع الثاني وتصديقا ماديا فزيولوجيا حضاريا على مستوى النوع الأول.

---

1 ــ المؤمنون: 1-11.

2 ــ وحيد الدين خان: تجديد علوم الدين، ص70.

3 ــ نفس المرجع، ص 70-71.

وعليه يتبين لنا أن هذا المبدأ (العلمية) هو الذي يعيد للنقل مكانته الحقيقية وللعقل دوره ووظيفته المثمرة في منهج علم العقيدة، فتتكامل في توافق العلاقة بين العقل والوحي والوحدان عن طريق العلم التجريبي، وتتوحد المعرفية والعملية في منهج علم العقيدة المعاصر بعدما انفصلتا وتضادتا في علم الكلام القديم في صوره الأخيرة.

ب ــ المرجعية النصية (القرآن والسنة) والتراثية

والمقصود بهذا الأساس، أن الارتكاز على حقائق الدين الإسلامي مبني على المنهج القرآني في النظر والبحث والاستدلال والخطاب حيث توصّل العقيدة الإسلامية إلى النفوس والعقول بأقصر الطرق وأسهلها، لأنه المرجع الأول والأصل لكل المعارف البشرية في الدين والحياة، ومصدر يقين الأمة ويقينية هذه المعارف ومطلق نتائجها.

وهذا ما يجعلنا لا نضفي الصبغة القدسية على تراثنا الكلامي باعتباره اجتهادات بشرية تخطئ وتصيب وتبلى مع مرور الزمن وتتغير بتغير التحديات فتحتاج إلى تجديد وإحياء وعناية.

وعليه كان لابد من تجاوز السلبيات التي سقط فيها علم الكلام في عصور انحطاطه وجموده، التي من أهمها، الانشغال عن مواجهة الخصوم الخارجيين بالخصومات الداخلية التي أدت-مع الأسف-إلى تصدع جبهة علماء الكلام وضعف شوكتهم بل ضعف قوى كل المسلمين بصفة عامة أمام أعدائهم وخصومهم، الذين أتيحت لهم الفرصة لممارسة أنشطتهم الهدامة المتواصلة إلى يومنا هذا، كالتنصير والإلحاد، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى استخدام المنهج الجدلي العقيم الذي كثيرا ما يؤدي إلى إثارة الشبه والشكوك دون أن يفضي إلى الإقناع واليقين[1].

ولا يعني هذا إلغاء التراث الكلامي القديم من مجال البحث والدرس المتخصص. لأننا لا يمكن أن نجحد ونلغي الجهود العظيمة التي بذلها أسلافنا في بناء علم العقيدة للدفاع عن الدين الإسلامي والدعوة إليه، وعليه يكون التعامل معه «بالإضافة إليه وإثرائه في المادة وفي الأسلوب بما يستطيع أن يجابه المستجدات من مطالب الفهم والإقناع، ومن عوادي المطاعن الطارئة، وذلك مع الحفاظ على المنجزات الماضية فيه كمخزون تراثي ثري، تقع العودة إليه عند الحاجة، إما على سبيل

---

1 ــ محمد الأنور السنهوتي: مدخل نقدي لدراسة علم الكلام، ص255.

الاستفادة في التوظيف لمجابهة ما يطرأ من الأحداث التي قد يعود منها ما حدث قديما، أو يعود ما هو مشابه له، وإما على سبيل الدرس للتثقيف بالتاريخ الزاهر للفكر الإسلامي»[1].

ج- الواقعية في المنهج

والمراد بهذا المبدأ تشمير واستخدام ما أمكن من المعطيات العلمية والوقائع التي تحيط بحياة الإنسان والمستمدة منها، وقولبتها في إطار منهجي، وتوظيفها من أجل إثبات حقائق العقيدة والدفاع عن الدين الإسلامي، وإبراز الفوائد العملية للعقيدة الإسلامية التي من شأنها أن تحل المشاكل الحياتية لأفراد ومجتمعات اليوم التي تعاني منها الإنسانية المعاصرة، فيكون المنهج أكثر جدوى في الإقناع والتصديق نظرا لتقبل الناس اليوم لمثل هذه المنهجيات الإثباتية، لأن عقليتهم هي العقلية العلمية العملية، ويخرج بذلك منهج علم العقيدة من دائرته التجريدية ليدخل من جديد – كما نشأ أول مرة – في صميم الحياة اليومية، فيسعى إلى تجسيد الضرورة العملية في حياة المسلمين موظفا الإنذار الإلهي بالعذاب الأخروي وتصديق الرسول ﷺ فيتجلى البعد الواقعي في المنهج في كل عمل وسلوك يقوم به عالم الكلام أو الداعية، لذا كان أول ما نزل من القرآن الدعوة إلى التأسيس المعرفي بالمنهج الإلهي للإيمان والسلوك فقال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[2]، وكان أول ما نزل بعد فتور الوحي قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[3]، فكان نقطة البداية في الدعوة إلى الإسلام، والالتزام به تصورا وسلوكا في المجتمع[4].

وخير نموذج في ذلك المنهج القرآني الذي جمع في سياقه آياته الإقناعية والاستدلالية بين الواقعين الكوني والإنساني والكشف عن العلاقات العقدية القائمة بينهما والعلاقات المترتبة عنها الاجتماعية والسلوكية والنفسية، والسياسية والاقتصادية، كما بينها في قصص الأنبياء والأمم السابقة، وضرب الأمثال، وإبراز الحكمة من كل حكم تشريعي.

فلا يعود التوحيد مجرد اعتقاد نظري فحسب مؤداه وجب الوجود واحد لا أكثر، أو هو التعدد في مظاهره (الربوبية والإلهية والصفات)، بل لابد للتوحيد أن يتجلى في السلوكات الفردية والسلوكيات

---

[1] – عبد المجيد النجار: الإيمان بالله والرد في الحياة، ص 28-29.

[2] – سورة العلق: 1-2.

[3] – سورة المدثر: 1-2.

[4] – راجع هشام قرغلي: الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية، ص 302-306.

الاجتماعية العامة ويستشعر خلالها الإنسان، فردا ومجتمعا، معية الله تعالى الباري ومراقبته الدائمة، ويدرك ويعرف علم اليقين وعين اليقين ربا خالقا وإلها معبودا يتصف بكل صفات الكمال المتجلية في مخلوقاته آفاقا وأنفسا[1].

و هذا الأمر يقتضي ثلاثة أعمال بنائية منهجية:

1- تدوين علم الآثار القرآني، فالقرآن يشير إلى الأنبياء والحضارات القديمة، وهذا الجزء من القرآن يسمى (بأيام الله) فقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[2]، فهذه الأحداث والوقائع التاريخية جد هامة، إذ تكشف لنا السنن الاجتماعية والإنسانية في قيام الحضارات وتداولها على التمكين، وتثبت أن للكون إلها أرسل رسله في كل العصور وهو الذي يحدد مصير الشعوب وأقدار الحضارات بناء على قوانينه وسننه الثابتة، فعرف المتكلم والداعية سبل تتبع مستجدات الواقع الإيجابية والسلبية، وهذا الموضوع على الرغم من كونه تاريخي إلا أن القرآن الكريم لا يتناوله بالأسلوب التاريخي، بل يتناوله بأسلوب إجمالي لأغراض الدعوة والإنذار والتبشير والاعتبار والاستدلال.

والعلم الحديث في تطوره واكتشافاته أمدنا بمادة علمية غزيرة تمكننا اليوم من شرح وفهم الإشارات القرآنية حول أيام الله وتوثيقها تاريخيا وبالتالي تدوين الدعوة القرآنية بلغة التاريخ[3]، واستخراج القوانين والسنن والحقائق وتوثيقها علميا وبالتالي تدوين الحقائق العقدية حول بداية الخلق (الانسان والكون) وسنن الحضارات، وفهم المستجدات فتدون قواعد الدعوة القرآنية بلغة العلوم الكونية والاجتماعية.

2-كما يقتضي الأمر التوجه إلى المسائل التشريعية ذات الصلة العملية بعدما حدث من انقسام بين الشريعة والعقيدة لهداية سلوك المسلم أو توجيهه أو إصلاحه أو الرد على مطاعن الخصوم التي تهدف إلى التشكيك فيها أو إبطالها. وهذا يعني إنكار أصل من أصول الدين والتشكيك في أحقية هذا الدين وصلاحيته للبشرية.

3- وعليه كان لا بد من استخدام مصطلحات ومفاهيم ذات الدلالة العلمية والعملية الواقعية حتى تكون متحققة في الواقع وقابلة للإدراك المباشر والمعاينة، سهلة الفهم والاستيعاب من كل

---

1 ــ انظر الفصل الأول من البحث.

2 ــ سورة ابراهيم:05.

3 ــ وحيد الدين خان: تجديد علوم الدين، ص 69-70.

المخاطبين، حتى نتجاوز المصطلحات والمفاهيم الكلامية المفرطة في التجريد والمستعصية على الفهم والاستيعاب من قبل أهل الاختصاص، قبل العامة.

د- اتخاذ الأسلوب السلس البسيط الواضح للكلام

هذا الأسلوب البسيط هو الأسلوب الذي فيه سذاجة حسب الحقيقة، وسير الطبيعة، وهو يخلو من الزخرفة، والمتمثل فيما قاله عربي يعيش على فطرته، ونطق على سجيته، دون أن يكون قد ألم بشيء من منطق أرسطو: «البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل كله على الله اللطيف الخبير؟»، فهذه الكلمات ألصق بالمنهج التجريبي، القائم على الملاحظة، وأقرب إلى التأثير في النفس وأقدر على إقناع العقل من أي صيغة قياسية[1].

وذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان على فطرة بسيطة، وإذا كان الكلام بسيطا سهلا خلوا من التعقيد، سيسترعي طبيعة الإنسان وينفذ إلى أعماقه، ويسيطر على وجوده، بخلاف الكلام الصناعي المعقد الذي لا تتشربه طبيعة الإنسان، ولا تستطيع أن تهضمه هضما صحيحا، أو لا يستسيغه كلية[2]، وهو الأسلوب الذي آل إليه علم الكلام القديم، حين أصبح يخاطب الناس بكلام معقد مجرد لا يقنع الخاصة، ولا تفهمه العامة من الناس.

ولكن الأسلوب الأقوى في عصرنا هو ذلك الأسلوب الذي يقدم الكلام بصورة واقعية وحقيقية، وهو الأسلوب العلمي، الذي يعدّ نتاج القوة العلمية، ولكنه في الحقيقة أسلوب قرآني أساسا، إذ يعد القرآن الكريم أول كتاب قام على الموضوعية والحقيقة التاريخية.

وبناء على ذلك كان لزاما علينا العودة إلى أسلوب القرآن والإعراض عن الأسلوب الصناعي القائم على الصيغ المنطقية، والنثر المنظوم والشعر المنثور[3].

وحتى لا تضيع الغاية والهدف من هذا المنهج العلمي في الاستدلال بالأسلوب البسيط الواضح لا يجب الإطالة والتفصيل والتدقيق في المعطيات العلمية وإنما نتخذ نتائج هذه العلوم مقدمات لاستدلالاتنا أو شواهد برهانية على القضايا المطروحة. بحيث يكفي ذكر القوانين والقضايا العلمية القريبة المأخذ سهلة التصور دون الدخول في أعماق تلك المسائل، فنقدم تلك الحقائق بأسلوب

---

1 - عبد الصبور شاهين، تقديمه لكتاب " الإسلام يتحدى ". ص.14 .

2- وحيد الدين خان، قضية البعث الإسلامي، ص 116.

3 - نفس المرجع، ص 117.

يسير بفكر القارئ أو المجتمع عبر الحقائق ليجعل تركيزه على النتائج الإيمانية لتلك الحقائق.

ولا بد أن نعرف أن الأمر ليس محصورا عند حد الإثبات، بل من أهداف هذا المنهج ربط المؤمن بربه وإذكاء حيوية مشاعر التعظيم والحب والخوف والرجاء، والشكر، وهو منهج القرآن الكريم - كما بينت في الفصل الثاني- إذ يقول الحق تعالى مبينا هدف الإثبات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[1]، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[2].

وفي آيات الامتنان الإلهي على الانسان لتحقيق الهدف الثاني يقول جل جلاله:﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

ومن هنا يتبين لنا من خلال هذه الأسس أن منهج علم العقيدة الجديدة هو منهج القرآن الكريم في الاستدلال على العقائد الإيمانية، فكانت دعوة العلماء إلى تجديد علم الكلام وتجاوز صور الاستدلال القديمة، في حقيقتها مجرد الدعوة إلى العودة إلى القرآن الكريم أو "الكلاميات القرآنية" كما أسماه الأستاذ وحيد الدين خان.

ثم أن الواقع المعاصر بين لنا أن المشكلات التي تعرض لها المتكلمون، وجادلوا خصومهم فيها، وردوا على آرائهم، مما لا يتوافق مع طبيعة التحديات المعاصرة التي تواجهها أمتنا وفكرنا الإسلامي في العصر الراهن، فقد تبدلت الظروف وتغيرت الأحوال وتباينت معها صور التحديات المصيرية وأساليب الاستجابة لها؛ وعليه لسنا اليوم معنيين بالبحث في كثير من المشكلات الكلامية التقليدية.

---

1 ــ سورة الطور: 30.

2 ــ سورة فصلت: 53 .

3 ــ سورة النحل:4 - 14.

الفصل الرابع
الاستدلال العلمي على حقائق الدين الإسلامي

تمهيد: أهمية الاستدلال العلمي

المدخل: مفهوم الإعجاز العلمي

المبحث الأول: الاستدلال على صدق الخبر الإلهي

المبحث الثاني: الاستدلال على عدل الأمر الإلهي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

أهمية الاستدلال العلمي

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1]، ورؤية هذه الآيات في الآفاق والأنفس للتحقق من حقائق الدين الإسلامي الحق على أنه الحق الذي يستلزم الاعتراف به والالتزام بتعاليمه، هذه الرؤية، تتم بالدليل البرهاني، ولا يمكن إدراك هذا الدليل وتحصيله إلا بالنظر والبحث في آياته سبحانه وتعالى، وهذا الأخير لا يتحقق إلا بنور المعرفة المنبثة في خلقه جل جلاله، قال جل جلاله: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[2].

وقد ألحق المولى ﷻ حقائق الدين الإسلامي بعدد لا يحصى من النتائج العلمية التي يسهل التثبت من صحتها في ضوء المعارف والنظريات والحقائق العلمية الحديثة وبالتالي إعطاء البرهان الكافي على صحة الدين الإسلامي.

وهذه النظريات والحقائق العلمية هي نص إلهي غير مباشر أي نص إلهي في صياغة بشرية ذلك أن الإنسان يصوغ القوانين الكونية المعبرة عن الحقائق بناء على ما اكتشفه من سنن إلهية أودعها جل جلاله في خلقه ومكن عباده من إدراكها بنوره الساري فيه. فكان الله تعالى هو مصدر هذه المعرفة الإنسانية المعبرة عن المعرفة المطلقة المعرفة الإلهية بنور الله الذي أودعه في الإنسان والكون. إذ يقول ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾[3]، وقال: ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[4]، وقال: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[5].

إلا أن هذا النص الإلهي غير المباشر يتسم بالتطور اللامحدود نظرا لارتباط هذا التطور وعدد

---

1 ــ فصلت: 53.

2 ــ سورة النساء: 174.

3 ــ الشعراء:132.

4 ــ البقرة:255.

5 ــ العلق:05.

النتائج وتأويل معناها النهائي بنهاية التاريخ البشري أي إلى قيام الساعة، بينما النص الإلهي المباشر (النص الديني) يختلف عنه من حيث المنطلق وطبيعة ثبات النص (الإلهي) على مدى تطور حضارة الإنسان وتقدمه العلمي والعقلي، كما يرجع هذا الاختلاف إلى كون النص الإلهي يتواءم مع الاختلاف الواسع بين الثقافات المختلفة للأفراد المتلقين له على مستوى الحضارة الواحدة الدينية تتسم بالمعاني الكلية[1].

لذا قال الحق سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2]، هذه طبيعة البرهان الإلهي في صياغته البشرية متنامي ومتعدد ومرتقي إلى الحق لتحقيق الشهود فيطمئن القلب وتقر العين ويرتقي الإيمان فيتحقق الإحسان.

ومعنى هذا أن النظر في خلق الله تعالى واكتشاف أسرار الكون ومعرفة منافع الموجودات ليس لذاته، في عقيدتنا الإسلامية، ولكن لمعرفة الحق تبارك وتعالى وصدق هذا الدين الذي ارتضاه لعباده.

لذا يعتبر العلماء المسلمون: «أن دراسة الطبيعة هي ليست غاية بحد ذاتها، وإنما وسيلة لغاية أخرى، مثل المعرفة التي تؤدي حكمة بسبب الاستمرار في ممارستها ضمن حكمة تتواجد فوق مستوى عالم العقل الإنساني الصرف، فليس من الضروري دراسة الطبيعة إشباعا لحب الاستطلاع أو من أجل الدراسة فقط، ولا حتى باعتبارها غاية بحد ذاتها، بل إن قناعتهم بشرعية التعلق بدراسة العلوم الطبيعية تعود إلى غاية حياة الإنسان وشغفه بالمعرفة هي الحصول على معرفة الباري الذي تنعكس حكمته في خلقه بطريقة تجعل دراسة هذه الحكمة المنعكسة تؤدي إلى معرفة الباري نفسه»[3].

فإذا عرفنا طبيعة البرهان وغايته وحقيقة (الآفاق والأنفس)، كيف نحقق البرهان ونلتمس الغاية وندرك الوجود؟ إن ذلك لا يكون إلا بنور الله تعالى الذي نور به الكون والنفوس، فـ:﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[4]،

---

1 – محمد الحسيني إسماعيل: الدين والعلم وقصور الفكر البشري. ص 444.

2 ــ الإسراء:85.

3 – سيد حسين نصر: مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية. ص197.

4 ــ النور:35.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[1]. وما هي مراتب الناس في إدراك هذا النور وتنوير غيرهم به وهدايتهم إلى الحق؟ وعليه تتجلى لنا الغاية من هذا الفصل الذي نستدل فيه بمؤيدات العلم على حقائق ديننا الحنيف.

وهذه الغاية يوضحها لنا العارف بالله ابن عطاء الله السكندري في حكمته الرابعة عشرة حيث يقول: «الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون و لم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار».

وهذه الحكمة حصيلة مكثفة لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2]، «إن النور في هذه الآية منسوب كما ترى (بحكم الإضافة) إلى السماوات والأرض. فهل هذا يعني أنه منبثق من السماوات والأرض؟

لا..ليس هذا هو معنى الآية، بل هي تتضمن الدلالة على عكس ذلك. وبيان ذلك أن بين كلمتي النور والضياء أو النور والسراج، فرقا لغويا دقيقا. أما النور فمعناه الشعاع المثبت على جرم ما والمنعكس إليه من جرم آخر. وأما الضياء والسراج فهو الشعاع الذي يظهر على جرم ما منبثقا من داخله. ومن ثم فإنك تقول غرفة منيرة ولا تقول مضيئة. لأن نور الغرفة إنما ينعكس على جدرانها من المصباح المضيء في داخلها. وتقول شمس مضيئة ولا تقول منيرة، لأن شعاع الشمس إنما ينبثق من داخلها.

وانظر إلى دقة التعبير عن هذا في كتاب الله ﷻ، إذ يصف القمر بالإنارة ويصف الشمس بالضياء. فيقول:﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ..﴾[3]، ويقول أيضا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾[4].

ذلك لأن الضوء الذي يشع من الشمس منبثق من داخلها، إذن فيجب التعبير عنه بالضياء

---

1 ــ النور:40.

2 ــ سورة النور:35.

3 ــ يونس:5.

4 ــ الفرقان:61.

أو السراج، أما الذي يشع من القمر فمنعكس إليه من الشمس فيجب أن يعبر عنه بالنور، ومن ثم فهو منير لا مضيء.

فهل يخامرك شك مع هذا في أن القرآن ليس إلا كلام الخالق ﷻ، ذاك الذي خلق الشمس والقمر وعلم مصدر الضياء في كل منهما؟

عد بعد هذا معي إلى قول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1]، وانظر كيف جاء التعبير بالنور لا بالضياء، وقد علمت الفرق بينهما..جاء التعبير بالنور لتعلم أن ما ينبسط على مظهر الأشياء من الضياء وما تكتنزه المادة من ذلك في داخلها وضمن أصغر ذراتها، ليس منبثقا منها، وإنما هو متجه إليها ومتغلغل فيها، من لدن خالق المكونات كلها، وهو الله ﷻ.

ولو كان شيء من ذلك منبثقا من داخل ما يتجلى فيه، إذن لجاء التعبير عنه بالضياء لا بالنور، وإذن لما نسبه الله تعالى إليه بل لنسبه إلى السماوات والأرض والأفلاك ذاتها.

ألا فلتعلم إذن، أن سائر المكونات التي من حولك، وأنت واحد منها، إنما تتألف سداها ولحمتها من نور رباني هابط إليها متغلغل في أعماقها، وأن كل ما تراه عيناك منها أو يدركه عقلك من دخائلها، فبهذا النور الرباني تراه، وبهذا النور الرباني تدركه»[2].

فالنور هنا هو الله ﷻ المنور، الذي أضفى نوره سر الوجود على المكونات كلها، بعدما كانت ظلمة دامسة، «فالنور هو سر هذا الكون كله بل هو أداة وجوده، إنه مادة المادة إن جاز التعبير وجوهر المكونات كلها بما فيها العين المبصرة والعقل المدرك»[3]، وعليه «من رأى الكون و لم يشهد أي بعين البصيرة، الحق سبحانه وتعالى، مؤثرا فيه. و لم يشهده أيضا عند نظره إلى المكونات التي من حوله، بأن تذكره بالله عند رؤيته لها وتأمله فيها، و لم يشهده أيضا قبل تأمله في هذه المخلوقات، بواسطة المنطق والأقيسة العقلية التي تنطق بوجود الله ﷻ، و لم يشهده أيضا بعد تجاوزه مرحلة النظر في المخلوقات وانحسار غشاوة الأهواء وما تتطلع إليه الغرائز من المتع الآنية والمرغونات، إذن فهو ممن سلب الله عنه نور الهداية وكان ممن قال عنهم: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[4].

---

1 ــ النور:35.

2 – محمد سعيد رمضان البوطي: الحكم العطائية، شرح وتحليل، ج.1، ص202 –204.

3 – نفس المرجع، ص200.

4 ــ النور:40.

كثيرون هم الذين يطيلون النظر إلى أنفسهم في المرآة، ويتتبعون ما يقوله علماء التشريح عن جسومهم ودخائلها ووظائف الأجهزة العجيبة الكامنة فيها، ثم يتحولون فيتأملون فيما يسمونه الطبيعة المترامية من حولهم بأنواعها المختلفة وأشكالها العجيبة، دون أن يدركوا في أثناء ذلك أو بعد ذلك، وجود مبدع يعود إليه خلق هذه الموجودات وإدارة شؤونها وتوزيع المهام والوظائف فيما بينها.

وتتفنن عباراتهم في تحليل المادة وجزيئاتها وإلكتروناتها ونواتها، وتنتهي عباراتهم إلى ما انتهينا إليه من أن المادة في حقيقتها طاقة تكثفت في هذا المظهر الذي يسمى مادة، دون أن تسوقهم هذه المعرفة إلى معرفة المصدر الذي شع منه إلى داخل المادة كل هذا التيار الحيوي المتحرك والمحرك..يقولون: إن المادة أيا كانت ومهما كان حجمها ليست أكثر من مجموعة نيترونات وإلكترونات تبعث فيها الحركة والتغير الدائبين.

إذن فالمادة كما قلنا، وعاء لنور يسري في داخله، ودعك من فنون العبارات والمصطلحات المختلفة. فمن أين جاء هذا النور حتى تغلغل فيه أي في هذا الوعاء الذي تسميه مادة؟ وقد علمت أن ما يسمى نورا لا ينبثق من داخل الجرم الذي يبدو عليه أو يتغلغل فيه، بل ينعكس إليه من مصدر آخر، فما هو هذا المصدر الذي سرى منه إلى المادة هذا النور الذي أورثها وظائفها الخفية التي يطيل الحديث عنها علماء هذا الشأن؟

حقا إن الذين يشهدون هذا الكون بما فيه من الأجهزة الدقيقة الخفية وبما في جزيئات أجزائه وذرات تلك الجزيئات، من الأنشطة والحركات المنبعثة من قوى خير تعبير عنها أنها النور الخفي أو المعنوي الذي يبعث في كل شيء من أشياء الكون وظيفته التي كلف بها- أقول: حقا إن الذين يشهدون هذا كله في المكونات، ثم لا يشهدون فيه تأثير المكون وسلطانه، عند دراستهم له وتأملهم فيه، ولا بعد اجتيازهم لتلك الدراسة وذلك التأمل، ولا قبل النظر في ذلك كله، أناس أعوزتهم أنوار المعرفة وحجبت عنهم شموس الحقائق بسحب النتائج والآثار التي سجنوا عقولهم فيها. فقصارى ما انتهوا إليه من المعارف أنهم وقفوا أمام هذه النتائج والآثار يصفونها ويستخرجون من وصفهم لها قواعد يزعمون أنها حصيلة الحقائق الكونية. فهم حقا كما قال الله عنهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[1].

[1] ـــ الروم:7.

إن حال هؤلاء الناس الذين وصفهم الله بهذه المعرفة السطحية التي سجنوا أنفسهم فيها، أشبه ما يكون بمن نظر إلى حوض يفيض بماء عذب يتلألأ بأشعة انعكست عليه من مرآة كبيرة، تلقت تلك المرآة بدورها تلك الأشعة من الشمس التي تطل عليها من كبد السماء.

وقف هذا الناظر يحدق في الحوض الذي تتلألأ صفحته بنور تلك المرآة، دون أن يلتفت يمينا أو شمالا أو يرمق ببصره جهة السماء، فأخذ يصف هذا الذي تبصره عيناه وقد حبس عقله ومداركه بعد بصره في دنيا ذلك الحوض، موقنا أن هذا التألق منبعث من رقة الماء وصفائه ولم يكتف بذلك، بل أخذ يحلل ويعلل.. ويجعل مما قد حبس بصره وعقله فيه قانونا علميا يعلمه الناس ويلزمهم الإيمان الجازم به.

ولو أن الرجل حرر عينيه وعقله من سجن ذلك الحوض والتفت إلى صفحة المرآة التي تطل على الحوض، ثم تجاوز المرآة إلى السماء حيث الشمس التي تسطع بضيائها وتبعث بأشعتها إلى الآفاق والدنيا كلها، إذن لعلم أن الحوض في أصله كتلة من الظلام المائج.. وأن المرآة هي الأخرى صفحة موحشة من السواد الذي لا بريق فيه. ولكن الشمس المشرقة هي التي حولت كل ظلام في طريقها إلى نور.

تلك هي قصة هذه الدنيا كلها، كانت كتلة ظلام دامس. ثم إن الله الخالق المبدع أمدها بنور من نوره، فتحول الظلام إلى نور مشع يبعث فيه الحركة والطاقة وينشر في أرجائه القوة والحياة.

ولكن ما الحيلة فيمن استلب الله من عقوهم نور الهداية، فلم تعد تبصرهم تلك العقول إلا بالمساحة التي أدركتها أبصارهم من قبل. صدق الله القائل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[1].

ثم إن الذين متعهم الله بنور المعرفة فاهتدوا به إلى الله ﷻ، ثلاث فئات:

الفئة الأولى: هي التي تعرف أفرادها على الله ﷻ، قبل أن يتعرفوا على الأكوان وقبل أن يتأملوا فيما تحمله من الدلائل على وجود الله ووحدانيته ... هؤلاء لم يكونوا بحاجة إلى أكثر من أن يقفوا أمام مرآة الذات، فلما تأملوا في أنفسهم عرفوا عبوديتهم وأدركوا أنهم بغيرهم يعيشون ويتحركون ويتصرفون، ولما بحثوا عن ذلك الغير لم يجدوا أحدا غير الله أمامهم. فهؤلاء هم الذين تفاعلوا مع قول الله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2]، وهم الذين عاشوا مع قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ

---

1 ــ النور:40.

2 ــ الذاريات:21.

بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[1].

فهذه الفئة لم يحتج أفرادها إلى التأمل فيما حولهم من المكونات، بل كانت مرآة نفوسهم هي سبيل الهداية إلى ربهم، ولا شك أن من عرف نفسه عرف ربه.

الفئة الثانية: هي التي توقفت هداية أفرادها على النظر في الآفاق وفي المكونات بعد النظر في أنفسهم، فاهتدوا بالأنوار المشرقة عليها والمتغلغلة في بواطنها إلى مصدر النور ومبعثه وهو الله ﷻ، فكان أن عرفوا المكون من خلال الأكوان. وهؤلاء هم الذين صدق عليهم قول الله ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[2]، وهم الذين تفاعلوا مع قول الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾[3] فهم كلما نظروا إلى الأكوان تذكروا المكون.

الفئة الثالثة: هي تلك التي يرى أفرادها المخلوقات المتنوعة ويرون آيات الله ودلائل وجوده ووحدانيته فيها، ولكنهم لا يشاهدون فيها المكون جل جلاله، مشاهدة اللازم للملزوم. حتى إذا فرغوا من النظر والتأمل في مختلف اللوحات الكونية، عادوا إلى عقولهم ليدرسوا بها دراسة تفكير ونظر عميقين وليتبينوا بها ما يمكن أن تدل عليه تلك المكونات بما تنطوي عليه من نظام وما تحققه من أهداف، فيصلون أخيرا إلى ما يقرره العقل من أن هذه المكونات كلها حادثة بدليل ما يعتورها من التغير المستمر، وكل حادث لا بد له من محدث. وهذا المحدث هو الله. كما يصلون أيضا إلى اليقين بأن هذه المكونات لو كانت قديمة لا أول لها يتوالد بعضها من بعض إلى ما لا نهاية، إذن لاستلزم ذلك تسلسل العلل غير الذاتية إلى ما لا نهاية وهو مستحيل.

والفرق بين هذه الفئة من المؤمنين والتي قبلها، أن أفراد هذه الفئة لا يستطيعون أن يشاهدوا الله ﷻ من خلال مخلوقاته، إلا بعد استحضار دلائل العلم وقواعده وطول التأمل فيها، ومن ثم فإنهم يستندون إليها ويعتمدون عليها، فيما يمكن أن توصلهم إليه من حقائق الإيمان، فهم كالذي لا يستطيع أن يمشي إلا معتمدا على عكاز، أما الفئة الثانية فما يكادون ينظرون في شيء مما قد أبدعه الله ونسقه، حتى يتذكروا به الخالق، ويؤمنوا بوجوده ويستيقنوا عظيم حكمته، دون حاجة إلى

---

1 ــ فصلت:53.

2 ــ فصلت:53.

3 ــ العنكبوت:20.

استحضار قواعد العلم وموازينه والنظر فيه ثم استخراج النتائج منه، فهم لا يحتاجون إلى عكاز هذه القواعد والموازين قط.

رجال تلك الفئة الثانية يتمتعون بما يسمونه وحدة الشهود، إذ لا يرون الدنيا بكل ما فيها إلا كالمرآة الصافية تتلألأ على صفحتها صفات المكون جل جلاله، دون حاجة إلى استحضار البراهين والدلائل انظر فيها واستخراج النتائج منها.

وعلى الرغم من أن هذه الدرجة أرقى وأكمل، فإن الدرجة التي تليها، وهي التي يلتقي عليها اليوم أكثر المؤمنين والملتزمين من أمثالنا، مقبولة وسليمة، إذ الاعتماد على قواعد العلم وبراهينه وإن كان كاعتماد الأعرج أو الضعيف على العكاز الذي يعينه، إلا أنه أداة مفيدة وموصلة إلى الغاية في نهاية المطاف ...و لكن عليه أن يلتمس أسبابا أخرى لتقوية إيمانه وتحويله من يقين علمي إلى شهود عملي، بحيث يرقى إلى حال أصحاب وحدة الشهود، يرى الله بعين بصيرته دون حاجة إلى تلمس البراهين والمقدمات المنطقية: وذلك عن طريق الإكثار من ذكر الله ﷻ، وعن طريق ربط النعم بالمنعم دائما.

أي إن سلوك سبيل المقدمات المنطقية والعلمية إلى معرفة الله والإيمان به، سبيل قويم وصحيح. ولكن على أن لا يقف السالك عند حدود ما دلت عليه تلك البراهين والمقدمات. بل عليه أن يتخلص من قيود تلك المحاكمات ويتجاوز الدهاليز والمنعرجات ويلقي بعكاز المحاكمات المنطقية وراءه، جاعلا من شهوده المباشر لصفات الله الظاهرة والباهرة على صفحة المكونات برهانا على صحة تلك المقدمات والبراهين ... ويرحم الله تلك المرأة العجوز التي نظرت من خصاص نافذة بيتها في بغداد إلى الناس وقد ازدحموا في الأزقة والساحات لاستقبال الإمام فخر الدين الرازي، فالتفتت تسأل من حولها: ما الخبر؟ قالوا إنه الإمام الرازي الذي حشد في مؤلفاته مئات الأدلة العلمية على وجود الله ووحدانيته، فاستخفت بكلامهم قائلة: لو لم يكن قد ابتلي بمئات الشكوك لما احتاج إلى ما يطردها من مئات البراهين! .. قالوا: وبلغ الإمام الرازي هذا الذي قالته تلك العجوز فرفع يديه يدعو الله قائلا: «اللهم إيمانا كإيمان العجائز».

ليس معنى هذا الذي دعا به الرازي أن سبيل العلم لا حاجة إليه، بل هو سبيل لا بد منه، وإنما معناه أن على العالم أن لا يحبس عقله عند مقدمات الحجج والبراهين، بل عليه إذا استعملها وفرغ منها، أن يتجاوزها بحيث يرقى إلى درجة الشهود التي أوضحنا معناها. وإلا فيوشك أن يعود العالم

إلى جهله وحججه. والخطر الأشد بالنسبة إليه ساعات الموت وسكراته المقدمات والبراهين، وكيفية عرضها وأصول استعمالها، فإذا كانت عقائده الإيمانية لا تزال مربوطة بها متوقفة عليها، فلا بد أن تغيب هي الأخرى عن باله مع غياب تلك العُدد من المقدمات والبراهين، وما أيسر على الشيطان عندئذ أن ينسيه كل ما قد كان يردده ويبرهن عليه أيام عافيته وصحوه.

إذا تبين هذا، فلتعلم أن الفئة الأولى تتبوأ أعلى درجات الإيمان إذ ترقى إلى شهود الله قبل النظر في المكونات ودون حاجة إلى ذلك، تليها الفئة الثانية وهي التي تشهد المكون عند رؤية الأكوان والتأمل فيها، تليها الفئة الثالثة وهي التي لا تشهد المكون جل جلاله حتى تعتصر من تأملاتها في الكون وسننه دلائل وبراهين تنسقها ثم تستخرج منها النتائج والثمرات ...

كن واحدا من أي هذه الفئات الثلاث، لا حرج. وإن كان عليك أن لا تنسى بأن الاعتماد على العلم في الاستدلال ينبغي أن يكون سبيلا تجتازه لا غاية تحبس نفسك في أقطارها. كما أوضحت لك الآن.

و لكن إياك أن تكون من الفئة الرابعة.. تلك التي غاب عنها شهود الله ﷻ، فلم تره بعين بصيرتها، لا قبل التأمل في المكونات ولا عند التأمل فيها ولا بعد التأمل فيها. فتكون بذلك ممن قال الله عنهم: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾[1].

المهم من هذا كله، والمراد الذي يقصده ابن عطاء الله من حكمته الرائعة هذه، أن تحرص على أن لا تجعل الأكوان سجنا لك عن المكون، بل احرص على أن تجعل من الأكوان مرآة ترى من خلالها المكون»[2]؛ لذا قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[3]، فتحقق الخشية على قدر تحقق العلم والمعرفة لدى الإنسان، وكلما زاد العلم زاد الإيمان واكتمل، وكلما زاد الإيمان زاد العمل ودرجة الإخلاص فيه. مصداقا لقوله تعالى:﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ

1 ــ النور:40.

2- محمد سعيد رمضان البوطي: الحكم العطائية، ص204-212.

3 ــ فاطر:28.

هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1]. ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2]. وقال:﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[3]، ومن ثم قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[4]، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[5] وقال كذلك: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[6].

هذا بالنسبة لآيات الله المشهودة في الآفاق والأنفس، وكذلك الأمر بالنسبة لآياته المسطورة المقروءة حيث يقول جل جلاله: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً، قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا، وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً، وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[7].

فالنتيجة النفسية واحدة بالنسبة لأصحاب الفئة الأولى أو الثانية أو الثالثة. لأن الخلق واحد والخالق واحد ومنهج القراءة واحد ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[8].

فنلاحظ في هذه الآيات أنها أولا كلها آيات إخبار اختبارية قابلة للملاحظة والتدقيق والتحقيق، فهي تصف الجانب النفسي لما يمكن أن يكون عليه رد فعل الجانب النفسي للذين أوتوا العلم تجاه الآيات القرآنية عندما تتلى عليهم أو عند تلاوتهم للقرآن المجيد» أو تجاه الآيات الكونية عندما ينظرون إليها ويتفكرون فيها أو عندما تعرض حقائقها عليهم، وبديهي لا يمكن أن يقول بمثل هذا القول إلا الخالق المطلق سبحانه وتعالى، لأنه هو المحيط بما خلق. فالله ﷻ هو الخالق الذي ركب الطبيعة الفطرية لدى

1 ــ آل عمران:190. 191.

2 ــ البقرة: 194.

3 ــ الزمر:9.

4 ــ الأنعام:132.

5 ــ الأنفال:2.

6 ــ الحجرات:15.

7 ــ الإسراء:105-109.

8 ــ العلق:1-5.

الإنسان و"رد الفعل التلقائي" في الجانب النفسي للإنسان عند مشاهدة هذا الكون وإدراك أسراره أو سماع النص القرآني وإدراك معانيه، وهذا ما يحدث فعلا لكثير من العلماء والعامة والخاصة عند اكتشافهم لأسرار الكون أو سماعهم للنص القرآني أو عند حصولهما معا، فربما كان البكاء هو سمة رد الفعل الطبيعي لامتزاج معاني القرآن المجيد والكون البديع (القضية العقلية) بوجود الحضرة الإلهية (القضية العاطفية)، ليصل الإنسان بهذا المزج إلى الذروة في إدراكه لوجوده، وإلى الذروة في إدراكه لأحزانه وأفراحه، وإلى الذروة في إدراكه لأبديته وهو ما يؤدي إلى تلقائية سجود الإنسان لقدرة تتعالى عظمة وكبرياء على وجود متناه[1]، ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [2].

ونلاحظ ثانيا، أن الكون، وفق هذا المنظور، يقوم بتوفير الخلفية الضرورية والمعرفة اللازمة لرحلة العارف تلك وهو الوسيلة التي توصله إلى الانعتاق الروحاني[3].

قال تعالى مبينا هذه الحقيقة الروحية العاطفية المترتبة عن الحقيقة الكونية العقلية:﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ، وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ، يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[4].

وعليه كان الاستدلال بالآفاق والأنفس أقرب الطرق إلى أفهام الخلق وأشدها التصاقا بالعقول، ولكثرة هذه الدلائل وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين وإزالة الشبهات، ولذلك خص الله تعالى هذا النوع من الأدلة في كتابه الكريم وجعل دلالة الآفاق والأنفس برهان كل الأحكام العقدية والتشريعية، النظرية والعملية، الغيبية والمشاهدة.

وتعد هذه الأدلة من مؤيدات حقائق هذا الدين وأكثرها أثر في العقلية المعاصرة وهي، قسمان كما بينت في الفصل السابق، الشواهد العلمية على معرفة الله تعالى والقضايا العقدية، والشواهد العلمية الدالة على الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. ولما كانت هذه الأخيرة متضمنة للأولى اخترتها نموذجا للاستدلال.

وقسمت هذا الفصل إلى مدخل أتناول فيه مفهوم الإعجاز العلمي وأهميته، ومبحثين: الأول عرضت فيه أدلة صدق الخبر الإلهي، بينما عرضت في الثاني أدلة عدل الأمر الإلهي.

فما هي هذه الأدلة وما هي دلالتها العقدية وآثارها العقدية والسلوكية؟

---

1 ــ محمد الحسيني إسماعيل: الدين والعلم وقصور الفكر البشري، ص432.

2 ــ الجاثية:37.

3 ــ سيد حسين نصر: مقدمة إلى العقائد الكونية، ص197.

4 ــ الانشقاق:1-6.

المدخل

مفهوم الإعجاز العلمي

أ ــ تعريفه

كلمة الإعجاز لغة:

مشتقة من العجز والعجز مصدر الفعل الثلاثي عجز يعجز فهو عاجز وهذا معناه الضعف أو عدم القدرة.

وهو (الإعجاز) مصدر الفعل الرباعي أعجز يعجز فهو معجز، وهذا معناه الفوت والسبق وأعجز الشيء فلانا أي فاته ولم يدركه أو غلبه وأعجزه[1].

وعند إمعان النظر في أصلي كلمة "العجز" نجد أنها تحمل معنيين متضادين هما العجز والقدرة، لهذا عندما يتحدى المتحدي الآخرين فإنه لا يتحدى إلا الأقوياء، ومن يظنون أن بمقدورهم غلبه وتعجيزه، إذ أنه لو تحدى الضعفاء فلا فضل له ولا فخر في غلبته لهم، بل ربما كان هذا مأخذا يؤخذ عليه، فهو لقوته يتحدى الأقوياء، لذلك كان التحدي بالقرآن موجها للأقوياء وليس للضعفاء سواء كانوا أرباب اللغة وأساطين البيان أو فطاحل العلم المعاصر في كل مجالاته، فكان معجزا لهم ولغيرهم من هم دونهم، فكان العجز إذن هو عجز القوي القادر المؤهل وضعفه عن المواجهة أو الغلبة[2].

والمعجزة في اصطلاح العلماء:

"أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة"[3]، وإعجاز القرآن يقصد به إعجاز القرآن الناس أن يأتوا بمثله، أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله.

ويوصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم، والعلم هو إدراك الأشياء على حقائقها أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافا تاما[4]، والمقصود بالعلم في هذا المقام العلم التجريبي المعاصر.

---

1 ــ انظر: ابن منظور: لسان العرب. مادة "عجز"، ج5، ص370. والمعجم الوسيط ج2، ص606.

2 ــ صلاح عبد الفتاح الخالدي: البيان في إعجاز القرآن، ص 20-21.

3 ــ جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج2 ، ص 314.

4 ــ الراغب الأصفهاني: المفردات، ص356 .

وبناء على ذلك فإن "الإعجاز العلمي: هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ مما يظهر صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى"[1].

ولهذا لا يجوز أن يوظف في الإعجاز العلمي في القرآن "إلا القطعي الثابت من الحقائق العلمية، وذلك لأن الإعجاز العلمي هو موقف تحد، والتحدي لابد أن يكون واقفا على أرضية صلبة، وذلك لأننا نقصد بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم هو سبق هذا الكتاب الخالد، بالإشارة إلى عدد من حقائق الكون وظواهره لم تكن معروفة لأحد من البشر في زمن نزوله، ولا لقرون متطاولة من بعد نزوله، وإثبات أن القرآن الكريم، الذي أوحي به إلى نبي أمي ﷺ في أمة أمية قبل أربعة عشر قرنا، يحوي من حقائق هذا الكون ما لم يتمكن الإنسان من الوصول إليه إلا منذ عقود قليلة، وبعد مجاهدات طويلة عبر عدد من القرون المتواصلة، وهذا لا يمكن لعاقل أن يتصور إمكانية حدوثه إلا بوحي من الله الحق البارئ المصور.

ويستثنى من هذه القاعدة آيات الخلق والإفناء والبعث بما في ذلك خلق الكون، وخلق الحياة، وخلق الإنسان لأنها من القضايا التي لم يشهدها الإنسان، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[2].

وعلى ذلك فإن العلوم المكتسبة لا يمكن لها أن تتعدى في قضايا الخلق والإفناء والبعث مرحلة التنظير، وتتعدد النظريات بتعدد خلفية واضعيها، ويبقى للمسلم نور من الله الخالق متمثل في آية قرآنية صريحة أو حديث نبوي صحيح يعينه على أن يرتقي بإحدى هذه النظريات إلى مقام الحقيقة، فينتصر للعلم بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وليس العكس، وهذا هو المقام الوحيد من مقامات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة الذي نضطر فيه إلى اللجوء للنظريات، لعدم توفر الحقيقة، والتي لا تتوفر إلا في وحي السماء"[3].

ب ـ أوجه الإعجاز العلمي وأهدافه

وتتمثل أوجه الإعجاز العلمي وأهدافه في القرآن والسنة فيما يلي:

---

1 ـ عبد المجيد الزنداني: "الإعجاز العلمي" مجلة الإعجاز عدد1، سنة 1416 هـ/1995م، ص 10.

2 ـ الكهف: 51.

3 ـ زغلول النجار: المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم، ص10-11.

1- التوافق الدقيق بين ما في نصوص الكتاب والسنة، وبين ما كشفه علماء الكون - كما سأبين بعض مظاهره في هذا المبحث - من حقائق وأسرار كونية لم يكن في إمكان بشر أن يعرفها وقت نزول القرآن.

2- تصحيح الكتاب والسنة لما شاع بين البشرية في أجيالها المختلفة، من أفكار باطلة حول أسرار الخلق مثل ما كان شائعا من خرافات حول مفهوم السحب والرعد والبرق في الحضارات القديمة وإلى بداية القرن 19 حين دخلت الأرصاد الجوية في مجال العلوم التطبيقية، وما كان شائعا بين علماء التشريح من أن الولد يتكون من دم الحيض واستمر ذلك الاعتقاد إلى أن اكتشف المجهر في القرن 16 الميلادي.

3- إذا جمعت نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، وجدت بعضها يكمل بعضها الآخر، فتتجلى بها الحقيقة، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة في الزمن، وفي مواضيعها من الكتاب الكريم، وهذا لا يكون إلا من عند الله الذي يعلم السر في السماوات والأرض.

والحكمة من عدم جمع هذه الآيات الكونية كلها في موضع واحد بالقرآن الكريم أو على الأقل حسب الموضوع الواحد، ترجع:

«* لاقتران هذه الآيات بعقيدة البعث والتوحيد فناسب أن تذكر معها في مواضعها.

* أن العلم التفصيلي بها ليس من مقاصد الوحي الذاتية بل هو من كسب البشر.

* أنها لو جمعت في موضع واحد - كبيان جميع أطوار التكوين - لتعذر فهمها قبل تحصيل مقدماته بالبحث العلمي»[1].

4 - التعرف على حكمة التشريعات التي سنها الله تعالى وقد خفيت على الناس وقت نزول القرآن وكشفتها أبحاث العلماء في شتى المجالات. مثلما كشفه العلم حديثا من الحكمة في الطهارة والصلاة وتحريم أكل لحم الخنزير واعتزال النساء المقصور على الجماع في المحيض.

5- إبراز حقيقة عدم الصدام بين نصوص الوحي القاطعة التي تصف الكون وأسراره على كثرتها، وبين الحقائق العلمية المكتشفة على وفرتها، مع وجود الصدام الكثير، بين ما يقوله علماء الكون، من نظريات تتبدل مع تقدم الاكتشافات وتطور الأبحاث ووجود الصدام بين العلم وبين ما قررته

1 ــ كارم السيد غنيم: الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق.ص .

سائر الأديان المحرفة المبدلة السماوية أو الوضعية البشرية، مثلما أكده وبينه الدكتور موريس بوكاي في بحثه "التوراة والإنجيل والقرآن والعلم" حيث خلص في دراسته هذه إلى نتائج هامة جدا:

5- 1 - التوراة والإنجيل أصابهما التحريف والتبديل.

5- 2- في التوراة والإنجيل المحرفتين تصادم مع العلم الحديث، ومعلومات علمية وتاريخية خاطئة.

5- 3 - القرآن الكريم لم ينله التحريف أو يغير أو يبدل، بل هو محفوظ.

5- 4 - ليس في القرآن ما يتصادم أو يتناقض مع العلم الحديث.

5- 5 - ما في القرآن من آيات ذات مضامين علمية، منها ما لم يكشفه حتى العلم الحديث، فالقرآن فوق المستوى العلمي للعرب وللعالم في عصر نزول الوحي، وفوق المستوى العلمي للعلماء في العصور اللاحقة وفي عصرنا هذا وكل الأزمان.

5- 6 - هذه الحقائق المذهلة تدل على أن القرآن يستحيل أن يكون من كلام بشر وإنما هو كلام الله العليم الخبير[1].

جـ- طريقا الاستدلال بالإعجاز العلمي

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، فقد أخبر تعالى بما خلق وأنه هو الخالق المالك لذوات المخلوقات لا شريك له في ملكه وأن له فيها الأمر وهو التشريع والتكوين والتصرف والتدبير[3].

فآيات القرآن الكريم (وكذا السنة النبوية الشريفة) خبر وأمر فالخبر صدق لا كذب فيه، والأمر (فعلا وتركا) عدل لا ظلم فيه، لذا قال ﷻ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[4].

وآيات الخبر كآيات الأمر تشهد كلها بأن هذا القرآن: ﴿تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[5]،

---

1 ــ انظر موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم.

2 ــ الأعراف:54.

3 ــ رشيد رضا: تفسير المنار، م08، ص454.

4 ــ الأنعام:115.

5 ــ فصلت:42.

وأنه ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾[1].

وقد جاء في القرآن الكريم الخبر عن خلقه في الآفاق والأنفس فكان صدقا، كما جاء فيه أحكام شرعية تستوعب كل مجالات الحياة فكانت عدلا.

وقد تجلت حكمة الله تعالى في خلقه وصنعه كما تجلت في أمره وشرعه مما يدل بالحجة الدامغة البينة أن منزل القرآن هو خالق الكون وما فيه.

وعليه فإنه يمكن أن نقسم طرق الاستدلال بالإعجاز العلمي إلى طريقين: طريق الاستدلال على صدق الخبر الإلهي وطريق الاستدلال على عدل الأمر الإلهي.

والواقع التاريخي والاجتماعي للبشرية كلها، ثم الواقع الذي تشهد له الأبحاث العلمية في تطورها المستمر تؤكد أن أوامر القرآن وأحكامه تكشف لمن امتثلها ولمن خالفها على السواء أنه من عند الله، وأنه سبحانه وتعالى عدل رحمان رحيم بعباده حكيم عليم بخلقه[2].

كما يتبين لنا أن الشهادة التي أدتها آيات الخبرية فيما أخبرت به عن خلق الله تعالى هي الشهادة التي تؤدى بها الآيات التشريعية التي عالجت مختلف شؤون الحياة.

كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[3]، وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[4].

وعليه يهدف هذا الفصل إلى ترسيخ فكرة مهمة، وهي أن أوامر الشريعة وقوانين الطبيعة

---

1 ــ فصلت:42.

2 ــ محمد عز الدين توفيق: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث. ص373.

3 ــ المؤمنون:1-14.

4 ــ فصلت:53.

متناسقة متكاملة لا يمكن أن تتعارض، فمثلا عبادة الصلاة والصيام وتحريم الخمر والزنا تتماشى مع مصالح جسم الإنسان فيزيولوجيا وعضويا ونفسيا.

كما أن أحكام المعاملات المالية في التجارة والزراعة والصناعة مثلا تتماشى مع مصالح بيئة الإنسان الطبيعية.

لذلك فإن العبادات والمعاملات وغيرها من الأوامر تؤدي للطاعة، وفي نفس الوقت تفيد الإنسان في ذاته وخارج ذاته (في الأنفس والآفاق) فيحقق الفلاح والربح في الدنيا والآخرة.

وسأعرض من خلال هذين الطريقين لمجموعة من مظاهر الإعجاز العلمي في الآفاق والأنفس أدلة على صدق الخبر الإلهي وعدل الأمر الإلهي مستعينا ببعض الأبحاث والتقارير العلمية الكثيرة جدا والمتنوعة والمتجددة لعدم توقف البحث العلمي الذي يسير في ثبات إلى الإقرار في كل لحظة أن أي خبر أو أمر إلهي يشهد بأن هذا القرآن حق وأن ما جاء به خير وأن محمدا رسول الله.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

الاستدلال على صدق الخبر الإلهي

إن هذا الوجه من الاستدلال بالإعجاز العلمي تختص به الآيات والأحاديث التي أخبرت بأمور غيبية ماضية أو مقبلة سواء كانت على مستوى الآفاق أو على مستوى الأنفس، والتي لها إلى جانب دلالتها التي تشترك فيها مع سائر آيات القرآن والأحاديث النبوية دلالة أخرى فيما أخبرت به عن أمور لم تكن معلومة قبل الوحي، فكان الإخبار عنها في هذه النصوص إخبارا بالغيب، ثم جاءت الأبحاث العلمية لتكشف شيئا فشيئا بعض ما أشارت إليه تلك النصوص، والحجة التي تقوم بهذه النصوص حجة عظيمة، فإن أحدا من البشر لا يستطيع أن يتنبأ بأمور علمية دقيقة، وتأتي الأبحاث العلمية بعد مئات السنين فلا تكذبهما (القرآن والسنة) في شيء منها مما يدل على عدم التعارض بين نصوص الوحي والحقائق العلمية.

ثم أن إخبارات القرآن والسنة الصحيحة سبقت إلى ذكر حقائق علمية لم تكن معروفة قبل نزول الوحي أو أيام نزوله، وهو ما شهدته العلوم الحديثة عندما وقفت بقصد وغير قصد على حقائق أشارت إليها بعض تلك الإخبارات؛ ولذلك لا يمكن أن ننكر هذا السبق العلمي بحجة أن موضوع النصوص التي تضمنتها، جاءت في معرض تقرير حقائق أخرى.

نعم إنها دلالة ثانية في النص، بجانب دلالتها الأصلية، «أما القول بأن القرآن لم يقصد إليها و لم يقصد ظهورها في الوقت الذي ظهرت فيه، فهذا يتعارض مع علم بالضرورة من إحاطة الحق سبحانه بكل شيء علما»[1].

وقد عبر عن هذا المعنى المرحوم مصطفى صادق الرافعي بقوله: «من معجزات القرآن الكريم، أنه يدخر في الألفاظ المعروفة في كل زمن حقائق غير معروفة لكل زمن، فيجليها لوقتها، حين يضج الزمان العلمي في متاهته وحيرته، فيشغب على التاريخ وأهله مستخفا بالأديان...»[2]، كما يفعل أعداء الدين الملحدون في عصرنا هذا وهو ما نجده مثلا على الإنترنت من مواقع مضادة للدين وللإسلام بصفة خاصة[3].

1- محمد عز الدين توفيق: دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث،ص 342-343.

2- مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم ، ج.2، ص66.

3- من المواقع على الإنترنت المضادة للأديان: www.anti-religions.org (islam et intolérance)، يوجد اثنتا عشر ألفا وخمسمائة موقع مضاد للدين، وحوالي مائتان وواحد وسبعون موقعا ضد الإسلام خاصة.

وعليه سأبين في هذا المطلب أن نصوص الوحي لا تتعارض فيما طرقت من موضوعات الآفاق والأنفس مع أي حقيقة علمية قطعية، وأنها سبقت إلى ذكر حقائق علمية لم تكن معروفة أيام نزولها، وذلك من خلال نماذج من الحقائق العلمية في الآفاق والأنفس.

فأدلل من خلال هاتين النقطتين على أن القرآن الكريم منزل من الله تعالى ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[1]، ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[2] وأن محمدا بن عبد الله رسول الله حقا ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[3].

وقال جل جلاله مقررا الحقيقتين ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا، لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا، إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[4].

المطلب الأول: في الآفاق

الموضوع الأول: حفظ الأرض

لما جعل الله تعالى الأرض للإنسان مستقرا ومركز معاشه وسعيه ومجال ممارسة وظيفته الوجودية (الاستخلاف)، ضمن له من مجموع ما ضمنه له موافق الموجودات لوجوده وحفظها له بحفاظه سبحانه على الكرة الأرضية بدرع مغناطيسي واق مما يأتيها من الفضاء الخارجي وأغلفة جوية وغازية تقيها المضار وتحفظ لها منافعها من التسرب والضياع. فقال جل جلاله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[5]، وقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[6].

1- فهو أولا سقف محفوظ من عند الله تعالى تمسكه قوى لا يعلمها إلا الله من أن ينهار

---

1 ــ الفرقان: 6.

2 ــ النساء: 166.

3 ــ النجم: 2-5.

4 ــ النساء: 165-167.

5 ــ الأنبياء: 32.

6 ــ الطارق: 11.

أو ينتابه شيء من الخلل لشدة تماسك أجزاء السماء وترابطها مع بعضها البعض قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعْ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1].

ذلك أن السماء بناء: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾[2]، ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

وهذا البناء يعلوه سقف يتركز على أعمدة غير مركبة حيث يقول الحق تبارك وتعالى:﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[5]، ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾[6]، ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾[7]، وقال:﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[8]، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[9].

والسماء في اللغة: كل ما علاك فأظلك[10].

فالسماء إذا سقف وبناء محكم لا يتسرب إليه الخلل برغم أن الكون في اتساع مستمر،

---

1 ــ الملك: 3-4.

2 ــ الشمس: 5.

3 ــ غافر: 64.

4 ــ البقرة: 22.

5 ــ الأنبياء: 32.

6 ــ الطور: 5.

7 ــ الغاشية: 17-18.

8 ــ الرعد: 2.

9 ــ لقمان: 10.

10- انظر: لسان العرب: مادة سماء، ج14، ص 397، وتفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص 260.

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[1].

أي أن المجرات تتباعد عن بعضها البعض بسرعات تكاد تقترب من سرعة الضوء (300 ألف مليون كم/ثا) وتتخلق المادة من حيث لا يعلم الناس لتملأ الفراغات الناتجة بين هذه المجرات المتباعدة ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2]. لكي لا يكون في السماء فراغ، فالسماء ﴿سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾[4].

2 - وهو ثانيا سقف حافظ للأرض أيضا، [illegible] أي يحفظ ما تحته، وذلك بوسائل وطرق كثيرة ومتنوعة في غلافنا الغازي جعلها ربنا الرحمان الرحيم حماية للحياة على الأرض. فقال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾[5]. ومن هذه السماوات السبع السماء الدنيا، التي تضم الغلاف الجوي حول الأرض والتي وصف الحق تبارك وتعالى عملية حمايتها للأرض في قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[6].

في تفسير هذه الآية قال المفسرون المتقدمون: رجع السماء هو: المطر، أي الماء الذي يتبخر من المسطحات المائية إلى أعلى ثم يرجع إلى الأرض مطرا وهي دورة مستمرة متكررة تسمى بدورة المياه في الطبيعة.

إلا أن التطور العلمي بين لنا معاني أخرى لكلمة (الرجع) إلى جانب ذلك المعنى، هي تتفرع من المعنى اللغوي الواسع لكلمة (الرجع)، بمعنى الرجوع والعودة، مما يعتبره العلماء وجوها عديدة

---

1 ــ الذاريات: 47.

2 ــ النحل: 8.

3 ــ فصلت: 11-12.

4 ــ الصافات: 6-7.

5 ــ النبأ: 12.

6 ــ الطارق: 11.

معجزة في دلالاتها وتفسيراتها العلمية[1] ومن أهم هذه المعاني الدالة على نعمة الله تعالى وعنايته ولطفه بنا، ثلاث ظواهر كونية جوية محيطة بالأرض هي:

أ-دورة المياه في الطبيعة

يحتوي الغلاف الجوي (السقف) على بخار الماء المتصاعد من داخل الأرض والذي بخرته الشمس من المسطحات المائية كالمحيطات والبحار والدفع إلى أعلى حيث تثير به الرياح ــ وهي التيارات الهوائية ــ السحب، فيتكاثف إلى مطر يرجع إلى الأرض اليابسة فيحييها، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[2]، وقال: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[3].

ثم يعود الماء إلى البحار والمحيطات من خلال الأنهار والينابيع، فهو مصدر المياه العذبة على الأرض كلها وهو غير مخزون ولكنه دورة بين السماء والأرض، ذلك أن، الماء المخزن في الأرض مدة طويلة يذيب أملاحا فتنشرها فيصير مالحا أجاجا. قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾[4].

فالطبقة السفلى من الغلاف الجوي تعيد بخار الماء المتصاعد إليها بشكل مطر، وبهذا فإن الآية الكريمة تشير إلى الدورة الهيدروليكية المستمرة المسخرة بين المحيطات والأنهار من جهة، وبين سحب الغلاف الجوي من سمائنا من جهة أخرى. فإذ تبخر جزء من مياه الأرض بحرارة الشمس فإنه يعود إليها من السماء على هيئة أمطار، وبهذا تستقر كمية الماء على الأرض ولا تزيد ولا تنقص بسبب استمرار هذه الدورة. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[5]، والتعبير القرآني "بقدر" إشارة صريحة إلى توازن توزيع الماء، فالأنهار مثلاً تنساب بصفة دائمة طوال السنة رغم أن الأمطار موسمية وبضعة شهور فقط، ولولا الثلج المتراكم على قمم الجبال العالية لجفت الأنهار وانقطع انسيابها المتواصل واختل التوازن.

1- داود سليمان السعدي:أسرار الكون في القرآن، ص114.

2 ــ فاطر: 9.

3 ــ الحجر: 22.

4 ــ الواقعة: 69-70.

5 ــ المؤمنون: 18.

وتغذية الأنهار وغيرها من مصادر المياه تتم بقدر وبكميات مقننة بقدرة الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ والتوازن واضح أيضاً في تصريف المياه وعودتها إلى البحار أو الهواء بشتى الطرق وتكوين الضباب والسحاب لتتكرر الدورة، ولولا هذا التصريف لاجتاحت الفيضانات والسيول الكرة الأرضية كما يحدث أحياناً حينما تتعطل مؤقتاـــ لحكمة إلهية ـــ العمليات الطبيعية المذكورة في الدورة الهيدروليكية لتعطي للإنسان إنذارا وتجعله شاكرا لله على استمرار هذه الدورة في توازن مستمر تؤدي فيه السماء دوراً أساسياً بإعادة الأمطار من السحاب إلى الأرض[1]. (انظر الشكل رقم 05).

كما أن هذه الدورة دورة منضبطة محكمة تدل على الحكيم الذي خلقها وسخرها للأنام ذلك لعدة أدلة:

*- أن بخار الماء المندفع من داخل الأرض أو المتبخر من سطحها ما كان ليرجع إلينا أبدا، لو لم يخص الله تبارك وتعالى الغلاف الغازي المحيط بالأرض (نطاق المناخ) يتناقص في درجة الحرارة كلما ارتفعنا حتى نصل إلى ناقص60 د.م. على ارتفاع حوالي 10كم من سطح البحر حيث يتكثف بخار الماء عند اصطدامه بهذا النطاق، فيعود منه مطرا أو بردا أو ثلجا، فهذه إحدى صور الرجع وأحد مظاهر الحفاظ على الأرض وما فيها.

*- كما أن البخر من أسطح البحار والمحيطات يفوق ما يسقط فوقها من مطر بحوالي 36000 كم مكعب، وأن المطر فوق اليابسة يزيد على البخر من سطحها، بنفس القيمة التي تفيض من اليابسة إلى البحار والمحيطات، ولولا هذه الدورة لفسد ماء الأرض كله في فترة زمنية وجيزة[2].

*- وجعل الله ﷻ بخار الماء (السحب) سببا في منع معظم الأشعة الحرارية طويلة الموجة (تحت الحمراء) الوافدة إليها من الخارج (الكون والشمس خاصة) التي تمتصها صخور الأرض والمحيطات[3] وتعيد إشعاعها في الجو بعد غياب الشمس، تمنعها من الخروج من جو الأرض وتردها إلينا، وهو ما يؤدي إلى احتجاز الطاقة الحرارية في الجزء السفلي من الغلاف الجوي وإحماء وجه الأرض وهو ما يعرف بـــ: «تأثير الدفيئة» أو «ظاهرة البيت الزجاجي» (Effet de serre) (انظر الشكل رقم 03).

1- "الدكتور أحمد فؤاد باشا:رحيق العلم والإيمان. في islammeracle@hotmail.com وموقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. www.amaneena.com: .

2 - زغلول النجار: الإعجاز العلمي في القرآن. ج3، ص13.

3 - نفس المرجع: ص14، وانظر: La Recherche, n° 361, 2-2003. p41-42.

المصدر: الموسوعة العربية العالمية، ج22

شكل رقم 05: خريطة تعاقب الطبيعة لطرق هبوب رياح الشمال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولولا هذا الدور الخطير للسحب (احتجاز الحرارة وإرجاعها إلى الأرض) لتشتت تلك الحرارة إلى طبقات الجو العليا، وتجمدت الحياة على الأرض بالليل وفي فصل الشتاء.

وقد أكدت الدراسات المعاصرة في علم المناخ أهمية السحب ودورها الخطير على تحقيق إحدى مظاهر الحفاظ على الأرض وصيانتها[1] واكتشفت الانسجام والتوازن بين المحيطات والجو الذي يعود له الفضل في تشكل طقس الأرض[2].

إنها صورة من صور الرجع الحراري إلى الأرض لم تكن معروفة من قبل ومصداقا آخر لآية السماء ذات الرجع.

ب–طبقات الغلاف الجوي

لقد جعل الله سبحانه وتعالى في الغلاف الجوي الغازي المحيط بالأرض عددا من نطق (طبقات الحماية) التي ترد إلى الأرض كل مفيد وترد عنها كل ضار ومهلك من مختلف صور المادة والطاقة، كما جعل سمكه يصل إلى حوالي 1000كم، وصممه بإحكام شديد وميزان دقيق و«يقدر العلماء وزن غاز الغلاف الجوي بحوالي 5مليون بليون طن، والضغط الجوي، ووزن الغاز هذا مقسوما على وحدة المساحة، ويبلغ (10طن: قدم"مربع") في مستوى سطح البحر وهذا ما يساوي ضغط عمودي من الماء ارتفاعه 10 أمتار على كل قدم مربع من سطح الأرض.

إن هذه الدرجة من كثافة الغلاف الجوي تحول دون وصول الملايين من الشهب القاتلة إلينا منقضة بسرعة 50كم في الثانية»[3] وهي إحدى معاني (السماء ذات الرجع).

ويتألف الغلاف الجوي من عدة طبقات أذكر منها أربع طبقات كبرى تتجلى فيها مظاهر الرجع السمائي هي:

1 –الطبقة السفلى التروبوسفير:

وهي المنطقة الواقعة فوق سطح الأرض يبلغ سمكها (ارتفاعها) 18كم عن سطح البحر وتنخفض الحرارة فيها إلى (70درجة تحت الصفر) وهي تضم معظم الهواء والغبار ورطوبة الغلاف الجوي، وفي هذا النطاق تربط الغيوم والتغيرات الحرارية السريعة ويسمى بنطاق المناخ.

1– ألكسندر دوروزتشكي: "عندما تمضي السحب"، ص112– 118، وانظر: نفس المرجع: La Recherche.

2 –Roger Chesselet: "un Fragile Equilibre", p8-11.

3– داود سليمان السعدي: أسرار الكون في القرآن، ص116–117.

وخصائص هذه الطبقة:

* أنها ترجع بخار الماء المتصاعد من الأرض وتعيده بشكل مطر، فالماء يتبخر –كما بينت سابقا– من المحيطات والكائنات الحية وتنفس الإنسان، إذ يتبادل كل من الإنسان والحيوان مع النبات غازي الأكسجين وثاني أكسيد الكربون، وكل منهم يطلق بخار الماء على الغلاف الغازي، فيرتفع إلى السماء حيث يجد طبقة باردة فيتكاثف عندها ثم يعود إلى الأرض بشكل مطر أو برد أو ثلج.

* كما أن هذه الطبقة السفلى ترجع الأشعة الحرارية تحت الحمراء المتصاعدة من الصخور والمحيطات التي يمتصها من الشمس في النهار، فتدفئ الأرض ليلا ويصبح متوسط درجة حرارة سطح الأرض حوالي 20 درجة مئوية.

* ولهذه الطبقة في أجزائها السفلى من الكثافة ما يسمح لها بترجيع الصوت وانتقاله في الهواء فهي نعمة من الله سبحانه وتعالى علينا.

2– طبقة الستراتوسفير Stratosphere:

في هذا النطاق يتوقف انخفاض الحرارة إلى درجة ثابتة تقريبا، وقد ترتفع فيه درجة الحرارة وتسخن الطبقة العليا مع امتصاص الأشعة فوق البنفسجية في طبقة الأوزون التي توجد في هذا النطاق، وطبقة الأوزون تسمح بمرور ضوء الشمس الأبيض والموجات تحت الحمراء إلى الأرض، وترد عنا ما يصاحب ذلك الضوء من إشعاعات من مثل الأشعة فوق البنفسجية المهلكة ولا تسمح إلا بمرور جزء قليل منها تحتاجه الحياة على الأرض[1].

لأنه لو زادت كمية هذه الأشعة المتسربة إلى الأرض لا يغد من الحياة على الأرض، مما يدل على أهمية طبقة الأوزون في المحافظة على الحياة على الكرة الأرضية، وهو ما أكده العلماء منذ أوائل الثمانينات عندما اكتشفوا وجود تآكل في طبقة الأوزون يدعى ثقب الأوزون على القطبين الشمالي والجنوبي الذي يسمح بتسرب كميات زائدة غير مرغوب فيها من الأشعة فوق البنفسجية، الأمر الذي يضر بعملية التمثيل الضوئي التي تقوم بها النباتات، ويؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة الجو مما يهدد بكوارث طبيعية رأينا جزء قليلا منها في ظاهرة النينيو ninio التي اجتاحت العالم، ويهدد صحة الإنسان بأمراض جلدية والسرطان وغيرها[2].

1– محمد سميح عافية: القرآن وعلوم الأرض. ص39.

2– راجع المطلب الثاني في المبحث الأول من الفصل الثالث.

3- طبقة الإيونوسفير ionosphere:

تمتد من 80 إلى 500كم فوق سطح الأرض، وهي طبقة مشحونة بالكهرباء حيث تؤدي إشعاعات الشمس إلى شحن ذرات هذه الطبقة بالكهرباء فتسمى حينئذ بالأيونات، وهذه الأخيرة تقوم بعمل ملايين من المرايا العاكسة في الغلاف الجوي، إذ ترد عن الأرض الجسيمات الكونية المتسارعة، وترد وتعكس إلى الأرض الموجات الإذاعية والتلفزية والاتصالات اللاسلكية التي تبث من أي مكان في الأرض.

ويحوي هذا النطاق المتأين حزاما مغناطيسيا يحيط بالأرض يرجع عنها إلى الفضاء الخارجي الإشعاعات والجسيمات الكونية المتسارعة المنتشرة في السماء الدنيا والتي تصل إلى الأرض من الشمس وغيرها من النجوم والمجرات.

4- طبقة الإكسوسفير exosphere:

وهو النطاق الخارجي من الغلاف الجوي للأرض يمتد من 500كم إلى 700كم، يرد عن الأرض ويلات الجسيمات الكونية المتسارعة حيث تحترق فيه أغلب الأجسام السماوية الصلبة كالنيازك التي لا يبق منها إلاّ الرماد أو بعض الجسيمات الصغيرة التي تصل إلى الأرض[1].

فالغلاف الجوي كما رأينا يحمي الأرض من الإشعاعات الضارة والأجسام المدمرة كالنيازك والشهب الآتية من الفضاء الخارجي كما يحفظ لنا الإشعاعات المفيدة للحياة.(انظر الشكل رقم 06-1-ج)

جـ - المجال المغناطيسي للأرض

مما حفظ الله ﷻ به الأرض حزاما مغناطيسيا يحميها من الإشعاعات والجسيمات الكونية المدمرة والأشعة فوق البنفسجية وغيرها من الأشعة الضارة بالحياة.

وهو عبارة عن زوجين من الأزمة المغناطيسية تحيط بالأرض تتولد في قلب نواة الكرة الأرضية نتيجة التفاعلات التي تجري بين مكوناتها الفلزية الثقيلة على عمق 2200كلم حيث تخرج منها خطوط قوة من القطب الجنوبي المغناطيسي لتعود إلى الأرض من القطب الشمالي المغناطيسي فتشكل حزمة مغناطيسية تعرف بحزمة أشعة (فان ألن) Van Allen ذات كثافة عالية نسبيا من الجسيمات المشحونة[2].(انظرشكل07).

مما يجعل الأرض داخل تجويف مغناطيسي كبير تشكل بفعل التأثير بين حقل الأرض المغناطيسي

1- زغلول النجار: ج3، ص15، وداود سليمان السعدي: أسرار الكون، ص118.

2 - Science illustrée: «L'inversion des pôles et le chaos », p70.

1 -الغلاف الجوى لا يسمح إلا بوصول الكمية المطلوبة من الاشعة للحياة على الأرض.

فالاشعة البنفسجية على سبيل المثال تصل إلى العالم بشكل جزئي و بالمقدار الأنسب الذي يسمح:

- للنباتات ان تقوم بعملية التركيب الضوئي.
- و لكل الكائنات الحية بالبقاء على قيد الحياة.

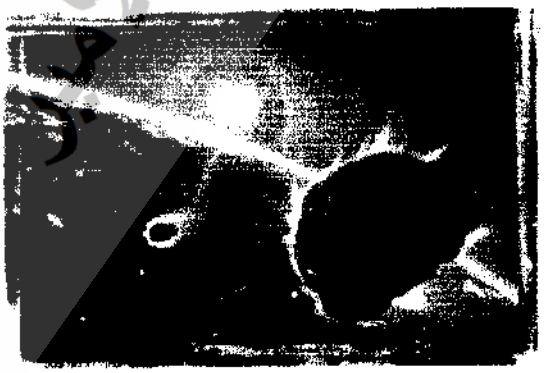

2 - هذه الصورة التوضيحية تظهر النيازك و هي على وشك الارتطام بالأرض ككل الاجرام السماويه التي تسبح في الفضاء و تشكل تهديدا خطيرا للارض.
لكن الله الحافظ القدير جعل الغلاف الجوي سقفا حاميا لها.
وبفضل هذه الحمايه الخاصه قل معظم تلك الاجرام لا تلقي الارض و انها تتفتت في الغلاف الجوي.

3-هذه فجوة احدثها سقوط احد النيازك في اريزونا في ١٩٠٨ و لولا وجود الغلاف الجوي لسقطت ملايين النيازك على الارض جاعلة منها مكانا غير قابل للعيش فيه. ولكن خاصية الحماية التي يتمتع بها الغلاف الجوي تسمح للكائنات بالبقاء امنة على قيد الحياة.
و هذا بالطبع من لطف الله و عنايته سبحانه بمخلوقاته و على رأسها الانسان.
و معجزة قرانية كشف عنها العلم الحديث.

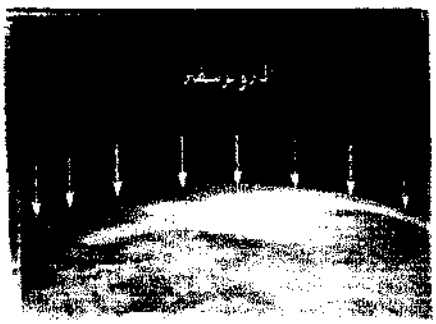

ان وجود الماء ضروري من اجل الحياة على الارض. واحد العوامل المسببة في تكون الامطار هي طبقة الكروسفير احدى طبقات الغلاف الجوي. طبقة الكروسفير تمكن بخار الماء الصاعد من سطح الأرض من ان يتكثف ويعود مرة اخرى الى الارض على شكل امطار

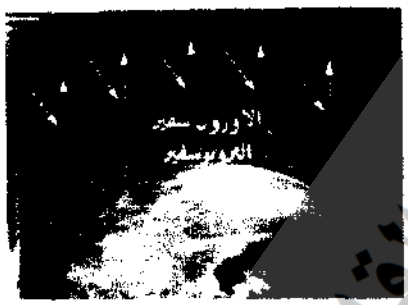

طبقة الاوزون في الغلاف الجوي تحجب عن الأرض الأشعة التي قد تدمر الحياة عليها. فطبقة الأوزون تعيد الاشعة الكونية القادرة كالاشعة فوق البنفسجية الى الفضاء مانعة اياها من الوصول الى الارض والاضرار بالحياة عليها.

كل طبقة من طبقات الغلاف الجوي لها مردودها النافع على البشر. وطبقة الأيونوسفير على سبيل المثال تعكس موجات الراديو التي تبث من مركز معين الى الأرض تصحيح بذلك وصول البث الى مسافات بعيدة

(الشكل : 6-2)

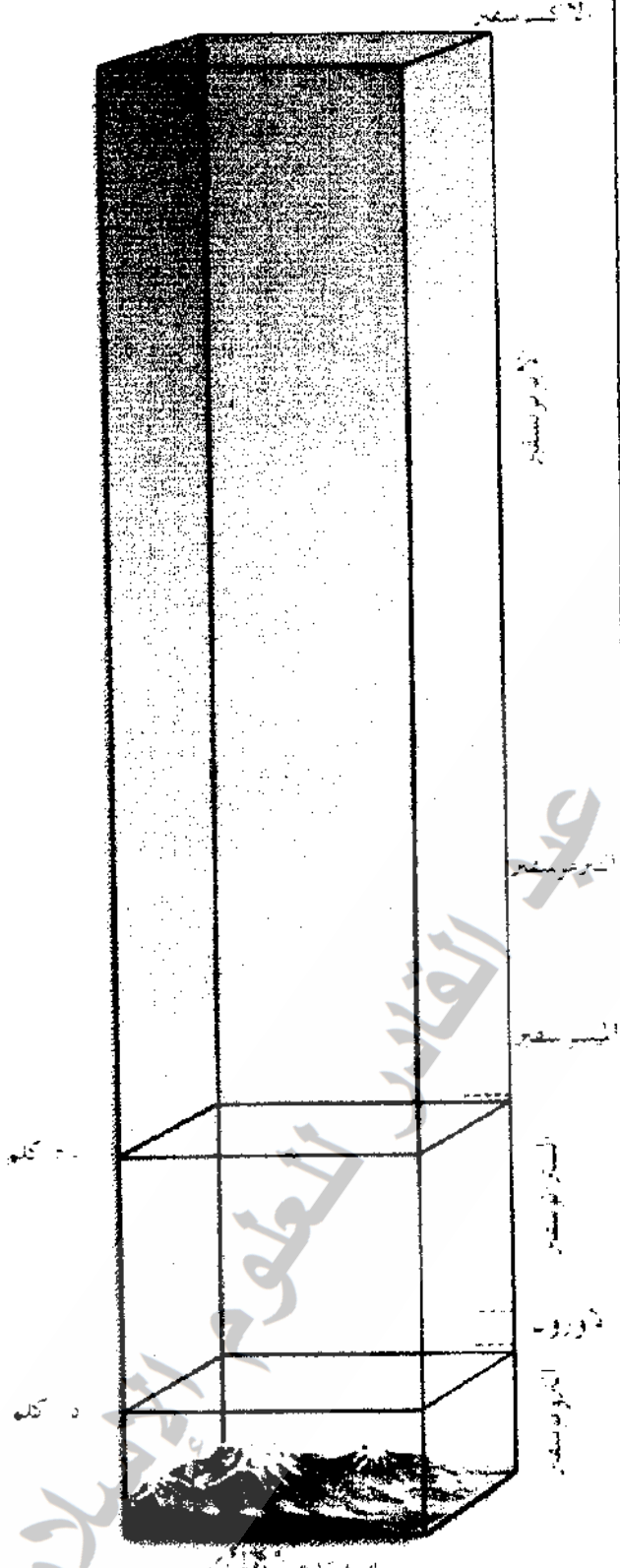

الشكل رقم : 6-1

بينما كان الناس قبل ١٤ قرنا يظنون أن السماء قطعة واحدة ذكر القرآن بشكل معجز بأن السماء تتكون من طبقات مختلفة وأن عدد هذه الطبقات هو سبعة. أما العلم الحديث فلم يتوصل الى أن عدد طبقات الغلاف الجوي المحيط بالأرض هو سبع طبقات الا منذ بضع سنين.

(الملك 3)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والمادة المؤينة للرياح الشمسية التي يفيض حول الطبقة المغناطيسية للأرض المقاومة لها، لدعم استطاعتها النفاذ عبر خطوط الحقل المغناطيسي، مشوهة إياه وجاذبة تلك الخطوط في شكل أسطواني متميز يدعى الذنب المغناطيسي للأرض[1].(انظر شكل رقم 08).

فالمجال المغناطيسي للأرض يعد درعا قويا يصد ويرجع عن الأرض الرياح الشمسية والأشعة والجسيمات الكونية ويقذفها إلى الفضاء الخارجي والجزيئات التي تتسرب إلى الغلاف الجوي عبر القطبين عندما تقوى الرياح الشمسية تحتجز في القفصين المغناطيسيين الذين تكونهما أحزمة فان ألن، مشكلة الشفق القطبي الشمالي l'aurore boreales (انظر شكل09) والشفق القطبي الجنوبي l'aurore australes ومنظرهما الخلاب، الذين كانت دراستهما سببا في الطبقة المغناطيسية الأرضية منذ بداية القرن العشرين فقط بفضل تضافر جهود العلماء وكثافة أبحاثهم وتوفر الأجهزة التكنولوجية المتطورة المركبة في الأقمار الصناعية.

بل ـــ سبحان الله تعالى ـــ حتى الرياح الشمسية التي يغير اتجاهها الحقل المغناطيسي الأرضي تتحول إلى وسيلة واقية حيث تساهم في حفظ الأرض من الإشعاعات الكونية الآتية من الفضاء، إذ تولد الشمس غازا مغناطيسيا مؤينا يدعى البلازما الساخنة Plasma التي تنقل حقلا مغناطيسيا يغير اتجاه الإشعاعات الكونية الأولية قبل بلوغها جو الأرض.

هذه بعض صور رجع السماء التي أذن الله تعالى للإنسان بمعرفتها ومظاهر الحفاظ على الأرض من الرحمان الرحيم الحكيم العليم لم تكن معروفة للإنسان وقت نزول الوحي لقرون طويلة من بعد ذلك بل عرفت منذ بداية القرن 20 بأجهزة علمية جد متطورة لم تخطر على خيال الإنسان قبل عدة قرون.

فمن أخبر محمدا ﷺ بهذا الدرع الفضائي الواقي للأرض وأن السماء سقف محفوظ وحافظ:﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾[2]، وما الذي جعل الله تعالى الواحد الغني يقسم بالسماء ذات الرجع؟! ونحن نعلم أن قسم الله تعالى بمخلوقاته في القرآن الكريم يدل على أهمية وعظمة المقسم به والظواهر الناتجة عنه:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[3].

---

1 -Edward Hones: «La queue magnétique de la Terre », p46. et voir, Jean Luis Steinberg et Pierre Coutruier, «le vent solaire», p1494-1502.

وانظر: ألكسندر دوروزنشكي: عندما تمضي السحب، ص114- 115.

2 ـــ الأنبياء: 32.

3 ـــ الطارق:11.

الشكل رقم 8: الدرع المغناطيسي

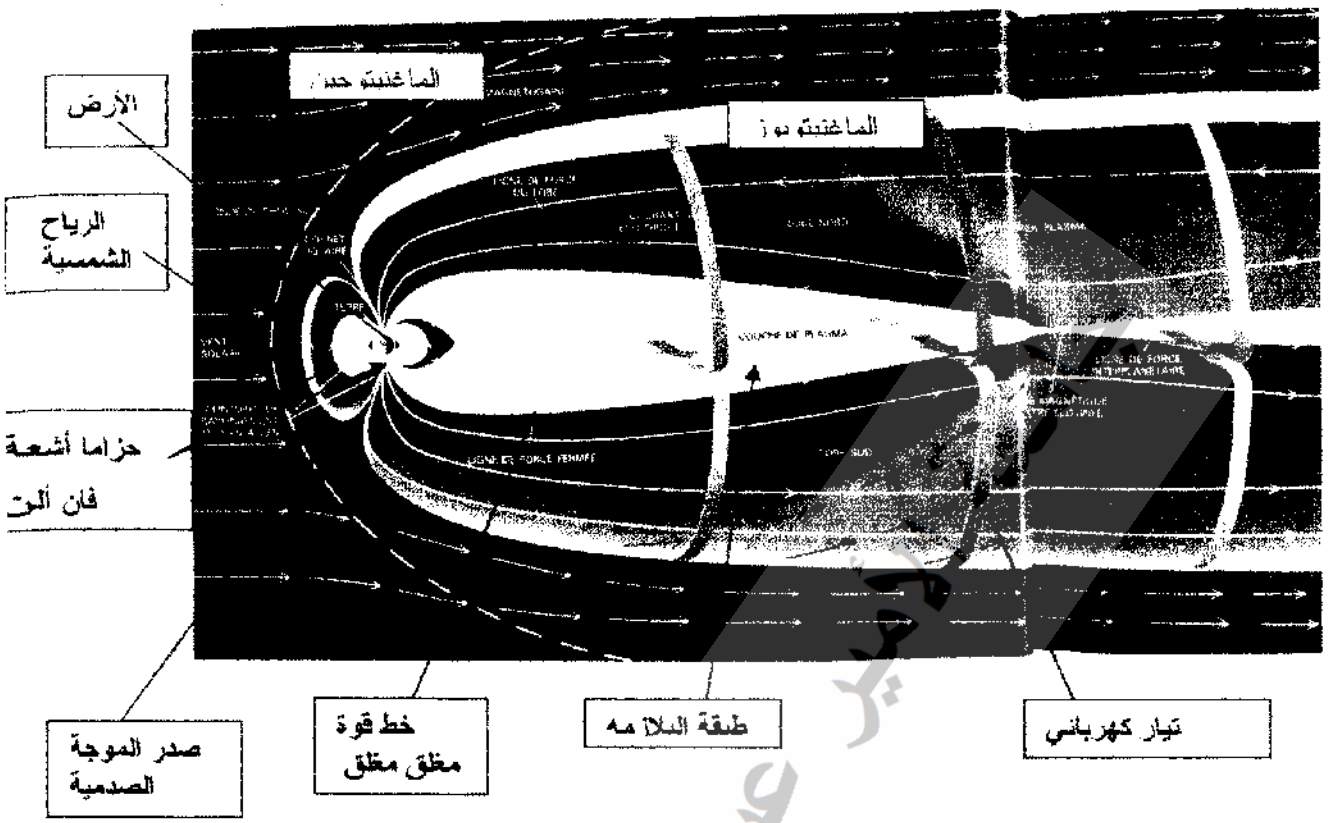

الشكل رقم:9

الشفق القطبي الشمالي

Aurore boréale (Fairbanks, Alaska

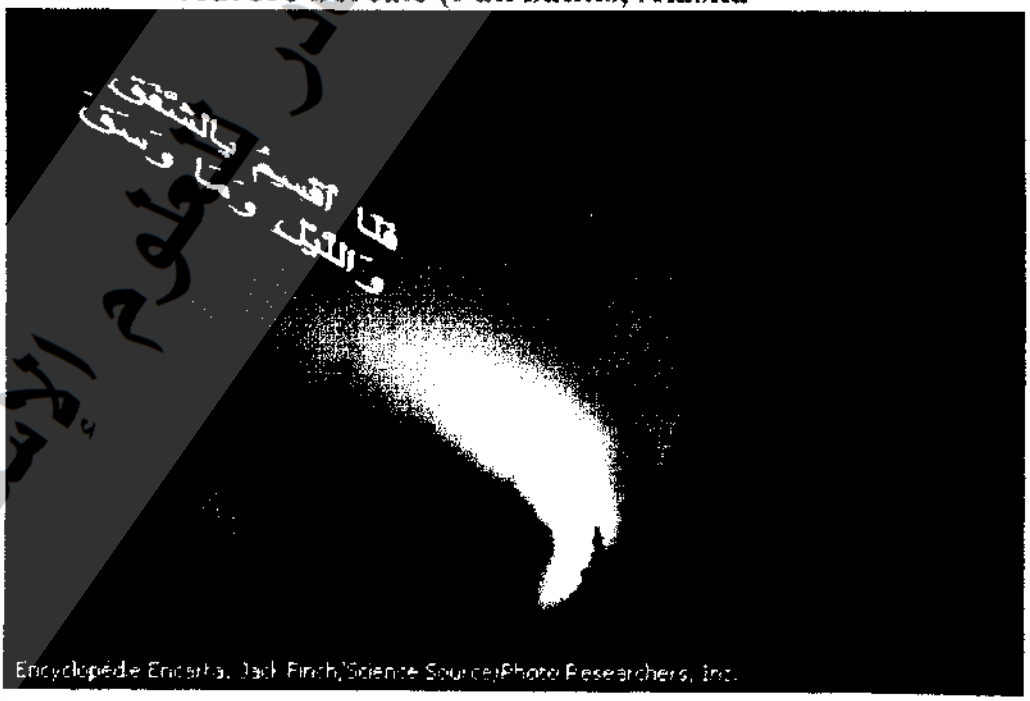

هذا آية بالشفق والليل وما وسق

الشكل رقم 7: تشكل المجال المغناطيسي للأرض.

فالدرس العقدي في هذا المقام قسم بظاهرة كونية متنوعة لتحقيق غاية في الحياة الدنيا على الأرض تتصل بحياة الأحياء فيها، وهي حفظ الأرض لضمان تحقيق العبودية لله تعالى (التمكين والأمن) ولتحقيق غاية في الحياة الآخرة التي تتحقق فيها ثمرة الامتحان في الدنيا وهي الحساب وفصل القضاء وتنفيذ الجزاء[1].

كما تدل هذه الظاهرة الكونية على وجوده تعالى وكمال قدرته وعلمه على وحدانيته جل جلاله، إذ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2]، ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾[3]، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[4]، إنه الخبر الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهذا التوافق بين الحقيقة العلمية الكونية والحقيقة القرآنية يدل على وحدة الحقيقة الإلهية.

فالله حق ونبوة محمد ﷺ حق والقرآن الكريم حق واليوم الآخر حق، لذا قال الحق تبارك وتعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[5].

الموضوع الثاني :نهاية الكـــون (الانقلاب الكوني)

قال الحق تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[6].

إن الكون وكل ما فيه من مخلوقات فان إلا وجه الله الكريم، فقد خلقه الله تعالى لرسالة مهمة محدودة ملتبسة بالحق ولأجل مسمى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[7]، تنتهي فيه رسالته، وقد بيّنتها آيات كثيرة في القرآن الكريم إنذارا للإنسان، في صورة ظواهر طبيعية خارقة للنظم الكونية التي ألفها، وقد ألف الإنسان نظاما كونيا منتظما غاية النظام والانسجام والتناسق، حفظه الله وأذن سبحانه أن يتوازن رحمة وعناية بعباده

1 ــ حسن حبنك الميداني: معارج التفكير، م3، ص274.

2 ــ الأنبياء: 22.

3 ــ النمل: 60.

4 ــ الرحمان: 13.

5 ــ فصلت: 53.

6 ــ الرحمن: 26-27.

7 ــ الأحقاف: 03.

كما بينت في حفظ الأرض، التي بحفظها يحفظ الكون كله، وبخرابها وزوالها يدمر الكون كله.

يقول المولى تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾[1].

﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2].

وحتى نفهم وندرك حقيقة نهاية الكون لابد أن نعرف قصة نشأته، لأن الله سبحانه كما بدأ خلق الكون يعيده إلى حالته الأولى ثم إلى العدم؛ كما أن سنن نشأته وحفظه تدل على فنائه؛ ومن جهة أخرى فإن كل ماله بداية له بالضرورة نهاية، مما يدل على عدم أزلية العالم وفناءه، و بالتالي لابد له من رب بارئ. يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[3].

أولا: نشأة الكون (خلق الكون)

إذا كان مخترع السيارة قد حرص على أن يعرف العالم كله اسمه وتاريخه وقصة اختراعه، أيكون الذي أوجد الكواكب السيارة والمجرات غافلا عن أن يخبرنا أنه هو الذي خلقها، وإذا كانت هناك قوة أخرى قد أوجدتها أفلا تعلن عن نفسها؟

فقد بين القرآن الكريم مذكرا الإنسان أن خالق هذا الكون هو الله تعالى وحده لا شريك له، وهو وحده الذي زوده بقوانين كونية ليسير نظامه، وهو وحده كذلك المدبر له والكفيل بحفظه.

قال تعالى:

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ، الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ

---

[1] ــ فاطر: 41.

[2] ــ الحج: 65.

[3] ــ الأنبياء: 104.

[4] ــ سورة العنكبوت: 19-20.

فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[1].

فالله سبحانه هو وحده الخالق بلا جدال بشهادة الكفار أنفسهم إذ يقول الحق تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّا يُؤْفَكُونَ﴾[2] وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[3]، وتحدى جل جلاله المعاندين والملحدين على أن يخلقوا ولو ذبابة، فقال: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[4]،فهو سبحانه وحده خالق كل شيء.

وما ذلك إلا كون الإنسان، بعلمه، ما هو إلا كاشف لقدرات الله في الكون وليس موجدا لشيء ويصدق هذا على الطبيعة الصماء من باب الأولى؛ لذلك يقول البارئ تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[5].

كما أنه تعلقت مشيئته تعالى بإيجاد الكون المادي فأوجده بقدرته تحقيقا لهذه المشيئة ولحكم ومصالح أرادها سبحانه وهو الحكيم العليم من أهمها تسخير الكون للإنسان، فلم يخلقه عبثا ولا باطلا. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[6]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[7]، والكيفية أنه تعالى قال للشيء كن فكان، فقال: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[8]، كما بين تعالى أن أمره غيب لم يشهد عليه الإنسان، فقال: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾[9].

---

1 ــ الملك 1-4.

2 ــ العنكبوت: 61.

3 ــ العنكبوت: 63.

4 ــ الحج: 73.

5 ــ الأنعام: 102.

6 ــ لقمان: 20.

7 ــ الأنبياء: 16.

8 ــ يس: 82.

9 ــ الكهف: 51.

ولكن لم يمنع الإنسان من النظر في الكون والبحث بل حثهم على ذلك فقال جل جلاله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[1].

والخلق هو التقدير والإيجاد من عدم على حسب التقدير، أي كما شاءت حكمته أن يقدر الكون ويخلقه.

وبناء على ذلك فالكون لم ينشأ بالصدفة، وإنما خلقه وأوجده الله تعالى لا إله إلا هو، خلقه لحكم ومصالح يعلمها جل وعلا[2].

وقد أشار القرآن الكريم إلى خلق أهم مظاهر الكون في السماوات والأرض كالنجوم والكواكب والأرض وما عليها من جبال ومسطحات مائية، ونبات وحيوان.

أ- بداية النشأة:(السحابة والانفجار الكبير)

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ...﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[4].

يعتقد علماء الفلك أن الكون نشأ قبل 10-20 بليون سنة نتيجة انفجار هائل يدعى الانفجار الكبير Le Big-Bang، نتيجة ضغط المادة كلها في الكون قبل ذلك الحين في بقعة صغيرة قذفها الانفجار الكبير تطير في كل الاتجاهات فأخذ الكون يتوسع، وبقدر توسعه وتمدده والبرودة المصاحبة[5]، التحمت الكواركات Quarks فيما بينها بواسطة القوى الفزيائية، التي نعرفها لتكوين النويات التي ارتبطت بالإلكترونات لتكوين ذرات، وهذه الأخيرة التحمت بدورها فيما بينها لتكون المجرات والنجوم.

فإنه لمن المهم أن نلاحظ بأنه: إذا ما توقف تمدد الكون فإن كل البنى بما فيها البنى الحية،

---

1 ــ العنكبوت:19-20.

2 ــ انظر: وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص98، وجون كلوفر مونسما، الله يتجلى في عصر العلم، ص20-27، وعبد المنعم محمد الشرقاوي، الآيات الكونية والعلوم الحديثة ص 9-16.

3 ــ الأنبياء: 30.

4 ــ فصلت: 12.

5- Voir Ahmed.Abdus Salam: "La foi et La science" p.p.6-7. Et voir Beatrice Barbuy: "Les premieres Etoils'',p1060. Et- Sylvie ody et Francoise Harrois, -Monin: "A la porsuits du Big Bing", p.p.26.27.

ستكون محطة مدمرة. قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [1]، حسب ثابتة هبل (Constante Hubul) وسرعة هذا التمدد المتزايد المطرد، وقبل هذا الانفجار أي قبل أن يصدر الأمر الإلهي (كن) كان الكون سحابة من مادة دخانية شديدة التخلخل، خفيفة الوزن والكثافة بصورة قريبة من الفراغ التام أو العدم [2]، ولم يكن الضوء قد انبعث بعد، لأن الضوء لا يكون إلا في الوسط البارد. ولذلك كانت السحابة الأولى معتمة، لا نجوم بها ولا كواكب. (انظر الشكل رقم 10).

وبعد الانفجار وبرودة الكون لم يبق من تلك السحابة السديمية الأولى شيء بل تكونت منها الكواكب والأفلاك والنجوم والمجرات فأخذ كل جرم موقعه ومساره قال تعالى:﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [3].وقال:﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [4].

ب–الفضاء الخارجي

1–المجرات والنجوم والشمس

المجرات:

ويعتقد العلماء أنه بعد تجزؤ الدخان (الغاز والغبار) إلى سحب عظمى متباعدة حيث أصبحت كل منها سديما Nebula، تجمعت كل سحابة بعضها على بعض أو رتقت بتجاذب أجزائها وتقلصت نوعا ما، فاستدار شكلها، مكونة المجرات Galaxy، التي أخذت تدور حول ذاتها بسرعة متزايدة.

النجوم:

ونظرا لتلك السرعة الدائرية في شكل دوامة برز عند حواف كل مجرة خلال ملايين السنين كتل غازية مختلفة المقدار متخذة شكل كرة بفعل جذب الجاذبية بعضها لبعض، ويزداد ضغط الغاز عند مركز الكرة كما تزداد درجة حرارته أيضا، ويبدأ التحام النوى الذرية ويتحول الهيدروجين إلى هليوم وتصدر طاقة نووية تسخن الغاز المحيط بالمركز ثم يتوهج الغاز ويولد النجم [5].

---

1 ــ الذاريات: 47، راجع زين العابدين متولي: "الانفجار الكبير... ولد الكون"، ص 18–23، وهاني رزق: الإيمان والتقدم العلمي، ص11 وما بعدها، ونضال قسوم وجمال ميمون: قصة الكون، ص 152– 155.

2 ــ عبد الرحمن خضر: الظواهر الجغرافية. ص 60–62. و Ahmed Abdus-Salam: op.cit.p6.

3 ــ الواقعة 75–76.

4 ــ الأنبياء: 33، ويس: 40.

5 ــ دافيد برجامين: الكون،ص 131، وسيد وفاق أحمد حسني: العلوم الفلكية في القرآن، ص81، ومحمد الشرقاوي: الآيات الكونية والعلوم الحديثة، ص9–12، وجلال عبد الفتاح: الكون ذلك المجهول: ص 92 – 98.

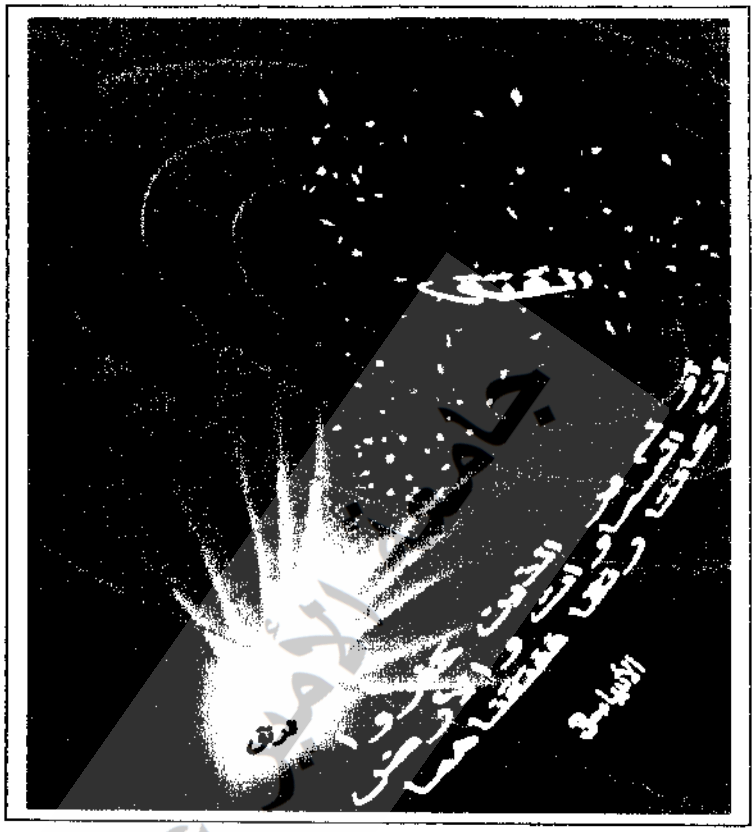

تمثيل رمزي للانفجار الكبير. نظرية الإنفجار الكبير **Big-Bang** أكثر النظريات قبولا علميا و هي برهان على أن الله هو الخالق لهذا الكون من العدم

الشكل رقم: 10-1

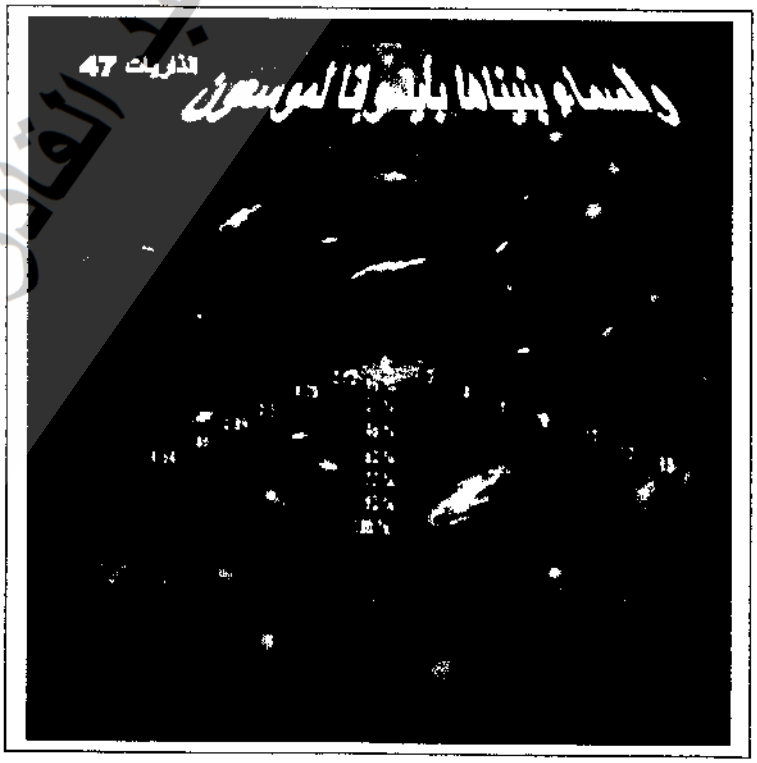

منذ لحظة الانفجار الكبير والكون في حالة تمدد مستمر بسرعة كبيرة. والكون في توسعه يشبه سطح بالون منتفخ.

الشكل رقم: 10-2

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشمس:

ونفس الأمر يتعلق بالشمس التي ولدت من غيمة دائرية متشابهة في مجرة درب التبان أو درب اللبنة، وهي نجم متوسط الحجم عمره 4,5 مليون سنة، ويبلغ قطرها 864000 ميل ووزنه 2000 بليون بليون طن، وهو عبارة عن كتلة غازية ذات طاقة هائلة وحرارة مرتفعة يسخن كل النظام الشمسي وهو أقرب النجوم إلينا.

وتحتوي الشمس على كمية من الهيدروجين كافية لإنتاج طاقة يمكن أن تشع لمدة 5 بلايين سنة أخرى[1].(انظر الشكل11).

2-الكواكب السيارة

من أهم النظريات العلمية التي تفسر نشأة الكواكب وتقرب من الإشارات القرآنية "النظرية السديمية". وترى أن أصل الكوكب السيارة في منظومتنا الشمسية هو سديم كان يتكون من مواد معدنية كالحديد، النحاس، الصخر، ومواد سائلة، كالماء، ومواد غازية، كالهيدروجين والأمونيا، وكانت متصلة مع بعضها في كتلة واحدة أي أنها كانت في الأصل (فتقا) خليطا من مواد متعددة التحمت ببعضها فأصبحت (رتقا)، وعندما انكمش السديم المكون لها ومع سرعة الدوران قذفت هذه الكتلة أو الكتلة الصلبة البارزة وتفرقت فكونت الكواكب القريبة من الشمس، وذهبت الغازات بعيدا لتكوين الكواكب البعيدة، وقد اكتسبت هذه الكواكب طاقة تديرها حول ذاتها وتسبح في مدار حول الشمس، ثم بدأت تبرد شيئا فشيئا وتكاثفت[2].(انظر الشكل رقم 12)

وهذا التفسير العلمي يتسق مع اطراد سنة الله في خلقه، إذ يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ...﴾[3]، والله أعلم. (انظر الشكل رقم 13)

فالله تبارك وتعالى أودع في هذا الكون نواميس قيامه وفنائه حتى يعلم الإنسان أنه لو تخلت عنه يد الله لحفظه لسحقته أقلّ القوى المسخرة له، ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾. فإذا جاء أمر الله فلن يكون وقوع أمر الساعة إلا بغتة: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[4].

---

1 ــ دافيد برحامين: الكون، ص85، وسيد وفاق أحمد حسني: العلوم الفلكية في القرآن، ص 24.

2 ــ داوود سلمان السعدي: أسرار الكون في القرآن.ص 36-38 ولنفس المؤلف: هذا الكون العجيب، من الذرة إلى المجرة، ودافيد برحامين، المرجع سابق ص36 وما بعدها. والتفاسير (ابن كثير، الرازي، الزمخشري).

3 ــ الأنبياء: 30؛ الشرقاوي: الآيات الكونية، ص17-19.

4 ــ النحل: 77.

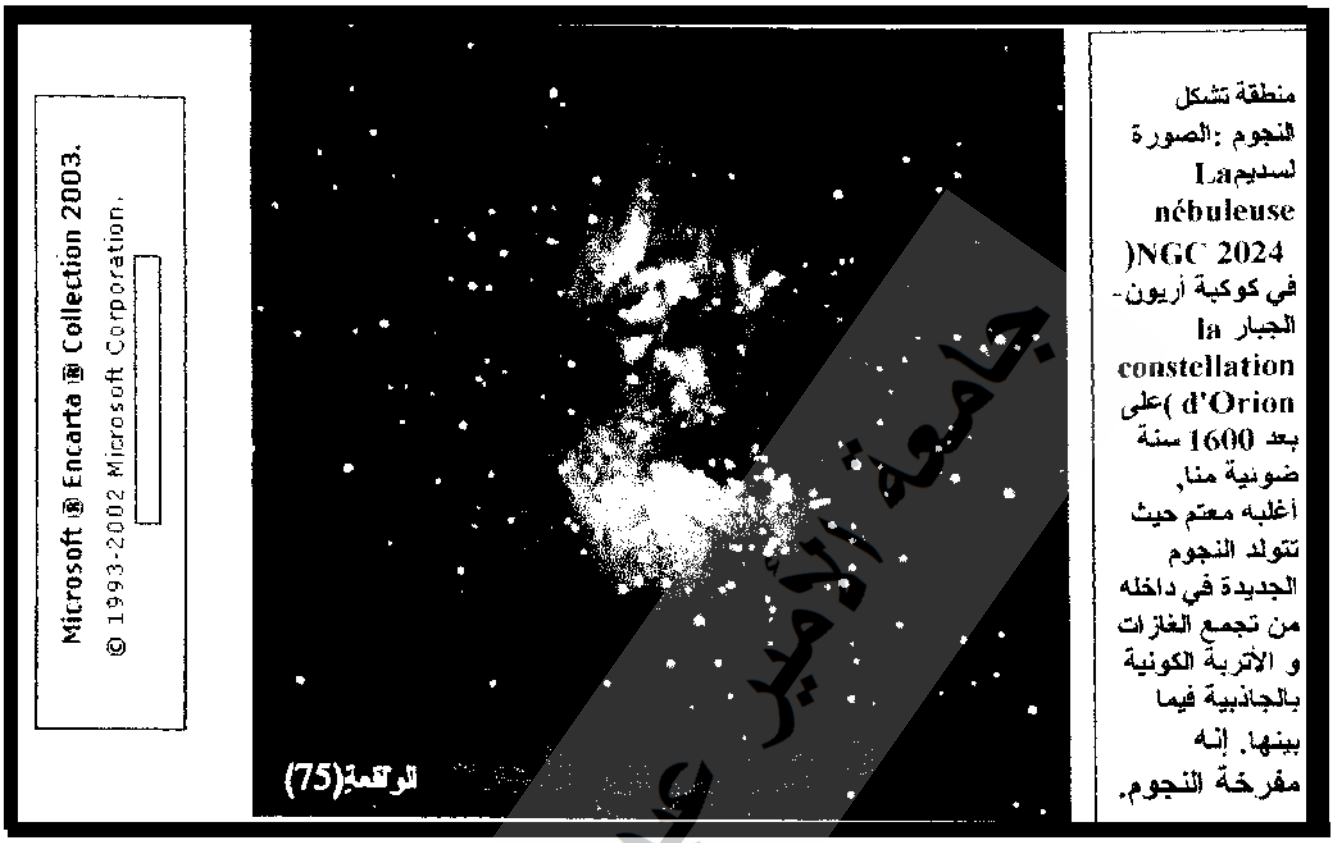

منطقة تشكل النجوم :الصورة لسديم La nébuleuse (NGC 2024) في كوكبة أريون- الجبار la constellation d'Orion) على بعد 1600 سنة ضوئية منا, أغلبه معتم حيث تتولد النجوم الجديدة في داخله من تجمع الغازات و الأتربة الكونية بالجاذبية فيما بينها. إنه مفرخة النجوم.

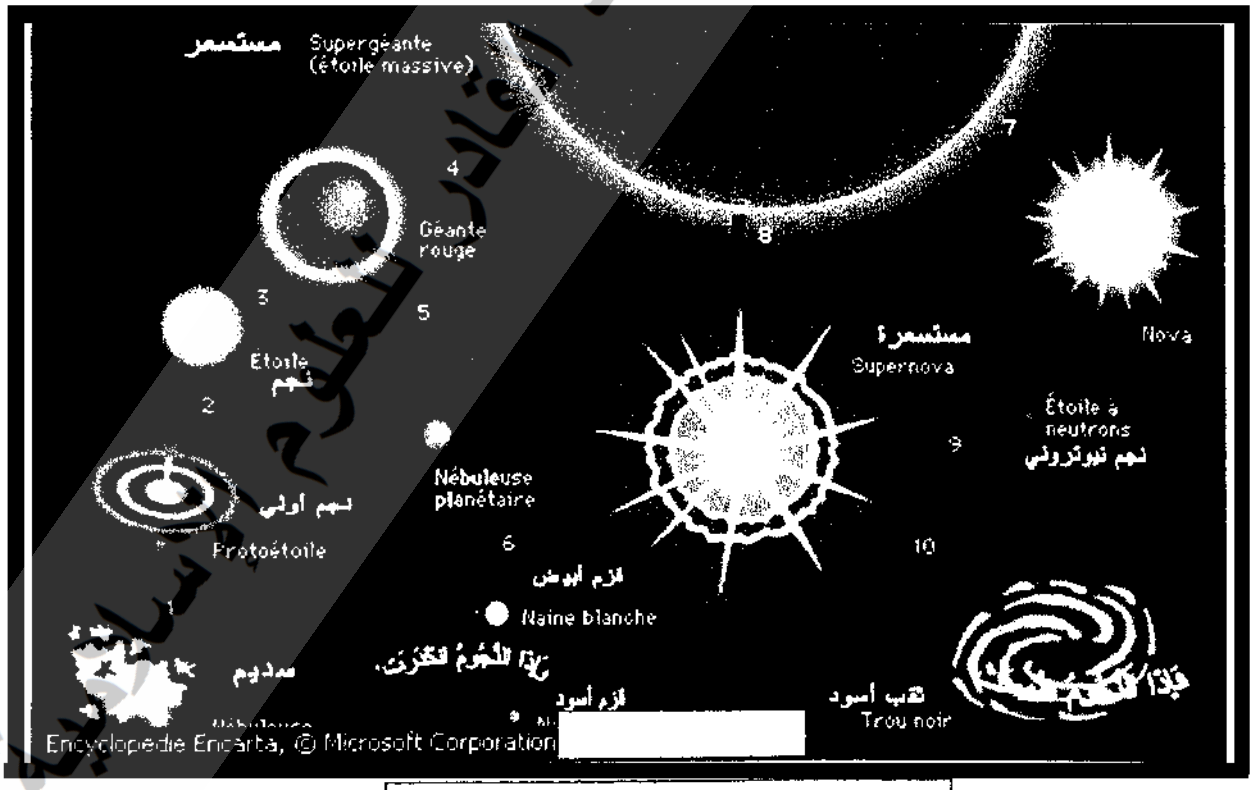

الشكل 11-2 : دورة حياة النجوم المختلفة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومجموع الآيات التي وردت في صفة الكون يوم القيامة تشير كلها إلى وقوع دمار كامل في هذه الأفلاك والكواكب، بعد انفلاتها من النسق الذي يحكمها الآن وينسق بين مداراتها وحركاتها ومنها ما يقرر أن أحداثا كونية كبرى تغير أوضاع الأجرام الكونية، ومنها ما يشير إلى تغيير صفاتها ونسب المواد التي تتكون منها والقوى التي تربطها. قال الحق تعالى:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[1].

﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[2].

أما كيف تحدث تفاصيل أحداث ذلك اليوم بالتدقيق؟ ومتى؟ لا يعلمه إلاّ الله تعالى علام الغيوب؟

ولكنه جل وعلا قرّب إلينا مشاهد يوم القيامة بظواهر طبيعية كونية نشاهدها يوميا ونعايشها في حياتنا الدنيا كالكوارث الطبيعية (زلازل، براكين، فيضانات، جفاف، أعاصير... الخ)، وما يحدث في الفضاء الخارجي من موت النجوم وتصادم بعض الأجرام، حتى نتصوّر هول هذا اليوم العظيم لنتذكره ونذكره، فنعد له العدة للنجاة من عذاب الله تعالى والفوز برضاه وجنته.

فما هي نهاية الأرض والسماوات (الكون)؟

ثانيا: نهاية الكون

أ ــ الموت الحراري للكون

لقد أثبت العلماء بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا.

وذلك بفضل اكتشافهم (لقانون الطاقة المتاحة) أو ما يسمى بالقانون الثاني للديناميكية الحرارية والذي يعرف اليوم اختصارا "القانون الثاني" وهو في أبسط رواية له انتقال حراري مستمر من الأجسام الحارة إلى الأجسام الباردة ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية الحرارة، ومعنى ذلك أن الكون يتجه إلى درجة تتساوى فيها درجة حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معنى الطاقة، وهي حالة نهائية من توازن حركي حراري لا يحتمل أن يحدث بعده أي قيمة أخرى حيث تتوقف كل العمليات والتفاعلات الكمياوية والطبيعية ولن يبقى أي أثر للحرارة نفسها في هذا الكون فينهار الكون وهو ما أسماه العلماء «الموت الحراري» للكون[3].

---

1 ــ إبراهيم: 48.

2 ــ للمعارج: 8-9.

3 ــ انظر: جون كلوفر مونسما: الله يتجلى في عصر العلم، ص45. وبول ديفز: الدقائق الثلاث الأخيرة، ص:14-17.

ب ــ أحداث الأرض والسماوات يوم القيامة بين القرآن الكريم والعلوم الكونية

تنبأ هيرمان فون هلموتس (عالم الفيزياء الألماني) سنة 1856 باحتضار الكون، باكتشافه (القانون الثاني)، كما تنبأ بنهايته العالم الفيزيائي أينشتاين 1915 بفضل النظرية النسبية العامة التي تثبت أن للكون بداية ونهاية.

فبعد أن أثبت العلم توسع الكون اكتشف أن هذا التوسع رغم تسارعه لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية، فهو ذو سرعة محدودة، بل لا بد وأن يأتي وقت تتناقص فيه عملية الدفع إلى الخارج الناتجة عن عملية الانفجار العظيم، ويؤدي ذلك التناقص إلى تغلب قوى الجاذبية، فيبدأ الكون في الالتآم على ذاته والانكماش مرة أخرى نحو الداخل، حيث تتجمع المادة الكونية والطاقة كلها معا وتلتحم ويصير الكون كله كتلة هائلة، كما يتلاشى كل من المكان والزمان وتنسحق تلك الكتلة وتتقزم في جرم متناه في الصغر حتى يقترب من الصفر أو العدم بفعل الجاذبية يشبه تماما الذرة المفردة الأولى أو الجرم الابتدائي الأول الذي انفجر فخلق منه الكون (الانفجار الكبير big bang) وتنتهي هذه العملية (بالانسحاق العظيم The big crunch)[1].

وهذا مصداقا لقوله تعالى:﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[2]، و﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[3].

فهذه الآية الكريمة الأخيرة تصف تلك النهاية «وصفا إجماليا غاية في الدقة والإحكام والإيجاز. فالعرب كانوا قديما يكتبون العقود والمواثيق والعهود في ورقة ثم يطوونها وهذا هو طي السجل لما هو مكتوب، كذلك فإن غلاف الكتاب يطوي صفحات الكتاب في عملية إغلاق لمحتواها، وعملية الانسحاق الشديد عملية مشابهة تماما لعملية طي السجل للكتابة المدونة فيه أو طي الكتاب لصفحاته هذه دقة بالغة وصورة من صور الإعجاز القرآني يقول فيها ربنا تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[4]، ويأتي العلم في نهاية القرن العشرين ليستنتج من عملية توسع الكون الحالية نهاية مشابهة تماما لما لرواه ربنا

1- جلال عبد الفتاح: الكون ذلك المجهول، ص140ــ141.

2 ــ الزمر: 67.

3 ــ الأنبياء: 104.

4 ــ الأنبياء: 104.

الشكل 14--1

الشكل رقم 14- 2

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تبارك وتعالى لنا في محكم كتابه قبل ألف وأربعمائة من السنين، ويسميها عملية الانسحاق الشديد.»[1] (انظر الشكل رقم 13).

ما هي إذا أحداث قصة نهاية الكون؟

1- أحداث الأرض

يذكر القرآن الكريم حال الأرض يوم القيامة وما يحدث عليها من أهوال وتقلبات بحيث تبدل الأرض غير الأرض بل تفجر وتنسف فلا يبقى منها شيء، إذ يذكر تارة الأرض بصفة عامة وما يحدث عليها من زلازل وبراكين، وتارة يختص الجبال التي كانت في الحياة الدنيا رواسي وأوتاد، وتارة يختص بالوصف حال البحار.

في هذا اليوم المهيب تتغير معالم الأرض عما كانت عليه من الاستقرار إلى الاضطراب ومن التنوع إلى التجانس ومن الارتفاعات والانخفاضات إلى التمدد والاستواء وغيرها من مظاهر التغير، يقول الحق جل جلاله:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾[2]. ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾[3]. ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[4].

1.1- الزلزلة والبراكين:

فالأرض التي جعلها الله تعالى محل استقرار ومعاش، حيث وزع أثقالها الداخلية والجاذبية توزيعا ملائما تماما للحياة والاستقرار عليها للإنسان ولكل الكائنات الحية، ككون مكونات الأرض الجوفية السحيقة أثقل من مكوناتها قرب السطح، وكون جوفها أو نواتها عبارة عن معادن منصهرة وذو حرارة مرتفعة جدا؛ (انظر الشكل 14-1)، إذا أراد الله سبحانه أن ينهي هذه الحياة بكافة صورها وهذا النظام بكافة مظاهره فما على الأرض إلا أن تتخلى عن مسؤوليتها وتزلزل وتلقي ما بداخلها تصديقا لقوله تعالى:

﴿إِذَا زُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتْ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[5]. ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا

---

1 ــ زغلول النجار:الإعجاز العلمي في القرآن الكريم،ج1،ص55. وانظر داود السعدي: أسرار الكون في القرآن، ص 46-47.

2 ــ إبراهيم: 48.

3 ــ الانشقاق: 03.

4 ــ الكهف: 48.

5 ــ الزلزلة: 1-2.

الرَّادِفَةُ﴾[1]. ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[2]. ﴿إِذَا رُجَّتْ الْأَرْضُ رَجًّا﴾[3]. ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتْ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[4]. ﴿وَحُمِلَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[5].

وظاهرتا الزلازل والبراكين يعرفهما الناس في حياتهم الدنيا ويعتبرونها من الكوارث الطبيعية نظرا لما تحدثانه من هلاك ودمار وما تثيرانه من هلع وذعر، وواضح من سياق الآيات أن ما سيحدث يوم القيامة سيكون أكثر هولا وأشد وقعها وأنه لا وجه لتشبيه ما سيحدث ذلك اليوم بما ألفه الناس أو عرفوه في دنياهم.

فعندما يحدث الزلزال الأعظم وتتشقق الأرض بالزلزال الذي يجتاح العالم كله في وقت واحد نتيجة تخلخل صفائح القشرة الأرضية فوق طبقة الرداء المغلق للسائل الثقيل بمركز الأرض، يسبب ازدياد ضغط في داخلها لزيادة درجة حرارتها عن الحد[6]، فتلقي الأرض بأثقالها بالبراكين مما هو في أعماق أعماقها من حمم وقنابل بركانية بسبب جاذبيتها ومن شدة ضغط ما في بطنها من مواد منصهرة في درجة حرارة عالية-كما أسلفنا- ويتصاعد الدخان وسحب الرماد البركاني حتى تصبح الدنيا مظلمة وكل شيء مسودا، ليلتقي مع دخان السماء-كما سنبين بحول الله تعالى- (انظر الشكل رقم 14-2).

فتحمل الأرض والجبال أي ترفع من مكانها وتقتلع بسبب ذلك الضغط الباطني، ثم يدق بعضها ببعض فيتهدمان بدكة واحدة سويا وفي وقت واحد في كل أرجاء الكرة الأرضية، المطوقة-حسب الخرائط الجيولوجية- بسلسلة من الزلازل والبراكين، المتطابقة موقعيا، على اليابسة وفي البحار والمحيطات.(انظر الشكل رقم 14-3).

فعند ذلك الحين مع ما يعيبها من أحداث الفضاء الخارجي تزول الأرض نهائي أو تبدل وتتغير وتنتهي كل أشكال الحياة إلى أن تلحقها وتصيبها أحداث الكواكب والنجوم فتفنى.

---

1 ــ النازعات: 6-7.

2 ــ الانشقاق: 3-4.

3 ــ الواقعة: 04.

4 ــ الفجر: 21.

5 ــ الحاقة: 14-15.

6 ــ محمد أبو الخير: اجتهادات في التفسير العلمي في القرآن الكريم، ج3، ص158-159. وانظر عفيف طبارة: تفسير جزء تبارك، ص47 وما بعدها. وانظر د. أحمد حسنين حشاد: «الزلازل والبراكين رؤية إيمانية»، ص52-55.

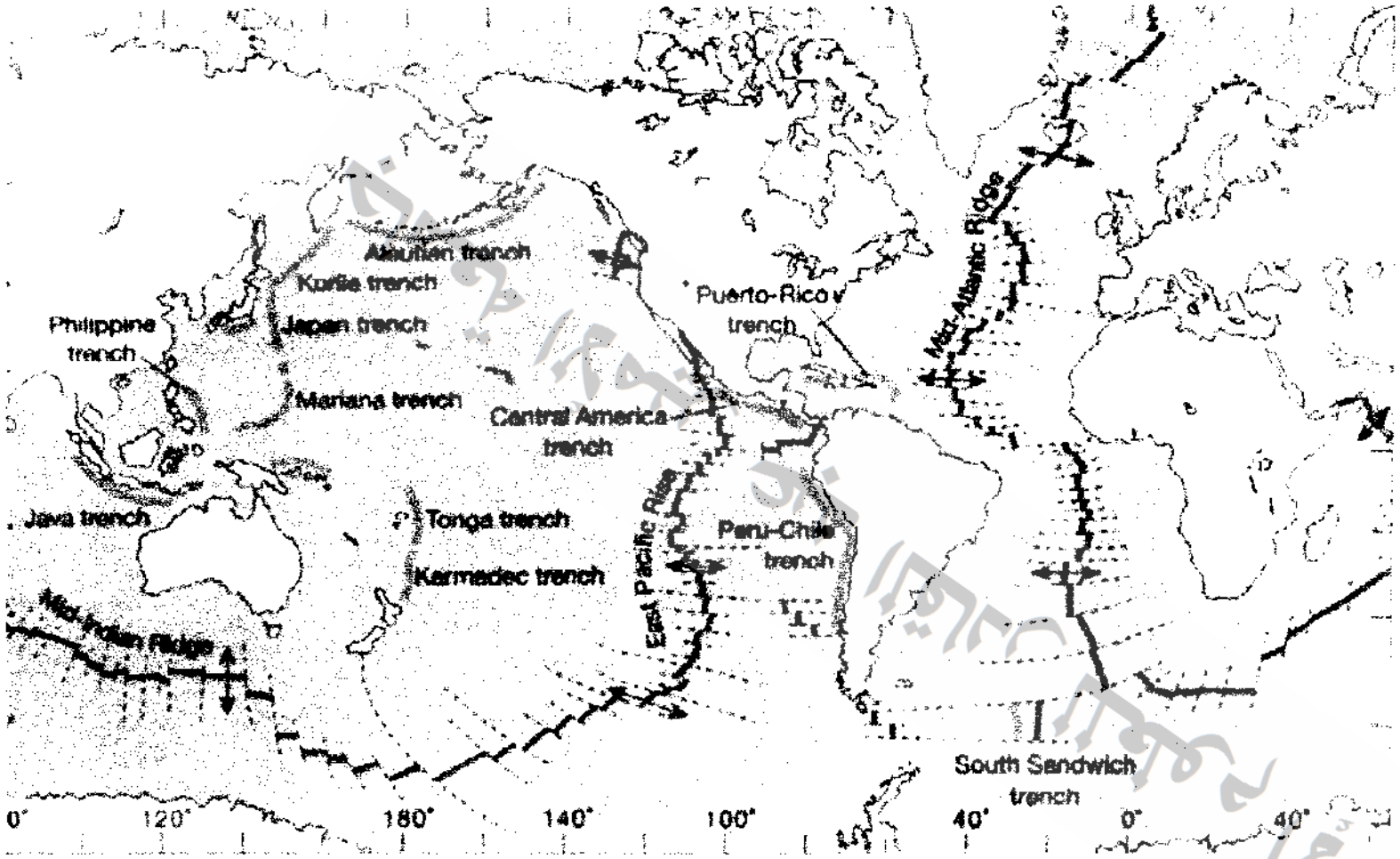

شكل رقم 3/14

خارطة للعالم توضح صدوع الارض و الجبال الناشئة في اواسط المحيطات نتيجة اندفاع المهارد الصخرية عبر تلك الصدوع . وتكون اغوار المحيطات نتيجة تحرك الواح الغلاف الصخري عبرها

﴿وَحُمِلَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ﴾[1]. ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾[2].

وأثناء هذه الأحداث تنسف الجبال وتسجر البحار والمحيطات وتفيض.

1-2- نسف الجبال وزوالها:

ومن مشاهد هذا اليوم العظيم على الأرض سير الجبال ونسفها وإسحاقها. والقرآن الكريم يذكر الجبال وما يحدث لها وحدها، فهي تُسيّر وتنسف، وتكون كالعهن، قال الحق جل جلاله: ﴿وَسُيِّرَتْ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[3]، ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[4]، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[5]، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾[6]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾[7].

كما يذكرها وما يحدث لها مع ما يحدث للأرض حيث تحمل وتدك وتبس بسا وتصير ذرات من الغبار الكوني كما كانت أصلا.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾[8]، ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[9]، ﴿إِذَا رُجَّتْ الْأَرْضُ رَجًّا، وَبُسَّتْ الْجِبَالُ بَسًّا، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾[10]، ﴿وَحُمِلَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ﴾[11].

فالجبال التي خلقها الله وجعلها ثابتة كالرواسي أي الأوتاد شامخة في الجو، منغرسة جذورها

---

1 ــ الحاقة: 14-15.

2 ــ الانشقاق: 3-4.

3 ــ النبأ: 20.

4 ــ القارعة: 4-5.

5 ــ التكوير: 03.

6 ــ المرسلات: 10.

7 ــ طه: 105-106.

8 ــ المزمل: 14.

9 ــ الكهف: 48.

10 ــ الواقعة: 4-6.

11 ــ الحاقة: 14-15.

في الصخور تحت القشرة الأرضية لتضمن ثبات هذه الأخيرة وتمنعها من أن تضطرب ويختل توازنها، كما تمثل «المكبح» و«صمام الأمان» لسرعة حركة الأرض المنضبطة الثابتة بالنسبة للشمس، إذ لو نقص بعد الأرض عنها لتجمدت الحياة على كوكبنا ولو زاد لتبخرت مياه المحيطات وبقيت أملاحها واحترق كل شيء وهلكت كل صور الحياة على سطح الأرض[1]؛ إذا تحركت وقلّعت من أماكنها وتناثرت أجزاؤها وصارت كالسراب، بطل عمل المكابح واختل التوازن واضطرب مدار الأرض في السماء حيث ترتطم بغيرها من الكواكب أو تقترب من الشمس فتبتلعها وتحرقها. فيهلك كل شيء مع سطحها؛ إذ ينسف الله سبحانه الجبال نسفا فتكون كالعهن المنفوش (كالصوف المفتت المتطاير)، أي تتفتت وتتفصل أجزاؤها بعضها عن بعض وتتطاير في الجو فتصبح قعا صفصفا أي مستوية لا بروز لها على سطح الأرض خالية من كل نتوء مكشوف.

وكون ذلك كما يقول العلماء – والله أعلم – من تأثير فعل جاذبية القمر أو أي كوكب آخر حين يقترب من الأرض على غير النسبة المعهود، فتحدث هذه العوارض الطبيعية بفعل الجاذبية، كما يساهم ذلك انفجار أعماق الأرض كما بيّنا سابقا يسبب الزلزال والبراكين، فتنسف الجبال، فتصير رملاً دقيقا تذروه الرياح بل غبارا كونيا كما كانت قبل النشأة الأولى، لهذا ستكون سرابا غليظا يرى من بعيد كأنه الجبل وما هو بالجبل نظرا لانعكاس الأشعة عليه القادمة من بقايا الشمس والنجوم. قال تعالى: ﴿وَسُيِّرَتْ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾[2].

1- 3- اشتعال البحار وانفجارها:

ومن مشاهد يوم القيامة على الأرض، كذلك، اتّقاد البحار نارًا وانفجارها، إذ يقول العزيز الجبار: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[3]، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[4].

فمن الحقائق العلمية التي قررها علم البحار المعاصر (وسلف ذكرها)، أن كل البحار والمحيطات توجد في أعماقها أخاديد وفواهات وشقوق يخرج منها لهب ونار ودخان وكأنها تسجر البحر استعدادا ليوم القيامة كما قال تعالى في علامات هذا اليوم ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[5] إلا أنها تقل

---

1 ــ عبد الرحمن عضر: الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن الكريم، ص91-92.

2 ــ النبأ: 20.

3 ــ التكوير: 06.

4 ــ الانفطار: 03.

5 ــ التكوير: 06.

في بحر وتزيد في آخر، حيث تحمي الأرض من الانفجار والغليان[1]، قال تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾[2]. (انظر الشكل رقم 14-2).

وحينما يأتي أمر الله تزداد هذه البحار تسجيرا واشتعالا بأمره، وتقوي هذه الأخاديد حتى تستطيع بقدرة الله إشعال البحار جميعها ثم تنفجر.

ويرى العلماء أن هناك أربعة (04) احتمالات لازدياد هذا الاشتعال يوم القيامة وانفجار البحار قد يتزامن وقد يكون أحدها سببا في حدوث الآخر في سلسلة أحداث.

1- فيحتمل أن يكون سبب اشتعال البحار وانفجارها الشمس، ذلك حينما ينتهي غاز التروجين بها تنتهي بها الحرارة الهائلة تدريجيا وعند لحظة الانطفاء الكامل تتوهج توهجا هائلا، ثم تخمد نهائيا، وعند حالة التوهج الهائل تعطي حرارة على الأرض إضعاف ما عليها الآن فتشتعل جميع البحار[3]، وهذا يتناسب مع ابتداء سورة التكوير بقوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أي التفت وصغرت وانتهى غاز النيتروجين.

2- كما تكون تلك الشقوق والأخاديد البركانية والحمم في قاع البحار سببا آخر في اشتعالها.

3- تحطم جزء الماء إلى عنصرية الأكسيجين وهيدروجين مما يؤدي تنشيط ذرات الهيدروجين واتحادها لتعطي غاز الهيليوم فتشتعل البحار كلها[4].

4- أو تحطيم إحدى ذرات الهيدروجين الطليق في أعماق البحار بضغط كهربائي من صاعقة مثلا مما يؤدي إلى جانب النار المنتهية على الأعماق يحدث انفجار فتحول البحار والمحيطات ثم الأنهار إلى نار هائلة فتجف كلها في وقت واحد[5] وقد تغطى كل اليابسة بسبب فيضانها كما يقول العلماء والمفسرون فتفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾، والله أعلم.

2- أحداث السماوات:

2- 1- السماء عموما:

إن السماء التي بناها الله تعالى تنشق يوم القيامة -- بإذنه تعالى -- ولا يكون الانشقاق والتصدع

---

1 ـــ ماهر أحمد صوفي: آيات الله في البحار، ص111-126.

2 ـــ الطور: 06.

3 ـــ ماهر أحمد صوفي، المرجع السابق، ص131-132.

4 ـــ عبد الرحمن خضر: الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن الكريم، ص78، وانظر: محمد سميح عافيه، القرآن وعلوم الأرض، ص118-119.

5 ـــ سليمان عمر قوس: الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، ص161-162.

إلا للبناء، بعد تفكك روابطه، وتحطم أعمدته، فيضطرب ما فيها من أجرام فتزول وتنزع من مكانها كما ينزع الغطاء من الشيء، يقول الحق تعالى:﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[1]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[2]، ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾[3]، وغيرها من الآيات التي تتحدث عن أحداث السماوات عموما دون تخصيص.

2- 2- النجوم والشمس:

يعتقد علماء الفلك أن النجم في مرحلة التقلص الأخير بعد آلاف ملايين السنين عندما ينفذ غاز الهيدروجين بتوقف التفاعل النووي في مركز النجم وينهار على نفسه ويتقلص حجمه فيصير قرصا أبيض لا يشغل إلا مساحة صغيرة ويقل اشتعاله، وإذا ما بلغت مادة النجم درجة عالية من الكثافة بسبب الانضغاط الشديد لتلك المادة، تحت الجاذبية حتى أن الذرات نفسها تنسحق، فإن النجم ينهار ويتكوّم داخل نصف قطره التجاذبي، فينفجر في محرقة نووية لا يمكن تصورها، فيصبح وردة كالدهان، وينطمس نوره، فيخلف وراءه كرة سوداء في الفضاء تسمى ثقبا أسود (Trou noir-Bloat hole) أو متسعرة (سوبرنوفا Supernova)[4].(انظر الشكل رقم 15).

قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾، ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾.

وقال المفسرون إكدار النجوم سوادها وانطماسها ذهاب ضوئها. ومعنى ذلك أن النجوم لا تزول كلية إلا بعد انفجار السماء كلية وانكشاطها. (انظر الشكل رقم 11)

ونفس الشيء يحدث للشمس باعتبارها نجما من النوع المتوسط الحجم إذ تتقلص وتشتد حرارة مركزها مما يزيد في مساحة سطحها إذ قد تتوسع حتى تغمر بنارها كوكب عطارد وهو أقرب كواكبها ثم الزهرة وأخيرا الأرض، فتصبح نجما عملاق أحمر، وهذا يجعلها تحرر أكثر لتجعلها أبرد قليلا عن السطح، ويتقلص حجمها أكثر حتى تصبح نجما قزما أبيضا، ثم خلال الانفجارات العنيفة تستهلك الشمس كل طاقتها خلال عدة ملايين من السنين لتصبح قزما أسود وتتلاشى تماماتبلعها ظلمة الفضاء[1].

---

1 ــ التكوير: 11.

2 ــ الانشقاق: 1-2.

3 ــ الطور: 9.

4-Voir.Sylvestre huet: ''le mystere de la supernova'', pp50-55. et voir.Eraig Wheeler et Robert Harkness : ''les super nova riches en helium'', pp28-37.

1- بول ديفيز: الدقائق الثلاث الأخيرة ص42-43، وفرانك كلوز، النهاية، عالم المعرفة، ص198، وباري باركر: السفر في الزمان الكوني، ص31.

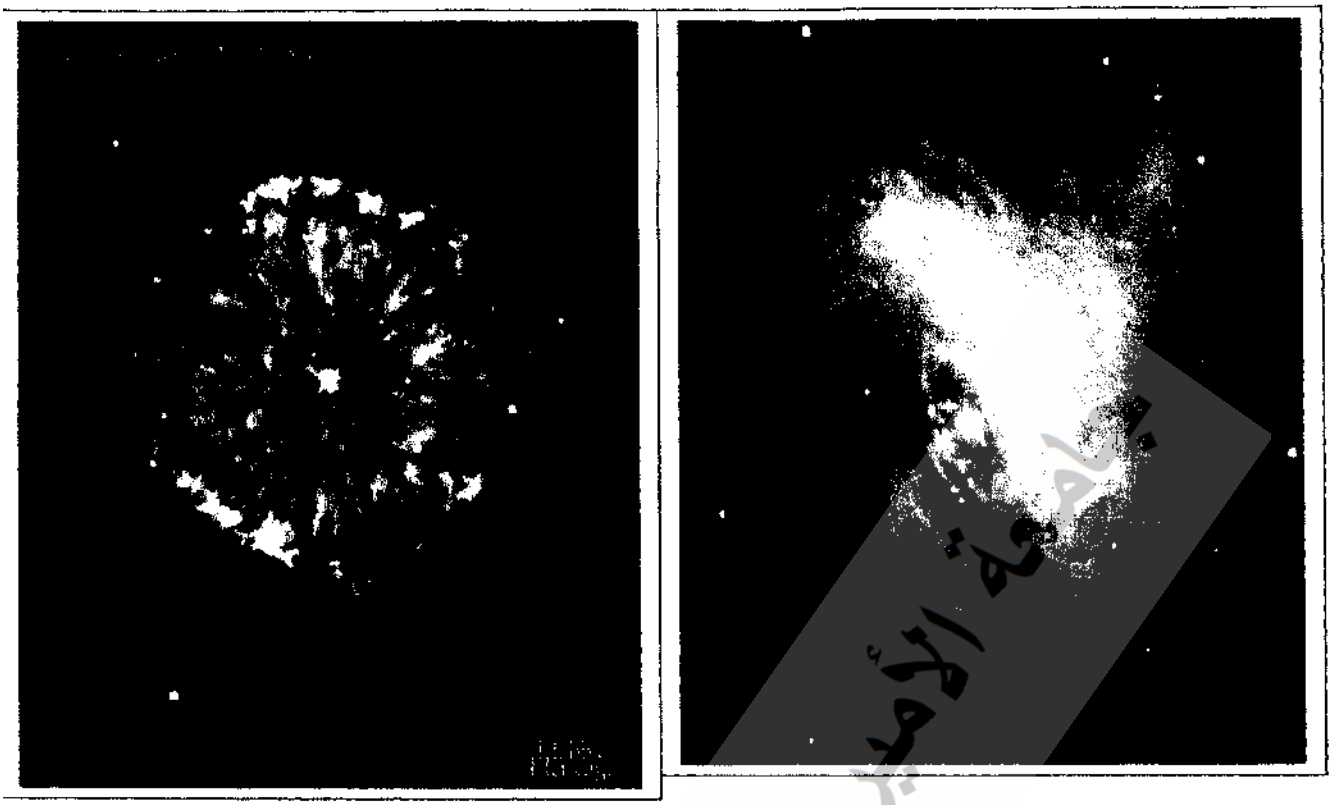

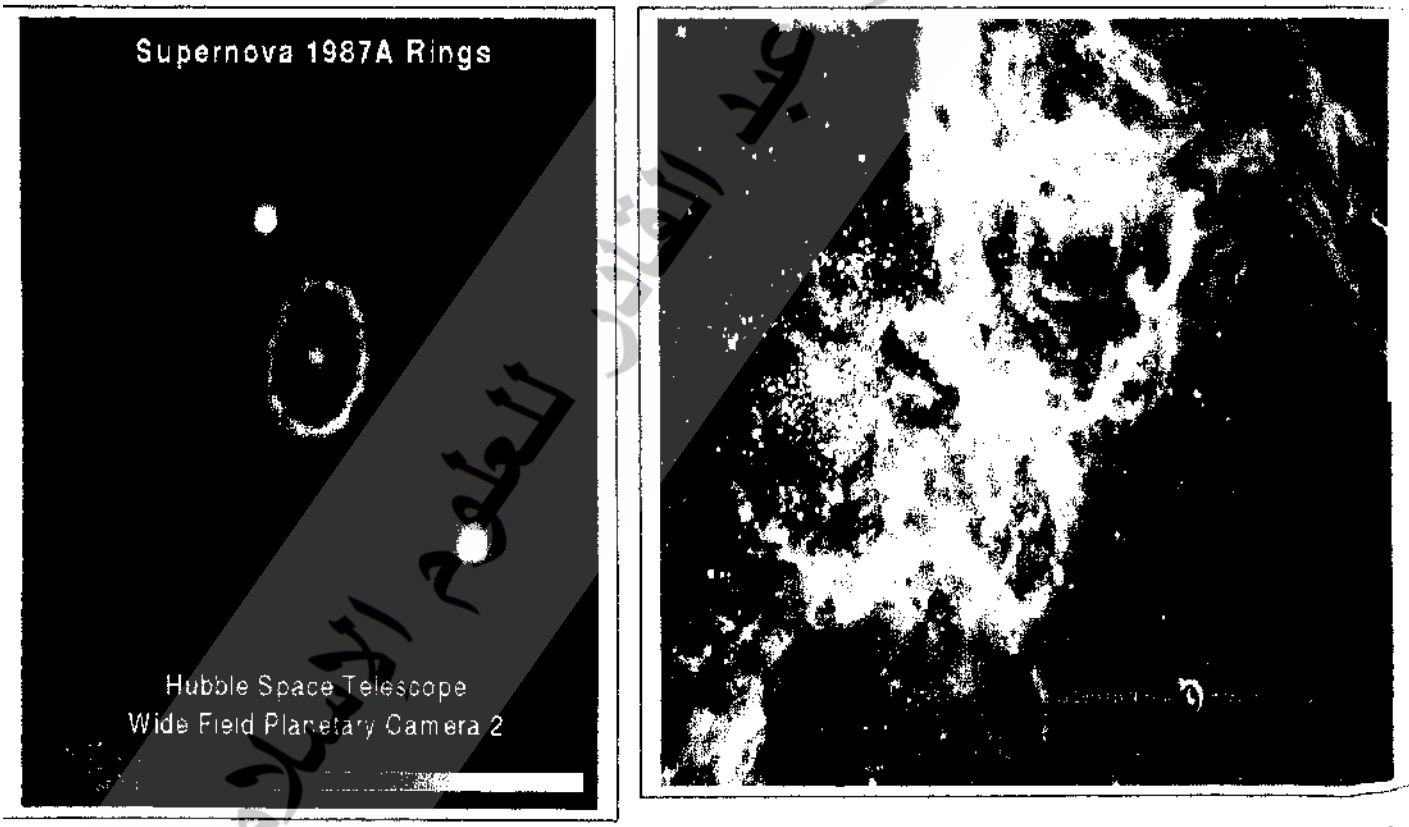

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكل رقم15: يمثل صورا مختلفة للانفجارات العملاقة للنجوم المعروفة بـ ... أو السوبرنوفا التقطها التلسكوب الفضائي هابل.

و هي تبعد عنا و عن بعضها البعض بملايين السنين الضوئية .و هذه المسافات الهائلة تعدل و تخفف من خطر تلك الانفجارات وتأثيرها على الأجرام الأخرى بعناية الله وحفظه فكانت زينة للساء مصداقا لقوله تعالى (القمر49) و قوله: ... (الصافات6).

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وتكويرها جمع بعضها إلى بعض وستر ضوءها، فيؤدي ذلك إلى انتهاء الحياة على الأرض باعتبار الشمس مصدر كل طاقة ومظهر للحياة على هذه الأرض.

2-3- الكواكب والقمر:

يرى العلماء أنه عندما تتمدد الشمس لتصبح نجما عملاقا أحمر فإنها ستبتلع كواكب عطارد والزهرة والأرض والمريخ، فتنظم إلى القمر وتصبح بحجم الأرض: قال الله جل جلاله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[1].

في هذه المرحلة فإن كواكب النظام الشمسي ستصبح باردة مظلمة، أو باعتبارها مؤلفة من معادن منصهرة – ككل الأجرام السماوية[2] – إلى درجة السيولة مع تجهد القشرة، فإن ارتفاع حرارتها بسبب الشمس يؤدي إلى تشققها وانفجارها وانتشارها في الفضاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾[3].

أما الأرض فيتسبب ارتفاع حرارتها إلى غليان المحيطات والبحار واشتعالها وفيضانها نارا على اليابسة التي تحترق كلية فتنفجر.

2 - 4- نهاية السماوات(المجرات) وحلول الظلام:

ويصحب هذه الأحداث انشقاق السماء واشتعالها بنار رهيبة حتى تصير كالمهل في المعادن المذابة، حيث تتحول معادن النجوم من الحالة الغازية إلى الحالة السائلة بعد أن تفقد بعض حرارتها الرهيبة، كما يحدث للكواكب.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[4].

فيستحيل لون السماء الأحمر من جراء تلك النيران والانفجارات إلى ما يشبه الوردة القانية حيث تذوب المواد الكونية وتنصهر من شدة الحرارة حتى تصبح كالدهن في رقتها وذوبانها.

قال علام الغيوب جل جلاله:﴿فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[5] (انظر الشكل رقم 16)، ثم يتحول الفضاء الخارجي (السماء) بعد ذلك إلى سحابة أو غاز كوني «دخان» فيعود

---

1 ــ القيامة: 09.

2 ــ عبد الرحمن حضر: الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن، ص89-90.

3 ــ الانفطار: 2.

4 ــ المعارج: 8.

5 ــ الرحمن: 37.

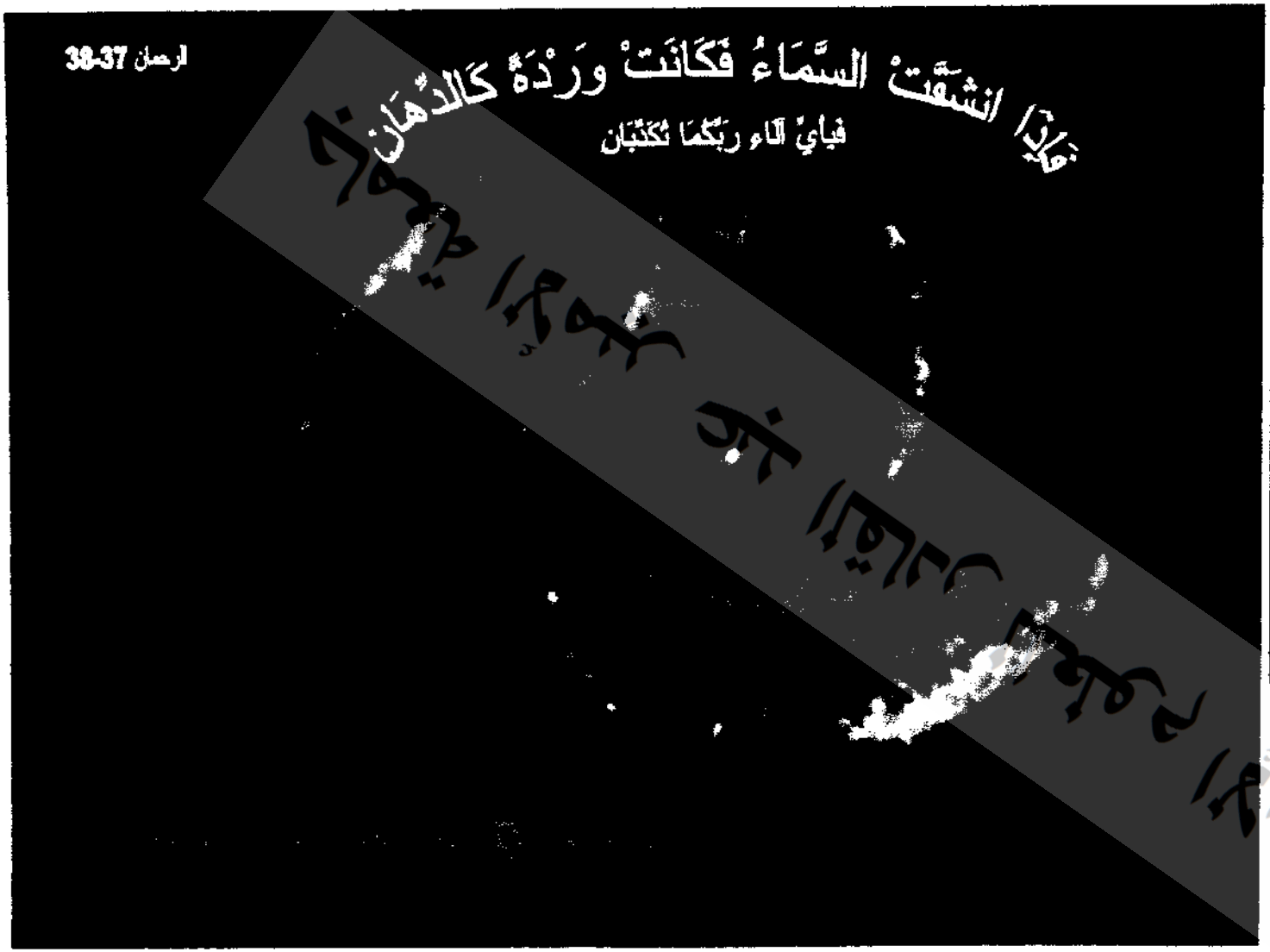

الشكل رقم 16

الصورة مأخوذة بواسطة التلسكوب الفضائي هابل لأحد النجوم المتفجرة في سديم عين القطو النجم المتفجر يبدو عند انفجاره كالوردة الحمراء المدهنة.

الكون دخانا مرة أخرى كما بدا دخانا بإذن الله تعالى وذوبانها.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [1]، ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [2]، ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [3].

فيزول كل شيء وينتهي الكون من الوجود بالانسحاق العظيم big-crunch فيحل الظلام وينتهي عصر النور إلى الأبد. فالكون أتى من العدم في الانفجار العظيم وسوف يتلاشى إلى العدم في الانسحاق الكبير [4]؛ وتنتهي الحياة الدنيا لتبدأ الحياة الآخرة بالنفخ في الصور فالبعث والنشور ثم الحساب.

إن يوم القيامة يوم حق حاصل لا محالة لا ريب فيه: ﴿إِذَا وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ، لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ، خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [5].

فالكون كما هو آية من آيات وجود الله تعالى ووحدانيته وعظمته، وميسر للإنسان بالتسخير ليستثمره ويعمره، هو كذلك نذير له بضعفه وفناءه وعودته إلى الله تعالى يجازيه على أعماله إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وهو من خلال ما يشاهده يوميا من انقلابات كونية وكوارث طبيعية تمثل صورة مصغرة عن هول يوم القيامة، يستشعر عظمة الله جل وعلا ويزداد اطمئنانا ورجاء وخوفا من الحق العدل تعالى.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا، إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا، إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [6].

ثم أن نبوءة نهاية الكون بأدلتها السابقة أو ما يسمى الموت الحراري النهائي للكون لا تحدثنا عن شيء من مستقبل الكون فقط، ولكنها تتضمن شيئا ما مهما عن الماضي، فإذا كان الكون في سبيله

---

1 ــ فصلت: 11.

2 ــ الدخان: 10.

3 ــ الأنبياء: 104.

4 ــ بول دفيز: المرجع السابق، ص 47- 48.

5 ــ الواقعة: 1-3.

6 ــ النازعات: 42-46.

إلى الدمار على نحو لا معكوس بسرعة محدودة فإنه لن يبقى إلى الأبد، لأنه لو كان الكون قديما على نحو لا متناه لكان يجب أن يكون ميتا الآن، لما كنا اليوم موجودين على ظهر الأرض حتى نفكر فيها[1]، ومن ثم كان من الواضح أن الشيء الذي ينهار بسرعة محدودة لا يمكن أن يبقى إلى الأبد أو يكون أزليا، أي أن العالم يجب أن يكون قد ظهر إلى الوجود في وقت محدود في الماضي، فكل ما له نهاية لابد أن تكون له بداية والعكس صحيح وهو ما يدل على حدوث العالم وإتقان خلقه، ومن كان هذا شأنه فهو مفتقر إلى موجد يخرجه من العدم إلى الوجود وحده لا شريك له. (انظر الشكل رقم 13).

المطلب الثاني: في الأنفس

يقول الحق تبارك وتعالى:﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[2]، وآيات الله في النفس البشرية عديدة ومتنوعة من مكونات الخلية الحركات الجسدية الظاهرة مرورا بوظائف الأعضاء والأجهزة.

ومن الإشارات العلمية في آيات الأنفس في القرآن الكريم التخلق البشري (أطوار الجنين) وبداية الوجود الإنساني والناصية، السمع والبصر، والجهاز العظمي والدورة الدموية، وإلى آخر من الآيات المهمة معرفتها الدالة على حكمه وعلمه جل جلاله وصدق نبيه محمد ﷺ. ومن الأمثلة العلمية على ذلك:

- الناصية والإعجاز العلمي عن الدماغ.
- وبداية الوجود الإنساني وكرامة الإنسان.

الموضوع الأول: الناصية

أ- مفهومها

ورد في القرآن الكريم ذكر الناصية، وهي مقدمة الرأس أو الجبهة[3]، في آيتين في سورة العلق وفي آية في سورة الرحمان حيث ربط الأولى منهم بين الناصية والتحكم في اتخاذ القرار في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾[4]، ووصفت الآية التالية ذات الناصية بالكذب والخطأ في قوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ

---

1 ـــ بول دفيز: المرجع السابق، ص17. الله يتجلى في عصر العلم، ص45. وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص77. وحسن حبنكة الميداني: براهين وأدلة إيمانية، ص229-232.

2 ـــ سورة الذريات :21.

3 ـــ ابن منظور لسان العرب: ج19، ص200.

4 ـــ العلق:15.

كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾[1]، ووصفتها الآيتان الثالثة والرابعة بأنها مكان القيادة في المخلوق الحي وبها جماع أمره إذ يقول الحق تعالى:﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]، وقال:﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[3].

كما أشارت إلى هذا المعنى الأخير أحاديث نبوية شريفة، حيث قال ﷺ: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك...»[4]، وقوله: «أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته»[5]، وقال: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[6].

وفي اللغة، الناصية مقدمة الرأس أو مقدمة الوجه من الوجه أو أعلاه.

وعن ابن الأعرابي:«إني لأجد في بطني نصوا ووخزا» أي وجعا والنصو مثل المغص وإنما سمي بذلك لأنه ينصوك أي يزعجك عن القرار، وانتصى الشيء اختاره، والناصية من ينتصي من القوم أي من اختار من نوهيهم وهم الرؤوس والأشراف[7].

أما المفسرون فذهب جمهورهم إلى تأويل وصف الناصية بالكذب والخطيئة ليس وصفا لها بل هو وصف لصاحبها[8]، وأمرها الباقون كما هي بدون تأويل مثل الحافظ ابن كثير بينما الفخر الرازي أثبت الصفات للناصية كما وردت في الآية وأضاف مبينا: «عرف تعالى الناصية بحرف التعريف كأنه تعالى يقول الناصية المعروفة عندكم ذاتها لكنها مجهولة عندكم صفاتها، ناصية وأي ناصية كاذبة قولا خاطئة فعلا...»[9].

وإذا جمعنا معاني تلك النصوص، وكلام الرازي من المفسرين القدامى والمعاني اللغوية تبين لنا أن كلمة "الناصية" تشير إلى الحقائق التالية:

---

1 ــ العلق:16.

2 ــ هود:56.

3 ــ الرحمان:41.

4 – أخرجه أحمد في المسند وابن حبان في صحيحه.

5 – أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، وأخرجه أحمد في المسند.

6 – أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، ومسلم في الإمارة.

7 – ابن منظور: لسان العرب ج19، ص201.

8 – انظر الطبري، والفتح القدير للشوكاني، روح المعاني للألوسي.

9 – الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج32، ص23.

1 - وصف ذات الناصية وصفا حقيقيا بالكذب والخطأ أي كاذبة في قولها خاطئة في فعلها، أي أن القدرة على التحكم في الأقوال يجعلها كاذبة أو صادقة والقدرة على التحكم في الأفعال يجعلها خطأ أو صواب، مما يجعل هذا الوصف لازما من أوصاف الناصية.

2- ولما كانت الناصية التي تعني مقدم الجبهة، جزءا عظيما من الرأس، لا يوصف بهذه الأوصاف على الحقيقة، وعند التحقيق بدراسة التركيب التشريحي لمنطقة أعلى الجبهة وجد أنها تتكون من أحد عظام الجمجمة المسمى بالعظم الجبهي، ويستتر خلفه محميا به أحد فصوص المخ المسمى بالفص الجبهي أو الأمامي، (Cortex Frontal)، وبهذا يمكن القول بأن الناصية كما تطلق على العظم الجبهي يمكن أن تطلق أيضا على ما يستتر خلفه من الفص الجبهي للدماغ، حيث أنه الجزء والمكان الذي يمكن أن يوصف بهذه الأوصاف وصفا حقيقيا[1]، ويتحقق العمل فيه بظاهر النص من غير حاجة إلى تأويل أو مجاز، كما فعل كثير من المفسرين قديما وحديثا[2] حيث أولوا وصف الناصية بالكذب والخطأ، فجعلوه وصفا لصاحبها.

وتعبير إسناد الوصف أو الفعل لشيء والمراد ما فيه، تعبير شائع في القرآن الكريم، ولا أدل على ذلك قوله تعالى:﴿وَاسْأَلْ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[3] فليس المقصود توجيه السؤال إلى مباني القرية أو إلى ذوات العير، وإنما لسكان القرية ومن فيها والمصاحبين منهم لهذه العير، كما أن مفهوم النص في قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ وقول النبي ﷺ في الحديث (ناصيتي بيدك) يؤكد هذا المعنى حيث تشير النصوص إلى أن الجزء المختص بقيادة الدواب كلها وتوجيهها – وعلى رأسها الإنسان – يخضع لهيمنة الله سبحانه وتعالى وسلطانه، وهذا الجزء لابد أن يكون في الدماغ حيث هو العضو المختص بتسيير شؤون الدواب والسيطرة على تصرفاتها، وبما أن النصوص سمت هذا الجزء بالناصية فلابد أن يشمل الجزء الأمامي من الدماغ الذي يقع خلف مقدمة الرأس أو العظم الجبهي. وبناء على ذلك فإن مفهوم النصوص (كما يقول د.سكر)[4] يتيح لنا القول بأن الناصية بما تحوي من الفص الجبهي للدماغ هي مركز

---

1 – محمد يوسف سكر: الناصية ووظيفة الفص الجبهي للدماغ، ص59.

2 – انظر التفاسير السابقة الذكر، ومن التفاسير المعاصرة: حسن حبنكة الميداني: معارج التفكير ودقائق التدبر، ج1، ص68.

3 – يوسف:82.

4 – الأستاذ الدكتور محمد يوسف سكر: أستاذ علم وظائف الأعضاء بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وكان عميد لكلية الطب بهذه الجامعة وله كتاب باللغة الإنجليزية في وظائف الأعضاء يعد مرجعا في الكليات الأجنبية.

القيادة والتوجيه للسلوك والتصرفات الإنسانية وكذا سلوك الحيوان[1].

3- حرية الاختيار متاحة للإنسان وهي مرتبطة كما يفهم من الآية بالناصية، أي بالفص الجبهي للدفاع، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يمكن أن يتحكم في سلوكه، وفق ضوابط لتصرفات القولية والفعلية، من الصدق والكذب والصواب والخطأ فيكون الإنسان مسؤولا على اختياره وعليه يؤاخذ ويعاقب على الخطأ، لذا جاء في قوله تعالى (خاطئة) لتأكيد هذا الأمر «فالفرق بين الخاطئ معاقب ومؤاخذ والمخطئ غير مؤاخذ»[2]، ولذا قال ربنا سبحانه قبل ذلك الوصف: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾، أي لئن لم ينته عما يقول ويفعل ويتزجر، لنأخذن بناصيته أخذا عنيفا إذلالا وإهانة له، لأن السفع هو القبض والجذب بشدة أو اللطم والضرب وتسويد الوجه، أو إلى أن يسود الوجه، إذ السفع مأخوذ من سفع النار والشمس إذا غير وجهه إلى السواد، وتسويد الوجه علامة الإذلال والإهانة[3].

هذا ما تم فهمه من حقائق من النصوص فماذا قال العلم المعاصر عن ناصية الإنسان والحيوان؟

ب- التفسير العلمي المعاصر

قدم العلم الحديث في تطور عدة حقائق عن ناصية الإنسان ودماغه يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1-حقائق عامة:

1-1- يتكون الدماغ من ثلاث أجزاء أساسية هي المخ والمخيخ وجذع الدماغ، ويتكون كل جزء أساسا من الخلايا العصبية المسماة العصبونات، والخلايا الداعمة المسماة الدبق العصبي، ويشكل المخ 83% من إجمالي وزن الدماغ، ويعد دماغ الإنسان من جهة النظر التشريحية، أضخم ما في المملكة الحيوانية بالنسبة لوزن الجسم، وهناك حيوانات تتمتع بأكبر وزن مطلق للمخ مثل الحوت والفيل وخنزير البحر.

1-2- الفص الجبهي أكبر فصوص الدماغ الأربعة وهي الفص الجبهي في الجبهة والفص الصدغي في الجانب السفلي، والفص الجداري في المنتصف والفص القذالي في المؤخرة وتكون في القشرة

1 – محمد يوسف سكر: المرجع السابق، ص59، وعبد المجيد الزنداني، علم الإيمان، ص257-258.

2 – الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج32. ص24.

3 – ابن منظور: لسان العرب، ج19، ص200، والفخر الرازي: نفس المرجع، ج32، ص23.

المخية الحدود بين هذه الفصوص والشقان الرئيسيان هما الشق المركزي والشق الجانبي[1]. (انظر الشكل 17).

1 -3 – وتعد قشرة المخ هي الوزن أو الحجم الكبير في الدماغ، وتمثل قشرة الترابط أكبر أجزائها حجما، حيث يحتوي كل فص على قشرة ترابط يحلل المعلومات ويعالجها ويخزنها.

وقشرات الترابط هي التي تمكن الشخص من أداء النشاطات التي تتطلب قدرات عالية من التفكير والتحدث والتذكر.

وتتكون النسبة الكبرى من قشرات الترابط ومناطق الربط هذه، من قشرة الفص الجبهي، حيث تستقبل القشرة الحسية الرسائل القادمة من الأعضاء الحسية، وترسل القشرة الحركية في الفص الجبهي الدفعات العصبية التي تتحكم في الحركات الإرادية لكل العضلات الهيكلية[2].

1-4- وهناك ميزة أخرى تتعلق بحجم قشرة الدماغ الجوفية، والتي تتحكم في الوظائف الحركية الغريزية أو الانعكاسية وهي أنها أكبر في الحيوان منها في الإنسان "وهذا يقدم لنا الدليل على أن التحكم في الوظائف الحركية لدى الحيوانات يكون إما انعكاسيا أو موجها بالغرائز أما في الإنسان فتخضع وظائفه الحركية وتصرفاته للوعي والإدراك الموجه من قبل مساحة قشرة الدماغ الشاسعة.

2- الناصية ووظيفة الفص الجبهي

أثبتت الدراسات والأبحاث المعملية المعاصرة الدور الكبير والخطير للفص الجبهي (الناصية) في توجيه السلوك الإنساني، حيث يعد دليلا آليا يهدي اختيارات الشخص نحو البقاء والحفاظ على حياته[3]، وذلك يتجلى من خلال عدة وظائف حيوية للفص الجبهي من أهمها:

2-1- تكون الألفاظ المنطوقة (استعمال اللغة):

إن التحكم في اختيار وتكوين الكلمات استعدادا للنطق بها يظهره الشكل 18 حيث تختار الألفاظ في منطقة التلفيف الزاوي لتنتقل من (منطقة فيرنيك) الواقعة في أعلى التلفيف الصدغي والمسؤولة عن فهم المعلومات السمعية والمرئية إلى (منطقة بروكا) حيث تكون الألفاظ أو الكلمات المنطوقة في الفص الجبهي

1 – الموسوعة العربية العالمية، م.10، ص367-368.

2 – نفس المرجع، ص368.

3 –René BRNEX: "Le scientifique Antonio Damasio: Le cerveau à la recherché de l'ame" p.20.

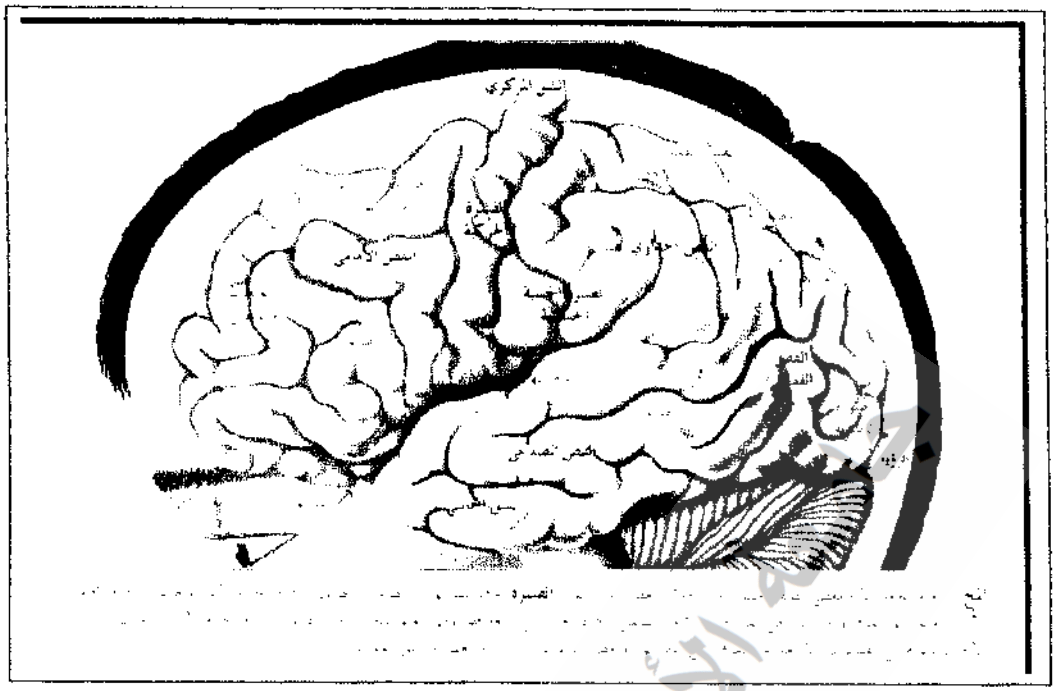

(شكل17-1)

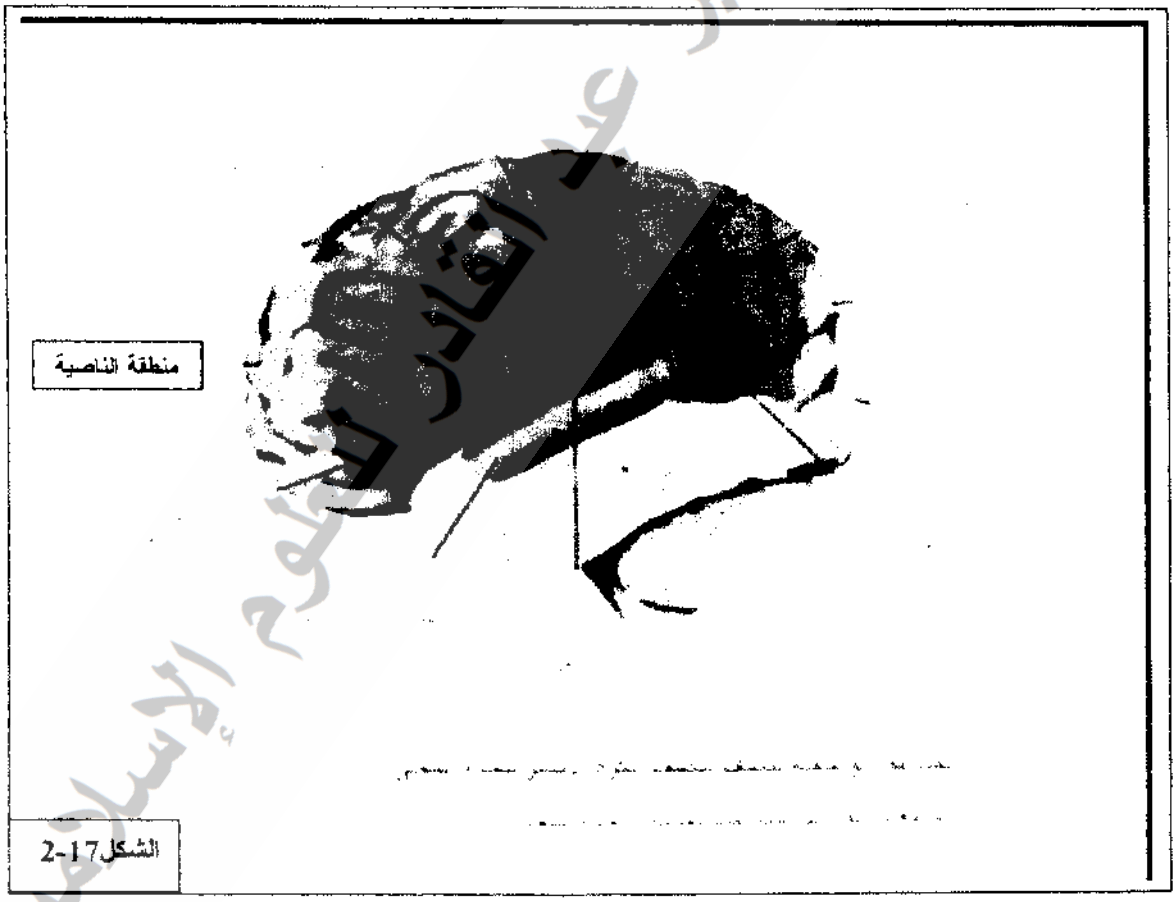

الشكل17-2

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الواقع أمام الجزء الأسفل من القشرة الحركية التي تتحكم في الأعضاء المتعلقة بالنطق[1].

وهذا يدل على أن مفتاح التحكم في الكلمات المنطوقة هو في الفص الجبهي للمخ أي في الناصية، لذلك فليس كل الألفاظ التي ترد إلى الذهن تظهر في اللسان، وذلك لمرورها على مركز تكوين الكلمات في الناصية ومن ثم فالإنسان مسؤول ومحاسب عما ينطق به لسانه طالما يستطيع التحكم في اختيار الألفاظ وأعضاء النطق وعلى رأسها اللسان، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الحقيقة في عدة أحاديث منها: عن سفيان بن عبد الله ﷺ: «قال: قلت: يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال: قل رب ثم استقم، قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: هذا»[2] وحديث طويل لمعاذ بن جبل ﷺ «قال: قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار... قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، قال كف عليك هذا، قلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك !!! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[3]، وقال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها يهوى بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب»[4].

2-2- التوجيه الإرادي للنظر في اتجاه محدد

وهناك أيضا في الفص الجبهي ما يماثل منطقة بروكا من تلفيف القشرة الحركية، وهي منطقة تختص بتحريك العينين، ومنطقة فوقها تختص بتحريك الرأس في حركة دائرية، وكلا المنطقتين توجه وتركز النظر في اتجاه معين وفق حركة إرادية، وهتين المنطقتين توجهان قشرة الحركة الأولية لإدارة الرأس وتركيز العينين في اتجاه محدد، فالتوجيه الإرادي للنظر إذن أو اختيار المشاهد والمواقف المصاحبة لها، يقع في الفص الجبهي أو الناصية[5].

وهذا يتوافق مع ما أشار إليه النبي ﷺ في حديث المؤاخذة على النظر المحرم للمرأة الأجنبية

---

1 – الموسوعة العربية العالمية، ج10، ص372، ومحمد يوسف سكر، المرجع السابق. ص.60.

2 – رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

3 – رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

4 – رواه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق.

5 – محمد يوسف سكر، المرجع السابق، ص.60 وانظر: A.R.DAMASIO, d'aprés R.BERNEX. O.P.cit.p21

حين قال لعلي ﷺ: «يا علي لا تتبع النظرة فإنما لك الأولى، وليست لك الآخرة»[1] وفي رواية قال: «النظرة الأولى لك والآخرة عليك» وقال حين سئل عن النظرة الفجأة: «أصرف بصرك»[2] أي إذا وقع بصره على الأجنبية من غير قصد، فلا إثم عليه وإن استدام النظر أثم، فالنظرة الأولى فجائية فيها تركيز وتوجيه وإنما تقع المؤاخذة على النظرة الثانية الإرادية المحددة والموجهة[3] لذا قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنْ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

2-3- التحكم الإرادي لحركة جميع أجزاء الجسد

«لقد أثبتت الأبحاث أن المناطق الحركية الإضافية والمنطقة قبل الحركية، تعملان باعتبارهما متشتتان للوظيفة الحركية وتخزنان برامج الحركة التي تعد جزءا من التخطيط الخاص ،بتحكم مجموعة معين من العضلات على القيام بحركة طواعية، لذلك فإنه يمكن الاستنتاج أنه كما هو الحال فيما يتعلق بالنطق واختيار الألفاظ وتحريك الرأس والعينين، فإن قشرة الفص الجبهي أو الناصية هي المتخصصة بالتحكم الواعي للقيام بعمل طوعي أو عدم القيام به، مما يتطلب تحريك بعض أو كل أجزاء الجسد»[5].

وعليه أمكن استنتاج كذلك أن التناسق بين حركة النطق وحركات الجسم يقع في الناصية وأن قشرة المخ في هذه المنطقة هي التي تتحكم في سلوك الإنسان، وكذلك ما يسبق هذا السلوك

---

1 — رواه الترمذي وقال حسن غريب.

2 — رواه مسلم عن جرير بن عبد الله في كتاب الآداب.

3 — انظر محمد يوسف سكر، المرجع السابق، ص60.

4 — النور:31-32.

5 — انظر محمد يوسف سكر، المرجع السابق، ص60.

واتخاذ القرارات من تفكير وتذكر يؤديه الفص الأمامي من المخ (الناصية)[1].

4-2 ـــ السلوك الغريزي والفطري والسلوك المكتسب

وقد أثبتت التجارب أن السلوك الإنساني ليس كالسلوك الحيواني توجهه الغرائز فقط، وإنما تسيطر عليه وتوجهه المعلومات والخبرات المكتسبة من البيئة.

حيث هناك سلوك غريزي فطري وسلوك مكتسب، والعلاقة بينهما يمكن مقارنتها بوظائف الحاسوب، فالسلوك الغريزي يمكن وصفه بالبرامج الخارجية الحاسوب.

فالسلوك الغريزي يكون إما انعكاسيا أو موجها بالغرائز بدرجة كبيرة كما هو عند الحيوان أو أقل منه عند الإنسان.

أما السلوك المكتسب فهو السلوك الذي توجهه معلومات مكتسبة من البيئة في قشرة المخ وخاصة في مناطق الربط فيها، حيث تؤدي دورا بارزا ومهما في إمكانات التعلم الهائلة لدى البشر وحيث يوجد كم هائل من المعلومات المبرمجة التي تم اكتسابها وسجلت في الفص الجبهي مركز التحكم النهائي لاستخدامها في النطق لذا سمى أحد العلماء الناصية "المسجل الجسدي" (Marqueur Somatique)[2].

وهذا ما يثبت لنا العلاقة الوطيدة بين الموجدة بين اللغة والفكر خاصة في اعتمادهما على المعلومات الفطرية المخزونة في الفص الأمامي من الدماغ (الناصية)[3].

جـــ الأدلة العلمية على صحة هذه الحقائق

هناك مجموعة من الأدلة العلمية التجريبية والسريرية على صحة هذه الحقائق عن الفص الجبهي أو الناصية، تعددت وتنوعت حسب طبيعة الأبحاث وتعدد مراكز البحث في العالم. ومن أهمها وأشهرها وأكثرها حجية دليلين هما:

الدليل الأول: فصل أو تلف الفص الجبهي يؤدي إلى إضطراب الشخصية في الأقوال والأفعال.

إذ أثبتت الأدلة السريرية (الإكلينيكية) أن تلف الفص الجبهي أو فصله يؤدي إلى فقدان المريض

---

1 ـــ نفس المرجع ص60. والموسوعة العربية العالمية. م10. ص373-374. و Bernex.op. cit.p18

2 ـــ A.R Damasio; D'après R . Bernex.op. cit .p20.

3 ـــ André Bourgnignon et cyrine Koupernik; "Langage et pensée" dans encyclopaedia universalis. T5. P247.

التحكم في سلوكه الاجتماعي والقدرة على استعمال الألفاظ، بل تتغير شخصيته إلى الأسوأ[1]، حيث تنقص قدرته في التركيز وروح المبادرة والتحمل، وعلى حل المشكلات التي تحتاج لقدرة عقلية متميزة، فيغلب عليه التردي في اتخاذ القرارات، كما تتأثر قدرة المريض على الحكم على موقفه فيفقد الشعور بالمسؤولية نحو نفسه وذويه فتغلب على سلوكاته اللامبالاة.

كما يفقد اهتمامه بمظهره الاجتماعي وقد يعاني من هبوط في المعايير الأخلاقية التي تترجم في سلوكات لا أخلاقية، حيث أدى هذا النوع من الإصابة التدهور الاجتماعي لكثير من المرضى حتى وصفوا بالكسل، والتقليد واللامبالاة[2].

ومن أكثر هذه الأدلة، قصة عامل المناجم الذي أخترق ناصيته قضيب حديدي (طوله1.80م) سنة 1848 بالولايات المتحدة الأمريكية إثر حادث انفجار منجم، (انظر شكل19) حيث تعافى بعد الحادث واسترجع قواه الجسدية ووعيه، ولكنه مع مرور الأيام حدث تغير عميق ونهائي في شخصيته، على مستوى السلوك الاجتماعي، حيث أصبح مهملا ومنعزلا ولا مبال وفظا فاحشا بعد ما كان معروفا بشخصيته المسؤولة واجتماعيته وحسن سلوكه، فقد عمله وأهمل أسرته وانتهى متشردا.

وبعد الدراسات والأبحاث المتكررة والمتعمقة من سنة الحادث 1848إلى سنة 1995م[3] من طرف مجموعة من الباحثين تبين أن القضيب المنجمي أصاب الفص الجبهي من دماغ المريض مما أدى إلى تلف منطقة اتخاذ القرارات والأفعال الطوعية والإرادية الإيجابية.

فأخذ حدوث إصابات في هذه المنطقة دليلا قويا على وظيفة قشرة ما قبل الجبهة في التحكم في الجوانب الأكثر تعقيدا في السلوك الإنساني[4].

الدليل الثاني:

نظرا لتطور الوسائل التكنولوجية التصويرية في مجال علم الأعصاب في السنوات الأخيرة أصبح

---

1 -R.Bernex: op.cit. p19.

2 -Ibid.

3 – وهي السنة التي نشر فيها العالم الأمريكي (عالم سيكولوجيا الجهاز العصبي) (neuropsychologue) انطونيو دماسيو A.Damasio نتائج أبحاثه في كتاب " L'erreur de descarte. la raison des emotions" والأستاذ دماسيو مدير قسم الأعصاب بجامعة (ايوا Iowa) وأستاذ بقسم الدراسات البيولوجية بكاليفورنيا، لقبه أصحابه بـ"مهندس سيكولوجيا الجهاز العصبي" حصل على جائزة (بسوا Pessoa) بالاشتراك مع زوجته (هانا) Hannaسنة 1992 وهي أعلى جائزة فكرية بالبرتغال.

4 – محمد يوسف سكر: المرجع السابق، ص 62.

من الممكن قياس تدفق الدم في قشرة المخ أو أجزاء أخرى منه عن طريق النظائر المشعة والرنين المغناطيسي الوظيفي (I.R.M) الحاسوب والماسح (Scaner)[1]، «حيث استخدمت هذه الوسائل في دراسة الوظائف العليا للدماغ خاصة في مجال وظائف أجزاء الدماغ المختصة باللغة التي هي من خصائص الإنسان، وقد تبين من هذه الدراسات أن الفص الجبهي يزداد تدفق الدم في عدة مراكز منه عند التفكير في معاني الكلمات، وعند النطق بها، بينما يزداد النشاط في مناطق الإبصار في مؤخرة الدماغ عند التعرض إلى بعض الحروف كشكل كلمة لا معنى لها»[2] (انظر شكل18).

د- الاستنتاج

وبناء على الدليلين السابقين والنتائج العلمية المتقدمة نصل إلى مجموعة من الاستنتاجات المتعلقة بالناصية:

1ـ إن السلوك الإنساني المكتسب قابل للتغيير والتطوير، عكس السلوك الحيواني الغريزي ويمتلك الإنسان القدرة لإحداث هذا التغيير في سلوكه بناء على خصوصية في اختيار معلوماته واكتساب خبراته وضبط سلوكه، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وقد أثبت القرآن الكريم هذه الحقيقة وبين أنها قانون عام وسنة مطردة في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[3].

كما أشارت السنة النبوية، كما بينت، والقرآن الكريم إلى أن الأشياء المسموعة والمبصرة والمدركة بالفؤاد تصب كلها في محل التحكم في سلوك واتخاذ القرار الذي تنبني عليه المسؤولية كما في قوله تعالى:﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾[4].

2 ـ ثم أن القرآن الكريم والسنة النبوية أشارا إلى حقيقة العلاقة بين المعلومات الفطرية (الفطرة) والغريزة والمعلومات والخبرات المكتسبة وأهميتها في حياة الإنسان من حيث اختيار السلوك واتخاذ

---

1 -I.R.M: Imagerie à resonance magnétique (Bernex: op.cit . p18)

وانظر الموسوعة العربية العالمية، م10 ، ص373-376.

2 - محمد يوسف سكر: المرجع السابق، ص62.

3 ـ الرعد:11.

4 ـ الإسراء:26.

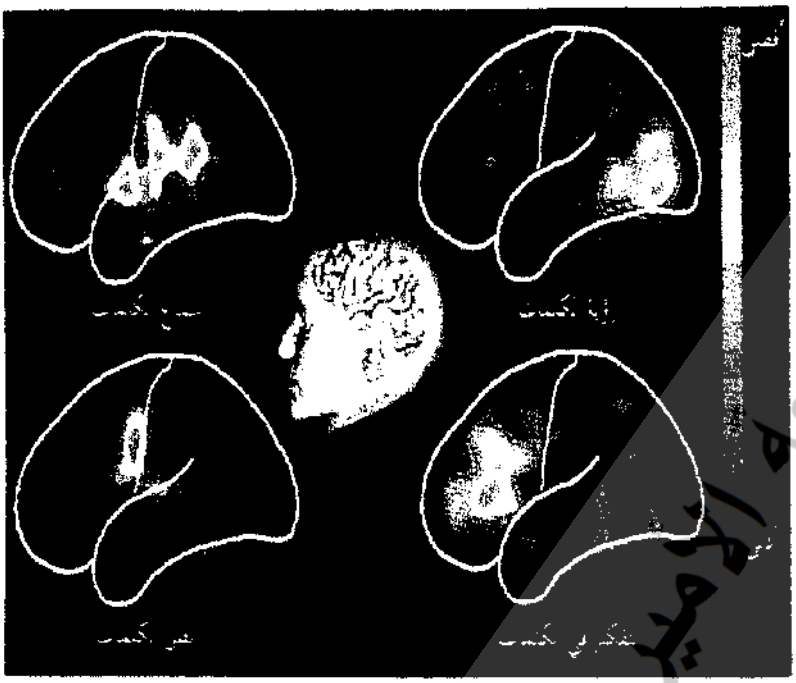

(شكل: 18)

إعادة بناء لإصابة دماغ وجمجمة(العامل المنجمي) بفضل تقنيات الحاسوب.

(شكل 19)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القرارات التي تتم في الناصية، إذ يقول الحق تبارك وتعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[1]، وقال:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...»[3] وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وميزه بالعقل والإدراك وأودع فيه بجانب غرائزه الحيوانية، قدرا من المعلومات الأساسية اهامة سماها الفطرة أو فطرة الإيمان والتوحيد[4].

«فالفطرة على الإيمان والتوحيد تمثل البرنامج الداخلي للدماغ التي تكون قاعدة ثابتة وراسخة من المعلومات المركوزة في نفس الإنسان، تجعله دائما على استعداد للإيمان وطاعة الله، ما لم يشوش عليها أو تطمسها معلومات أخرى مضادة لها أو متعارضة معها مكتسبة من البيئة المحيطة، وهذا ما أشار إليه الحديث: «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» وأشار إليه في الحديث الآخر: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[5] عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا»[6].

بينما تمثل التعاليم التي أوحى الله بها إلى الأنبياء لتبليغها للناس برامج مكتسبة لضبط وتوجيه سلوكهم وهي التي فيها التكليف والاختيار وعليه الجزاء، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[7].

3-كما أنه يمكننا أن نفهم على ضوء هذه المعطيات العلمية مدى أهمية الانفعال في التفكير السليم

---

1 ــ الأعراف:172.

2 ــ الروم:30.

3 – رواه البخاري.

4 – راجع الفصل الثاني من البحث.

5 – فاجتالتهم: أي فاستخرجهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه من التوحيد وجاءوا معهم في الباطل.

6 –رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

7 ــ المائدة:48؛ محمد يوسف سكر: المرجع السابق، ص62.

والقرار الصحيح[1] من خلال تأثير الفطرة في اتخاذ القرار وتوجيه السلوك في موقف الخوف والضيق والشدائد، التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾[2]، وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾[3]، ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾[4]، ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[5]. حيث تسيطر الفطرة السليمة على كل السلوكات المكتسبة المعارضة لها أو الخاطئة مما يبين لنا الدور الإنقاذي الذي تقوم به البرامج الداخلية (الفطرة) في الناصية لحياة الإنسان وتحقيق سعادته.

4 - وخلاصة القول في هذا الأمر، بناء على ما سبق، هي أن الوحي الإلهي (القرآن والسنة النبوية) الذي لم يتبدل ولم يتغير هو بمثابة برنامج مكتسب ومناهج للتحكم والتوجيه لتصرفات البشر أفرادا أو جماعات، بما يحقق مصالحهم العاجلة والآجلة.

كما أن هذا البرنامج المكتسب (الوحي) يتطابق والبرنامج الداخلي (الفطرة) الذي خلقه الله عليه المبرمج في الناصية، حيث ينسجمان ويتناغمان. لأن كل منهما مصدره الخق تبارك وتعالى فهو "له الخلق والأمر" وهذا دليل على عدله وحكمته وقدرته سبحانه وتعالى.

5- ثم أن التحكم في الحركات والأفعال الإرادية وفق ضوابط التصرفات القولية والفعلية في الكذب والصدق والخطأ تكمن في الفص الجبهي. وأن البرامج الحركية تزود بها القشرة الحركية من الفص الجبهي من خلال القشرة قبل الحركية، ومن المعروف أن قشرة الدماغ هي المكان الذي يقوم بجميع الوظائف الواعية والإرادية الحركية، وعليه يمكن القول مع الأستاذ محمد يوسف سكر باطمئنان «أن قشرة الفص الجبهي هي المسؤولة عن إرسال القرار الحركي الإرادي لأجزاء الجسم،

---

1 –A.R.Damasio: op.cit p20-21.

2 ــ لقمان:32.

3 ــ الإسراء:67.

4 ــ الأنعام:63-64.

5 ــ العنكبوت:65.

بما في ذلك حركة اللسان بنطق الألفاظ وحركة الرأس والعينين، لتركيز النظر في اتجاه وغرض محدد، بناء على ما ترسخ فيها من معلومات خارجية أخرى لتوجيه وضبط السلوك والتصرفات.

لذلك يمكن أن نقول: إن حمل أمانة التكليف أو حرية الاختيار للأقوال والأفعال تكمن في الفص الجبهي للمخ أو الناصية والله أعلم»[1].

6-كما أن الإنسان هو كل متكامل لا انفصال بين الروح والجسد وهو ما يبطل مقول ديكارت: «للقلب حججه ومبرراته التي لا يعلمها العقل»

«Le Coeur à ses raisons que la raison ne connait pas »

وجعل الأستاذ (دماسيو) يقلب المقولة كلية ليقول «إن للجسم بعض المبررات التي يجب على العقل أن يأخذها بالحسبان»[2]. مما يحتم علينا إعادة النظر في كثير من الأفكار الفلسفية في نظرية المعرفة، وفلسفة وأخلاق، لكل من كانت وديكارت وغيرهم من الفلاسفة المثاليين أو الماديين الحسيين، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[3] فالسمع والبصر تعبير عن بعض أعضاء الجسد، والفؤاد تعبير عن العقل.

7- ويمكن استنتاج من الناحية العقدية كذلك دليلا على الجزاء الأخروي والعدل الإلهي، إذا علمنا أن الناصية هي المسؤولة عن الأفعال والمواقف الإرادية لأعضاء الجسم الإنساني بما في ذلك حركات اللسان والعينين والرأس وغيرها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4].

هـ- وجه الإعجاز

1-إن ما أثبته العلم اليوم من حقائق حول الفص الجبهي للدماغ الذي يقع داخل عظام ناصية الإنسان، كان بفضل ما توفر من أجهزة متطورة تقدم هائل في الدراسات والأبحاث المعمقة في علم وظائف

1 - محمد يوسف سكر: المرجع السابق، ص63.

2 - A.R.Damasio: op.cit p18.

3 ـ الإسراء:36.

4 ـ فصلت:19-23.

الأعضاء ووظائف الدماغ والفص الجبهي منه،وهو ما لم يكن معروفا للعلماء في زمن الرسول (ﷺ)،بل يعد من المستحيل معرفته، و لم تكتشف هذه الحقائق إلا في النصف الثاني من القرن الماضي(20)،حيث كانت بداية معرفة العلماء بوظيفة الفص الأمامي الجبهي،في عام1848حين أصيب أحد عمال المناجم بقضيب اخترق جبهته،كما بينت في الدليل الأول،واكتشفوا العلاقة القائمة بين الناصية والسلوك الإنساني.

2- وكان الأطباء والعلماء يعتقدون قبل ذلك أن هذا الجزء من المخ الإنساني منطقة صامتة لا وظيفة لها[1] إذ كان الفيلسوف رينيه ديكارت René Decartes (1596-1650) يعتقد أن مركز القيادة المركزية يوجد في الغدة الصنوبرية (pinéale la glande) بينما كان بعض الأطباء يظن أن موقعها هو المناطق الجبهية وما قبل الجبهية[2] إلى أن تم التأكد من ذلك في نهاية القرن العشرين.

3- كما أن أكابر المفسرين اضطروا –كما بينت من قبل– إلى تأويل النص الظاهر بين أيديهم أو تجاوزه لعدم إحاطتهم علما بهذا السر «حتى يصونوا القرآن من تكذيب البشر الجاهلين بهذه الحقيقة طوال العصور الماضية، بينما نرى الأمر في غاية الوضوح في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ في أن الناصية هي مركز القيادة والتوجيه في الإنسان والدواب»[3] وأن وصفها بالكذب والخطأ وما يتبع ذلك لزوما وصفها بصفات الصدق والصواب، هو وصف حقيقي للناصية بصفات سلوكية.

فمن أخبر محمدا ﷺ من بين كل أمم الأرض بهذا السر وبهذه الحقيقة.

إنه العلم الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو شهادة من الله بأن القرآن وحي من عند الله لأنه نزل بعلمه سبحانه وإنه لدليل على أن محمد ﷺ رسول من الله، أرسله بدين الحق رحمة وهدى للعالمين، لا ينطق إلا بنور الله ووحيه، قال الحق تعالى:﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾[4]، وقال: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[5].

---

1 - عبد المجيد الزنداني: علم الإيمان، ص262.

2 - pière Buser: " physiologie générales", dans Encyclopédia universalis, T5, P246 et T16, P232.

3 - الزنداني: المرجع السابق، ص262.

4 ــ النجم:3-5.

5 ــ سبأ:6.

الموضوع الثاني: بداية الوجود الإنساني بين القرآن والعلم المعاصر وآثارها العقدية التربوية

تمهيد

إن الكثير من الناس يؤمن بالتطور (نظرية التطور) وكثير منهم يؤمن بالخلق، والبعض الآخر متردد في إبداء موقفه.

وهذه المواقف المختلفة تترجم أهمية وخطورة السؤال الأساس والأول في حياة الإنسان وهو كيف بدأت وظهرت الحياة على سطح الأرض؟ بل وبالتحديد أكثر، كيف بدأ وجود الإنسان؟ هل يعد نتيجة تطور بطيء مرورا بطور حيوان شبيه بالقرد (animal simiesque) أم كان مخلوقا؟

وباختصار، كيف كانت وجوده على الأرض؟ ثم ما علاقة الإجابة على هذا السؤال بحياة الإنسان (حاضرا ومستقبلا)؟ أي ما أثر اعتقاد أي من تلك المواقف في حياة الإنسان (فردا ومجتمعا)؟

وفي الحقيقة إنّ حاضر ومستقبل الإنسان متوقفان على مدى الإجابة (صحة وعمقا) على ذلك السؤال (من أين وكيف؟) وما يترتب عنه من أجوبة على بقية ما يعرف بالأسئلة الخالدة (إلى أين) ما هو مصير الإنسان بعد الوجود. و(لم) أي لم وجد أو ما مهمته في هذا الوجود؟

وهذا لم ينقطع البحث العلمي الجدي عن البحث عن كيفية بداية وجود الإنسان منذ ظهور وشيوع نظرية التطور على يد عالم الحيوان الإنجليزي تشارلز داروين Charles Darwin(1809هـ-1882)[1]. واستبعد عن البحث موقف الديانات السماوية لكون أطروحتها غير علمية.

ولكن هذا الاستبعاد إن كان صائبا بالنسبة لموقف اليهود والنصارى لمعرفتهم الجيدة لسفر التكوين، فإنه خاطئ بالنسبة لموقف القرآن الكريم لعدم معرفتهم له أو لمعرفة السطحية لبعضهم القليل النادر.

ولقد اعتمدت موقف القرآن الكريم من قضية بداية وجود الإنسان المتمثل في الخلق المباشر المكتمل للإنسان لعدة أسباب أهمها:

1- أن خلق الإنسان - في عقيدتنا الإسلامية وكما بينه القرآن الكريم - غيب عنا فلم يشهد أحد منا كيف خلق حتى نستطيع التحدث عن كيفية خلق الإنسان، بل حتى خلق السماوات

---

1 ــ انظر: تشارلز داروين: أصل الأنواع، ج 1، ص 264 وانظر:

Robert Clarke، la naissance de l'homme، p.p 16-21

والأرض هو غيب، وبالتالي فإن كيفية خلق الإنسان علم اختص به الله سبحانه وتعالى ذاته الكريمة، وفي ذلك يقول الحق جل جلاله: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[1] ومن ثم فلا بد أن نأخذ العلم عن الخلق منه سبحانه وتعالى، فيكون كلام الله تعالى (القرآن الكريم) هو المصدر الوحيد للعلم في كيفية خلق الإنسان.

ثم إن منهج القرآن الكريم في عرض مثل هذه القضايا يجعل لكل قضية غيبية عنا قضية مادية مشهودة تقرب المعنى من عقولنا، ومن القضايا المادية المشهودة ما يحتاج إلى وسائل المشاهدة التي تعد امتدادا لوسائل الإدراك البشرية يصل إليها الإنسان بالبحث والنظر، ولهذا حث الله تعالى الإنسان على البحث والنظر في كيفية بداية الخلق فقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وعليه سنستأنس بما توصلت إليه الأبحاث العلمية المعاصرة في علم الإحاثة la Paleontologie وعلم الوراثة (la genitique) أو بالأحرى ما يسمى بعلم توليد الخلايا (la cytogenitique) وما أحدثه من ثورة في مجال تاريخ الإنسان وحضارته.

2- إن المسيحية واليهودية في كتابهما (سفر التكوين)[3]. الكتاب الوحيد الذي يتحدث عن بداية الخلق، لم يوليا حادثة خلق الإنسان أهمية كبرى من حيث كيفية الخلق ومادة الخلق، وأهمية الخلق، مثلما فعل القرآن الكريم.

ثم إن سفر التكوين مشكوك في مصدره الإلهي فهو كبقية الكتب اليهودية والمسيحية محرف، كما تؤكد ذلك الدراسات الغربية الحديثة (فضلا عن الدراسات الإسلامية) وبالتالي لا يمكن الاعتماد عليه لكونه لا هو مصدر إلهي ولا علمي موثق به، وإنما نكتفي بالإشارة إليه عند الحاجة.

3- إن العلم لم ينجح لحد الآن في حسم قضية بداية وجود الإنسان من حيث الكيف والزمن، حيث تضاربت الآراء والنظريات وتعددت الاكتشافات والنتائج العلمية بين المؤيدين لفكرة التطور والنافين لها، بل حتى التطوريين أنفسهم لم يتفقوا حول موضوع التطور وأصل الإنسان رغم إجماعهم على أن الصدفة هي التي أوجدت الإنسان، وأن الأنواع الحية منحدرة عن بعضها البعض عن طريق

---

1 ـــ الكهف: 51.

2 ـــ العنكبوت: 20.

3 ـــ سفر التكوين: هو أحد الأسفار الخمس للقسم الأول من التوراة تدعي اليهود نسبته إلى موسى عليه السلام.

التطور والتحول إلى أن وصلت إلى الإنسان الحديث العاقل (l' homosapien)، كما سنبينه في البحث.

فعلماء الإحاثة (les paleontologues) لا يزالون يبحثون عن الحلقة المفقودة بين طبقات الأرض[1]، في حين علماء الوراثة المهتمون بأصل الإنسان (التطوريون) ينفون وجود الحلقة المفقودة ويرجعون وجود الإنسان في تطوره إلى التطور الفجائي للنظام الوراثي للكائنات الحية[2] (الطفرة) (mutation).

في الوقت الذي مازال الإنسان يبحث فيه عن نفسه ليبني حاضره ومستقبله ويتخلص مما خلفه من أزمات نفسية واجتماعية واقتصادية وسياسية، نجد القرآن الكريم عرف الإنسان بنفسه من المبدأ إلى الخلق إلى الوظيفة الوجودية إلى المصير، ونبهه إلى أن يجتهد فيما طلب منه، فقال جل جلاله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

كما نبه إلى عدم تضييع الوقت والجهد فيما ضمن له وعرفه به، فقال جل جلاله:﴿مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[4]، لأن عدم امتثال الإنسان لهذه الأوامر والنواهي دليل على انطماس البصيرة المؤدي إلى التهلكة، المتمثلة في الأزمات التي عاشها وما يزال يعيشها الإنسان بحدة أكبر، وفي هذا المعنى قال ابن عطاء الله السكندري في إحدى حكمه: «اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك، دليل على انطماس البصيرة منك»[5].

وبناء على ذلك كيف كانت بداية الإنسان في القرآن الكريم؟ وكيف خلق الله تعالى الإنسان الأول (آدم عليه السلام) في القرآن الكريم؟ وما هي نتائج الأبحاث العلمية في هذا المجال؟ هل أقرت التطور أم نفته، أم مازالت تائهة بين طبقات الأرض والمخابر؟

ثم ما أثر حقيقة خلق الإنسان في حياة الفرد والمجتمع؟ وكيف تسمو العقيدة الإسلامية بالإنسان في الوجود من حيث المنزلة والتكريم لتحقيق الخلافة في الأرض؟

وللإجابة على هذه التساؤلات والإشكاليات سأعالج بالبحث القضايا التالية:

---

1 — Voir science et avenir. n 590. avril 1996.

2 – voir. la recherche. n 297. avril 1997. et n 298 mai 1997.

3 — العنكبوت: 20.

4 — الكهف: 51.

5 — ابن عطاء الله السكندري: الحكم العطائية، الحكمة الخامسة.

أ- بداية الوجود الإنساني في القرآن الكريم.

ب- بداية الوجود الإنساني بين نظرية التطور والأبحاث العلمية المعاصرة.

جـ - أثر عقيدة الخلق القرآنية في حياة الإنسان.

أ- بداية الوجود الإنساني في القرآن الكريم

الإنسان هو ذلك الكائن الحي الذي اجتمعت فيه القوى الجسمانية والقوى الروحانية، هو الكائن الغريب المتميز عن سائر المخلوقات، فهو غريب ومتميز في تكوينه وعلاقاته في سلوكاته وحضاراته، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1]، ثم إنه هو الكائن الوحيد الذي أسماه الله تعالى بوظيفته ومهمته في الوجود وهي «الخلافة» قبل أن يخلقه، فحدد بذلك سبحانه وتعالى ماهيته (الخصائص المادية والروحية المعنوية) فقال جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2]، ولكن هل كان الإنسان أول مخلوق وجودا أم كان مسبوقا بمخلوقات أخرى؟

1 – ما قبل الوجود الإنساني

إن الإنسان كان مسبوقا بأنواع كثيرة من الموجودات، إنما لم يكن من بينها ما هو جامع لمادة وروح معا، إذ أخبرنا القرآن الكريم بأن الإنسان تقدمت من وجوده كائنات روحية عقلية صرفة هي الملائكة والجن، وأخرى كائنات مادية، وهو ما أشار إليه سفر التكوين في إصحاحيه الأول والثاني حيث كان الإنسان آخر ما خلق الله تعالى في اليوم السادس[3].

- أما الكائنات الروحية فقد أخبرنا الله تعالى أن الملائكة وجدت قبل الإنسان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]، وفي قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[5]. وقوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ

---

1 ــ سورة ص: 71-72.

2 ــ البقرة: 30.

3 ــ سفر التكوين: الإصحاح الأول والإصحاح الثاني، الفقرات من 1-7.

4 ــ البقرة: 30.

5 ــ سورة الحجر: 28.

﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾[1]، إذ أعلم الحق سبحانه وتعالى مسبقا الملائكة بأنه سيخلق آدم عليه السلام (قبل الخلق الفعلي) مما يدل على أن الملائكة كانت موجودة قبل الإنسان، وفيما يتعلق بالجن قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ، وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[2]، أي قبل خلق الإنسان، فخلق الجان كما يقول الشيخ الطاهر بن عاشور أسبق لأنه مخلوق من عنصر الحرارة والحرارة أسبق من [illegible][3]

- وأما الوجود المادي فقد أخبرنا القرآن الكريم أن الكون كان عامرا بالكائنات المادية قبل خلق آدم عليه السلام، وذلك تهيئة لوجود الإنسان الذي استدعاه الله تعالى للوجود حتى يكون وجود البيئة الكونية مناسبا لوجود الإنسان كما عبر عن ذلك أبو الوليد بن رشد بقوله[4]: "إن جميع الموجودات التي هاهنا موافقة لوجود الإنسان... أي كونها موافقة لحياته ووجوده"، وهو ما أسماه القرآن الكريم تسخيرا فقال الحق تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[5]، فجميع الكائنات مسخرة لخدمة الإنسان في الكون[6].

ومن الأدلة على أن آدم أول البشر كان مسبوقا بالموجودات المادية:

1- قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[7] وذلك لأن قوله تعالى: ﴿ثم عرضهم على الملائكة﴾ يعني أن الحق عز وجل لم يعرض الأسماء على الملائكة وإنما عرض المسميات، لأن عرض الأسماء يقتضي لغويا القول (ثم عرضها)، ولأن اسم الإشارة الخاص بالجمع (هؤلاء) يدل على أن المعروض كان المسميات وليس الأسماء، فالله سبحانه وتعالى علم آدم سماء الأشياء المعروضة وطلب من الملائكة الإنباء بأسمائها، وهي نماذج الأشياء والأحياء التي

---

1 ــ سورة ص: 71.

2 ــ سورة الحجر الآية 26-27.

3 ــ الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير. ج 14. ص 43.

4 ــ أبو الوليد بن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة. ص 60-61.

5 ــ سورة الجاثية: 12.

6 ــ راجع عبد المجيد النجار: مبدأ الإنسان، ص 75. والطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج 1، ص 399. ورشيد رضا: تفسير المنار، ج 1، ص247.

7 ــ البقرة: 31-32.

يستخدمها الإنسان في حياته الدنيا التي هي مدة الخلافة[1] ومعنى ذلك أنها كانت موجودة قبل وجود الإنسان، وفي اللحظة التي خلقه (الإنسان) فيها علمه العليم الحكيم أسماءها.

2- وكذلك آيات الإعلام الإلهي عن خلق الإنسان مثلا، تدل على أن الأرض وما تحويه وما تحمله وما يحيط بها في السماء (الماء والتراب والطين والحمأ المسنون والصلصال ومصادر الحرارة كالشمس والنار وغيرها...) وبالجملة السماوات والأرض، ومادة خلق الإنسان كلها كانت موجودة قبل حدوث الإنسان. فقال البارئ ﷻ : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾[3]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[4].

فالله سبحانه وتعالى أعد الكون ليعيش فيه الإنسان ووضع فيه كل مقومات حياته قبل أن يخلقه حتى يستطيع أن يقوم بمهمته والغاية من وجوده وهي الخلافة، حيث يقول جل جلاله:﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[5].

ولكن كيف كانت بداية الوجود الإنساني؟ أو كيف وجد الإنسان الأول؟ بل كيف كانت بداية الوجود الإنساني في القرآن الكريم؟

2- بداية الوجود الإنساني

لاستخلاص موقف القرآن الكريم من قضية بداية وجود الإنسان فلا بد أن نستجمع كل الآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان (أي بداية حدوثه). فإن هذه الآيات لا نجدها تحدد كلها في دلالة قطعية مباشرة الكيفية التي خلق عليها الإنسان الأول. ولكننا مع ذلك نجدها انطوت على جملة وفيرة

---

1 ــ فاروق أحمد دسوقي: استخلاف الإنسان في الأرض. ص 7-8. وانظر رشيد رضا: المرجع السابق. ج 1. ص 262.

2 ــ سورة البقرة: 30.

3 ــ سورة ص: 71.

4 ــ سورة الحجر: 28.

5 ــ سورة فصلت: 9-12.

من القرائن والشواهد بلغت من التنوع والكثرة ما يجعلها مؤدية إلى معنى الخلق المباشر للإنسان على صورته الحالية الكاملة وينفي أي معنى من معاني التطور البيولوجي عبر عصور سحيقة.

وحتى نتمكن من استخراج القرائن وتبيانها بطريقة منهجية واضحة، نقسم أولا النصوص التي تتحدث عن خلق آدم أو حدوث الإنسان إلى عناصر أساسية يجمعها قاسم مشترك، ثم نستجلي من خلالها القرائن والشواهد بالاستدلال، وأهم هذه العناصر هي: الإعلام الإلهي بخلق الإنسان، انفعال البيئة الكونية بالإنسان وحادثة الخلق.

ونشير هنا إلى ملاحظتين أساسيتين:

أولاهما: أن آيات خلق الإنسان رغم تشابهها ليس فيها تكرار .

وثانيهما: أن الآية الواحدة قد تكون شاهدا في أكثر من دليل، وهاتان الملاحظتان تدلان على أن هذه الآيات كلها تعبر عن مشروع واحد لا يمكن أن يتعدد هو الإنسان[1].

2 - 1- الإعلام الإلهي بخلق الإنسان

جاء في بعض الآيات إخبار وإعلام مسبق عن خلق الإنسان، وأول هذه الآيات قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ففي هذا الإعلام نلاحظ ارتباط الإعلام بالخلق بالإعلام بالمهمة التي تستند لهذا المخلوق، وهي الخلافة؛ ليكون الإنسان خليفة، والخلافة تتطلب من الخليفة (الإنسان) مجموعة من الصفات المادية والمعنوية، كاستقامة القامة، والجمع بين المادة والروح، وما ينتج عنه من عقل ولغة وحرية الإرادة وتوحيد الله تعالى، والمجموعة في معنى الإنسانية أو الماهية الإنسانية[2] وهذا يعني أن هذه الصفات كانت مقدرة في علم الله الأزلي قبل خلق الإنسان، وعند خلقه بهذه الصفات يكون خليفة.

ولكن قد يقال أنه ربما بين الخلق والخلافة (أي بين عملية الخلق واكتمال الصفات) وقت تطور فيه الإنسان حتى الاكتمال وهو ما تدعيه نظرية التطور وبعض المسلمين التلفيقيين[3] ولكن هذا المعنى غير وارد لسببين:

السبب الأول: يقول البارئ تعالى بعد هذا الإعلان عن خلق الإنسان في المستقبل:

---

1 – عبد الصابور شاهين: أبي آدم (قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة)، ص116.

2 ــ راجع الراغب الأصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة.

3 ــ انظر محمد فريد وجدي: الإسلام في عصر العلم، وبشير التركي: آدم.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ حيث أخبرنا أنه جل جلاله علم آدم الأسماء كلها دون أن نشعر في سياق الآيات بأي فاصل أو تراخ زمني، إذ جاء هذا السياق القرآني في صيغة الماضي (وعلم آدم) بحيث تم الانتقال مباشرة من الحديث عن المستقبل وهو أنه سيخلق آدم إلى الحديث عن اكتمال عملية تعليم آدم الأسماء التي سبقته طبعا عملية الخلق. ثم إن تعليم الأسماء عملية عقلية تقتضي توفر مجموعة من الخصائص والملكات العقلية والجسمية كالعقل ووسائل الإدراك؛ وهذا يدل على أن الإنسان خلق منذ اللحظة الأولى من وجوده مكتملا جامعا ماهيته (خصائصه الإنسانية) ولم يتطور عبر الأطوار الحيوانية والمراحل الزمنية.

السبب الثاني: نستنتجه من قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ،فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1]، وفي سورة ص: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[2]؛ ففي هاتين الآيتين ندرك ونشعر بالاقتراب الزمني بين الإعلام بالخلق والخلق الفعلي؛ بسبب فاء التعقيب في قوله: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، التي تمنع التراخي الزمني[3]، فنستنتج مما تقدم أن الحق تبارك وتعالى خلق الإنسان من طين ونفخ فيه من روحه بصفة فجائية دون فاصل زمني، فكان وجود الإنسان كاملا ولم يستغرق الآماد الطويلة ما بين البداية والنشأة.

2- 2 -انفعال البيئة الكونية بوجود الإنسان

نقصد بذلك ماذا كان من ردود الفعل لما وجد هذا الكائن الجديد (الإنسان)؟ وماذا نستنتج من ذلك بالنسبة لخلقه؟ لقد وصف القرآن الكريم مدى تأثر خلق الإنسان من الفعالات، وذلك من خلال مواقف الكائنات، ونخص بالذكر موقفي الملائكة وإبليس إذ كان هما موقفين مختلفين، لما أعلموا بخلق الإنسان، يدلان على الطبيعة الفريدة لهذا المخلوق الجديد.

●الملائكة: إن طبيعتهم الملائكية المتمثلة في الطاعة المطلقة لله تعالى حيث: ﴿...لَا يَعْصُونَ اللَّهَ

---

1 ـــ سورة الحجر: 28-29.

2 ـــ سورة ص: 71-72.

3 ـــ الفخر الرازي: التفسير الكبير، م 10، ج 19، ص 186.

مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1]، إذا وضعناها في سياق موقفهم من خلق آدم ﷺ، إذ قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، وهو موقف استغراب وتساؤل، نستنتج أن خلق الإنسان أحدث فيهم مفاجأة من حيث جدة وحداثة طبيعة هذا المخلوق وهي الجمع بين المادة والروح، وهذه الجدة هي التي كانت مناطا لأن يكون خليفة، لما قال الحق سبحانه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فإذا كان خلق آدم أحدث فيهم مفاجأة فهذا يدل على أن خلقه كان فجأة أحدث فيهم مفاجأة فكان موقفهم الاستغراب والاستفهام ومن جهة أخرى يدل على جدة هذا المخلوق الذي لم يسبق له مثيل في الوجود وبالتالي كان خلقه ابتدائيا وكاملا «فانفعال الملائكة بمهمة آدم الخليفة - كما يقول الدكتور عبد المجيد النجار- إنما هو انفعال بالطبيعة الفريدة في تكوينه ... ولو كان هذا الإنسان مرتقيا في سلم الاكتمال استجماعا للمادة والروح لكان الملائكة على عهد بطبيعته وعلم بما هو مهيأ له من المهام وعلم بكفاءته لتحمل هذه المهام ولتغير بسبب ذلك رد فعلهم الفجائي بالتساؤل والاستغراب إلى موقف آخر ينبع من العهدية بالإرهاصات السابقة لطور الاكتمال الإنساني»[2].

◆- إبليس: أما إبليس فانفعاله كان يدل على موقف مخالف لموقف الملائكة إذ أنه أبى أن يسجد لآدم واستكبر فعصى أمر الله تعالى، لكنه موقف يدل على نفس المعنى السابق وهو المفاجأة بالجدة إذ أدرك تفرد هذا المخلوق الجديد في طبيعة تكوينه واستغرب باستنكار من طبيعة هذا الكائن فقال ﷻ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[3].

2 - 3- حادثة الخلق

إذا تأملنا التعابير القرآنية التي تصور حادثة خلق الإنسان وجدناها تدل على الطفرة النوعية مستبعدة التحول والانقلاب المتباطئ، ولكن منها ما يدل على ذلك مباشرة ومنها ما يدل على ذلك بطريقة غير مباشرة.

الدليل الأول: الفورية القطعية في حدوث الإنسان

1- قال الله تعالى مقارنا بين خلق آدم وخلق عيسى عليهما السلام:

---

1 ــ سورة التحريم:6.

2 ــ عبد المجيد النجار: مبدأ الإنسان، ص 90.

3- سورة الأعراف12؛ وانظر الحجر: 26 -27، والإسراء 61، ص 73-74.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1]، فعيسى عليه السلام لم يخلق على السنة الكونية إذ عد حالة فريدة في نشأة البشر حيث لم تكن له سابقة متمثلة في الآباء كشأن آدم في ذلك، الذي كان مقطوع الصلة ولم يكن له مثال سابق، فكان وجوده بذلك ابتداء كما كان عيسى عليه السلام غير مسبوق بنظير ولم يكن معتادا، وإنما وجد بمشيئة الله وتكوينه المعبر عنه بقوله: «كن فيكون» الدالة على الفورية القطعية في الخلق وينفي أي احتمال لبعد التطوري.

2-ويؤكد هذه الصفة الفجائية والقدرة الكُلِّيَّة[2] في خلق الإنسان الفخر الرازي (545-606 هـ)، وذلك بكل دقة ووضوح، في تفسيره لقول الحق ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾[3] نجده يحاور بمقالته عصره (القرن السادس من الهجرة)، وكأنه يرد على أصحاب نظرية التطور بصفة عامة. فيقول: "قوله تعالى: (إذا) ... هي للمفاجأة. يقال: خرجت فإذا أسد بالباب. وهو إشارة إلى أن الله تعالى خلق الإنسان من تراب **بكن فكان لا أنه صار** معدنا ثم نباتا ثم حيوانا ثم إنسانا وهذه إشارة إلى مسألة حكيمة وهي أن الله تعالى يخلق أولا إنسانا فينبهه أنه يحي حيوانا وناميا وغير ذلك. **لا أنه خلق أولا حيوانا ثم يجعله إنسانا** فخلق الأنواع هو المراد الأول. ثم تكون الأنواع فيه الأجناس بتلك الإرادة الأولى. فالله جعل المرتبة الأخيرة في الشيء البعيد عنها **غاية من غير انتقال من مرتبة إلى مرتبة**"[4] فنلاحظ هنا كيف يبطل الفخر الرازي مفهوم التطور ويؤكد أن الإنسان خلق بصفة فجائية ومكتمل الخصائص والصفات. فالله تعالى وصف الإنسان بكونه بشر وينتشرون. وكلمة بشر تعني: (مخلوقا ظاهرا مع الحس والجمال) وهي **كلمة** جامدة لا تتصرف تقع على الأنثى والذكر والواحد والاثنين والجمع[5]. **ولم يخاطب** بها الله تعالى أي لم ترد في صيغة الخطاب (يأيها البشر) في القرآن الكريم. وليس لها مقابل في اللغات الأخرى العربية والشرقية. "وكأن لغة العربية استمدت هذه الكلمة من الغيب" كما يقول

---

1 ــ آل عمران:59.

2 ــ مصطلح استعمله الدكتور عبد الصبور شاهين أخذ من قوله تعالى:﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾(سورة يس:82) في كتابه أبي آدم، انظر ص39.

3 ــ الروم: 20.

4 ــ الفخر الرازي: المرجع السابق، ج 13، ج 25، ص 109. وانظر القاموس المحيط، مادة (إذا).

5 ــ ابن منظور: لسان العرب، مادة (بشر).

الدكتور عبد الصبور شاهين[1] وكلمة ظاهر الواردة في التعريف لها مفهومان: الأول: البروز في مقابل الخفاء والتستر مثل الجن والملائكة، وفي ذلك قال الفخر الرازي في معنى كلمة بشر: "فالمراد منه كونه جسما كثيفا يباشر ويلاقي والملائكة والجن لا يباشرون للطف أجسامهم عن أجسام البشر"[2]، والمفهوم الثاني: الاستعلاء والسيادة بما وهبه الله من القدرات والملكات المميزة له كالعقل وحرية الإرادة، فقوله تعالى: "بشر"، إشارة إلى القوة المدركة؛ لأن البشر لا بحركته، فإن غيره من الحيوانات أيضا كذلك[3]، والمفهومان ينطبقان على الإنسان، وهذا يعني أن هذا الكائن (الإنسان) كان من اللحظة الأولى كامل الأوصاف والخصائص الإنسانية، فلم يكن أصله حيوانا ولا نباتا وبالتالي استحق اسم الخليفة.

الدليل الثاني: الخلق وحسن التقويم

لقد بينت لنا عدة آيات أن الإنسان الأول (آدم عليه السلام) كان وجوده خلقا وليس تطورا وفي هذه الآيات مثلا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾[4]، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾[5]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[6]، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾[7]، ﴿... مِنْ تُرَابٍ﴾[8]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[9]، ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[10].

---

1 ــ عبد الصابور شاهين: محاضرات ألقاها في حلقة الدروس الحسنية بالمغرب، رمضان1417 هـ.1996 م بثت عبر القناة الفضائية المغربية.

2 ــ الفخر الرازي: المرجع السابق، م 10، ج 19، ص 186.

3 ــ نفس المرجع: م 13 وج 25، ص 109.

4 ــ سورة ق: 15.

5 ــ سورة طه:54.

6 ــ الحجر: 25.

7 ــ الأنعام: 2.

8 ــ الحج:5.

9 ــ التين:4.

10 ــ الروم:30.

وذلك لأن كلمة خلق في اللغة تعني ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه[1].

وهذا يدل أولا: أن الإنسان أوجده الله تعالى ابتداء وخلقه مباشرة من المادة الجامدة الصماء و لم يمر عبر مراحل في اكتماله من طور بدائي كان فيه أقل اكتمالا إلى طور أصبح فيه إنسانا مكتملا، وثانيا خلق خلقا مستقلا عن غيره من الكائنات الحية متفردا بخصائصه، وليس حلقة من حلقات التطور العضوي في سلم الكائنات الحية، فلم يتطور لا عن قرد ولا عن شبيه بالقرد و لم يتحدر عن موجات متتالية في الاكتمال من إنسان بدائي إلى الإنسان الحالي كما ادعى البعض استنادا إلى ما اكتشفته الحفريات في علم الإحاثة فأولوا بعض آيات القرآن الكريم التي ظاهرها يوحي بالتطور، وفقا لهذه الاكتشافات[2] وفي ذلك يقول الفخر الرازي رحمه الله: «ثبت بالأدلة القاطعة أنه يمتنع القول بوجود حوادث لا أول لها، فإذا ثبت هذا.... ظهر وجوب انتهاء الناس إلى إنسان هو أول الناس غير مخلوق من الأبوين، فيكون مخلوقا لا محالة بقدرة الله تعالى، فقوله ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ إشارة إلى ذلك الإنسان الأول، والمفسرون أجمعوا على أن المراد منه هو آدم عليه السلام»[3].

ومما يدل على أن الإنسان لم يتطور عن أي نوع حيواني ولا إنسان بدائي، وأنه خلق مكتمل الإنسانية (معنويا وماديا)، هو أن الحق تعالى خلق الإنسان الأول (آدم) في أحسن تقويم وأتم مظهره منذ النشأة الأولى فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[4]، أي خلقه في أرقى صورة، و(أل) الداخلة على كلمة (الإنسان) للاستغراق فهي عامة لكل أفراد الإنسان بما فيهم آدم الإنسان الأول، وبالتالي يكون آدم عليه السلام خلق على الصورة التي هو عليها اليوم وهي أحسن صورة وتقويم، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[5]، أي جعلك سويا مستقيما معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال[6] وهو المعنى الذي

---

1 ــ لسان العرب: مادة خلق.

2 ــ انظر موريس بوكاي: ما أصل الإنسان، وبشير التركي: آدم، وانظر دحض هذا التفسير للأستاذ عبد المجيد النجار، مبدأ الإنسان، ص 91-96.

3 ــ الرازي: المرجع السابق، م10، ج19، ص 183.

4 ــ التين:4.

5 ــ الانفطار:6 - 7.

6 ــ محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، ص 251. وانظر ابن كثير: تفسير ابن كثير، ج 4، ص 527.

يؤكده قول رسول الله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»[1]، فالضمير في قوله (صورته) يعود إلى آدم، وهذا يعني أنه منذ خلقه كانت صورته على الصورة ذاتها التي استمر عليها وعرف بها، والتي عليها أبناؤه إلى قيام الساعة[2].

الدليل الثالث: دليل الموت (أو الموت دليل على الخلق)

لقد أخبرنا الله تعالى في كثير من الآيات أنه خلق الإنسان من تراب ثم من الطين وهو الجمع بين التراب والماء ثم الحمأ المسنون وهو الطين إذا اسود وكرهت رائحته، ثم أتت مرحلة الصلصال وهو الطين الذي يترك حتى ييبس فإذا يبس فهو صلصال كالفخار إلا أن الفخار هو ما ييبس بالطبخ بالنار[3] ثم نفخ فيه الله تعالى من روحه، فنجد أن أول عناصر الخلق كان التراب وآخرها هو الروح أو آخر ما دخل الإنسان، ولكننا لم نشهد هذا الخلق أو كيف بدأت حياة الإنسان، إذ قال الله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾[4] في حين شهدنا الموت وما زلنا نشهده وهو نقيض الحياة وعكسها فبالموت المشهود تقرب المعنى من عقولنا عن الحياة الغيبية عنا فقال الحق سبحانه وتعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[5]، وقال: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ﴾[6] أي كما بدأ خلقه من طين يعود إلى الطين.

فأول ما يخرج من الإنسان عند الموت، هو آخر ما دخل فيه وهو الروح، ثم بعد ذلك يتصلب الجسد كالصلصال ثم يصير رطبا كالحمأ المسنون ثم يصير طينا ثم يذهب الماء إلى الأرض ثم تتحلل عناصر الطين والتراب ويعود الإنسان إلى العناصر الأولى التي خلق منها[7].

فبهذه الكيفية يتم الموت ونحن نشاهده وعكسه كانت الحياة الأولى أو خلق الإنسان، ويؤكد ذلك قول المولى تبارك وتعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[8]، إذ لم يكن الإنسان قبل خلقه شيئا مذكورا، بل عبارة عن عناصر لا حياة فيها ثم أحياه

---

1 ــ رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب.

2 ــ البوطي: المرجع السابق ص 251.

3 ــ ابن عاشور: المرجع السابق، ج 14 وص 41.

4 ــ الكهف: 51.

5 ــ الأعراف:29.

6 ــ السجدة:7.

7 ــ محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، ج 1، مكتبة رحاب، الجزائر، بدون تاريخ، ص 214-215.

8 ــ سورة البقرة: الآية28؛ رشيد رضا: المرجع السابق، ج 1، ص 245.

الله تعالى بنفخ الروح ثم يميته بقبض الروح فينحل بدنه بمفارقته إياها ويعود إلى أصله الميت.

فعند تحليلنا لهذه الآية نلاحظ أن الله تعالى قال: [كنتم أمواتا فأحياكم]، فأولا لم يقل كنتم حيوانا أو نباتا، وهذا يعني أن الإنسان لم يكن مسبوقا بكائن حي تطور عنه، وثانيا بدأ الحياة بفاء التعقيب التي تفيد الفورية وتمنع التراخي الزمني، وهذا يعني أن إيجاد الإنسان وبداية حياته كانت فورية فجائية دون أي فاصل زمني يفيد التحول والانقلاب النوعي عبر العصور؛ بينما كان الحديث عن الموت بعد الحياة الدنيا والبعث والحساب بـــ(ـــثم) التي تفيد التراخي الزمني. فتبين لنا أن الموت دليل على الخلق كما يوضحه هذا المخطط البياني:

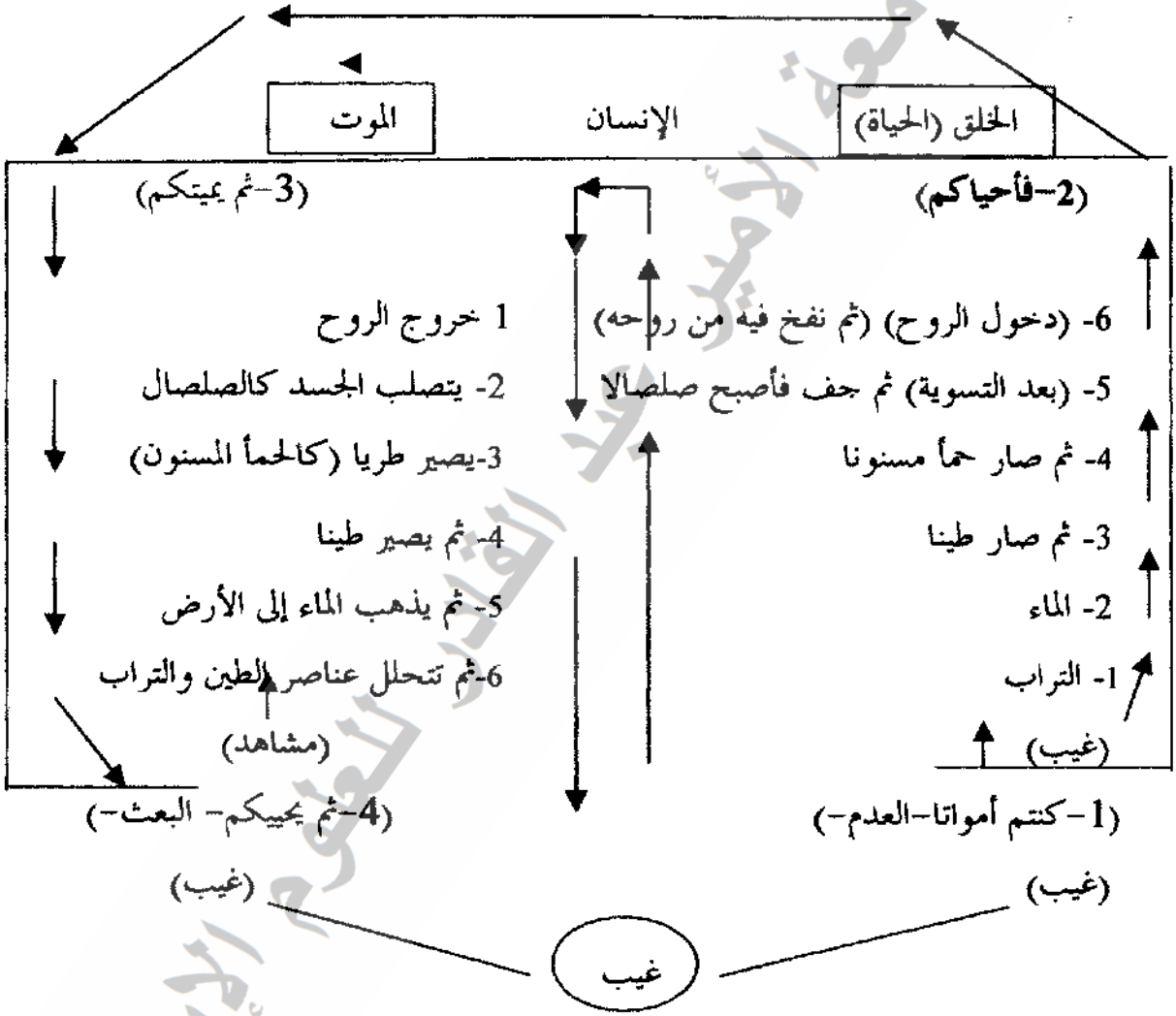

وبناء على ما تقدم من الأدلة على خلق الإنسان، يتبين لنا أن النصوص القرآنية فيها من القرائن والشواهد ما يفيد اليقين القاطع أن الإنسان كان مبتدءا في نوعه، وجد منذ اللحظة الأولى على أتم صورة وأحسن تقويم، بصفة فجائية على غير انتقال أو تطور نوعي.

ولكن إذا كانت نظرية التطور تقول بعكس ذلك فما موقف العلم المعاصر منها ومن قضية الخلق؟

ب- بداية الوجود الإنساني بين نظرية التطور والأبحاث العلمية المعاصرة

حتى يكتمل تصور حقيقة الخلق المباشر للإنسان لابد من عرض مقولة التطور والارتقاء في ضوء التطور العلمي المعاصر. فكيف كانت بداية وجود الإنسان بناء على هذه المقولة؟ وما هي حقيقة هذا التطور على ضوء التطور العلمي المعاصر؟

لقد كتب أحد الباحثين قائلا: "الإنسان هو نتاج تاريخ طويل بدأ منذ ثلاث مليارات سنة، عندما ظهرت على الأرض الأشكال الأولى للحياة متمثلة في كائنات مجهرية غير مميزة ... والتطور هو الذي جعل الكائنات الحية مشتقة من بعضها البعض بناء على قوانين، بدأنا نعرفها أكثر، وذلك في خط متصل من الخلية الأولى ووصولا إلينا. فكل الحيوانات الحية تنحدر من حيوانات أخرى عاشت مدة طويلة نسبيا، ولم يحدث أي كائن حي بنفسه؛ فنحن مدينين بعض الشيء للأميبية، ودودة الأرض، والجعل[1] والكلكنتا[2].

فالإنسان إذا ككل الأحياء هو نتاج التطور... ولكنه آخر حلقة، والمرحلة الأكثر تعقيدا في تسلسل الثلاث مليارات سنة"[3].

والتطور كما عرفه دارون هو: أسلوب في نشوء الموجودات الحية يقوم على الترقي في أشكال الحياة ترقيا يؤدي إلى إنتاج أنواع حية أكثر تعقيدا من سابقتها، كلها يرجع إلى أصل واحد، كما أنه ينطوي على فكرتي التباين أو التنوع (Differanciation) والتكامل (Integration) ويقوم على قانوني الانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي عن طريق الصراع من أجل البقاء للأصلح والأقدر على التكيف[4].

فالكائنات الحية كلها كثيرة التغيير وعديدة الضروب والتنوع والاختلاف وحالات الحياة المتغايرة هذه والاختلاف بين الأفراد من أكبر مقومات التحول، وهي المقصود الأول للتطور[5]،

---

1 ـــ الجعل **Scarabée**: جنس من الخنافس يكثر في المواضع الندية.

2 ـــ الكلكنتا **Le coelacanthe**: نوع من الأسماك القديمة جدا اكتشفت عام 1935.

3 ـــ Robert clarke: op cit، p9.

4 ـــ دارون: أصل الأنواع، ج 2، ص 263، وراجع 149، 257.

5 ـــ نفس المرجع، ج 1 وص 70.

حيث يتغير الحيوان بما يلائم المحيط البيئي الذي يعيش فيه، وهذا التغير لا يشمل الأعضاء فقط بل الصبغيات الوراثية للكائنات كما يرى العلماء المعاصرون[1].

والإنسان لا فرق بينه وبين الحيوان في نظر التطوريين إلا بالكم والدرجة فقط، وما ملكاته العقلية وغرائزه وتصوراته الأخلاقية والدينية إلا نتاج تغيرات بيولوجية مفيدة انتقلت ورسخت في النوع الإنساني بواسطة الوراثة[2]، ولكن هل نظرية التطور أمر واقع وحقيقة من الحقائق كما يدعي التطوريون؟

للتحقق من هذا الادعاء يمكن اختبار نظرية التطور في ميدانين فاصلين مقنعين، يعدان من أهم مستندات النظرية التطورية الحديثة، هما السجلات الجيولوجية (المستحثات)، والطفرات أو التحولات الوراثية (Mutations) والذين يوليهما التطوريون أهمية كبرى، فهل نجحت فيها أم فشلت؟

1- السجل الجيولوجي

السجل الجيولوجي هو ما احتفظت به الطبقات الأرضية من بقايا لأشكال حياة قديمة تدعى (مستحثات Fossiles) متمثلة في هياكل عظيمة وعظام وأسنان أو صدفات وبصمات على الصخور لبعض الأجسام الحية.

وحسب نظرية التطور فإن الكائنات الحية انحدرت عن بعضها البعض بالتحول والتطور، فالأسماك أصبحت برمائيات، والبرمائيات تحولت إلى زواحف، والزواحف تطورت بدورها لتصبح ثدييات أو طيور، وأخيرا الإنسان الذي يكون قد انحدر من بعض الثدييات؛ ولكن لم يشاهد أي عالم من العلماء فعليا كيفية ظهور هذه الأنواع عن طريق التطور، ومن ثم كان لزاما على التطوريين أن يجدوا أدلة وشواهد على ذلك التطور في وثائق المستحثات، وبناء على ما تم العثور عليه من بقايا مستحثات من عظام وجماجم لحيوانات أشباه القردة وعظام أو هياكل عظمية بشرية في طبقات الأرض عبر عصور جيولوجية قديمة، حاول الأنتروبولوجيون وعلماء المستحثات رسم المسار المتدرج لتطور أنواع "البشر الحفريين"، فمن الضروري في نظرهم القيام بالبحث في أعماق التاريخ وتحليل وثائق المستحثات حتى يمكن تتبع الطريق المؤدية إلى الأناس الحفريين أجداد الإنسان وهم القردة أو الحيوانات أشباه القردة: Animaux Simiesques[3].

1- Voir, Bernard Dutrillau et Florence Richard,«Notre nouvel arbre de famille»,pp54-61.

2 ـ عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية، ج 1، ص 474.

3 ـ Donald Gohanson et Maitland Edey: lucy, p 41.

فالقردة العليا التي وجدت منذ 60 مليون سنة انحدر عنها الجد المباشر للإنسان وهو الإنسان الأسترالي (أو إنسان الجنوب) Hostralopitheque (من 3 إلى 2 مليون سنة مضت) الذي تطور إلى الإنسان القادر على استخدام الأدوات homo-habilis والذي تطور بدوره إلى الإنسان المنتصب القامة homo-erectus (من 1,9 مليون سنة إلى 300 ألف سنة مضت) والذي تطور بدوره إلى إنسان نيادرتال homme de neonderthal (من 130 ألف سنة إلى 30 ألف سنة) وبعد انقراضه ظهر بدله إنسان كرومانيون homme de cromagnon (35 ألف سنة) الذي عد أول ممثل للإنسان الحديث homo-sapiens أو الإنسان العاقل[1].

وبناء على هذا النموذج للتطور يظهر الإنسان كآخر صنيع للتطور؛ وكان العامل الأساسي في وجود هذه الكائنات هو الصدفة[2]، إذ يقول دارون: "وغالبا ما ننسب حدوثها (التحولات) إلى الصدفة، على أن كلمة: "الصدفة" هنا خطأ محض يدل على اعترافنا بالجهل المطلق وقصورنا عن معرفة السبب في حدوث كل تحول بذاته يطرأ على الأحياء"[3].

وهكذا قدمت المؤلفات الأنتروبولوجية وكتب علماء الإحاثة, ووسائل الإعلام, وبعض المؤلفين المسلمين المنبهرين بنظرية التطور, تاريخ نشأة الإنسان وتطوره باستنطاقهم للمستحثات, حيث تطور الإنسان المعقد جدا عن القردة الأقل تعقيدا منه, بطريقة انقلابية آلية متدرجة عبر العصور.(انظر الشكل رقم 20-1-2-3-4).

ولكن هذا التفسير التطوري لنشأة الإنسان رفضه كثير من علماء الإحاثة المعاصرين؛ لأن الوثائق الحفرية تبين قفزات تطورية بدلا من تحولات تدريجية ارتقائية, وهذا يعني أن هناك فراغات وهوات بين الأنواع, مما جعل التطوريين يبحثون عن الحلقات المتوسطة أو الأشكال الانتقالية, التي تربط بين الحيوانات أشباه القردة والإنسان. (شكل رقم 21).

ومن ثم فإن فشلهم في العثور عن تلك الحلقات المفقودة – والتي لم توجد أصلا – أدى إلى تنامي التخمين والأساطير في تفسير نشأة الإنسان, وتخيل شكله[4].(انظر الشكل رقم 22)

---

1 ــ بالنسبة لتحديد الفترات الزمنية انظر ملحق التاريخ الكبير للإنسان, مجلة:
Science et avenir: « la grande histoire de l'homme »، n 590, avril 1996.

2 ــ R. Clarke، op. cit, p20.

3 ــ دارون: المرجع السابق, ج 1، ص 264.

4 – وانظر طرق وأساليب التزييفات والتأويلات الخادعة والحيل والخدع والتي سلكها دعاة التطور لتأييد تخميناتهم ونظريتهم،في (خدعة التطور): هارون يحيى, ص59 وما بعدها.

رسم تخطيطي يوضح تطور اشكال البشر.

حلقات مفقودة

(بشكل رقم 4)

4 - ب

المرجع: سوريسن يوكو
عالم انسان
1985

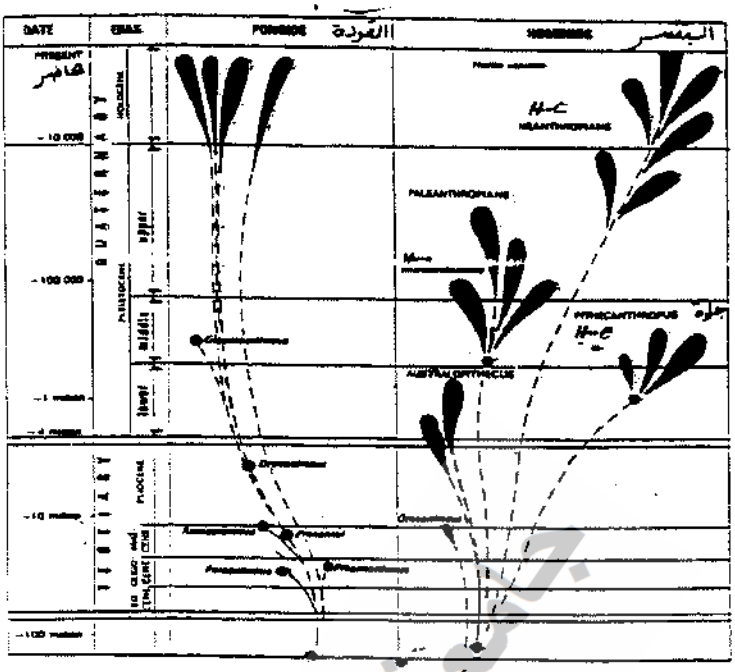

رسم تخطيطي يوضح تطور أشكال «الهومينيدات» كما تراه إي. جنيت فارسين E. Genet - Varcin كما جاء في الموسوعة العالمية لمجلد الثامن عن ٤٩٩ .

وكما هو واضح ، فإن جينيت فارسين تعتبر أنه ابتداء من العقب الثالث (منذ نحو ٦٠ مليون سنة) فإن السلسلة التي نتج عنها الفردة الكبار - يمينة إلى اليسار - والسلسلة التي منها ينحدر اليوم بينة إلى اليمين - منفصلتان تماما عن بعضها البعض . وحتى بالنسبة للفترات السابقة على العقب الثالث فليس هناك من دليل يوحي بوجود الأصل أو السلف المشترك .

(الشكل 21)

L'arbre généalogique شجرة سلالة الانسان

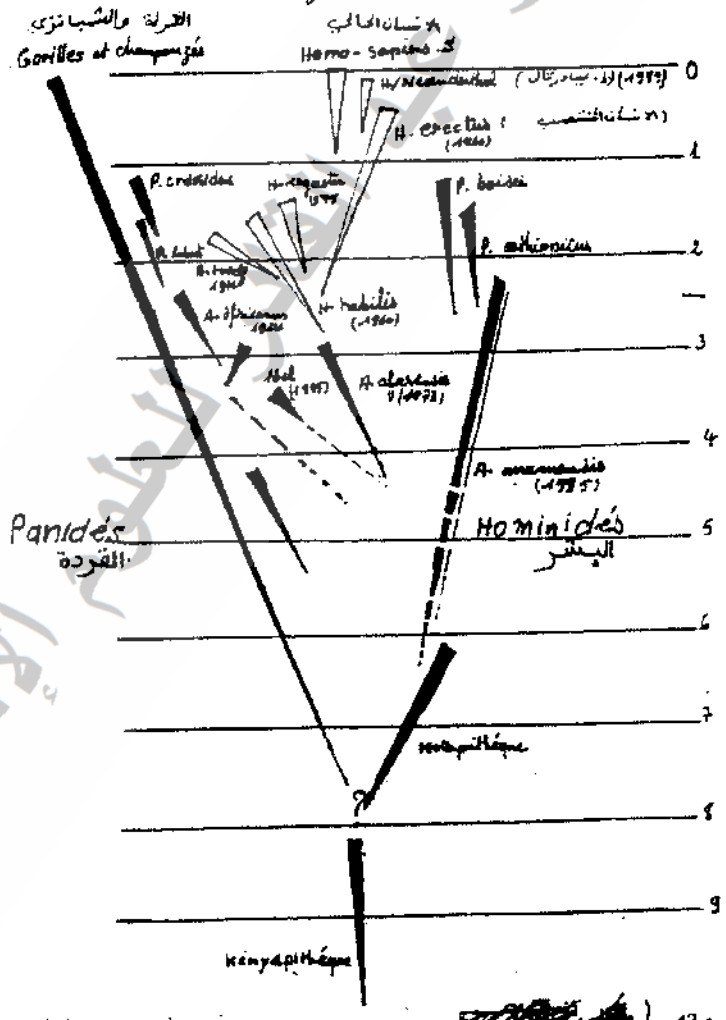

H. Homme = الانسان

P. = Paleanthropes = سلف البشر

(الشكل 12)

SCIENCES et AVENIR
AVRIL 1986

(الشكل 20)

جدول يوضح أعمار المجاهات البشرية الحفرية حسب تطور اكتشافات علم الأحافير.

المجاهات البشرية (البشر الحفري)	التاريخ: قبل سنة 1989م	التاريخ: بعد سنة 1989–1997
الانسان العاقل HOMO SAPIENS-SAPIENS	10 – 25 ألف سنة	30 – 125 ألف سنة
الانسان الحديث (انسان كرومانيون) HOMO SAPIENS	35 ألف سنة	
انسان نياندرتال HOMME DE NEANDERTHAL	35 – 70 ألف سنة	30 – 130 ألف سنة
الانسان المنتصب (انسان جاوة – انسان الصين) HOMO-ERECTUS	400 – 500 ألف سنة	1.9 م سنة – 300 ألف سنة
الانسان الاسترالي AUSTRALOPITHEQUE	2 – 5 مليون سنة	2 – 4 مليون سنة
أسلاف الجنس القرد ANCETRES SIMIESQUES	10 – 12 مليون سنة	10–12 مليون سنة
القردة العليا		أكثر من 40 مليون سنة

□ غياب أحافير (حولت–وفجوات بين المجاهات) عدم وجود أشكال انتقالية بينها

▨ فترات ممثلة بالأحافير

(شكل 20 – 1)

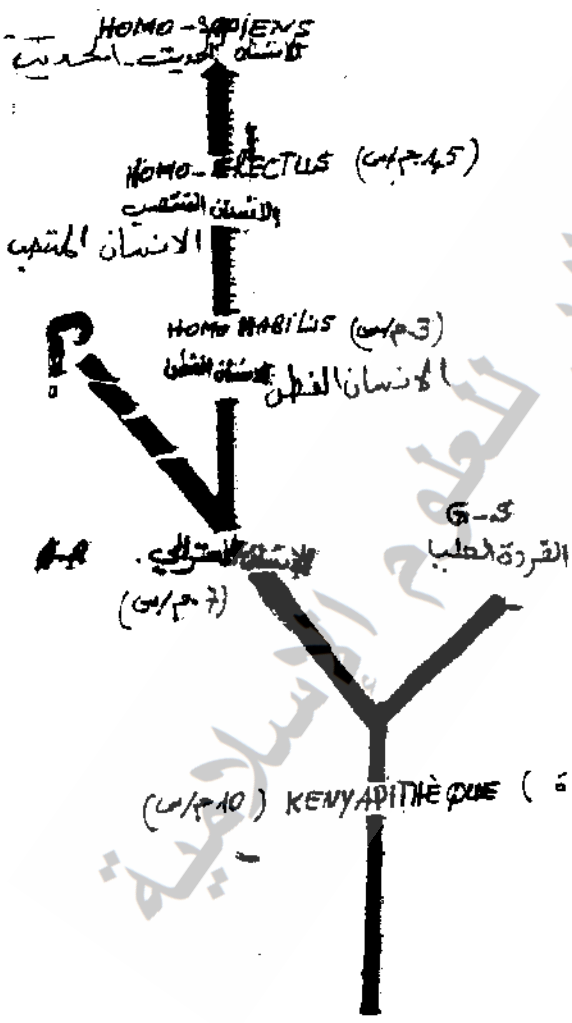

(الشكل رقم 3)

أجداد الانسان (Yves Coppens/N.O-1320-/02-1990)

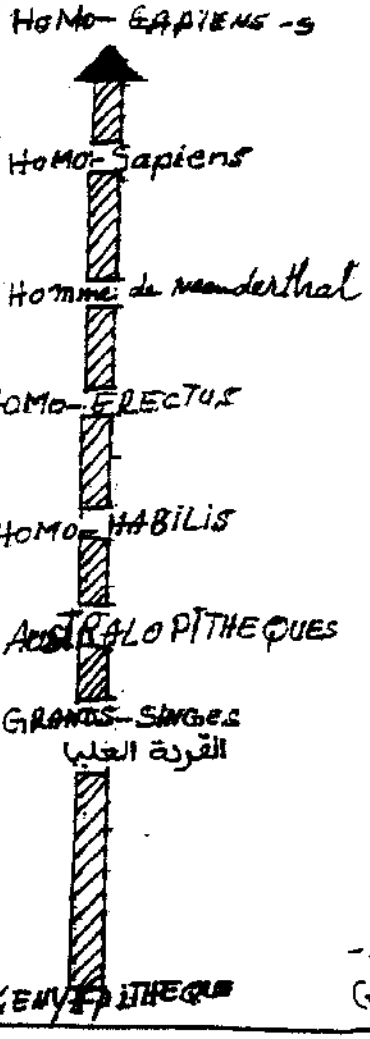

(م/س 20)

شجرة أصل الانسان بناءً على نظرية التطور

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قصة خدعة

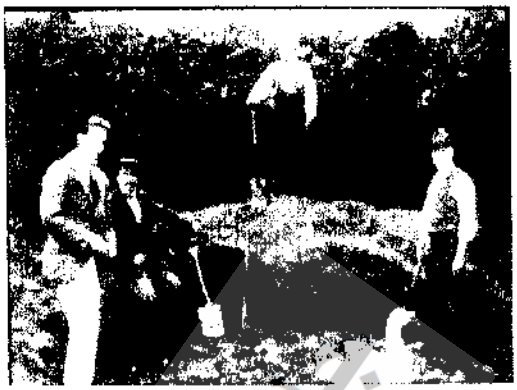

1

أكتشف الحفريات تشارلز داوسن و قدمها إلى السير آرثر سميث ودورد.

2

تمت إعادة بناء الأجزاء لتكوين جمجمة (انسان بلتداون-الإنسان القرد) يمثل الحلقة المفقودة الشهيرة.

3

بناء على الجمجمة المراد بناؤها يتجهز مختلف الرسوم و المنحوتات و تتم كتابة العديد من المقالات و التعليقات.
و الجمجمة الأصلية معروضة في المتحف البوطاني.

4

بعد أربعين عاما من الاكتشاف بينت مجموعة من الباحثين أن حفرية بيلتدون خدعة.

الشكل رقم 22

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهذا الأمر يطرح مجموعة من التساؤلات، لماذا لم تتطور القردة الأقدم وجودا أو الأبسط تركيبا من الإنسان؟ أو لم تنقرض بينما انقرض الإنسان النيادرتالي مثلا الأحدث والأعقد؟ هل كانت أقدر على التكيف وأصلح للبقاء، وهي أقل ذكاء وثقافة وأبسط بيولوجيا وفزيولوجيا؟ ثم كيف ظهر هؤلاء "الأجداد" إلى الوجود؟ ثم هل هو جد واحد أم أجداد متعددون من حيث الأصل الأول؟

1- إن الإجابة عن هذه الأسئلة، تتناقض مع نظرية التطور؛ لأن التطور يعني التباين والتكامل والحتمية أو الصيرورة، بينما ما تقدمه لنا المستحثات ليس متكاملا وليس حتميا، وأن الطبيعة لم تستطع أو لم تعرف انتخاب الأقوى والأكثر تطورا أي الأصلح. ولهذا قال عالم الإحاثة الفرنسي (إيف كوبنس yves coppens): "لا أحب كثيرا كلمة "تطور" لأنها تجعلنا نشعر بشيء حتمي، وهذا غير صحيح، لأنه توجد في العالم أماكن ثابتة جدا (لا تتغير) لا تحتاج فيها الكائن الحي إلى التكيف...و بالتالي لا يتطور"[1] كما أنه لا يعرف العلماء لحد الآن بصفة قطعية كيف ولماذا ظهرت الأنواع البشرية[2].

2- ومما يدل كذلك على فشل نظرية التطور الحديثة في مجال السجلات الجيولوجية قضية إنسان نيادرتال. فلقد كان منذ أكثر من خمسين سنة كائنا منبوذا من طرف العلماء؛ لكونه قريب من القردة لوحشيته وفضاضته وقوة بدنه وحياته النباتية[3] البدائية، هذه النظرية الدنية لبيولوجية وثقافة إنسان نيادرتال، دعمتها فكرة انقراضه، وعدم استطاعته التكيف والبقاء. إلا أنه في السنوات الأخيرة غيرت الاكتشافات الحفرية في الشرق الأوسط تلك النظرة، فعد النيادرتاليون مجموعة بشرية جد معقدة قريبة منا ومختلفة عنا في نفس الوقت، لكنهم (النيادرتاليون) لم يملكوا التنظيم الاجتماعي المعقد الذي سمح للإنسان الحديث من استغلال الكوكب[4]؛ كما بينت آخر الدراسات والأبحاث التي أجريت عن آخر الاكتشافات الحفرية الهائلة التي وجدت في إسبانيا

1 — Gerard petit jean: «et le singe devint homme», entretien avec le paleantologue Yves Coppens, , p6.

2 — Ibid, p6.

3 — Marcel Boul: l'homme fossiles, p240.

4 — Erik Trinkans: les néandertaliens, p 1040 et 1047.

سنة 1989 أن النيادرتاليون بشر عايشوا الإنسان الحديث إنسان كرومانيون مدة 10 000 سنة تقريبا حيث كانوا يتقاسمون نفس الثقافة والتقاليد الجنائزية، ويصطادون نفس الأنواع الحيوانية، وطوروا نفس الأدوات[1]، وهذا يعني بوضوح أنه لم يكن هناك استبدال فجائي لمجموعة بشرية بأخرى[2]، ولم تتطور عن بعضها البعض كما كان يعتقد.

3-كما أنه لا يوجد ما يربط القردة الجنوبية Australopitheque بالبشر لأنها مجرد نوع منقرض من أنواع القردة لكونها كانت تمشي على أربعة أقدام[3].

4- وأن الاختلاف الطفيف للمجموعات البشرية عن الإنسان الحديث الذي كشفته المستحثات تدل بكل بساطة على التنوع الكبير للنوع البشري، (انظر الشكل رقم 23) هذا التنوع الذي نلاحظه اليوم كذلك بين بني آدم، فهناك ذوي القامة الطويلة جدا والمتوسطة، وصغار الحجم كالأقزام pygmees[4]، وذوي الرؤوس الكبيرة والصغيرة، وهذا التنوع هو ما يسمى (الأجناس البشرية)، بل هذا التغير والتنوع نلاحظه حتى في الجنس البشري الواحد وفي المنطقة الواحدة، ولكن كل الأفراد ينتمون إلى النوع الإنساني وليس إلى النوع الحيواني[5].

5-ثم إن التفوق التقني لا يعني تفوقا فطريا، بل تكتسبه الشعوب بعملها وبمدى قدرتها على تنمية قدراتها واستغلال الكون، فلسنا أكثر تفوقا عقليا وسلوكيا من أناس عاشوا قبلنا منذ عشرة قرون، أو أكثر من ذلك بكثير ولكن مجتمعاتنا اليوم هي أكثر تعقيدا من سابقاتها فقط[6].

بل مازال هناك إلى يومنا هذا، مجتمعات يصفها الأنتربولوجيون بالبدائية لبساطة ثقافتها وعلاقاتها الاجتماعية بالنسبة لنا، توجد في أدغال إفريقيا وآسيا وأمريكا واستراليا؛ فالدونية البيولوجية والثقافية لإنسان نيادرتال استبعدها أغلب العلماء المعاصرين، وخاصة علماء الإثنة الفرنسيون[7].

---

1 — Bernard Vendermeerch, d'après‹ Aline Kenerm: «les nouveaux visages de Neandertal» sciences et avenir, p33.

2 — Jean-gaques Hublin, sciences et avenir, (entretien) p34.

3 — يحي هارون: المرجع السابق.ص74.

4 — الأقزام Pygmees: سلالة بشرية ضئيلة، قصيرة القامة، سوداء البشرة، تعيش في إقليم الغابات الاستوائية في وسط إفريقيا (مثل الكونغو) وفي الأطراف الجنوبية من القارة الآسيوية (انظر المعاجم).

5 — sciences et avenir, entretien avec Anne- marie Tillier, p35.

6 — Ibid, « le progrés n'est pas que technique », entretien avec Bernard – Vendermeerch, p96.

7 — Aline Kener: «les nouveaux visages de Neandertal», p32.

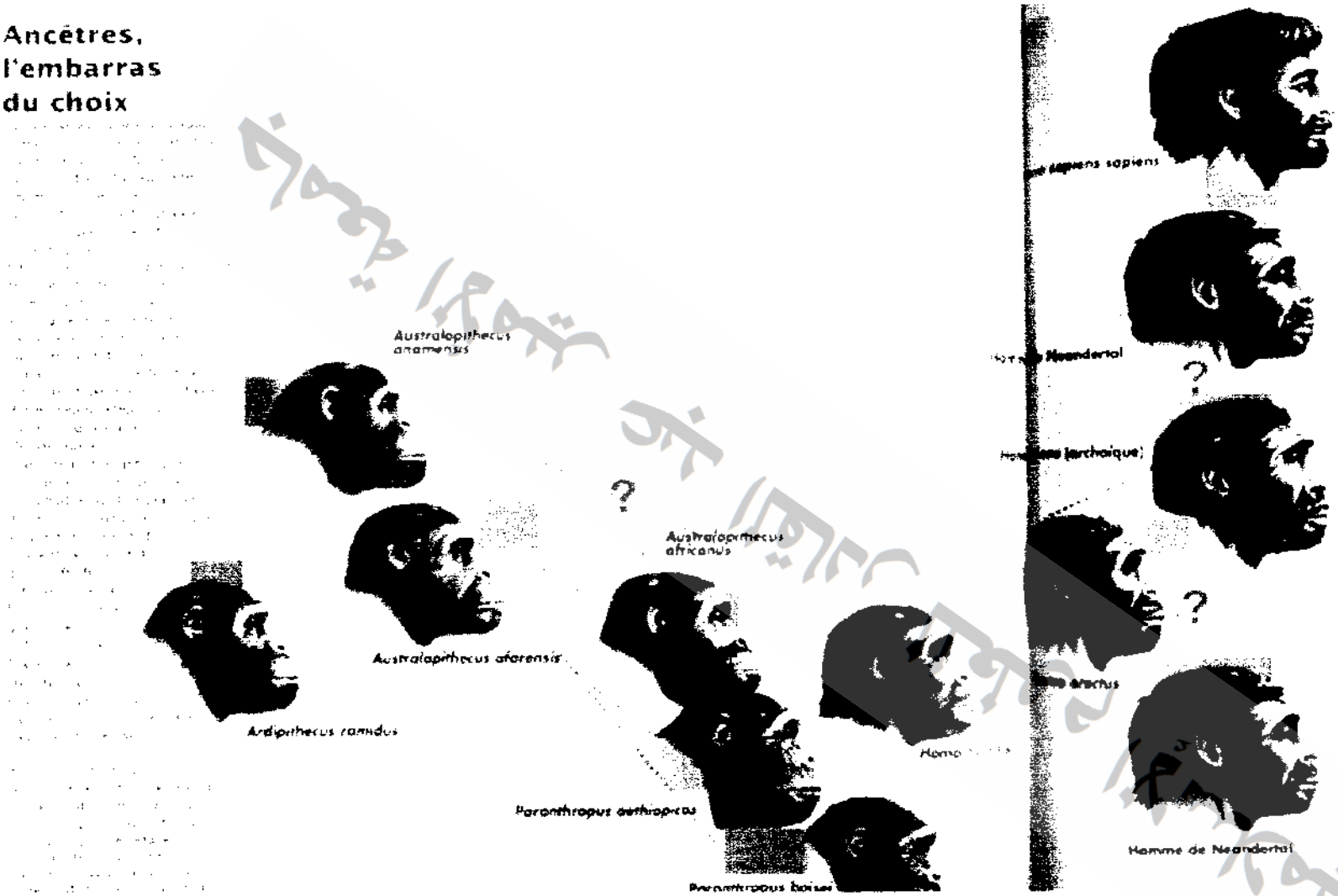

الشكل رقم 23

الصورة بين الإرتباك الذي وقف فيه التطوريون في تحديد الأصل الذي انحدر منه الإنسان،
لحم تطورهم على الحلقة المفقودة التي أثبتت الأبحاث العلمية اسطوريتها.
و نقاط الإستفهام تدل على ذلك.

وخلاصة القول أن المستحثات تبين لنا أن الإنسان لم ينحدر و لم يتطور عن القردة[1] فلكل منهما أصل مختلف منفصل عن الآخر، كما أن الأصناف البشرية الحفرية لم تتطور عن بعضها البعض حتى وصلت إلى الإنسان الحديث (homo sapiens) والإنسان الحالي (homo sapiens- sapiens)، فالحفريات (بقايا العضام) المنسوبة لـ«ـــلإنسان القادر على استخدام الأدوات» Homo habilis لم تكن تنتمي في الواقع إلى مجموع الإنسان، بل كانت تنتمي إلى مجموعة القردة الجنوبية Australopitheque؛ وإنما هي شعوب متنوعة مختلفة ذات ثقافات وتكنولوجيا متقاربة أحيانا ومتفاوتة أحيانا أخرى من حيث التعقيد والتركيب، وليس هناك ما يدل على انقراضها إلى يومنا هذا، فربما تمثلها اليوم بعض الأجناس البشرية الحالية، وربما انقرضت فعليا وأعقبتها شعوب أخرى[2].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[3] وبناء على ذلك ذهب بعض العلماء إلى أن تطور الإنسان ليس تطورا بيولوجيا عضويا، وإنما هو تطور تكنولوجي[4]، ومن ثم لا يمكن مقارنته ببقية العالم الحيواني كما فعل دارون[5].

ومن جهة أخرى فإن هذه النتائج العلمية لا تؤيد ما ذهب إليه كل من الدكتور موريس بوكاي في كتابه (ما أصل الإنسان؟) والدكتور بشير التركي في كتابه (آدم عليه الصلاة والسلام) والدكتور عبد الصابور شاهين في كتابه (أبي آدم)؛ حيث ذهب الأول إلى أن "الأطوار" في قوله ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، محمولة على المراحل التي مر بها الإنسان وهو في طور الإنسانية من إنسان بدائي ناقص إلى إنسان مكتمل، وهذا يعني أن الإنسان الذي خلقه الله، قد تطور من حيث الشكل[6]. ولكن من يكون هذا الإنسان الذي خلقه الله تعالى، أهو آدم عليه السلام؟ أم مخلوق قبل آدم[7]؟

بينما اعتبر الثاني اكتشاف بشر العصور الحجرية إعجازا علميا أيد فيه العلم القرآن الكريم،

---

1 — Yves Coppens. Nouvel observateur.p5.

2 — راجع موريس بوكاي: ما أصل الإنسان؟ ص198-199.

3 — سورة الحجرات: الآية 12.

4 — Yves Coppens. nouvel observateur. p9.

5 — Ibid, p10.

6 — موريس بوكاي: المرجع السابق ص 195 و219.

7 — انظر عبد المجيد النجار: مبدأ الإنسان: نقد تأويل الآية، ص 24.

فالله تعالى ذكر في القرآن عن طريق الملائكة أنه خلق كائنات بشرية في الأرض قبل آدم كانت تفسد في الأرض وتسفك الدماء وذلك استنادا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[2] وغيرها من الآيات[3] والثالث قسم مشروع الإنسان إلى مرحلة «البشر» قبل خلق آدم ومرحلة «الإنسان» بعد خلق آدم؟ ولكن في حقيقة الأمر هناك ملاحظتان:

الأولى: أنه لا يمكن تفسير أو تأويل نصوص القرآن الكريم بناء على نظريات وفرضيات علمية قابلة للتغيير والتطور وليست حقائق علمية، فلا شك أن هذا أخطر ما يعرض القرآن الكريم للهزات الفكرية التي تتراقص بها التجارب الإنسانية في ميادين الظواهر الكونية[4].

الثانية: أن ما توصل إليه العلماء لحد الآن يثبت أن تلك الشعوب "القديمة" – إن صح التعبير – كانت متعايشة لفترات زمنية طويلة ولم تتعاقب زمنيا ولم تنحدر عن بعضها البعض، وليس هناك ما يدل على أن آدم عليه السلام هو ما يسمى:

(Homo spiens-sapiens)[5]، فقد يكون (homo-neondertal)، فهو يشبه الإنسان الحديث العاقل فيزيولوجيا[6]، وإن كان بسيطا تكنولوجيا، واجتماعيا؟

2- الطفرات (التحولات الوراثية) (les mutations)

«تعرّف الطفرات على أنها قطع أو استبدال يحدث في جزيء (A.D.N) الموجود في نواة خلية الكائن الحي والذي يحمل كل المعلومات الوراثية، ويحدث هذا القطع أو الاستبدال نتيجة تأثيرات خارجية مثل الإشعاع أو التفاعلات الكيميائية. وتعتبر كل طفرة «صدفة»، وإما أن تدمّر الطفرة النيوكليوتيدات المكوّنة لجزيء (A.D.N) أو تغير أماكنها»[7].

---

1 ــ البقرة: 30.

2 ــ نوح: 14.

3 ــ بشير التركي: آدم عليه السلام، ص 81، 13، 110.

4 ــ محمد الصادق عرجون: نحو منهج لتفسير القرآن، ص 21.

5 ــ بشير التركي،المرجع السابق، ص 81.

6 ــ Anne – marie Tiller, science et avenir, p35.

7 – هارون يحيى: المرجع السابق، ص29.

لقد حاول علماء الأحياء وعلماء الوراثة التطوريون الإجابة على السؤال اللغز في نظريتهم، وهو كيف تتم بالفعل عملية التطور والتحول؟ وما هي الآلية الأساسية التي استطاعت تغيير كائن حي من نوع معين إلى كائن من نوع آخر؟.

فقالوا إن أساس الآلية التطورية هو التغيرات المتنوعة التي تحدث في جزيء (A.D.N) داخل نواة الخلية، وأهمها التحولات الطارئة والفجائية التي أسموها التحول الوراثي أو الطفرة، إذ تحدث مواليد جديدة مختلفة عن الأبوين ثم يتدخل الانتخاب الطبيعي ليختار الأقدر على البقاء[1]، فالتحولات تمثل أدوات التطور.

ومن ثم فإن المسار التطوري يفرض تراكما بطيئا لتحولات إيجابية وملائمة، وعلى هذا الأساس توجه بعض علماء الوراثة إلى دراسة وتحليل الصبغيات لإعادة كتابة تاريخ الرئيسيات les primates، التي تشمل الإنسان والقردة وذلك عن طريق المقارنة المنهجية بين صبغياتها، فتوصلوا إلى نفي فكرة الأنواع الحية الثابتة؛ إذ النوع هو مجموعة من الأشخاص تتقاسم كليا تقريبا مجموعة من الصفات الوراثية، هذه المجموعة من الصفات ليست هي صفات الأمس تماما، وستعدل كذلك غدا[2]، عن طريق الطفرة وبناء على هذه المقارنة بين الأنواع القريبة لاستخلاص العناصر المشتركة يمكن إعادة بناء مجموعة صبغيات خلية سلفية عادية (coryatype ancestral) لمجموعة أنواع متقاربة كالإنسان والقردة، ومن ثم في نظر علماء الوراثة التطوريين، يمكن رسم بكل دقة الشجرة التطورية لسلالة عائلتنا الكبيرة[3]؛ التي بينت أن أجدادنا المباشرين كانوا بالفعل القردة العليا، إلا أن أهم ما يلاحظ على التطور الوراثي هو أن تلك الشجرة وضعت الإنسان في موضع مبتذل "يتحتم علينا قبوله"[4] كما يقول التطوريون، والذي يحتم علينا قبول هذا الوضع وآلامه هو الحقائق العلمية – في اعتقادهم – التي توصلوا إليها وأصبحت واقعا لا يمكن رفضه! ولكن شجرتهم تلك بينت أن تطور القردة والبشر كان متباعدا جدا إلى درجة لا يمكن فيها اقتراح وجود جذع مشترك بينهما، مما جعلهم يلجؤون إلى الصدفة أو الطفرة لتجاوز فكرة الحلقات المتوسطة التي يئس علماء

---

1 – راجع موريس بوكاي، المرجع السابق ص 77 وما بعدها و: R. Clarke: op. cit, p17.

2 – B. Dutrillaux et Richard: op. cit, p54.

3 – Ibid, p55.

4 – Ibid, p61.

الإحاثة من البحث عنها. وللصدفة دخل كبير في حدوث العوارض والحوادث الصبغية المنتجة للتطور[1] والصدفة تتنافى كليا مع العلم والواقع، إذ هي تفسير لما لا يمكن تفسيره أو فهمه من الحوادث والظواهر فلم لا يكون هذا الأمر الذي لا يمكن تفسيره، هو القدرة الإلهية (كن فيكون)؛ لأن تطور الكائنات الحية بما فيها الإنسان حدث بسرعة كبيرة، بينما نمو وتعقيد عضو واحد مثل عين أو دماغ الإنسان، لا يحتاج إلى تدخل تحول واحد بل يحتاج إلى آلاف التحولات لمدة زمنية طويلة جدا، خاصة إذا تعاقبت الأجيال، وهي مدة تفوق بكثير مدة ظهور الحياة على الأرض[2]. فلا يمكن لأي عقل أن يقبل فكرة كوننا نتاج صدفة وآلية عمياء، ولهذا قال أحد العلماء المعاصرين: "يبدو لي أن تحول الأعضاء في مدة جد قصيرة غير معقول"[3]؛ لأنها تحتاج إلى مدة أطول، وهذا مستحيل ولا تؤيده الحقائق بالنسبة لعمر ظهور الحياة على الأرض بل حتى بالنسبة لعمر الكون كله، ومن ثم فهي وجدت ككل الكائنات مباشرة كاملة بفعل القدرة والمشيئة الإلهية، وهو ما نعتقده، وأصبح يعتقده كثير من العلماء المعاصرين.

ومن جهة أخرى فإن التحولات الوراثية الطارئة ليست صالحة ومفيدة بل هي ضارة ومدمرة في أغلب الحالات بنسبة 999 من 1000، يؤدي حدوثها إلى ظهور كائنات مشوهة أو وحوش، فكل الطفرات التي تحدث في الإنسان تسبب تشوهات جسدية، وعاهات مثل المغولية أو القزامة أو السرطان وتقدم في كتب التطور كأمثلة على أثر آلية التطور[4] (انظر الشكل رقم 24)، كما أن هذه التحولات في حقيقة الأمر إذا حدثت وهي نادرة، تؤدي إلى تعديل في الصفة الوراثية، ولا تنتج ولا تكون شيئا (عضوا أو فردا جديدا)؛ فزيادة أو نقصان إصبع في اليد يعد تشويها لليد وليس ظهورا لعضو جديد؛ لأن الشفرة الوراثية (ADN) أو (الحمض النووي الريبوزي الأكسجيني) لها القدرة الخارقة على إصلاح الأضرار الوراثية الحادثة[5]، مما يساهم في حفظ العضو؛

---

1 — Ibid. p57 - 60 et R. Clarke. op. cit. p17.

2 — R.Clarke. op. cit. p19-20.

3 — Yves Coppens: «notre arbre généalogique : c'est un bouquet », entretien réalisé par Rachel Fleau, science et avenir. p39.

4 — هارون يحيى: المرجع السابق، ص31-32.

5 — Paul Havard-Flander: « pourquoi y- a- t'il si peut de mutants», p102.

الـــــشـــكل رقـم 24

جـــمـيـــع الطـــفرات ضـــارة

1-على اليسار :ذبابة فاكهة عادية (الدروسوفيلا.)
2-على اليمين: ذبابة فاكهة بأرجل ناتئة من رأسها؛ إنها طفرة مستحدثة إشعاعيا.
3-تأثير فادح للطفرات على الجسد البشري؛ و الصبي في الصورة اليسرى هو ضحية حادث الانفجار الشهير لمصنع الطاقة النووية يشيرنوبيل.

سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى و الذي قدّر فهدى

لأن أشرطة ADN تقوم بدور الحافظ للخصائص والصفات الوراثية التي تنقل إلينا عن الآباء[1]. وهو ما أكدته قضية الاستنساخ الوراثي، حيث بين علم الوراثة أنه لا يمكن إنتاج كائن حي جديد، وإنما اصطفاء الصفات الإيجابية وجعلها هي الغالبة[2] بطريقة اصطناعية أي بتأثير إرادي خارجي، في إطار النوع الواحد كان نباتا أو حيوانا أو إنسانا، ومن ثم هل يمكننا الاعتماد على هذه الطفرات الطارئة في تفسير أصل الإنسان ومصيره؟

هل يقبل أي إنسان أن يعالجه جراح يقوم بمئات من الأفعال الخاطئة مقابل واحد صحيح؟! أو كما قال أحد علماء الوراثة هل إدخال سن في ساعة أو عصى في جهاز إلكتروني يؤدي بشيء من الحظ إلى تحسن استعمالها؟! إنه ضرب من المستحيل.

إذن نظرية التطور فشلت كذلك في مجال علم الوراثة، فنتائجه تدعم حقيقة الخلق المباشر المستقل للإنسان وكل الأنواع الحية ولا تدعم نظرية التطور.

و بناء على ما قدمه السجل الجيولوجي وعلم الوراثة نستنتج؛ أن الإنسان خلق خلقا مباشرا مستقلا عن بقية الكائنات الحية، وما تلك المجموعات البشرية "الحفرية" إلا شعوب وقبائل من بني آدم منها ما أباده الله تعالى ومنها ما يزال وفق السنن الإلهية في تطور وتقدم وبقاء الشعوب وحضاراتها، أو تخلفها وزوالها[3] وأنه ينقض مقولة التطور التي لا ترتقي إلى درجة النظرية أصلا، ولن ترتقي أبدا ما دام موضوعها هو تاريخ الإنسان والحياة على الأرض الذي يعد غيبا عنا، ولا يمكن التأكد منه تجريبيا[4] إلا بفتح الباب واسعا أمام التخمين والتوسم والافتراضات، بينما أصل الإنسان ومصيره يحتاج إلى أدلة قطعية مباشرة يقينية تعد الركائز والدعائم التي يستند عليها ليحقق الغاية من وجوده ووظيفته الوجودية وهي: الخلافة بعبادة الله تعالى وإعمار الكون، ومصدر هذا اليقين هو الخبر اليقيني المتواتر[5] القرآن الكريم؛ قال الله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ

---

1 ـــ موريس بوكاي: ما أصل الإنسان، ص 71.

2 ـــ مختار الظواهري: "ليس في الاستنساخ خلق جديد"، ص 33-35.

3 – عبد المجيد النجار:"الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي"ص89-124.وانظر فاروق محمد دسوقي:استخلاف الإنسان في الأرض.

4 ـــ هانز ريشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ص 179.

5 ـــ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية، ص 249.

يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ، لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[1].

وبناء على ذلك ما هي الآثار العقدية التربوية على حياة الإنسان الناتجة عن اعتقاد تطور الإنسان أو تلك الناتجة عن اعتقاد خلقه خلقا مباشرا مستقلا؟ أو ما هي الغاية والفائدة من معرفة الإنسان لأصله ومصيره؟

جـ- آثار عقيدة الخلق ومقولة التطور في حياة الإنسان

إن الإيمان بحقيقة الأصل وكيفية الخلق له أثر كبير على حياة الإنسان، سواء كان أصله خلقا مباشرا مكتملا أم كان خلقه في سلسلة تطور الكائنات، وعلى أساس تلك المعرفة وهذا الأمر يقوّم حياته ويخطط لبناء مستقبله، وهذا الأثر يشمل كل مجالات حياة الإنسان فردا ومجتمعا.

1- الأثر المعرفي

التفسير التطوري لوجود الإنسان تعليل آلي ميكانيكي يجعل من الإنسان نتاجا ماديا (جسما وفكرا وشعورا وغرائز)، وهذا يسد الطريق أمام الأشواق الروحية، ويثبت أن التفكير المادي بكل وسائله هو الأصلح والأصوب وهو الذي يتناسب مع طبيعة الإنسان المادية.

ومن ثم تكون مقولة التطور، أولا: تدعيما وتكريسا للاتجاه المادي الحسي التجريبي في نظرية المعرفة الذي يسقط المصدرين الأساسيين للمعرفة في نظرية المعرفة الإسلامية، وهما العقل والوحي، إلى جانب الحس والبصيرة.

فقد حرص القرآن الكريم على تثبيت وتنفيذ التوازن بين هذه الوسائل والمنافذ المعرفية، والتكامل في وظائفها للوصول إلى الحقائق[2].

وبالتالي كان هذا المنهج المعرفي طريقا للترقي في سبيل التعبد والتعمير، ومن ثم يعمل الإنسان على تحقيق الغاية من وجوده بناء على حقائق وليس بناء على أوهام وفرضيات يجعل من الإنسان

---

[1] ـــ سورة الرعد: 17-18.

[2] ـــ المعهد العالمي للفكر الإسلامي: إسلامية المعرفة، ص89-112.

وحشا جبارا مدمرا فيه لقصور معرفته وسطحيتها متجاوزا ضوابطها.

وثانيا: تنفي وجود الحقائق الشمولية إذ المعرفة بناء على نظرية التطور متغيرة متطورة، لا تثبت على حال، ومن ثم يستحيل بناء أي نظام تربوي أو أخلاقي أو اقتصادي من شأنه تمكين الإنسان من تحقيق غايته من الوجود التي تكون بناء على ذلك ثابتة محددة، فيتيه الإنسان في متاهة الماضي والحاضر والمستقبل مما يدفعه إما إلى القعود والسلبية مذهولا، أو إلى التدمير والتخريب غرورا.

فالمعرفة الحقة لا تتم: "إلا بالتكامل بين أنواع المعارف تكاملا يفضي إلى التوازن الذي يبلغ به الإنسان إلى تعمير مثمر يرشده في الاتجاه المبتغى به وجه الله تعالى"[1].

2- الأثر الأخلاقي أو الشعور بالعدوانية

وضع دارون قانون الانتخاب الطبيعي محكا لقياس التطور الروحي عند الشعوب، وإذا نحن سايرنا منطق هذا القانون انتهينا لا محالة إلى هدم جميع مقتضيات غريزة التعاطف والتكامل والطاعة والولاء والتضحية، لأنها لا تساعد الفرد في نزاعه مع الآخرين أو الجامعة في نزاعها مع غيرها من أجل البقاء[2]، وعندما تعثرت محاولته هذه، انتهى إلى أن الانتخاب الطبيعي يصلح محكا لأخلاق البدائيين والهمج، ويبطل مقياسا لأخلاق المتمدنين من بني البشر، لأنه إتلاف لأنبل جزء في طبائع البشر (المتمدنين)، وهو غريزة التعاطف، فكان من نتائج ذلك تبرير فكرة الغزو والاستعمار وتعزيز وتأكيد أفضلية وقوامة الرجل الأوروبي المستدمر على بقية الشعوب المستضعفة (البدائية) لأنه أهل ومصدر لتلك الفضائل والأخلاق النبيلة التي أتى يعلمها للشعوب الهمجية المتخلفة.

أما (سبينسر ونيتشة) فقد انتهيا إلى أن القيم الأخلاقية تختلف باختلاف زمانها ومكانها، فهي دائمة التغير والتطور.

فوظيفتها عند (سبنسير spencer) مساعدة الفرد على الصمود والبقاء في الحياة ويحقق أغراضها، والشر والرذيلة من القيم ما لا يقوى على النضال وتحقيق أغراض الحياة والبقاء.

وفرويد معجبا بالتفسير الحيواني للإنسان، اعتبر أن حيات الإنسان حيوانية بحتة تحكمه غرائزه

---

1 ــ عبد المجيد النجار: " الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي "، ص 98-100.

2 ــ ماجد فخري: أبعاد التجربة الفلسفية، ص 156.

الجنسية، التي يكمن فيها سر اندفاعه إلى مختلف نشاطاته التي يتكون منها التاريخ والمجتمع، ولئلا تتضرر نشاطاته أو تصاب أعصابه، طالب بضرورة تحرير غرائزه وعدم كبتها، والتخلص من القيود الأخلاقية، لأن التسامي في الأخلاق هو نوع من الشذوذ والكبت المضر بالتقدم الحضاري[1].

بينما (نيتشة nietzsche) جعل مصدر الأخلاق الإنسان وحده[2]، فكان المثل الأعلى عنده هو تأكيد الذات والسيطرة على الآخرين ابتغاء السعادة الفردية، فرفض بذلك القيم التي تفرضها سلطة عليا إنسانية (المجتمع) أو إلاهية كانت، وأرجعها كلها إلى الإنسان، فأكد بذلك الفردية والذاتية وجعل الحقيقة إنسانية متمثلة في (سوبرمان superman).

وتطبيق هذه الفلسفة الأخلاقية أدى إلى تدمير البشرية في الحربين العالميتين السابقتين، واستعباد الشعوب وتدميرها بحجة قصورها الحضاري، ومازالت تطبقها كثير من البلدان اقتصاديا وسياسيا وتربويا، متمثلة شعار فرعون ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾[3] وهو اليوم شعار العولمة والهيمنة الاستدمارية الأمريكية.

بينما الواقع غير ذلك، فالإنسان فرد ومجتمع والإسلام وازن بين البعد الفردي والبعد الاجتماعي في الإنسان، لأن الفطرة لا تستقيم بأحدهما دون الآخر، ولا يكبت أيا منهما ولا يزيله من الوجود.

فالإنسان يمارس وجوده الفردي ومسئوليته الفردية وليس له أن يلقيها في المجتمع لأنها منبثقة من تميزه كفرد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[4]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[5]، ﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾[6].

وهذا الفرد مرتبط فطريا وعمليا بالجماعة يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويهتم بأمر المجتمع، ويسعى في مصالحه ويؤثره على نفسه وينصح له ويتعاون مع أفراده، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى

1- عدي إبراهيم مرتضى: هل الصانع الحكيم حق؟، ص148.

2 ـ توفيق الطويل: الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها، ص 223.

3 ـ غافر: 29.

4 ـ فاطر: 18.

5 ـ المدثر: 38.

6 ـ البقرة: 48.

الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، وقال:﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

فكان الإنسان في العقيدة الإسلامية متوازنا في ميله إلى الجماعة، فيتمكن بهذا التوازن بين البعدين تحقيق وجوده الفردي بترقية قدراته الذاتية وتحقيق وجوده الاجتماعي بعمارة الكون، مبتغيا في ذلك كله وجه الله تعالى المتمثل في تحقيق الخلافة (عبادة وعمارة) "ولعل هذا المعنى – كما قال الدكتور عبد المجيد النجار- هو أحد مدلولات قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3]، فالذكورة والأنوثة إشارة إلى الخصائص الفردية في الإنسان، وتعارف الشعوب والقبائل أي تعاونها إشارة إلى البعد الجماعي فيه، والتقوى التي هي تقدم في الطريق إلى الله إنما تكون من بين ما تكون بالعدل بين هذين البعدين في كيان الفرد"[4].

كما عدل الإسلام بين البعد المادي والبعد الروحي في الإنسان[5]، في مقابل الطغيان المادي الذي يشمل كل حياة الإنسان اليوم الهشة المتدهورة، فالإنسان فطره الله تعالى على ذينك، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[6]، وبما أن لكل جانب متطلبات فطرية تتلاءم مع طبيعته، بين القرآن الكريم منهج تحقيق هذا التعادل بين البعدين فقال جل جلاله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[7] ويقول في سورة الجمعة داعيا المؤمنين إلى تجسيد هذا التعادل في الحياة وتطبيق منهجه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فهذا منهج تحقيق البعد الروحي، ثم يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا

---

1 ــ المائدة: 2.

2 ــ الحشر: 9.

3 ــ الحجرات: 13.

4 ــ عبد المجيد النجار: "الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي"، ص 100-102.

5 ــ نفس المرجع، ص 97-98.

6 ــ سورة ص: 71-72.

7 ــ القصص:77.

فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهذا منهج تحقيق البعد المادي، فهو منهج واحد متكامل يحرص على الحفاظ على التعادل والتوازن بين البعدين.

هذا التعادل الذي يمكن الإنسان من دوام الصلة بالله تعالى ودوام الصلة بالكون بمنهج الله في الاستخلاف (عبادة وعمارة) فلا يتزوي برهبانيته ولا يطغى بماديته.

ثم إن الحقيقة ثنائية وليست واحدة، سواء كان الإنسان مصدرها كما يرى نيتشة ومن يذهب مذهبه أم كانت الطبيعة مصدر كل شيء.

وهذه الثنائية تتمثل في الحقيقة الإنسانية وهي وظيفة الإنسان في الوجود (الخلافة) والحقيقة الإلهية وهي وحدانية الله تعالى الخالق البارئ.

وما نلاحظه كذلك أن الإنسان عند التطورين يسعى ليتخلص من أخلاق الضعف ويحتفظ بأخلاق القوة التي تمكنه من البقاء بتكييف نفسه مع البيئة، ويطلق لها العنان لأنها تتلاءم مع الطبيعة والحياة الطبيعية المادية وهو ما ينمي عنده الشعور بالعدوانية.

بينما الإسلام لم يكلف أحدا أن يتخلص من (هواه)[1] وإنما كلفه بأن يتخلص من سلطانه ويجعله تحت إمرته وشرع الله تعالى، وفقا لقول رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»[2].

والقيم الأخلاقية ثابتة مصدرها الوحي، ومأمور بتطبيعها كلها دون تمييز في انسجام تام، ويتجلى ذلك في قول الحق تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾[3].

فالشدة والرحمة أو الكراهية والحب وغيرها من القيم يصهرها الإيمان في توجه واحد وهو ابتغاء فضل الله تعالى ورضوانه، وهذا يعني أن انتفاء هذا الإيمان المعني برضى الله تعالى يجعل من تلك القيم متناقضات تمزق الكيان الإنساني نفسيا واجتماعيا.

وبناء على ذلك يدفع الشعور بالفطرة الثابتة الموحدة، الإنسان إلى بناء حياته على قيم ونظم

---

1 ــ عبد الفتاح عبد الله بركة: في التصوف والأخلاق، ص 33-38.

2 ــ ذكره المناوي في فيض القدير، وقال: خرجه الحسن بن سفيان. وقال ابن حجر: ورجاله ثقات، وصححه النووي في الأربعين.

3 ــ الفتح: 29.

ثابتة[1] تضمن له بعناية المولى تعالى السعادة في الدارين الدنيا والآخرة.

3- الإنسان والبيئة: أو الشعور بالدونية

إن تأثر الإنسان بما حوله واضح، ولكنه يستطيع التغلب على البيئة وتكييفها كما تدل الوقائع والأحداث على ذلك عبر العصور، ولكن مقولة التطور ترى أن الإنسان مكره على موافقة البيئة، والتكيف معها لضمان بقائه وتطوره بصفة حتمية مستمرة، فالبيئة (الطبيعة) هي الفاعلة المتصرفة والخالقة، والإنسان عاجز منهزم أمامها، خاضع لها، وبناء على ذلك بقيت شعوب وانقرضت أخرى، كما تسيطر اليوم شعوب، وتباد أخرى لعدم قدرتها على التكيف، مثل كل بقية الكائنات.

ولكن القدرة على التكيف صفة كامنة في تكوين المخلوقات وتولد معها لا صفة متطورة تكونها البيئة[2]، وهذا ما يفسر بقاء أغلب الكائنات الحية إلى يومنا هذا، وبقاء الشعوب رغم اندثار حضارتها أو تدهورها.

وهذا التصور المادي للعلاقة بين الإنسان والطبيعة يتنافى مع عقيدة التسخير التي تقرر أن الحق سبحانه خلق الكون كما خلق الإنسان وسخر الكون للإنسان، وتجعل وجوده موافقا لوجود الإنسان الذي يسعى إلى تكييف البيئة واستثمارها، أي إخضاعها لتحقيق حاجاته.

وبالتالي يكون هو الفاعل المتصرف والسيد في الكون وتكون الطبيعة منفعلة خاضعة، ومن ثم يتمكن من عمارة الكون وتحقيق الخلافة، فيشعر بالاستعلاء النفسي الذي يخلصه من الوقوع في سلطان الطبيعة، فلا ينعزل عنها تهيبا منها، ولا يزهد فيها لليأس من ثمرتها ونفعها[3]، ولا يدمرها رغبة في السيطرة عليها ولأنانيته.

وهذا يدل على عناية المولى ﷻ بالإنسان وقدرته سبحانه، وهو ما سماه أبو الوليد ابن رشد (بدليل العناية) على وجود الله تعالى[4].

4- مكانة وقيمة الإنسان في الوجود

إن مقولة التطور تهدر من قيمة الإنسان وكرامته في الوجود إذ تساوي بينه وبين الحيوانات في

---

1 ـــ عبد المجيد النجار: مبدأ الإنسان، ص 128-129.

2 ـــ عبد المجيد الزنداني وآخرون: توحيد الخالق، ص 363.

3 ـــ عبد المجيد النجار: مبدأ الإنسان، ص 125.

4 ـــ أبو الوليد ابن رشد: مناهج الأدلة، ص148

الغرائز والسلوكات وتضعه في سلم قيمي واحد، فهو كائن مادي، وما فيه من عناصر روحية معنوية، ما هي إلا امتداد للجانب المادي أو امتداد لغرائز الحيوانات السابقة عنه في سلم التطور.

بينما القرآن الكريم كرم الإنسان وفضله على سائر الكائنات وجعله خليفة في الأرض، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1].

فقد كرمه الله تعالى بترقية الخلق، إذ خلقه ونفخ فيه من روحه، خلقه في أحسن تقويم مادي ومعنوي، كما شرفه بالتكليف والعبادة له وحده جل جلاله، وأنعم عليه بطمأنينة الخلود في عقيدة الإيمان باليوم الآخر[2].

فينتمي ذلك في الإنسان قوة الإحساس بالوجود والإيمان بالنفس، مع دوام صلته بالله تعالى حامدا شاكرا إياه على نعمه وكرمه.

كما فضله عن بقية المخلوقات بأن سخر له الكون؛ فكان مستعليا عليه دون طغيان أو تدمير لما يستشعره من وحدة بينه وبين الكون على مستوى المآتي والمصير والتكوين، فلا يصارع الطبيعة ولا يعاديها ولا يخافها وإنما يحقق التوافق والتناغم والانسجام بين الكون ككل وبينه.

فهو إعداد نفسي قرآني ينطوي على نسق تربوي يأخذ بيد الإنسان نحو التفاعل الإيجابي مع الكون[3] لتحقيق العمارة والعبادة ركيزتا الخلافة، فيكون بذلك سيدا على كل شيء سوى الله تعالى وعبدا لله وحده لا شريك له.

الخـــاتمة

لقد بين العلم المعاصر أن فكرة التطور تلاشت بمفهومها المادي العضوي، ولم يعد الإنسان يحتل قمة ذلك السلم القيمي ولا يشارك فيه بقية الكائنات الحياة، فأصبحت حيوانية الإنسان هذه الفكرة الخرافية الفرضية المبتذلة منبوذة، لعدم انسجامها مع حقيقة الإنسان ماهية وقيمة وجودية. فهو كائن

---

1 ــ الإسراء: 70.

2 ــ عبد المجيد النجار: " الإنسان والكون في التربية القرآنية "، ص ....؛ و انظر لنفس الباحث: قيمة الإنسان.

3 ــ عبد المجيد النجار: خلافة الإنسان بين العقل والوحي. وانظر: الإنسان والكون في التربية القرآنية.

عاقل متميز مستقل من حيث الأصل والصفات، ولعدم تدعيم الشواهد العلمية والواقعية لها.

وهو ما جعل عقيدة الخلق المباشر المكتمل المستقل للإنسان كما بينها القرآن الكريم بكل قطيعة ويقين ووضوح، تكون هي الراجحة لاعتمادها على الدليل العلمي وهو الخبر اليقيني المتواتر الذي مصدره الله تعالى الخالق للإنسان العالم بخلقه.

هذه العقيدة التي تؤكد حقيقة أصل الإنسان تبنى عليها بقية الحقائق الإنسانية مصيره ووظيفته في الوجود.

فيتسنى له وفق النسق العقائدي الشمولي (تكريما ورفعة ووحدة وتسخيرا)، وقدراته الذاتية تحقيق الغاية من وجوده؛ وهي الخلافة، مبتغيا مرضاة الله تعالى متجاوزا في نفس الوقت مضيعة الجهد والوقت والوسائل، متجنبا الوقوع في الأزمات والكوارث التي عانت منها البشرية ومازالت معرضة لمواجهتها اليوم وغدا إذا بقيت على ضلالها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

الاستدلال على عدل الأمر الإلهي

تمهيد

إن مشكلات الإنسان الحضارية تنشأ عن طبيعة علاقة الفرد بغيره وعلاقته بربه، والتشريع هو الذي يحدد هاتين العلاقتين على أساس من العدل والإنصاف.

ولكن تجارب الأمم عبر التاريخ والتطور العلمي عبر العصور وفي مختلف الميادين والمخابر، أثبتوا أن الإنسان لم يفلح إلى الآن في الكشف عن دستور حياته ومن ثم التشريع سلوكاته لتحقيق سعادته، وأن التشريع الإلهي هو أعدل التشريعات وأنصفها وهو الحق لأن مصدره الحق الخالق والآمر. فكان على الإنسان أن يعده كذلك (حقا) ويعتده الكلام الأخير في الموضوع، الذي لا كلام بعده، وتلك ميزة هامة في التشريع الإلهي، لا يستطيع الإنسان أن يأتي ببديل عنها[1].

وهذا التشريع فيه وفاء لحاجات المؤمنين به من حيث نظام العبادات والمعاملات والجنايات وغيرها، وكل ما تحتاج إليه الإنسانية في تدبير شؤونها الداخلية والخارجية، فكان غنيا عن غيره، مفتقرا غيره إليه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[3].

وهذا التشريع هو الأمر الإلهي المتمثل في مجموعة أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والأحكام هو ما بينه الله في كتابه وسنة رسوله، أو بين أصوله من النظم التي يجب اتباعها في تنظيم علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بأخيه الإنسان، وتشمل أحكام العبادات وأحكام المعاملات (المالية والأحوال الشخصية) وأحكام العقوبات (كالجنايات والجرائم) وأحكام السياسة الشرعية.

وأحكام الشرع الإلهي إما أمر بمعروف وإما نهي عن منكر. وإما تحليل طيب، وإما تحريم خبيث.

وهدف هذه الأوامر إما تحصيل منفعة وإما دفع مضرة، وامتثالها يتغيى ويستهدف:

---

1 – وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى: ص 213 – 223.

2 ـــ النحل:89.

3 ـــ العنكبوت:51.

إعداد الفرد بدنيا، وعقليا، وخلقيا، بواسطة التربية والتعليم، وهو (استخلاف الترقي الفردي) في فقه التحضر الإسلامي أو فقه الاستخلاف كما أسماه الأستاذ عبد المجيد النجار[1] مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2].

تحقيق مصالح الناس بإقامة العدل بينهم، وهو (استخلاف الترقي الجماعي)[3] مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[4].

وحفظ كليات الشريعة ومقاصدها وهي الدين والعقل والنفس والنسل والمال، بل وحتى الحرية، فالمحافظة عليها فيها الحفاظ على المصالح الفردية والمصالح الاجتماعية العامة، التي هي قوام الأمة.

كما أن المحافظة عليها يناسب الفطر، ويساير العقول، ويجاري التطور، ويصلح لكل زمان ومكان، كما سأثبته لاحقا، وهذا هو (استخلاف الترقي المنهجي)[5].

ومخالفة هذه الأوامر يضيع تلك المقاصد والأهداف، وبضياعها يفقد الإنسان سعادته وطمأنينته فتكون معيشته ضنكا، مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[6].

حيث يعاني بمعصيته لأمر الله تعالى المصائب والأمراض التي توعده بها الله تعالى، فكان هذا التوعد والإنذار من المعاني التي تشير إليها الآية الكريمة: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[7].

ولابد أن أؤكد أن فيما فرض الله على خلقه وشرع لهم من أحكام في العبادات والمعاملات، حكما وأسرارا ومصالح، تعود على العباد بالخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

---

1 - عبد المجيد النجار: "الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي". ص95-102.

2 ــ الجمعة:03.

3 - عبد المجيد النجار: "الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي". ص102-108.

4 ــ الحديد:25.

5 - عبد المجيد النجار: "الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي". ص108-124 وانظر السيد سابق: عناصر القوة في الإسلام، ص176-177.

6 ــ طه:124.

7 ــ فصلت:53.

وقد ذكر أهل العلم "أن الأصل في العبادات التعبد بها والمعاملات العمل بها، وإن لم تدرك أسرارها أو تعرف حكمتها، إذ الأصل في المسلم أن يتمثل الأمر ويجتنب النهي تعبدا لله وخضوعا، إجلالا له سبحانه وانقيادا لحكمه.

بيد أن من العبادات والمعاملات والأوامر بصفة عامة ما تظهر لنا حكمتها وتعرف أسرارها، فإذا ظهرت للعبد ازداد يقينه، وقوي إيمانه، وعلم أن الله تعالى لا يأمر إلا بما فيه سعادة العباد وصلاحهم في عاجل أمرهم أم آجله[1].

وهذا هو عين ما يبينه الإعجاز العلمي التشريعي في القرآن والسنة، الذي سأعرض لبعض الأمثلة عنه.

المطلب الأول: الطهارة والطب الوقائي

يختلف الإسلام عن كل الأديان (السماوية والوضعية) في أنه قد جاء للدين والدنيا معا، فكما شرع نظما للحكم وأخرى للعلاقات الاجتماعية والاقتصاد والأخلاق، وضع منهجا فريدا متكاملا لحفظ الصحة البشرية، فكان الدين الوحيد الذي جاء بدستور ينظم مهنة الطب والعلاج وصحة المجتمع (بالطب الوقائي) والسابق به المعارف الإنسانية.

والطب الوقائي في الإسلام يقوم على الأسلوب الإيماني في إيجاد المجتمع الصحي، وهو أسلوب يقوم على ربط التعاليم الصحية بعقيدة الأمة، والاستفادة من تأثير الإيمان والتزام الناس الأحكام العقدية وطاعتهم لأوامرها، وتضحيتهم في سبيل نصرتها، في إلزامهم باتباع الأوامر الصحية.

ومن أهم تعاليم الإسلام الطبية وأبرز بنود دستوره الصحي:

1 ـــ أوامر في صحة البيئة الإسلامية ونظافتها (نظافة الفرد والمحيط)

Sanitation and personal hygiene.

2- أوامر لمنع الأمراض المعدية Epidimiology.

3 -أوامر في مكافحة القوارض والحشرات والحيوانات الناقلة للمرض إلى الإنسان.

4 -أوامر في التغذية Nutrition.

5- الصحة الجنسية Sex hygiene.

1- عبد الله بن عبد العزيز المصلح: مقدمة كتاب (الاستشفاء بالصلاة) للدكتور زهير رابح قرامي، ص 5.

6- الصحة النفسية والعقلية Mental and psychic hygiene.

7- تشجيع اللياقة البدنية Body Built.

8- الصحة المهنية Occupational medicine.

9- رعاية المسنين Geriatrics.

10 ــ رعاية الأمومة والطفولة Maternal and child health[1].

أولا: التعريف بالطب الوقائي وعلم الكائنات الدقيقة

أ- تعريفه

عرف العلماء والهيئات الصحية العالمية الطب الوقائي الحديث بأنه: "علم المحافظة على الفرد والمجتمع في أحسن حالاته الصحية بالوقاية من الأمراض الجرثومية والعضوية والنفسية"[2].

ويقوم الطب الوقائي لتحقيق هذا الهدف على مجموعة من التعاليم والإرشادات والإجراءات لوقاية الإنسان من الأمراض السارية والوافدة قبل وقوعها ومنع انتشار العدوى إذا وقعت، كما يقوم بتحسين ظروف معيشة الإنسان ومنع الحوادث وأسباب التوتر العصبي لإطالة عمره.

ب- الكائنات الدقيقة وأضرارها

ومسببات الأمراض الرئيسية حسب التعريف ثلاثة: مسببات من الكائنات الدقيقة، ومسببات من مركبات عضوية، ومسببات من اضطرابات نفسية.

وتعد الكائنات الدقيقة أمة من الكائنات الحية، التي لا ترى أعيننا معظمها، وتوجد في كل مكان، في الهواء والماء والتربة، وعلى أجسامنا وفي أفواهنا وأمعائنا، بل وأحيانا في الطعام الذي نأكله، وبعضها مفيد وبعضها الآخر ضار، وتتكون من عائلات وأجناس وأنواع متباينة وعديدة، وتتفاوت في الصغر.

فأصغرها الفيروسات، ويليها الميكروبات ثم الفطريات ثم الطفيليات الأولية، فالديدان المتطفلة بأنواعها المختلفة وأخيرا الحشرات المفصلية المتطفلة، وهي كائنات متخصصة لكل عضو ونسيج. (انظر الشكل 25 [1-2-3-4-5-6]).

1- انظر: أحمد شوقي الفنجري: الطب الوقائي في الإسلام، ص 12-13.

2- انظر: نفس المرجع، ص11.

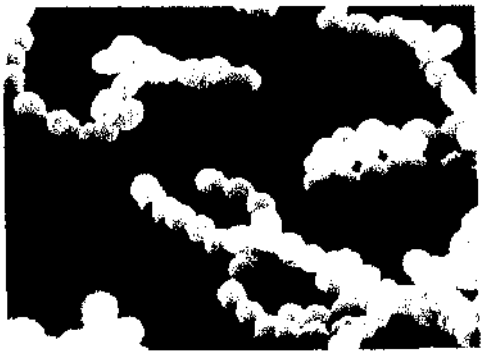

Streptocoques 2

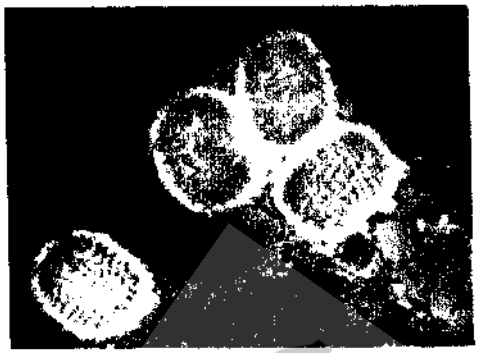

Virus de la variole 1

Virus de la varicelle 4

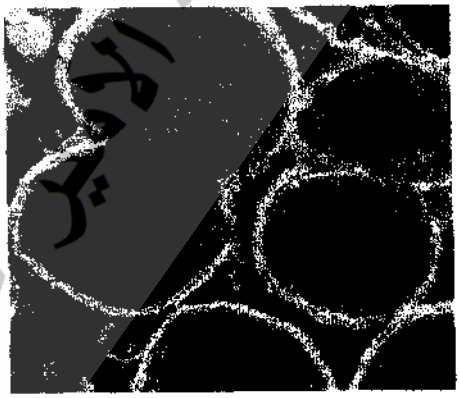

Méningocoques 3

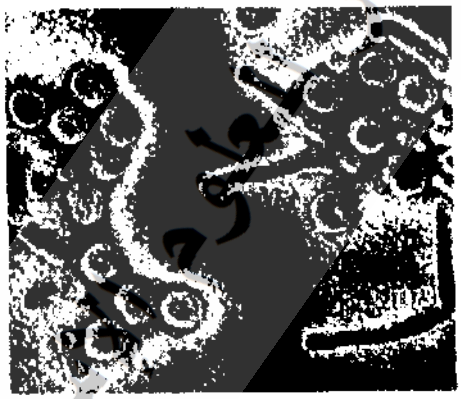

Virus de l'hépatite B 6

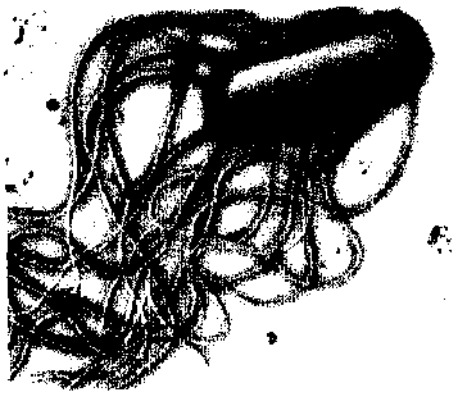

Salmonelle 5

شكل 25: أنواع البكتيرية و الفيروسات.

2-صورة حقيقية لبعض البكتيريا العنقودية و العصوية التي تصيب الإنسان (مكبرة 16200 مرة)

5- ميكروب الزريشياكولاي ذو الأهداب الكثيرة التي تجعله يلتصق بالعائل باحكام (مكبرة 19500 مرة)

وتعيش هذه الكائنات في مخازن تتنوع بين ثلاثة مصادر هي الإنسان والحيوان والبيئة (التربة والماء)، ويعد الإنسان مخزنا رئيسيا لعدد كبير من الكائنات الدقيقة في أماكن مهمة في جسمه تعمل كمخازن دائمة لها، وأبرزها: الجلد والفم، والأنف والحلق والقناة الهضمية، والتي تحتوي عددا كبيرا من الميكروبات والفيروسات، والتي يمكن أن تبقى في جسم الإنسان لعدة أشهر أو سنوات.

بحيث تهاجمه وتلحق به الضرر، وهو يقاومها بكل الأسلحة التي سخرها له الله سبحانه وتعالى، ويغالبها بها[1].

1- فالجلد يعد مخزنا لنسبة عالية من البكتيريا والفطريات، ويكثر معظمها على البشرة وجذور الشعر، ويتراوح عددها من عشرة آلاف إلى مائة ألف جرثومة على كل سنتمتر مربع من الجلد الطبيعي، وفي المناطق المكشوفة منه، يتراوح العدد من مليون إلى خمسة ملايين جرثومة: سم^2، كما ترتفع هذه النسبة في الأماكن الرطبة مثل: المنطقة الإربية، وتحت الإبط، إلى عشرة ملايين جرثومة: سم^2، وهذه الجراثيم في تكاثر مستمر (انظر شكل 26- 1، 2، 3).

2- أما الفم فتستقر فيه أعداد هائلة وأنواع كثيرة من هذه الكائنات الدقيقة، تزيد على ثلاثمائة مستعمرة، ويتراوح عدد الجراثيم في اللعاب حوالي مائة مليون جرثومة في كل ميليمتر مربع، كما توجد بعض الفطريات والطفيليات الأولية في عدد من الأشخاص، وهي تتغذى على بقايا الطعام بين الإنسان، وينتج من نموها وتكاثرها أحماض وإفرازات كثيرة، تؤثر على الفم ورائحته وعلى لون الإنسان وأدائها[2].(انظر الشكل 26- 1).

3- أما الأنف الذي يعد مكانا مهما وحيويا، إذ هو المدخل للجهاز التنفسي، هو أول ما تصل إليه الميكروبات التي تنتقل بالرذاذ مثل الانفلونزا وشلل الأطفال والدفتيريا وغيرها كثير، لتنتقل إلى الحلق ثم داخل الجسم وتصيبه بالمرض[3].

كما يلصق على غشائه المخاطي الغبار وبعض بذور الفطريات والعفنيات الموجودة في الهواء، وتعلق في جوفه عدة مستعمرات جرثومية. (انظر الشكل 26- 2).

---

1 - عبد الجواد الصاوي: "من إعجاز القرآن الكريم والسنة المطهرة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة". ص64.

2 - انظر: نفس المرجع: ص66.

3 - انظر: نفس المرجع: ص67.

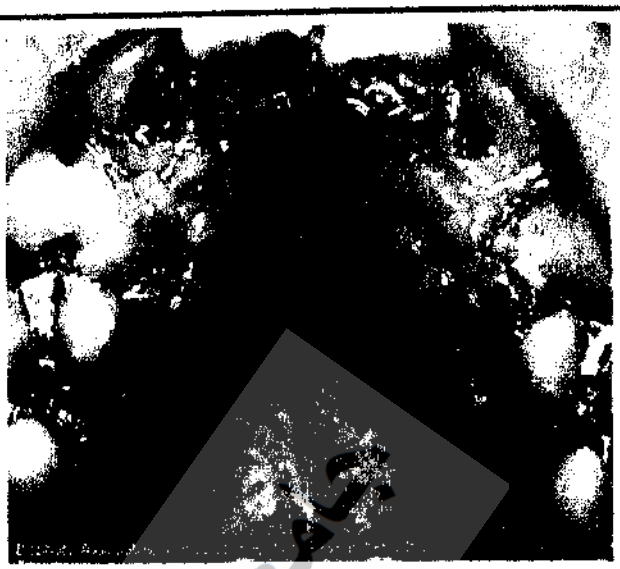

1- التهابات **الفم** و تسوس الأسنان تسببهما الفيروسات و البكتيريا لانعدام العناية الصحية

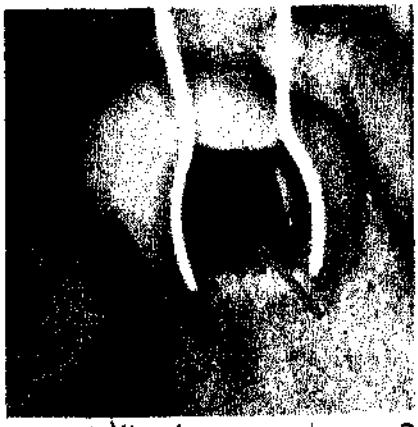

2- صوره لثقب في حاجز **الأنف** (السهم), ممكن أن ينتج عن كثرة إستعمال قطرات الأنف أو المكرونات .

1-3 إلتهاب الإكزيما الهيربية ,لاحظ انتشار الحويصلات

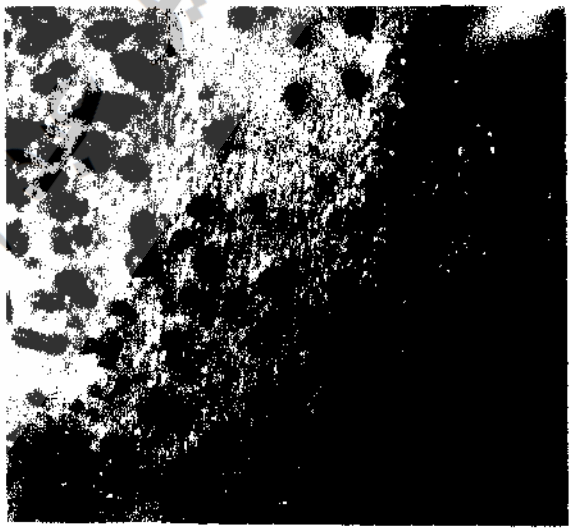

3-3

إلتهاب الإكزيما الهيربية في وجه طفل مُصاب بالإكزيما التأتوبية (الإلتهاب الفيروسى)

3-التهابات جلدية

الشكل رقم26

4- والأيدي من أهم الأعضاء تعرضا لنقل الأمراض، إذ تنقل المرض عند مصافحة المريض أو عند نقل طعام ملوث أو لمس أشياء ملوثة أو بعد الذهاب إلى الغائط، وبعض الديدان تنتقل من نفس الشخص المصاب عند التبرز إلى فمه، إذا أكل ولم يغسل يديه جيدا، فالإسكاريس Ascaris[1] وهي دودة طفيلية صغيرة تعيش في الأمعاء وحول الشرج وتنتقل البويضات تحت أظافر اليد تسبب عدة تعقيدات صحية.

كما تنقل اليد غير النظيفة فيروسات وميكروبات تتسبب في أمراض التيفوئيد، والدوسنتاريا، والنزلات المعوية[2]، والتسمم الغذائي.

وبصفة عامة لقد أثبت العلم أن من بين العوامل المساعدة على حدوث السرطان، إهمال بعض النواحي في النظافة الشخصية، كتنظيف الفم وفتحة الشرج والأعضاء التناسلية[3].

ثانيا: الطهارة في الإسلام

أ-مفهومها وأهميتها

إن مفهوم الطهارة في الإسلام يشمل طهارة النفس بتخليصها من أدران الشرك والإلحاد أو تزكيتها من ملوثات المادة والشهوات، كما تشمل الطهارة أيضا نظافة البدن والملبس والمأكل والمشرب والمسكن ومصادر المياه والطريق، وغيرها من المرافق العامة، والذي سنبحثه في هذا المطلب هو طهارة البدن المطلوبة في الصلاة (الغسل والوضوء).

والطهارة لغة: "النظافة والخلوص من الأوساخ أو الأدناس الحسية[4] كالأنجاس من بول وغيره، والمعنوية كالعيوب والمعاصي، والتطهير، التنظيف، وهو إثبات النظافة في المحل.

والطهارة شرعا: النظافة عن النجاسة، حقيقة كانت وهي الخبث، أو حكميه وهي الحدث، والخبث في الحقيقية، غير مستقذرة شرعا والحدث: ووصف شرعي يحل في الأعضاء يزيل الطهارة.

... ويتبين من تعريف الطهارة أنها نوعان: طهارة حدث وتختص بالبدن، وطهارة خبث،

---

1 -Nouveau larousse medical: (Ascaris) . p102

وانظر السيد الجميلي:الإعجاز الطبي في القرآن، ص 272-275 .

2 -Voir. Nouveau larousse medical: (Blantidiose). p125.

3 ــ أحمد القاضي: "أوجه الارتباط بين القيم الإسلامية والإصابة بالسرطان" ص710، نقلا عن زهير رابح قرامي: المرجع السابق، ص19.

4 ــ انظر الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مادة (الطهر) ج2، ص79 وفارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ج3، ص428.

وتكون في البدن والثوب والمكان، وطهارة الحدث ثلاث: كبرى وهي الغسل، وصغرى وهي الوضوء (و التيمم)... وطهارة الخبث ثلاث: غسل ومسح ونضح"[1].

والمقصود بها في الطب الوقائي خلو الشيء من الميكروبات أو المواد الحاملة للميكروبات وأطلقت على الشيء الملوث الحامل للميكروب كلمة النجاسة.

ولقد اهتم الإسلام أكثر من أي دين آخر وأي أمة من الأمم بإيجاد البيئة الصحية المثالية وجعلها جزءا من تعاليمه الرئيسية.

إذ كان أول ما نزل من القرآن يدعو للعلم وثاني ما نزل يدعو للنظافة، فقال في الأول:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[2]، وقال في الثانية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[3] فكان الإسلام دين علم ونظافة أو دين نظافة بعلم، وكانت بذلك أمة الإسلام منذ ولادتها أمة نظافة، حيث جاءت تعاليم الإسلام آمرة بالتحري التام في موضوع النظافة، قبل معرفة الجراثيم والميكروبات وما ينجر عنها من أمراض خطيرة وأوبئة، بأربعة عشر قرنا، إذ أغلب الأمراض الجرثومية سببها انحدار مستوى النظافة أو عدمها المسمى في لغة الشرع النجاسة، أما النظافة مصطلح عليها في لغة الشرع الطهارة.

ولقد وردت الطهارة ومشتقاتها في (31) موضعا تقريبا في القرآن الكريم، وبأساليب متعددة مختلفة كالمنة والفضل من الله في مثل قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[4] ووردت كذلك في صيغة الأمر: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[5] وفي صيغة الترغيب حين أثنى سبحانه وتعالى على أهل مسجد قباء بقوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[6].

ومما جاء في السنة الشريفة يبين أهمية الطهارة ويرغب فيها قول النبي ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»[7]، وقال أيضا: «طهروا هذه الأجساد طهركم الله»[8].

---

1 ــ وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ج1، ص

2 ــ العلق:1.

3 ــ المدثر:4.

4 ــ الأنفال:11.

5 ــ المدثر:3-4.

6 ــ التوبة:108.

7 ــ رواه مسلم في كتاب الطهارة.

8 ــ رواه الطبراني في الكبير.

ويحث رسول الله ﷺ على المداومة على حالة الطهارة حتى خارج أوقات الصلاة، حيث يقول لأنس بن مالك ﷺ: «يا بني إن استطعت ألا تبيت إلاَّ على وضوء فافعل، فإنه من أتاه الموت وهو على وضوء أعطي الشهادة»[1].

فالدين الإسلامي جعل النظافة والطهارة تقربا وطاعة لله تعالى، إذ لا تصح الصلاة وهي عماد الدين إلا بها حيث قال ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها السلام»[2].

ب ــ تأثير الغسل والوضوء على نظافة الجسم:

لقد فرض الدين الإسلامي على الإنسان المسلم أن يغسل ويطهر الأجزاء المكشوفة من جسده باستمرار بالوضوء وهي غسل اليدين والفم والأنف والوجه والذراعين ومسح الرأس والأذنين وغسل القدمين، وذلك خمس مرات في اليوم والليلة، وفي كل مرة يغسل العضو ثلاث مرات، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3].

ولا يكتفي الإسلام بالوضوء قبل الصلاة كوسيلة للنظافة بل شرع غسل جميع البدن على وجه الإلزام لسبعة أسباب، وندب إليه في أكثر من ستة عشر غسلا أي أنها ثلاثة وعشرون سببا للاستحمام[4]، بل لا يجوز للمسلم أن يمضي عليه أكثر من أسبوع دون استحمام، أي أن الشرع حدد الفترة الزمنية التي لا يمكن للمسلم أن يتجاوزها بغير غسل، إذ قال (عليه الصلاة والسلام): «حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده»[5]، وقال: «يا أيها الناس إذا كان هذا اليوم (الجمعة) فاغتسلوا»[6]، وقال لأحد الرجال فيما روته عائشة: «... لو أنكم تطهرتم ليومكم هذا»[7].

---

1 ــ رواه الطبراني في المعجم الصغير، كتاب الميم، باب من اسمه محمد، ج1، ص 357، رقم الحديث 857.

2 ــ رواه أبو داود في السنن، كتاب الطهارة باب فرض الوضوء.

3 ــ المائدة:06.

4 ــ انظر الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، ص

5 ــ رواه الشيخان واللفظ لمسلم، فتح الباري ، ومسلم رقم 849.

6 ــ رواه البيهقي في الكبرى في كتاب الجمعة.

7 ــ أخرجه البخاري في كتاب الجمعة.

وهذا يحقق غاية الكمال في نظافة الجسم كله ويزيل عددا هائلا من الكائنات الدقيقة التي تعيش على جسد الإنسان وجلده كما سأبينه من خلال الأبحاث العلمية التي أجريت في هذا المجال.

1- الغسل وطهارة الجلد من الجراثيم

أثبتت الدراسات أن الغسل والوضوء خير مزيل لتلك الكائنات إذ ينظف الغسل جميع جلد الإنسان كما جاء في غسل النبي ﷺ أنه يروي بشرته ثم يفيض الماء على سائر جسده[1] فالاستحمام يزيل عن الجلد 90% من الكائنات الدقيقة أي أكثر من مائتي (200) مليون جرثومة تلتصق بالجلد بواسطة أهداب قوية عديدة، لذا أمر الشارع بتدليك الجلد في الوضوء والغسل.(انظر الشكل 25-5)

2 –الوضوء والقضاء على جراثيم الجلد المكشوف

ينظف الوضوء الأجزاء المكشوفة من الجلد، وهي الأكثر تلوثا بالجراثيم لذا كان تكرار غسلها أمرا مهما[2].

ومناطق الجسم المكشوفة هي مناطق الجسم التي يشملها الوضوء، ولو أمعنا فيها النظر لتبين لنا وجوه الحكمة العظيمة منه، فالفم والأنف هما المدخلان الرئيسيان لأعضاء الجسم الداخلية،فنظافتهما من الجراثيم تعني حماية الأجهزة الداخلية من المرض والعطب.

واليدان والذراعان، والوجه وشعر الرأس، والقدمان وأسفل الساقين، كلها أجزاء مكشوفة من البدن وتتراكم عليها الجراثيم بكميات كبيرة كما ذكرت، فغسلها بالماء ينقيها منها ويزيلها عنها، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ:«إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن) فغسل وجهه،خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء (أو مع آخر قطر الماء) فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتما يداه مع الماء (أو مع آخر قطر الماء) فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء (أو مع آخر قطر الماء) حتى يخرج نقيا من الذنوب»[3].

فقد وصى رسول الله ﷺ بنظافة اليدين خاصة، ودقق بشدة على ذلك، إذ حض على غسلهما

---

1 ــ عن ميمونة رضي الله عنها قالت: تصف غسل النبي ﷺ: "وضعت لنبي ﷺ ماء لغسل، فغسل يديه مرتين أو ثلاثا، ثم أفرغ على شماله، فغسل مذاكيره، ثم مسح يده بالأرض ثم مضمض واستنشق، وغسل وجهه ويديه ، ثم أفاض على جسده، ثم تحول من مكانه فغسل قدميه"، رواه البخاري في كتاب الغسل، ومسلم في كتاب الحيض.

2 ــ انظر: عبد الجواد الصاوي:المرجع السابق.ص66-67.

3 ــ رواه مسلم: في كتاب الطهارة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عدة مرات في اليوم بالإضافة إلى الوضوء فهما من أكثر الأعضاء تعرضا للتلوث بالجراثيم ونقل الأمراض الجرثومية التي تتم عن طريق المصافحة وتناول الطعام.

وعليه أمر بقص الأظافر وتنظيفها فقال:«قلم ظفرك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها»[1]، لأنها تخزن الجراثيم تحتها والشيطان يقعد بالمناطق النجسة.

-كما أمر بغسل الأيدي في الوضوء ثلاث مرات في المرة الواحدة، عند بداية الوضوء ثم ثلاث مرات أخرى إلى المرفقين مع تخليل الأصابع لأن بعض الجراثيم تعلق فيها ولا تزول إلا بالتخليل والدلك[2]، وعن أبي هريرة قال: «رأيت رسول الله ﷺ توضأ فاستوكف ثلاثا»[3]. أي غسل كفيه ثلاثا، وقال: «أسبغ الوضوء وخلل الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائما»[4].

- كما أمر ﷺ بغسلهما قبل الطعام وبعده.

وقوله: «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده»[5] ومن وصاياه ﷺ «من نام وفي يده غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه»[6]، والغمر هو بقايا الطعام الدسم واللحم.

ويحث الإسلام على غسل اليدين قبل النوم وبعده، حيث قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة...»[7].

وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ:«إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا، فإنه لا يدري أين باتت يده»[8]، وذلك أن الإنسان أثناء النوم قد يحك بيديه قدمه أو أنفه أو بين فخذيه.

---

1 ــ خرجه الحافظ العراقي في أحاديث الإحياء عن أبي هريرة، وقال "أخرجه الخطيب في الجامع بإسناد ضعيف".

2 ــ فقد روى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم ﷺ: «أن النبي ﷺ، توضأ فجعل يقول: "هكذا يدلك"».

3 ــ رواه البيهقي والدارمي في كتاب الطهارة.

4 ــ رواه أبو داود في كتاب الصيام.

5 ــ رواه الترمذي، في كتاب الأطعمة عن رسول الله، باب ما جاء في الوضوء قبل الطعام وبعده.

6 ــ رواه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب التصادق، باب غسل اليد قبل الطعام وبعده، ج11، ص 95.

7 ــ رواه البخاري في كتاب الوضوء ومسلم في كتاب الطهارة.

8 ــ رواه مسلم في كتاب الطهارة والبخاري في كتاب الوضوء.

- ومن السنة كذلك غسل اليدين بعد الخلاء أي بعد الاستنجاء أو التطهر.

- وكذلك من فرائض الوضوء وأولها غسل الوجه ثلاث مرات مع تخليل شعر اللحية والحاجبين والدلك، فقد قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]. وكما بينه رسول الله ﷺ يكون غسل الوجه ثلاث مرات في الوضوء الواحد، وهذا يضمن نظافته من الغبار المتراكم عليه كما يضمن نظافة العين ويخفف من إمكانية تعرضها للالتهابات.

أما غسل القدمين مع التدليك الجيد وتخليل الأصابع فإنه يؤدي كذلك إلى حماية الجسد من تلك الكائنات الدقيقة والأمراض التي تسببها،حيث شدد رسول الله ﷺ على ذلك بقوله:«ويل للأعقاب من النار. اسبغوا الوضوء»[2].

ويدخل في هذا المجال مسح الأذنين وهو من سنن الوضوء، حيث كان النبي ﷺ إذا توضأ «أدخل إصبعه في مجرى أذنيه»[3]، وعن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ «مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما»[4]، إذ يعلق بهما الغبار والجراثيم لكونهما مكشوفان.

3- المضمضة والوقاية من أمراض الفم

أثبت العلم الحديث أن المضمضة بالماء ثلاث مرات في خمسة أوقات تحفظ الفم واللعوم من الالتهابات وتحفظ اللثة من التقيح، إذ تخلصه من عدد هائل من الكائنات الدقيقة التي ذكرناها وسمومها. وكذا فإنها تقي الأسنان وتنظفها بإزالة الفضلات الغذائية التي تبقى بعد الطعام في ثناياها، وحكمة ذلك أن بقايا الطعام، كما ذكرنا، إذا تركت في الفم فإنها تتنته وإذا دخلت بين الأسنان حملت معها الالتهابات وتسوسها، من هنا نشعر بعظمة أمر النبي ﷺ لنا بالتسوك، إذ قال: «تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب، وما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك

---

1 ـــ المائدة:6.

2 ـــ رواه البخاري في كتاب الوضوء، ومسلم في كتاب الطهارة.

3 ـــ رواه ابن خزيمة في كتاب الوضوء وابن حبان في كتاب الطهارة.

4 ـــ رواه الترمذي والنسائي في كتاب الطهارة.

حتى لقد خشيت أن يفرض علي وعلى أمتي»[1]، وقال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[2]، وكان ﷺ لا يرقد من ليل أو نهار فيستيقظ إلا تسوك، فعن حذيفة ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك»[3]. أي يدلكه. لأن ركود اللعاب أثناء النوم أحد العوامل التي تشجع تكاثر الجراثيم وازدياد ترسباتها في اللويحة الجرثومية التي تلتصق بالأسنان،كما أن هذه اللويحة ليس لها علاقة بالأكل وفضلات الطعام، فهي دائمة التكوين، لذا نفهم الحكمة من ترغيب النبي ﷺ وحضه على السواك وملازمته له حتى أثناء الصيام.

ولقد أثبتت الأبحاث حديثا فضل السواك العظيم على سلامة الأسنان، وبينت فوائده الطبية للفم. فهو يحتوي على مادة العفص (Tanic acid) التي لها تأثير مضاد للتعفنات والاسهالات، كما يعد العفص مطهرا، وله استعمالات مشهورة ضد نزيف الدم، كما يطهر اللثة والأسنان ويشفي جروحها الصغيرة ويمنع نزيف الدم منها.

كما أن هناك مادة في السواك لها علاقة بالخردل (Sennigrin)، وهي زيت الخردل الذي له رائحة حادة وطعم حراق، وهو ما يشعر به الشخص الذي يستعمل السواك لأول مرة،وهذه المادة تساعد على الفتك بالجراثيم[4].

كما يحتوي على مادة مضادة للجراثيم شبيهة بالبنسلين مثل الجراثيم المسماة (المكورات العنقودية Staphy lococcus) وهو ما أثبته العالم الألماني (رودات) مدير معهد علم الجراثيم والأوبئة في جامعة "روستود" بألمانيا. (انظر الشكل رقم 29).

كما أثبت الدكتور عبد الحميد القضاة في جامعة كراتشي بباكستان وقبله الباحثان (براون وجوكوب) عام 1979 أن السواك يقضي على خمسة أنواع على الأقل من جراثيم الفم الممرضة أهمها البكتيريا السبحية (Streptococci) التي تسبب بعض أنواع الحمى الروماتزمية[5]؛ أما مادة السليس في السواك فتجرف الفضلات، وتزيح القلح وتساعد على تلميع الأسنان.

---

1 ــ رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة والبخاري في كتاب الصوم.

2 ــ متفق عليه.

3 ــ متفق عليه.

4 ــ عبد الله السعيد:السواك والعناية بالأسنان، ص45-52.نقلا عن زهير رابح قرامي،ص22.

5 ــ زهير رابح قرامي: المرجع السابق،ص22-23 ، وعبد الجواد الصاوي: المرجع السابق،ص68.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد أجرى فريق من الأطباء دراسة سريريه على مستعملي السواك، ثبت خلالها أن السواك يزيل اللويحة الجرثومية قبل عتوها وتأثيرها على الأنسجة؛ وتكرار السواك يوميا قبل الصلاة يؤدي إلى درجة عالية من نظافة الفم، وأن التهابات اللثة التي كانت موجودة قبل البحث قد تحسنت، وأوصى الباحثون باستخدام السواك الدائم للوقاية من أمراض الفم والأسنان، كما ثبت أن له تأثيرا مهبطا للسكر وتأثيرا مضادا للسرطان[1].

وهكذا بينت لنا التقارير والتجارب العلمية أنه بالسواك تقل فرصة نمو هذه الجراثيم الموجودة بأعداد هائلة، بل يقضي عليها كل ما داوم الإنسان عليه وأنها لفوائد مهمة كبيرة تجعلنا نزيد علما وفهما لأمر رسول الله ﷺ الذي قال عن أبي أمامة ﷺ: «تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب، ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض علي وعلى أمتي، ولولا أني أخاف أن أشق على أمتي لفرضته لهم، وأني لأستاك حتى لقد خشيت أن أحفى مقام فمي»[2].

4-تأثير الوضوء على نظافة الأنف

أظهر بحث علمي حديث، أجراه فريق من أطباء جامعة الإسكندرية مع أعضاء مجلس بحوث الصحة والدواء بالأكاديمية المصرية للبحث العلمي والتكنولوجيا، حول علاقة العلم بالوضوء من الناحية الصحية، أن غالبية الذين يتوضئون باستمرار قد بدت أنوفهم نظيفة خالية من الأتربة والجراثيم والمكروبات عكس غير المتوضئين ومن المعروف أن تجويف الأنف من الأماكن التي يكثر فيها العديد من تلك الكائنات الدقيقة،لكن مع استمرار غسل الأنف بالاستنشاق والاستنثار ينظف هذا التجويف ويطهر من الالتهابات والجراثيم مما ينعكس على الحالة الصحية للجسم كله، حيث تحمي هذه العملية الإنسان من خطر انتقال المكروبات من الأنف إلى الأعضاء الأخرى داخل الجسم.

والاستنشاق هو إيصال الماء إلى داخل الأنف وجذبه بالتنفس إلى أقصاه، بينما الاستنثار فهو دفع الماء من الأنف مع وضع السبابة والإبهام.

وهذا ملخص لهذه التجربة ونتائجها الصحية المفاجئة المبهرة.

1- محمود رحائي وزملاؤه:استعمال السواك لنظافة الفم وصحته،دراسة سريريةوكيميائية»،نقلا عن عبد الجواد الصاوي، ص69.

2 ـــ رواه ابن ماجه.

أ-الفحص المقارن

1-الوصف:

أنوف غير المتوضئين (غير المصلين)	أنوف المتوضئين بانتظام واستمرار
1-كان باطن الأنف عند غالبيتهم شاحب اللون، دهني الملمس، يترسب على مدخله بعض الأتربة والقشور. 2- فتحة الأنف كانت لزجة داكنة اللون، يسهل تساقط الشعر منها. 3- شعر الأنف متلاصقا مغبرا تعلوه بعض القشور.	1-كان سطح باطن الأنف لامعا نظيف المنظر خاليا من القشرة والأتربة. 2- كان شعره واضحا نظيفا صحيحا خاليا من المتعلقات والأتربة.

2- المزارع الجرثومية: وقد أظهر الفحص المجهري لها أن:

أنوف غير المتوضئين (غير المصلين)	أنوف المتوضئين بانتظام واستمرار
1- أنوفهم بها مستعمرات جرثومية عديدة، 2- وبكميات كبيرة من الجراثيم العنقودية والعقدية والمكورات: الجراثيم العنقودية والعقدية،المكورات الرئوية المزدوجة، الدفتروئيد، البروتيوس، الكلبسيلا	1-لم تظهر المزارع عندهم مستعمرات من الجراثيم، وكانت أنوفهم طاهرة نقية. 2- وفي عدد قليل منهم وجد قدر ضئيل من الجراثيم ما لبثت أن اختفت بعد تعليمهم الاستنشاق الصحيح.

ب-التفسير العلمي للظاهرة (الأسباب)

لقد وجد الباحثون أن نسبة التخلص من الجراثيم الموجودة بالأنف تزداد بعدد مرات الاستنشاق وأنه بعد المرة الثالثة يصبح الأنف خاليا منها.

فعملية الاستنشاق والإستنثار ثلاث مرات تؤدي إلى ما يلي:

*- تزيل الإفرازات المخاطية من جوف الحفرتين الأنفيتين.

*- تبلل المنخرين وجوفهما، مما يمنحهما النداوة والرطوبة اللازمتين لترطيب هواء الشهيق،و يحافظ على حيوية الأغشية المخاطية الداخلية.

*- التخلص أثناء الاستنثار من الغبار اللاصق على غشاء الأنف المخاطي، كغبار المنزل وغبار الطلع في الزهور وبعض بذور الفطريات والعفنيات المتناثرة في الهواء، إذ ثبت أن هذا الغبار وهذه العفنيات هي العوامل الأساسية في حدوث أمراض الحساسية في الأنف والجيوب الوجهية والرئتين[1].

لذا وصى النبي ﷺ بالمبالغة في الاستنشاق وتكراره ثلاثا وكان ذلك من سنن الوضوء، ليتم بهذا القضاء على مخزن من مخازن الكائنات الدقيقة في هذا المكان المهم والحيوي لكونه المدخل للجهاز التنفسي؛ فقد أخرج مالك بن أنس ﷺ عن عبد الله بن زيد بن عاصم صفة وضوء النبي ﷺ حيث قال: «...دعا بوضوء فأفرغ عليه فغسل يديه مرتين مرتين،ثم تمضمض، ثم**ٱستنثر** ثلاثا، ثم غسل وجهه ثلاثا...»[2].

وعن لقيط بن صبرة قال: «قلت يا رسول الله: أخبرني عن الوضوء؟ قال: أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائما»[3]، وعن أبي هريرة قال: «من توضأ فليستنثر»[4].

5-نظافة السبيلين (الاستنجاء) والوقاية من الأمراض.

أولى خطوات الطهارة في الإسلام قبل الوضوء أو الاغتسال نظافة السبيلين أو الاستنجاء، الذي منهما تخرج نفايات الجسد التي تحتوي على قدر هائل من الكائنات الدقيقة والسموم الضارة التي أسماها الشارع نجاسات، فقد فطر الله جل وعلا الإنسان وحمله على أن يتخلص أول بأول مما في أمعائه وفي مثانته من غائط وبول وغيرهما من نفايات الجسم، حتى يظل الجسم الإنساني في حالة من النقاء والصحة والقدرة على أداء الوظائف الطبيعية والحيوية التي يقوم بها.

وبعد عملية التخلص تلك أمر الإسلام بغسل الدبر والقبل بالماء ليزيل أي أثر منها يمكن أن يعلق بالجسد أو الثياب، ولذا شدد الرسول ﷺ في ترهيب من لا يتنزه من بوله ويترك قطرات منه تعلق بثيابه أو جسده فقال: «**تنزهوا** من البول فإنه عامة عذاب القبر منه»[5]، ومعنى التنزه التطهر والاستنجاء، و ندرك في هذا الحديث شدة الاهتمام بنظافة هذا المكان والتخلص من هذه النفايات

---

1 ــ انظر:مصطفى أحمد شحات وآخرون: «كيف يحافظ غسل الأنف عند الوضوء على صحة الإنسان»، نقلا عن زهير رابح قرامي، المرجع السابق، ص24-25.

2 ــ أخرجه مالك في الموطأ كتاب عمل الوضوء.

3 ــ رواه أبو داود في كتاب الصيام.

4 ــ رواه البخاري في كتاب الوضوء.

5 ــ متفق عليه، رواه البخاري في كتاب الوضوء.

الضارة وما فيها من أعداد هائلة من الجراثيم، وندرك لما أمر الشارع باجتناب الملابس والأماكن الملوثة بهذه النفايات أو النجاسات، وعدم ملامستها حتى تطهر واعتبر ذلك عبادة كما بينه الحديث.

فقد قال الله تعالى مبينا سبب نقض الوضوء ووجوب تجديده بخروج البول أو الغاز:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[1]. والغائط هو المكان المطمئن أو المنخفض من الأرض،كني بذلك عن التغوط وهو الحدث الأصغر[2]، والمجيء منه يعني أن الآتي قد قضى حاجته فيه، وقضاء الحاجة كناية عن إخراج البول أو الغائط.

وهذا يتطلب الاستنجاء بالماء وباليد اليسرى وغسلها بعد الاستنجاء كما أكد على ذلك النبيﷺ، فعن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء، فأحمل أنا وغلام نحوي إداوة من ماء، وعنزة[3]، فيستنجي بالماء»[4]، وقال:«كان رسول الله ﷺ يتبرز لحاجته فآتيه بالماء،فيتغسل به»[5].

ونهى ﷺ عن الاستنجاء أو لمس الذكر باليمين، قائلا:«إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه ولا يتمسح بيمينه»[6]، وقال:«إذا بال أحدكم فلا يأخذن ذكره بيمينه ولا يستنجي بيمينه ولا يتنفس في الإناء»[7].

فللاستنجاء فوائد طبية عظيمة، إذ أثبت الطب الحديث أن النظافة الذاتية للسبيلين تقي جسم الإنسان من عدة مخاطر وأمراض منها:

* أنها تقي الجهاز البولي من الالتهابات الناتجة عن تراكم المكروبات والجراثيم وخصوصا

---

1 ــ النساء:43.

2 ــ انظر:ابن كثير:التفسير، ص319.

3 ــ عنزة: عصى طويلة في أسفلها زج يستتر بها عند قضاء الحاجة.

4 ــ رواه مسلم في كتاب الطهارة وروى البخاري مثله في كتاب الوضوء.

5 ــ رواه مسلم في كتاب الطهارة وروى البخاري مثله في كتاب الوضوء.

6 ــ رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري.

7 ــ رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري.

في حالة المرض، ومرض السكري بالذات أو البول السكري، لأن بول المريض يحتوي على كمية كبيرة من السكر، فإذا بقيت لآثار البول فإن هذا يجعل العضو عرضة للتقيح والالتهاب، ثم تنتقل إلى مجرى البول فتسبب التهابه، وقد تنتقل في وقت لاحق إلى الزوجة عند الجماع فتسبب لها التهاب الفرج والرحم وقد يؤدي ذلك إلى العقم التام[1].

* كما أنها تقي الشرج من الاحتقان ومن حدوث الالتهابات والدمامل، إذ يصاب هذا الموضع -كما ذكرنا- بالطفيليات والديدان (كالاسكاريس والتينيا والاكسور) (انظر الشكل 30) فهذه الأخيرة ديدان صغيرة تخرج بكميات كبيرة مع البراز، فإذا لم تنظف الشرج جيدا بالماء ثم تجفف بالورق أو بالحجارة (إذ لم يوجد ماء)، فإنها تستطيع أن تعيش حول فتحة الشرج على بقايا البراز وتتكاثر في هذه المنطقة محدثة التهابا شديدا في الجلد ثم تنتقل بويضات الديدان إلى السراويل والملابس والأيدي فتعدي معها الشخص السليم أثناء الأكل، وهذه الديدان وكثير غيرها لا يجدي معها المسح بالورق وحده بل لابد من استعمال الماء ثم المسح بالورق[2].

وقد أثبتت إحدى الدراسات في كلية طب جامعة مانشيستر أن البكتيريا تنفذ من ثماني طبقات من المناديل الورقية الصحية (Papier Hygienique) إلى اليد، وتلوثها أثناء عملية التخلص من بقايا البراز، وهذه العملية قصة غريبة حدثت «في عام 1963 في دولة إنجلترا وبالتحديد في مدينة "داندي" حدث أن انتشر مرض التيفود بشكل عاصف مما أصاب السكان بالذعر الشديد، وبذل الجميع طاقاتهم في محاولات شتى لوقف انتشار المرض، وفي النهاية اتفق العلماء على إذاعة تحذير في مختلف وسائل الإعلام يأمرون الناس بعدم استعمال الأوراق في دورات المياه، واستبدالها باستخدام المياه مباشرة في النظافة وذلك لوقف انتشار العدوى.

وبالفعل استجاب الناس، وللعجب الشديد توقف فعلا انتشار الوباء وتمت محاصرته، وتعلم الناس هناك عادة جديدة عليهم بعد معرفة فائدتها، وأصبحوا يستخدمون المياه في النظافة بدلا من المناديل الورقية، ..»[3].

---

1 ـــ أحمد شوقي الفنجري: المرجع السابق،ص202-203.

2 ـــ نفس المرجع ،ص203.

3 ـــ انظر:عبد الجواد الصاوي:المرجع السابق،ص70. وقرص مضغوط:«موسوعة الطب القرآني والعلاج بالأعشاب الطبية»، فصل طب العبادات.

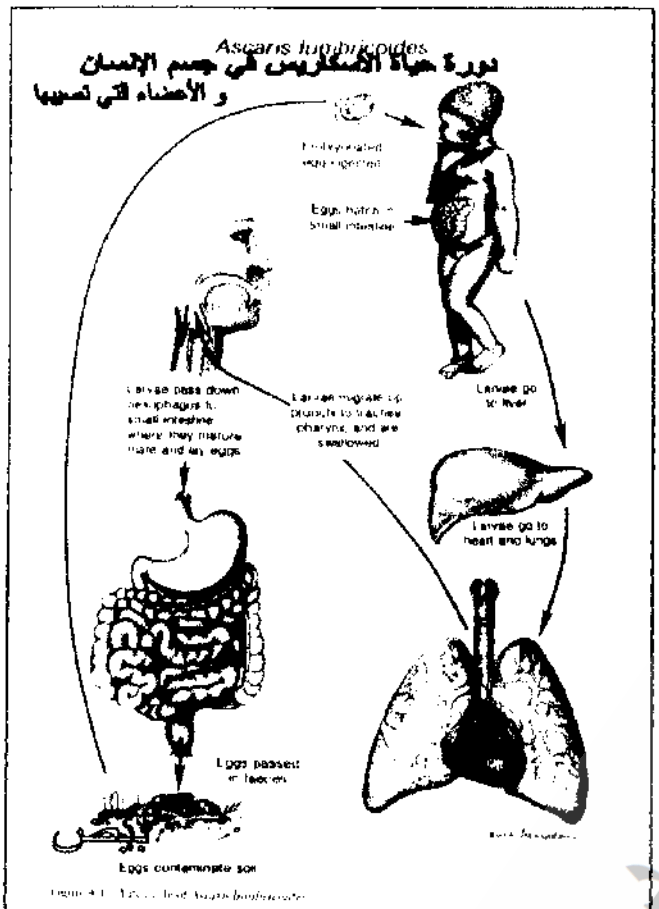

Source: Feachem *et al.*, 1983

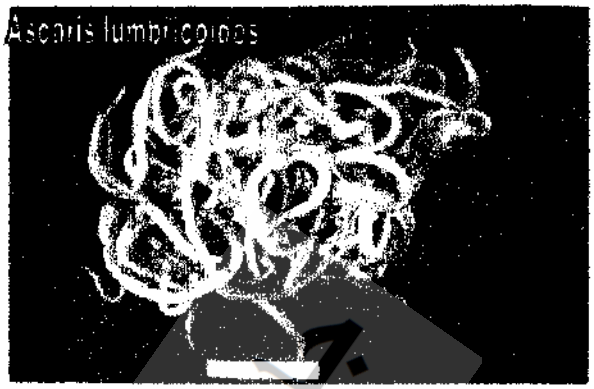

Ascaris suum (Pig roundworm)

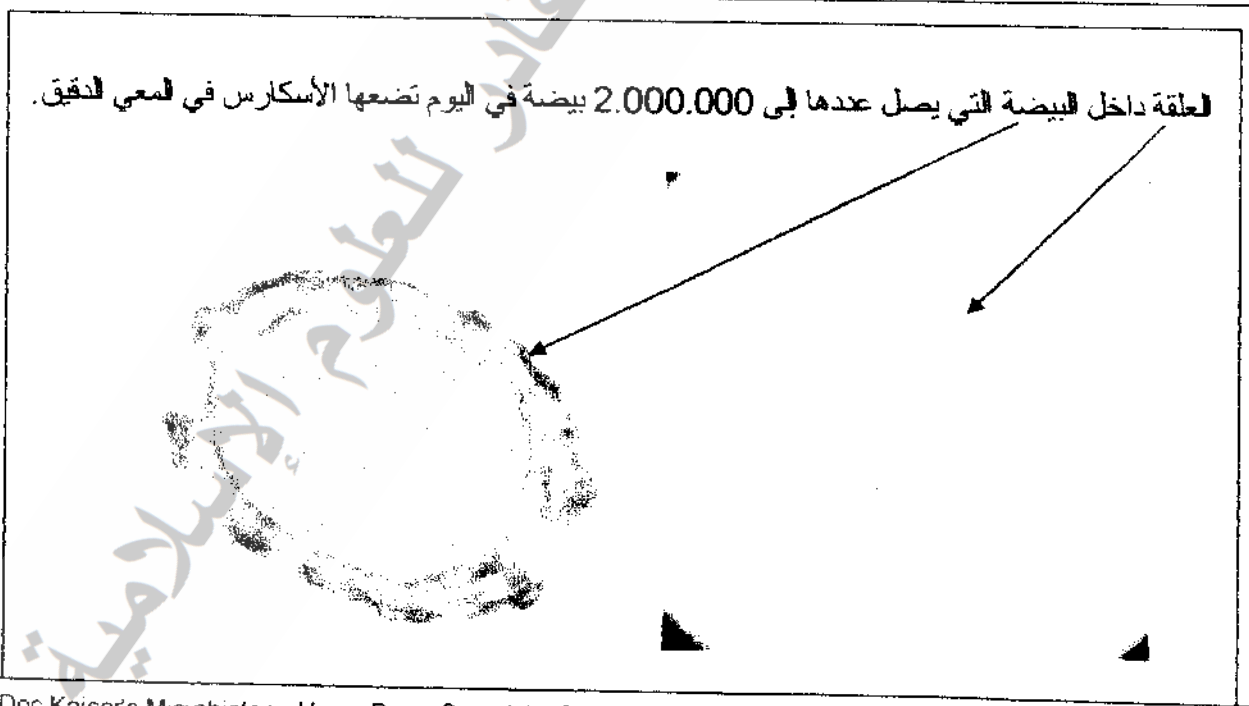

Doc Kaiser's Microbiology Home Page Copyright © Gary E. KaiserAll Rights Reserved Updated: April 2, 1999

الشكل رقم 30-2

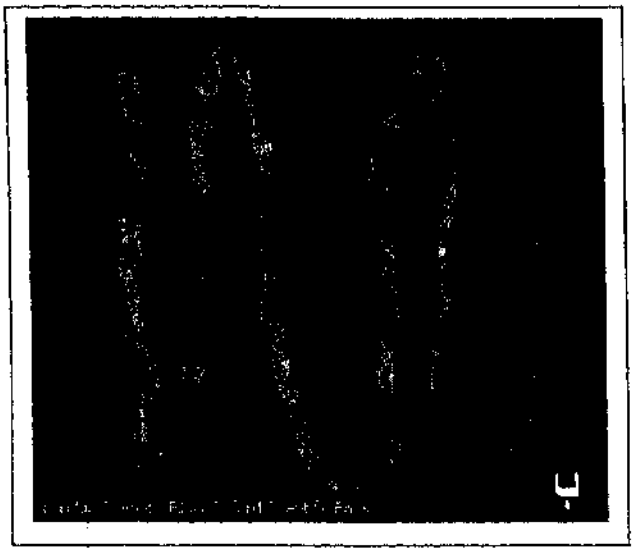

Ténia."*Encyclopédie® Microsoft® Encarta 2001*. © 1993-2000

image thailabonline.com/bacteria/ tenia1.jpg

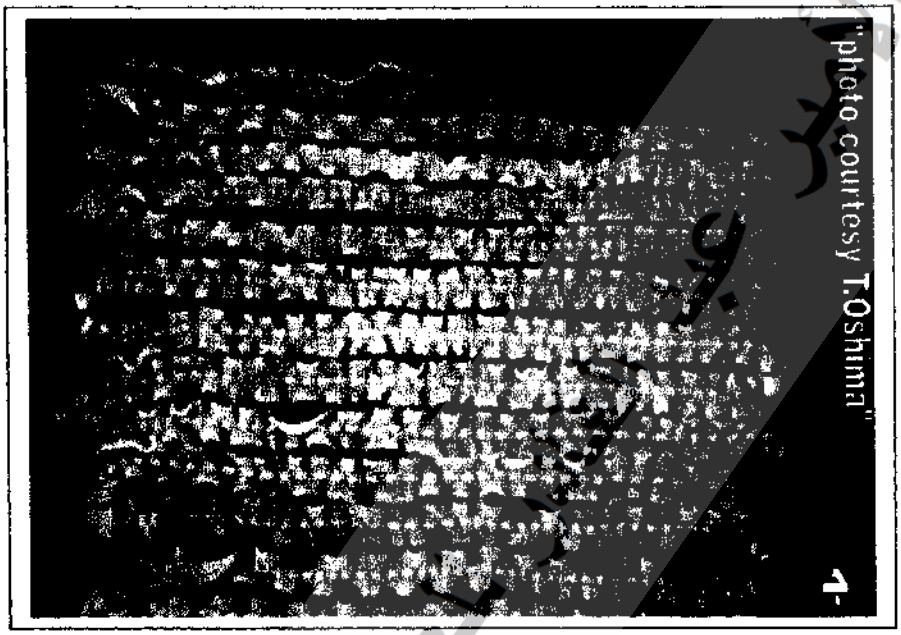

الشكل رقم 30- 1:

دودة الشريطية الطفيلية تعيش في القناة الهضمية. يصل طولها إلى عدة أمتار – كما تبينه الصور –ب– ج–د –تلتصق بالأمعاء بإحكام بواسطة لواصق و أهداب برأسها(أ).

وتقي كذلك من الأمراض المعدية التي تنتقل عن طريق اليد إلى الطعام أو الغير عند المصافحة، لذا وجب أن يكون الاستنجاء باليد اليسرى لأن اليد اليمنى لتناول الطعام والتسليم على الناس، فلا تتعرض للمكروبات، وقد ندرك حجم الخطر إذا علمنا أن الجرام الواحد من البراز في الشخص السليم يحتوي على (10^{10}) مائة ألف مليون جرثومة، وفي المريض بمرض التيفويد مثلا قد يحوي الجرام الواحد خمسة وأربعين مليون من بكتيريا التيفويد أي ما يساوي مجموعة مائة ألف وخمسة وأربعون مليون جرثومة وبكتيريا، أما مريض الدزانتاريا أو الكوليرا فمن المستحيل إحصاء أعداد الجراثيم لكثرتها الهائلة[1].

6- سنن الفطرة ونظافة الفرد

ومجمل تعاليم النظافة والطهارة في الإسلام التي ذكرناها وتمثل أساس نظافة الفرد، جمعت في سنن الفطرة التي أوصى بها النبي ﷺ، فعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشرة من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك والسواك واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم (عقد الأصابع) ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء (الاستنجاء)، قال الراوي نسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة»[2].

فلقد كشفت لنا البحوث الطبية الأهمية الصحية البالغة لتطبيق هذه الخصال، وما يترتب على إهمالها من أضرار:

* فترك الأظافر –كما أشرنا من قبل– مجلبة للمرض،حيث تتجمع تحتها ملايين الجراثيم.

*"وترك شعر العانة هو المسؤول عن مرض تقمل العانة المنتشرة بكثرة في أروبا والذي يؤدي إلى تقرحات والتهابات في هذه المنطقة"[3].

*وأما الختان فقد أثبتت الأبحاث فوائده العديدة، وفحاظر عدم الاختتان، والتي يتمثل بعضها المتعلق بالصحة والطهارة ما يلي:

يمنع الختان الأقذار عن الذكر لأن هذه الأقذار تتجمع تحت القلفة وتصبح بيئة لتوالد الميكروبات والروائح الكريهة.

---

1 ـــ عبد الجواد الصاوي:المرجع السابق،ص70.

2 ـــ رواه مسلم في كتاب الطهارة.

3 ـــ عبد الجواد الصاوي:المرجع السابق،ص69.

ويقلل الختان من احتمالات إصابة الذكر بمرض الزهري، حيث ثبت أن مكروب هذا المرض يتخير القلفة بالذات للنمو بها.

كذلك ثبت أن الختان يقلل من إمكانية إصابة الذكر بالأورام الحميدة والسرطان وأنواعه، بل قد ثبتت العلاقة بين السرطان عنق الرحم وبين عدم اختتان الرجال.

كما أن القلفة نفسها كثيرا ما تتعرض أثناء الاحتكاك والمجامعة للتسلخ والجروح لتصبح عرضة للالتهاب.

وعلى العكس من ذلك أثبتت الأبحاث أن غير المختونين يصابون بمعدل كبير بأمراض المسالك البولية، بسبب تواجد عدد من الجراثيم تحت القلفة وخصوصا جرثومة (ارشيا كولاي والكلبسيبلا).

كما ازدادت نسبة الصديد والبكتيريا لديهم في البول.

*أما غسل البراجم أي عقد الأصابع،فيزيل المستعمرات الجرثومية،التي تتخذ من ثنايا الجلد في هذه الأماكن كهوفا وأخاديد لها.

*ونتف الإبط ينظف هذا المكان المختبئ من الجلد الذي تتجمع فيه الأوساخ وتنموا فيه الجراثيم وخصوصا الفطرية منها، كما أن بعض الجراثيم تهوى العيش على مادة الشعر نفسها في هذه الأماكن والعانة، وخاصة أنها أماكن رطبة يسهل فيها التعفن وصدور الروائح الكريهة إذا لم تنظف[1].

ولم يكتف الإسلام بالحث على الاعتناء بخصال الفطرة والحرص على هذه النظافة بل أقتها لنا، فقد قال أنس بن مالك:«وقت لنا في قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة، أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة»[2].

ثالثا– وجه الإعجاز

هذه عين الوقاية من الأمراض المختلفة وخاصة المعدية منها، ذلك أن المسلمين يتبعون هذه التعاليم الوقائية الصارمة ليس لأن تلك الأمراض تفشت بينهم وجربوها ولكن لأن خالقها وخالقهم أمرهم بكل ما يجب أن يجلب لهم الصحة والعافية فقالوا سمعنا وأطعنا، وهو العليم الحكيم

---

1 – راجع أحمد شوقي الفنجري:المرجع السابق ،ص203-204.و عبد الجواد الصاوي:ص69.

2 – رواه مسلم في كتاب الطهارة.

الرحمان الرحيم اللطيف بعباده،﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].

بهذا جعل الإسلام النظافة عقيدة وسلوكا ملزما للمسلم وليست مجرد الخوف من المرض، فهي جزء لا يتجزأ من تعاليم العبادة والصلاة، بل هي نصف الإيمان كما قال النبي ﷺ: «أن يرتقي الطهور شطر الإيمان»[2]، والإيمان درجة أعلى من الإسلام يسعى المسلم لأن يرتقي إليها بهذا النوع من الطاعات، وبهذا لا يجوز للمسلم أن يقابل الله في صلاته قبل أن يتخلص من المكروبات أي النجاسة التي تكون على جسده أو ثيابه أو مكانه، وهذا يعني أن هذا الدين الحنيف يعلي من قدر اتباعه حين يقولون سمعنا وأطعنا فيصيبهم من خير الأعمال الصالحة التي يتقربون بها إلى الله، والمسلم حين يتطهر إرضاء لله فإن الله يتم نعمته عليه فيسموا بنفسه وروحه، ويأخذه إلى آفاق من الطهر والنور ويشبع أشواقه إلى السكينة والطمأنينة والهدوء النفسي بما لا يستطيع فعله كل عقاقير الأرض الكيماوية.

وتتجلى لنا رفعة هذا الدين وعظمته وإعجاز هذه التعاليم الوقائية الصحية، إذ علمنا أن الذي بلغها عن ربه وأوصى بها أتباعه،هو محمد بن عبد الله البدوي الأمي منذ أربعة عشر قرنا، وأن الطب الوقائي لم يتبلور ولم يظهر للوجود إلا بعد اكتشاف عالم الكائنات الدقيقة بأنواعها وخواصها المختلفة، و بعد التقدم العلمي في معرفة مسببات الأمراض بفضل التقدم التكنولوجي الهائل في وسائل التكبير والاستكشاف كالمجاهر الإلكترونية، والذي لم يحدث إلا في القرن العشرين.

أما قبل ذلك فكان الناس فريقين: مسلمين وغير مسلمين: فالمسلمون لديهم نظام دقيق في الطب الوقائي-كما بينا جزءا ضئيلا منه- هو جزء من دينهم يتعبدون الله به وينفذونه بصرامة وفي سهولة ويسر واطمئنان تام مستفدين من آداء هذه العبادة من السلامة الجسمية، وأما غيرهم وخاصة في أروبا، فكانت النظافة عندهم شعوذة ومضرة بل تعد من المعاصي والكبائر عند النصارى إذ كان دينهم يقوم على القذارة ويدعوا إليها، فطهارة الجسم عند النصارى منافية لنقاء الروح، ويتأثمون من غسيل الأعضاء وأزهد الناس عندهم أوغلهم في النجاسات والدنس وأبعدهم عن الطهارة، و يفتخرون بأن أحدهم لم يغسل رجليه منذ أربعين سنة، ولقد صرح الراهب (أثمينس) أن الأب (أنتوني) لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره، أما الراهب (أبراهام) فلم يمس

1 ــ الملك:14.

2 ــ رواه مسلم في كتاب الطهارة.

الماء وجهه ورجليه خمسين سنة، وروى المؤرخون أن الراهب (ماكاريوس) نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص جسمه العاري ذباب سام[1].

ولم يكن هذا حال الرهبان فقط بل كانت حال القذارة هذه يحياها الشعب الأوروبي، فقد كانوا لا يغسلون إلا مرة واحدة أو مرتين كل عام وبالماء البارد، أما ملابسهم فلا يغسلونها كي لا تتمزق[2].

وكان البريطانيون يعتبرون أن الغسل مضر بالصحة حتى أنه قد يؤدي إلى الموت والهلاك، وأنه كان من العيب والعار أن يبنى حمام داخل البيت الأمريكي حتى أن أول حمام مجهز بمغطس بني في البيت الأبيض كان في عام 1851م، ولقد أثار ضجة لأنه اعتبر عملا مشينا في ذلك الوقت، وفي فرنسا كان قصر فرساي الشهير على رحابته خاليا من حمام واحد»[3].

ويذكر الدكتور عبد الرزاق مسعود السعيد في كتاب «السواك والعناية بالأسنان» طرق تنظيف الفم والأسنان مثلا التي كانت سائدة عند غير المسلمين:«لقد كانت طرق تنظيف الأسنان عند غير المسلمين في الماضي شعوذة ومضرة، وعلاوة على ذلك كانت هناك طرقا تقشعر منها الأبدان في وقتنا الحاضر من قذارتها إذ كان شائعا في أوروبا في القرن (16) المضمضة بالبول لتنظيف الفم ومعالجة أمراضه، علاوة على الوصفات الأخرى مثل مضغ قلب حية أو ثعبان أو فأرة مرة كل شهر لوقاية الأسنان وعلاجها، وكان الدكتور فرسيسكو دولاهاي (1624) يعالج الأسنان ويقيها من المرض بتعليق جذور الكرفس بالعنق أو حمل سن شخص ميت»[4].

وأغرب القصص على هذه، معجزة الطهارة في الإسلام الدالة على عدل الأمر الإلهي وصلاحية هذا الدين للبشرية جمعاء «أن بريطانيا حين احتلت جزر الساندويتش- جنوب المحيط الأطلسي- أرغمت سكانها المسلمين بالقمع والإغراء على أن يتحولوا إلى النصرانية فكانت النتيجة كما ذكرها الطبيب البريطاني (برناردشو) في كتابه: «حيرة الطبيب»: أن انتشرت بينهم الأمراض والأوبئة الفتاكة وعلل ذلك بتركهم لتعاليم الدين الإسلامي التي تقضي بالنظافة المطلقة في كل صغيرة وكبيرة إلى حد الأمر

1 – أبو الحسن الندوي:ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص168.

2 – انظر: زغريد هونكه: شمس العرب تشرق على الغرب، ص

3 – عز الدين فراج:الإسلام والوقاية من الأمراض، نقلا عن عبد الجواد الصاوي،ص71.

4 ـــ عبد الله السعيد:المرجع السابق ،ص45-52.

بقص الأظافر وتنظيف ما تحتها»[1].

ولا تستغرب مثل هذه الأمور إذ علمنا أن مصدر هذه الحال القذرة عند النصارى هي تعاليمهم كما وردت في أناجيلهم المحرفة (العهد الجديد) فمثلا جاء في إنجيل "متى" عندما سئل يسوع «لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزا»[2]، و بعد حوار ونصائح أجابهم: «إن كل ما يدخل الفم يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج، وأما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر، و ذلك..؟. الإنسان...والأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الإنسان»[3]!! وهذا يعني أن الحواريين كانوا قذرين ولا علاقة للنظافة بالعبادة والإيمان أي لا علاقة للنظافة المادية بالعلاقة الروحية وعلى هذا يعتمد النصارى في رفض الطهارة بالماء إلى جانب ما ورد في رفض النظافة والدعوة إلى النجاسة والوساخة في إنجيل مرقس حيث سأل الفريسيون والكتبة يسوع: «لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ بل يأكلون خبزا بأيد غير مغسولة، فأجاب وقال لهم...تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس، غسل الأباريق والكؤوس وأمور أخرى كثيرة مثل هذه تفعلون...رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم...ثم دعا الجمع وقال لهم: «اسمعوا مني كلكم وافهموا...أما تفهمون أن كل ما يدخل الإنسان من خارج لا يقدر أن ينجسه، لأنه لا يدخل إلى قلبه بل إلى الجوف ثم يخرج إلى الخلاء، وذلك يطهر كل الأطعمة»[4]!! إنها الجهل بعينه والجاهلية المظلمة.

ثم إن تعاليمهم العقدية رسخت موقفهم هذا من النظافة والطهارة المتمثل في تصورهم لأصل الوجود الإنساني الموسوم بطابع الخطيئة الآدمية مما يوجب معاقبة المرء لجسده تكفيرا عنها، ومن وسائل تلك المعاقبة القذارة والوساخة رغم أن المسيح في اعتقادهم قد خلصهم من هذه الخطيئة، وهذه الخطيئة، وهو ما يسمى بعقيدة الخلاص عندهم التي يغرون بها الناس الغافلين اليوم في سياستهم التنصيرية.

ولم يخرج الأوروبيون- و غير المسلمين بصفة عامة — من حال القذارة هذه إلا تأثرا بالعادات الإسلامية الحميدة تلك في الطهارة والنظافة، بعد أن اتضحت لهم فوائدها فأقاموا الحمامات الخاصة

---

1 ــ عبد الجواد الصاوي: المرجع السابق،ص72.

2 ــ إنجيل متى:إصحاح15،فقرة1-3.

3 ــ إنجيل متى:إصحاح 15،فقرة17-20.

4 – إنجيل مرقص:إصحاح 7، فقرة1-20. وانظر سعيد عليوان: التنصير وموقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر، ص269-271.

والعامة وأوصوا بالاستنجاء بالماء أولا، واكتشفوا أخيرا الطب الوقائي الذي كان يطبقه المسلمون تعبدا لله تعالى، وعالم الكائنات الدقيقة الذي كان غيبا في زمن النبوة وبعده إلى نهاية القرن التاسع عشر. لكن تلك التوجيهات في الطهارة تشير كلها بطريق أو بأخرى إلى هذه العوالم الخفية إلى مسببات الأمراض الأخرى التي تضعف البدن وتوهن الصحة وتصيب الجسم بالعلل والأمراض التي قد تؤدي إلى الهلاك.

فقد أثبت العلم سبق القرآن الكريم والسنة النبوية في الإشارة إلى الكائنات الدقيقة وأن التشريع الإسلامي أنجح السبل في القضاء عليها وحماية الإنسان ووقايته من أخطارها، ورأى العلماء صدق وحي الله لرسوله وتحقق قوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»[1].

وأدركت ولمست البشرية في أوج تقدمها العلمي ولهفتها في البحث عن السعادة، عدل الأمر الإلهي ورحمته ولطفه:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2].

المطلب الثاني: الصلاة والوقاية من مرض دوالي الساقين VARICES

أولا – الصلاة في الإسلام مفهومها وأهميتها

1–مفهومها

عرفت الصلاة لغة: بالدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[4].

---

1 ــ سبأ:6.

2 ــ المائدة:6.

3 ــ التوبة:103.

4 ــ الأحزاب: 56.

وفي اصطلاح الفقهاء: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة، وعرفت بأنها قربة فعلية ذات إحرام وسلام[1].

إلا أنها في حقيقة الأمر وكما يريدها الإسلام ليست مجرد أقوال يلوكوها اللسان، وحركات تؤديها الجوارح، بلا تدبر من عقل ولا خشوع من قلب، ولا طمأنينة للأعضاء حيث ينقرها صاحبها نقر الديك، ويخطفها خطف الغراب ويلتفت فيها التفات الثعلب، كلا فالصلاة المطلوبة هي التي تأخذ حقها من التأمل والخشية واستحضار عظمة المعبود جل جلاله.

ذلك أن القصد الأول من الصلاة — بل من العبادات كلها- هو تذكير الإنسان بربه الأعلى الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى إذ قال جل وعلا: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾[2]، وقال ﷺ: «إنما فرضت الصلاة وأمر الحج وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله تعالى»[3].

2-أهميتها

- الصلاة صحة روحية (تزكية للنفس)

جعل الله ﷻ الصلاة كتابا موقوتا خمس مرات في اليوم لتكون حماما روحيا للمسلم يتطهر بها من غفلات قلبه، وأدران خطاياه، وقد مثل النبي ﷺ هذا المعنى في حديثه الشريف فقال: «أرأيتم لو أن نهرا على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، فهل يبق على بدنه من درنه شيء؟ قالوا: لا، قال: كذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا الله بهن الخطايا»[4]، وقال تعالى:﴿وَأَقِمْ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[5].

-الصلاة صحة جسدية (مادية)

وتتجلى هذه الصحة الجسدية المادية في أمرين، في الطهارة وحركات الصلاة.

أما الطهارة فهي أحد شروط صحة الصلاة مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ

---

1 ــ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: رسالة الإمام، كتاب الصلاة، ص.3.

2 ــ طه:14.

3 ــ رواه أبو داود.

4 ــ متفق عليه.

5 ــ هود: 114.

كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾[1]، والطهارة تشمل نظافة البدن والثوب والمكان لتصح الصلاة، فهي شطر الإيمان. كما بين في المطلب الأول من هذا المبحث.

أما حركات الصلاة فهي رياضة بدنية-كما سيأتي بيانه - تنشط المسلم بتكبيره للصلاة، واعتدال أعضائه فيها وطمأنينتها. فهي حركة وعمل حيث يعمل الجسم قائما وراكعا وساجدا وجالسا، واللسان يعمل ذاكرا والعقل يعمل متدبرا مفكرا فيما يتلوا أو يتلى عليه من القرآن، والقلب يعمل مستحضرا رقابة الله تعالى وخشيته وعظمته وحبه والشوق إليه[2].

كما تتجلى أهمية الصلاة في الإسلام بعدها الاجتماعي إذ تهذب سلوك المسلم أخلاقيا ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[3]. و﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، إِلَّا الْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[4]، وتغرس الشعور بالأمن الاجتماعي من خلال صلاة الجماعة، وتعود الملتزم على النظام والانضباط بالصلاة ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[5]، حيث يضبط المؤمن نشاطه اليومي تنظيما وترتيبا بحسب مواعيد الصلاة.

ثانيا – دوالي الساقين ونتائج البحث العلمي

دوالي الساقين، خلل شائع في أوردة الساقين، يتمثل في ظهور أوردة غليظة ومتعرجة وممتلئة بالدماء المتغيرة اللون على طول الطرفين السفليين ومن المؤلم أنها تصيب ما يقرب من عشرة إلى عشرين بالمائة من الجنس البشري.

ولقد تعارف العلماء على تصنيف دوالي الساقين إلى نوعين دوالي ابتدائية ودوالي ثانوية[6].

ولقد اختلف العلماء والجراحون في السبب الحقيقي للدوالي الابتدائية، إذ يرى فريق أن تلف

---

1 ــ المائدة:6.

2 ــ القرضاوي: العبادة في الإسلام،ص220، وانظر: زهير رابح قرامي:المرجع السابق.

3 ــ العنكبوت:45.

4 ــ المعارج:19-23.

5 ــ النساء:103.

6 ــ توفيق علوان: "معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين"، ص72.

الصمام يؤدي إلى زيادة مؤثرة في الضغط على جدران الوريد، مما يؤدي إلى انهيار مقاومة الجدار وتمدده[1]، وعبر فترة زمنية طالت أم قصرت نجد أنفسنا أمام صورة تامة ومتكاملة لدوالي الساقين. ويرى الفريق الآخر سبب المرض يعود لضعف أصيل ومؤثر كامن في جدار الأوردة المؤهلة للإصابة بالدوالي. (انظر الشكل رقم 31).

أما الدوالي الثانوية فربما ترتبت على عوامل كثيرة، كالجلطة الوريدية والعميقة التي تؤثر مباشرة على قدرة الصمامات على الإحكام، مما يؤدي إلى إتلافها، وبسبب الضغوط القوية تنهار جدران الطقم الوريدي السطحي، وتتمدد إلى الصورة النموذجية لدوالي الساقين[2].(انظر الشكل رقم32).

وفي كل الحالات فإن دوالي الساقين يرجع إلى ضعف أو تلف الصمامات أو ضعف أو انهيار الجدار الوريدي نتيجة الضغط على الطرفين السفليين بالوقوف المطول، والتي تتبين لنا قيمتها ودورها الحيوي وخطورة تلفها في التجربة التي أجراها الدكتور توفيق علوان على 20 حالة مصابة بدوالي الساقين و10 حالات غير مصابة وقد أثبت الباحث أن لأداء الصلوات بحركاتها المتميزة علاقة وثيقة بالوقاية من مرض الدوالي[3].

والضغوط الواقعة على أوردة الساقين عند صعود الدم إلى القلب كما قرر (دافيد كرستوفر) عام 1981م «وفي أية نقطة منها، ما هي إلا محصلة لثلاثة أنماط من الضغوط المنفردة ألا وهي:

1- الضغط الناجم عن قوة الدفع المترتبة على ضخ القلب(هيدروليك).

2- الضغط الواقع بتأثير الجاذبية الأرضية إلى أسفل (هيدروستاتيك) وهو مرتبط بالوضع المنتصب للإنسان. وأية نقطة في الجهاز الوريدي تقع تحت مستوى الأذين الأيمن بالقلب معرضة إلى ضغط إيجابي يعادل طول المسافة بين تلك النقطة وبين الأذين الأيمن.

3- الضغط الناتج عن التغيرات الانتقالية المؤقتة،و هذا الأخير ينشأ ابتداء من عدة مصادر، فمثلا هناك تغيرات مركزية تنشئها الموجات المتعاقبة كرد فعل لعمل القلب، وكذا تلك الموجات

---

1 – Frédéric Vin: L` insuffisance veineuse a l` atteinte micro circulatoire, p.14.

2 – توفيق علوان:المرجع السابق ،ص72. و Ibid.p14.

3 – حصل هذا البحث على درجة الماجستير بتقدير ممتاز 100% من كلية الطب قسم الجراحة العامة جامعة الإسكندرية عام 1986 ويعد أول بحث طبي يربط بين الصلاة كتشريع إسلامي وبين الوقاية من مرض دوالي الساقين،بل إنه كذلك أول بحث يربط بين الدوالي والتمرينات العضلية الحقيقية على مستوى العالم.

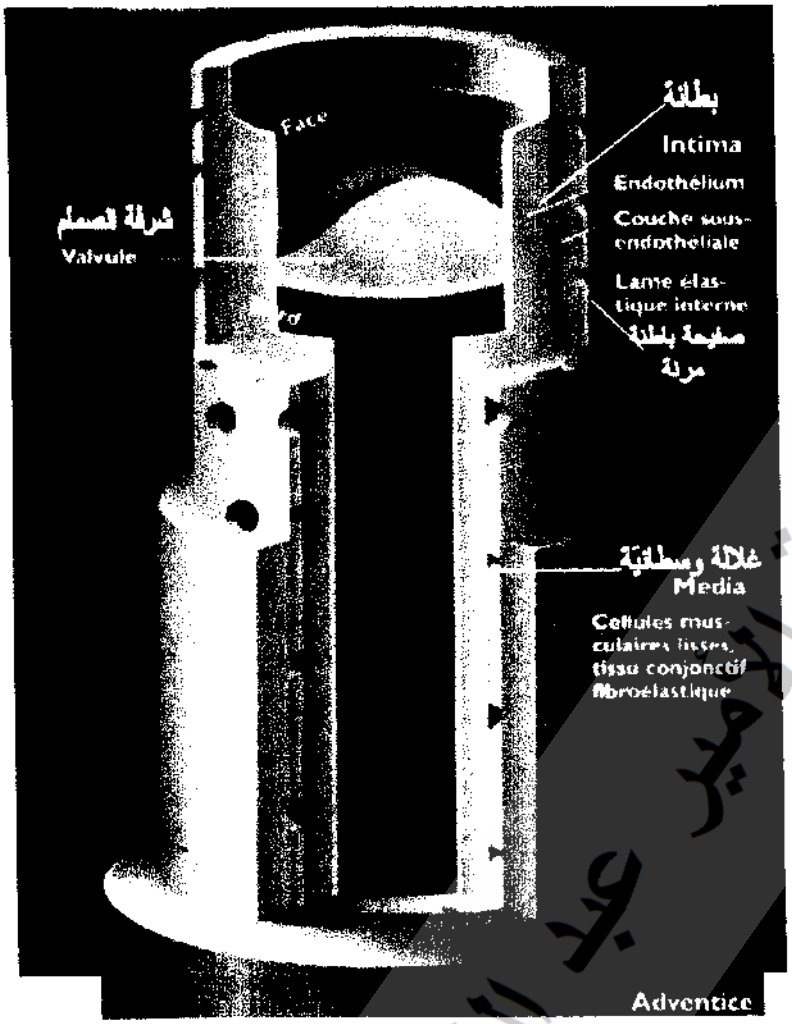

الشكل رقم 31:
قطع عمودي للوريد السافن يبين مكوناته.

الشكل رقم 32:
دوالي الساقين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المكافئة للتغيرات المنظمة في الضغط داخل القفص الصدري كنتيجة لعمل الرئتين تمددا وانكماشا.يضاف إلى ذلك تغير الضغوط بالأوردة بناء على عمل الانقباضات المتتابعة لعضلات الطرفين السفليين»[1].

ولما كانت الأوردة السطحية بالطرف السفلي، توشك أن تقف منتصبة من أسفل إلى أعلى دونما تقوية أو إعانة، ولما كان الوريد الصافن الأكبر بالذات هو أطول الأوردة بالجسد الإنساني أجمع، فببساطة تامة يمكن التأكد من أن أشد أنواع الضغوط الواقعة عليه إنما يرجع إلى ضغط الجاذبية الأرضية الفاعل بصورة عكسية لسريان الدم الوريدي، حيث تراوح الضغط على ظاهر القدم حال الوقوف، بين (90و120سم/ماء) مما يبين الدور البالغ الأهمية للمضخة العضلية الوريدية، وينخفض أثناء المشي مثلا إلى (30ملم/زئبق) عند مفصل الكعب عقب فترة وجيزة من تحريك الطرفين السفليين. ومن الأدوار الحيوية لهذه المضخة العجيبة تخفيض تراكمات هذه السوائل داخل الأنسجة، تلك التي تؤدي إلى تورم الساقين وبصورة مؤلمة مع طول فترات الوقوف دون أدنى حركة نتيجة لتضاعف الواقع على الأوردة[2].

ثالثا–علاقة الصلاة بدوالي الساقين

لقد أثبتت الدراسة أن الصلاة تقوم بأهم دور في الوقاية من مرض الدوالي من خلال صيانة وتقوية جدران الأوردة والصمامات، وتخفيف الضغط على الطرفين السفليين، تسهيل عملية وصول الدم إلى القلب، وهذا ملخص النتائج[3]:

أ– نسبة المصلين وعلاقتها بدوالي الساقين

لقد كانت نسبة المصلين في مجموعة المرضى بالدوالي في الساقين (10%) فقط من المرضى، أما نسبة المصلين في المجموعة المماثلة في العدد والسن والجنس من الأشخاص الأسوياء، أخذوا كعينة محايدة للمقارنة فكانت (35%) وهذا بين أن نسبة المصلين في مجموع المصابين بالدوالي هابطة هبوطا مثيرا عن نظيراتها في أولئك المعافين من ذات المرض.

---

[1] — توفيق علوان:المرجع السابق،ص73.

[2] — نفس المرجع، ص 74.

[3] — زهير رابح قرامي:المرجع السابق،ص99، نقلا عن توفيق علوان:معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين.

ب- نسبة مادة الهيدروكسي بروتين والصلاة

عند قياس نسبة الهيدروكسي بروتين (وهي المادة المسؤولة عن قوة جدران أوردة) في جدار الوريد الصافن لدى المجموعة المصابة بمرض الدوالي، وجد أن نسبة هذا المكون المهم للأوردة تبلغ (26.13%) لدى المصلين من المرض، و لم تبلغ هذه المادة لدى غير المصلين من المرض سوى (16.43%).

لكن المفاجأة المثيرة هي عند إجراء قياس هذه المادة في مجموعة من الأشخاص السليمين من مرض الدوالي، حيث كانت نسبة الهيدروكسي بروتين في جدران الوريد الصافن عند فريق المصلين (80.93%) أما في فريق غير المصلين ضمن نفس المجموعة فكانت نسبة هذه المادة (63.40%) فقط، وهذا نقص مدهش يبرز الدور العظيم لفريضة الصلاة في تقوية جدران الأوردة بتنشيط القدرات البنائية لمادة الهيدروكسي بروتين. (انظر الشكل رقم 33).

ج- الصلاة وأثرها في الضغوط على الوريد الصافن

إن قياس الضغوط على جدران الوريد الصافن أثناء مراحل أداء الصلاة، وذلك لدى (15) حالة غير مصابة بالدوالي، أثبتت النتائج التالية:

1. كان متوسط الضغط الواقع على جدران الوريد الصافن أثناء القيام يساوي (93.03سم/ماء).
2. عقب زمن قدرة حوالي نصف دقيقة في الوضع الوريدي الواقع على ظهر القدم(49.13 سم/ماء) في الهبوط بالغ للضغط الوريدي في هذا الوضع عن نظيره حال القيام.
3. عندما طلب من الحالات أن تعتدل من الركوع مرة أخرى إلى القيام والثبات على ذلك لمدة ثلاثين ثانية، سرعان ما بدأ الضغط يرتفع تارة أخرى إلى (86.8سم/ ماء).
4. ومن وضع القيام إلى الهوي مباشرة لوضع السجود، هوى الضغط بصورة حاسمة إلى قيمة متوسطة قدرها (3سم/ماء) وهكذا انعدم الضغط تقريبا على جدران الأوردة بالطرفين السفليين أثناء السجود.
5. وحين تحول الوضع إلى الجلوس المطمئن عاد الضغط إلى الارتفاع إلى قيمة قدرها (16.73سم/ماء).

وهكذا برغم هذا الارتفاع النسبي عن ضغط السجود إلا أن القيمة بقيت منخفضة بوضوح عن نظيراتها أثناء القيام والركوع.

ولما أمرت الحالات بالسجود مرة ثانية في صورة مطابقة تماما لما يفعلونه في الصلاة، بلغ الضغط (1.33سم/ماء) وهي قيمة تساوي نصف الضغط في السجود الأول تقريبا.

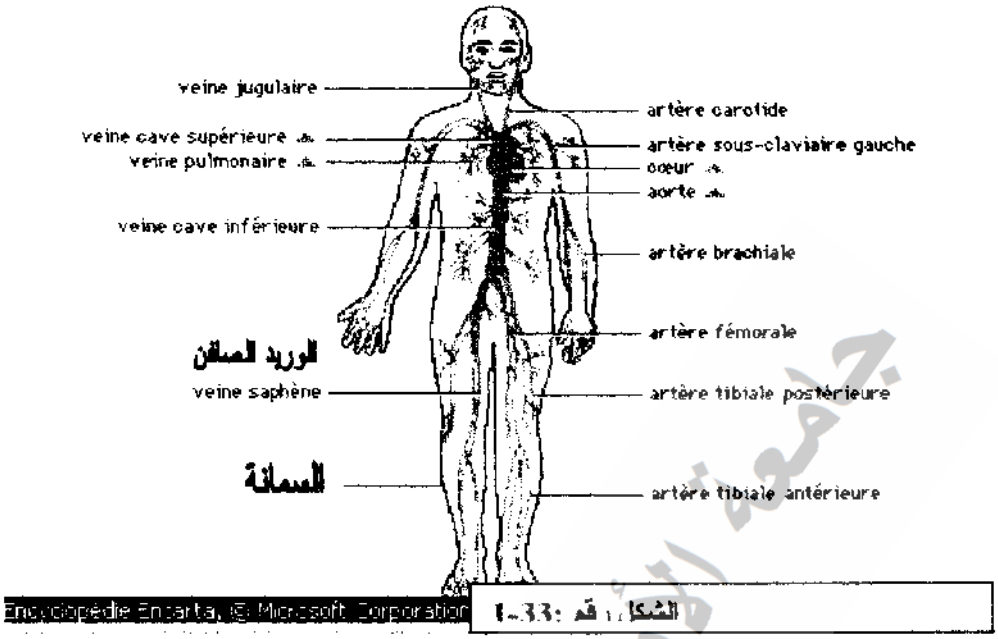

الشكل رقم: 1-33

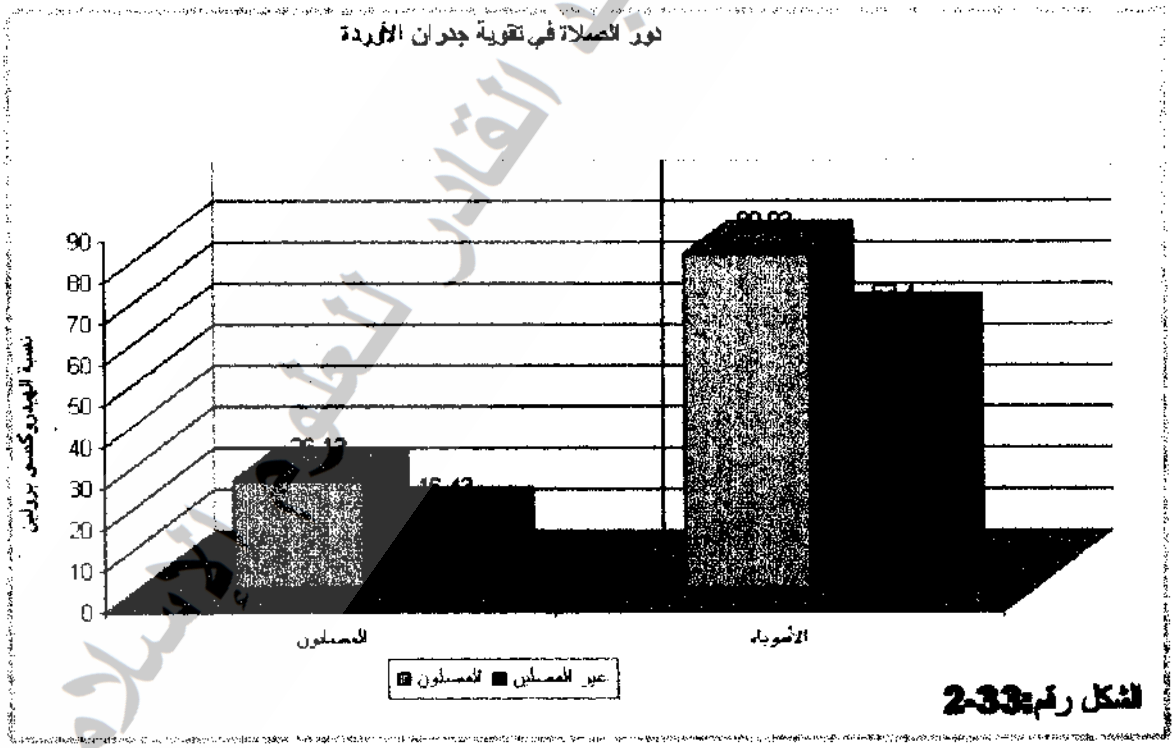

الشكل رقم:2-33

والمقارنة الإحصائية بين القيم السابقة للضغوط نجدها معبرة تماما من الناحية العلمية، وهذا دليل قاطع على دور الصلاة في التخفيف المؤثر للضغوط الوريدية على جدار الوريد الصافن. (انظر الشكل رقم 34).

ويمكن أن نستنتج هنا أن الصلاة بحركاتها المتميزة تؤدي إلى أقصى تخفيض لضغط الدم على جدران الوريد الصافن مرتين؛ الأولى:بذات الأوضاع المؤدية إلى تناقص الضغط، الثانية: بتنشيط المضخة الوريدية الجانبية مما يؤدي إلى تخفيض إضافي للضغط المذكور. أما التأثير الثالث والبالغ الغرابة في الصلاة فهو يرجع إلى ما يبدو أن الصلاة تؤدي إلى تنشيط القدرات البنائية لمادة الهيدروكسي برولين ومن ثم تقوية جدران الوريد.

وعليه فإن الصلاة تساهم في عودة الدم إلى القلب عبر أوردة قوية إضافة إلى ما توفره أيضا أثناء حركاتها من معاونة للمضخة العضلية.

فعملية صعود الدم عكس الجاذبية من القدمين والساقين إلى القلب أثناء الوضع الواقف للإنسان، تعتمد تقريبا وبصورة شبه كاملة على مدى النشاط العضلي للساقين، وخصوصا تلك الانقباضات المؤثرة لعضلات مؤخر الساق (السمانة) فيما يعرف بمضخة السمانة، وهذه المضخة تتميز بقدر عال من الكفاءة، ذلك أن هذه المجموعة من العضلات قد أحيطت بإحكام بالأوردة، بحيث يحصل ضغط قوي على هذه الأوردة حال انقباض العضلات، كما سنبينه.

د-تنشيط الدورة أثناء حركات الصلاة

أولا: نموذج السجود كحركة من حركات الصلاة وما يحدث أثناءه

تعد حركة السجود في الصلاة من أخطر حركاتها بأسرها، من جهة خدمة ارتجاع الدماء إلى القلب. ويتجلى لنا ذلك من خلال توصيف الحركة والتغيرات الوريدية العضلية.

1-توصيف حركة السجود (انظر الشكل رقم 35)

يؤدى السجود في الصلاة وفق التعليمات النبوية الدقيقة على المنوال التالي:

ـــ كقاعدة لا استثناء لها، ينبغي إن يؤدى السجود مثل غيره من حركات الصلاة على أكمل حالات التؤدة والتأني والاطمئنان، لقوله ﷺ: «...ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا وافعل ذلك في صلاتك كلها»[1].

---

1 ـــ أخرجه البخاري في كتاب الآذان ومسلم في كتاب الصلاة.

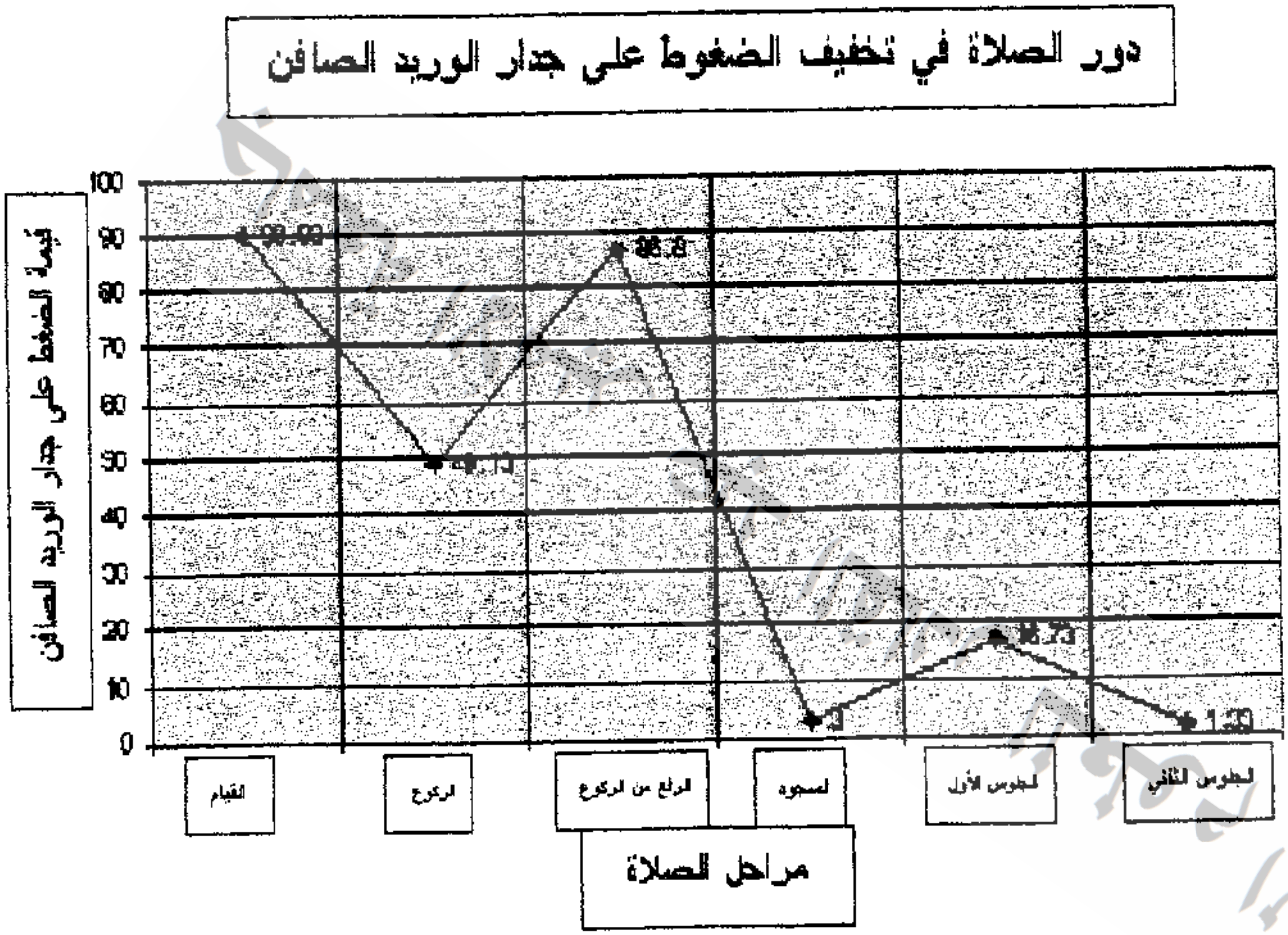
دور الصلاة في تخفيف الضغوط على جدار الوريد الصافن
قيمة الضغط على جدار الوريد الصافن
100
90
80
70
60
50
40
30
20
10
0
98.8
49.13
88.8
3
18.73
1.39
القيام
الركوع
الرفع من الركوع
السجود
الجلوس الأول
الجلوس الثاني
مراحل الصلاة

الشكل رقم:34

ـــ ويتم هذا السجود في فترة زمنية قريبة من تلك التي يقطعها المصلي حال الركوع.

ـــ ينبغي أن يطمئن الوجه تماما في ملاصقته الأرض. (انظر الشكل رقم 35-1)

ـــ ويبقى الجذع معلقا ومستقرا في ثبات على أعظم الوجه والكفين والركبتين وأطراف أصابع القدمين المتجهين إلى القبلة، لقوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، على الجبهة (وأشار يده على أنفه) واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا يكفت الثياب والشعر»[1].(انظر الشكل رقم 35-2).

ـــ وهناك نهي صريح عن استراحة الجذع فوق الكوعين، أو الزندين بل على العكس ينبغي أن يبق الكوعين على أقصى بعد ممكن من الجذع ذاته، إذ قال النبي ﷺ: «اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب»[2]، وقال: «إذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك»[3]، وعن عمرو بن الحارث كان رسول الله ﷺ إذا سجد يجنح في سجوده حتى يرى وضح إبطه»[4]. (انظر الشكل رقم 35-3).

ـــ وعلى المصلي أن يتجنب قطعيا انحناء الظهر عند السجود، بل على الظهر أن يبقى مشدودا بلا عوج.

ـــ والفخذان تستقران في الوضع العمودي على الركبتين في حال شبه استرخاء كامل. (انظر الشكل رقم 35-4).

ـــ أما عن الساقين فكلاهما يرتكز على أطراف القدم التابعة له، فيما يبقى من جهته الأخرى مثبتا على مفصل الركبة لذات الطرف السفلي[5]. (انظر الشكل رقم 35-5).

2- التغيرات الوريدية العضلية حال السجود

إن أعجب ما في وضع السجود «هو أنه يجعل الدورة الدموية بكاملها تعمل في ذات الاتجاه الذي تعمل فيه الجاذبية الأرضية، فإذا بالدماء التي طالما قاست من التسلق المرير من أخمص القدم

---

1 ـــ رواه مسلم في كتاب الصلاة.

2 ـــ رواه مسلم في كتاب الصلاة.

3 ـــ رواه مسلم في كتاب الصلاة.

4 ـــ رواه مسلم في كتاب الصلاة.

5 ـــ توفيق علوان: المرجع السابق،ص77-78.

إلى عضلة القلب قد تدافقت منسكبة في سلاسة ويسر من أعلى إلى أسفل»[1].

ـــ وبما أن المصلي يبقي ظهره أثناء السجود مشدودا بلا اعوجاج فإن العضلة الناصبة الظهرية تكون منقبضة للمحافظة على هذه الاستقامة أثناء السجود، والتي تمتد منطقة عملها من العنق إلى العصعص، وهذا ما يتفق مع التعاليم النبوية في تجنب الاعتماد على الكوعين في السجود مما يطلق يد العضلة المذكورة في العمل بالعرقلة، إذ تطرد هذه العضلة دماءها الغزيرة إلى تيار الدم المتدفق في الأوعية الدموية الكبرى، التي تقع هذه المرة في مستوى عضلة القلب مما يدفع بالدماء إليه في سرعة ويسر بمعاونة الجاذبية الأرضية.

ـــ ويحدث تمدد العنق تحت فاعلية العضلة الرأسية العنقية فتقذف بأغلب دماءها المنتشرة في الشبكة الدموية السحية كما ذكرنا في الركوع.

ـــ أما انثناء البطن في الوضع الساجد، فيتم بتضافر العضلة البطنية الأمامية في جدار البطن مع جاراتها المائلات العاملات معها في تفاهم كامل.

وفي هذا الوضع المتميز، وتحت تأثير انضغاط التحويف البطني، مع الانقباض النسبي لعضلات جدار البطن الأمامي، فإن الزيادة الحادثة في الضغط داخل تجويف البطن يؤدي بالضرورة إلى اعتصار الدماء التي تشق الطريق بغير كبير عناء أو عرقلة في الاتجاه المتاح أمامها نحو عضلة القلب التي تقع في مستوى من الدورة الدموية متلقية إمدادات الدماء الهاوية إليها من المستويات الأعلى.

ومما يزيد ممن سرعة ارتجاع الدماء نحو القلب وتداعيها إليه من كل عرق بعيد، تلك القدرة العجيبة للقلب على إيجاد الضغط السالب المؤدي إلى سحب الدماء سحبا من تجاويف الأوردة الكبرى الواصلة إليه مضافا إلى ذلك القدرة الماضية للجاذبية الأرضية.

ـــ كما يحدث أثناء السجود انثناء مفصل الفخذ بالعضلة الممتدة من الإلية لأعلى الفخذ، وانثناء مفصل الرقبة، بينما تعتمد الساق على أطراف الأصابع المنتصبة باتجاه القبلة حيث تصبح مجموعات العضلات الواقعة في منطقة الفخذ في حالة من الاسترخاء التام.

ـــ وكذا في هذا الوضع المتميز للساق ترتاح عضلات السمانة (خلف الساق) وتتراخى تماما، ونتيجة هذا الارتخاء المفاجئ، فإن قوة السحب السالب للدماء من الأوردة السطحية إلى العميقة تتولد مخلفة

[1] ـــ زهير رابح قرامي: المرجع السابق ،ص105.

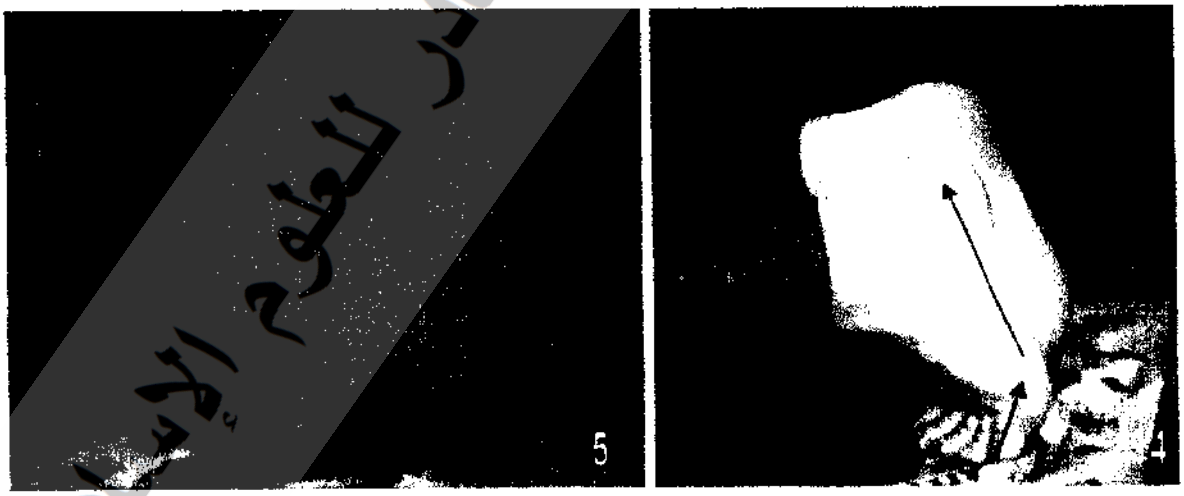

الشكل رقم35:

- سرعة ارتجاع الدماء, لأنها في اتجاه الجاذبية.
- سرعة ارتجاع الدماء لاعتصار الأعضاء.
- ارتجاع متباطئ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أوردة الساق السطحية وهي خاوية من غالبية الدماء التي كانت تضغط بكل قوها على جدرانها.

بينما يساعد الوضع المنحدر من الخلف إلى الأمام إلى تدفق الدماء بمساعدة العون القيم الذي تسديه الجاذبية الأرضية.

ـــ أما مفصل الكعب فيلزم وضع الانثناء الظهري له, وذلك لثبات القدم على أطراف الأصابع في اتجاه القبلة المستقرة على الأرض-كما ذكرنا-.

وهذا الوضع للأقدام يؤدي إلى انقباض المضخة الوريدية داخل أوعية القدم, مما يزيد في كفاءة ارتجاع الدماء الوريدية.

3- الفوائد الطبية أثناء السجود

تؤدي حركة السجود إلى منافع جمة تيسير مهمة الارتجاع الدموي صوب القلب بما يلي:

1. توجيه الدورة الوريدية بالجسم عموما في اتجاه عمل الجاذبية الأرضية.
2. تنشيط المضخة الوريدية في البطن إلى أقصى درجة ممكنة.
3. سحب الدماء بمضخة الساق من الطاقم السطحي إلى الطاقم العميق من أوردة الطرف السفلي.
4. أقصى استخدام لقوة السحب السالب من عضلة القلب جنبا إلى جنب مع سحب الجاذبية الأرضية[1].

ثانيا:الرفع من السجود (الجلوس) (انظر الشكل رقم 36)

1-توصيف الحركة

كقاعدة سبق ذكرها, فإن هذه الحركة لا بد وأن تستغرق فترة زمنية قريبة من تلك التي يقضيها المصلي ساجدا.

وأهمية هذه الحركة بالذات ترجع إلى الدرجة العالية من التكامل بينها وبين سابقتها؛ ويؤديها المصلي في صورتها المثالية كما يأتي:

ـــ في خشوع تام يتم رفع الرأس باطمئنان من فوق الأرض وحتى يستوي الجسم في وضع الجلوس بالظهر منتصبا, لقوله ﷺ «ثم ارفع حتى تطمئن جالسا».(انظر الشكل رقم 36-1).

ـــ و يكون الفخذ الأيسر مستقرا فوق الساق اليسرى. (انظر الشكل رقم 36-2- 3).

[1] ـــ زهير رابح قرامي:المرجع السابق,ص106-107.

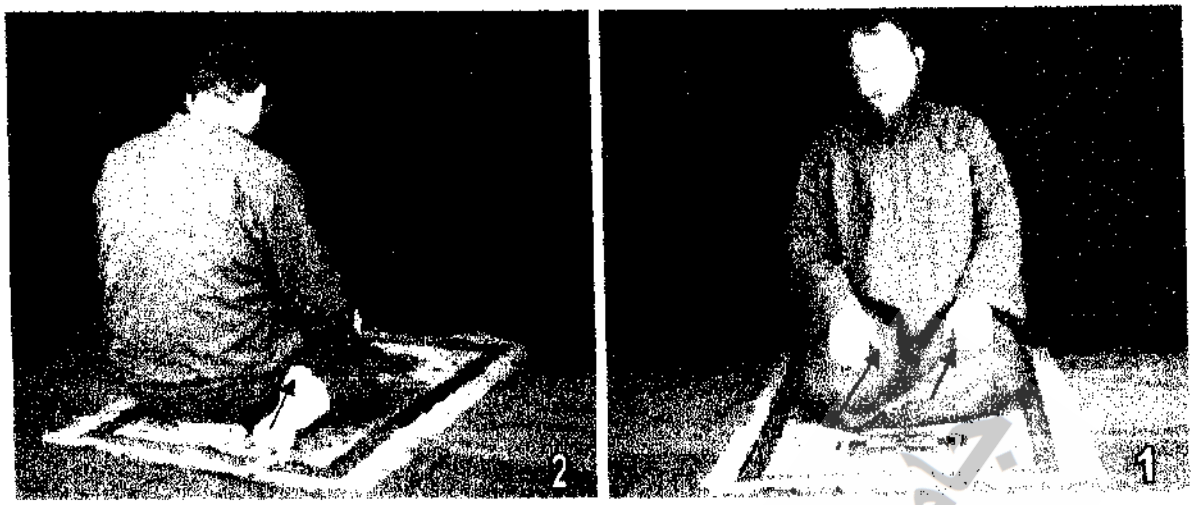

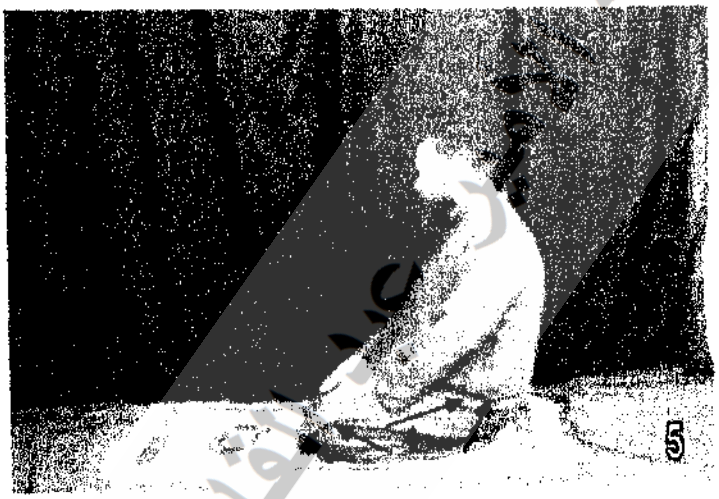

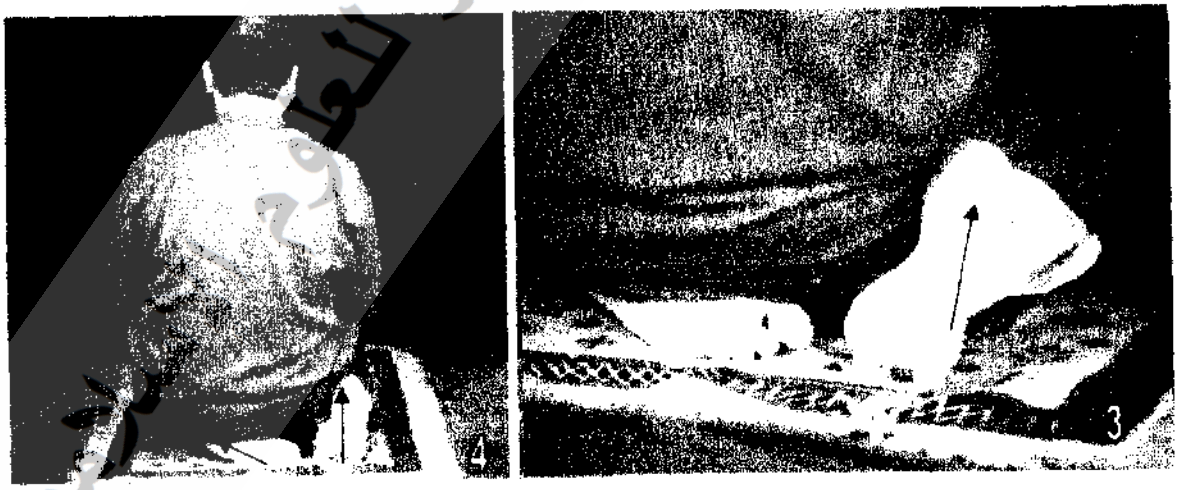

الشكل رقم 36: الإفتراش

ـــ أما الساق اليمنى فتطمئن على أطراف أصابع القدم اليمنى. (انظر الشكل رقم 36-4).

ـــ بينما يرتكز الكفان على كلا الفخذين. (انظر الشكل رقم 36-5).

وهذا الوضع برمته يسمى في الاصطلاح الشرعي (الافتراش).

2-التغيرات الوريدية والعضلية

يتبع هذا الوضع وبصورة آلية شهيق مما يؤدي إلى تنشيط كامل للمضخة الصدرية كما حدث في حركة الرفع من الركوع حيث تندفع الدماء عائدة من تجويف البطن وكذا بقية أجزاء الجسم حيث يكون الضغط هناك أعلى من مثيله الجوي، إلى منعطف الضغط السالب (أقل من الضغط الجوي) في تجويف الصدر وأوردته الفسيحة المتشعبة.

ناهيك عن ارتفاع الضغط داخل تجويف البطن بهبوط الحاجب الحاجز تحت تأثير الجاذبية والشهيق فتعتصر الدماء قهرا إلى القلب، إذ لا تجد لنفسها مخرجا حيث وقفت الصمامات المحكمة اليقظة في الطرفين السفليين دون تسربها إلى أسفل فتمضي خاضعة إلى عضلة القلب.

في هذه الحالة يقل تدفق الدماء على الصدر، ويكون تجويف البطن فارغا، فتجد الدماء المحتبسة في الطرفين السفليين فرصتها الذهبية حتى تندفع في سرعة إلى تجويف البطن، حيث الأوردة المسترخية المستعدة تماما لاستقبال الدم المندفع من الطرفين السفليين، الذين قد انثنيا، وعضلاتهما التي تكون مسترخية تتيح الفرصة للدماء السطحية أن تجد طريقها نحو التيار العميق، هذا بينما تعتصر عضلات الفخذ جاراتها الكاسيات لعظام الساق بما بها من أوردة، لا تلبث أن تتخلص من دمائها تاركة طاقم الأوردة السطحية على أتم راحة وأكمل استرخاء؛ وتشارك ركب ارتجاع الدماء مضخة القدمين حيث تدفع بالدماء على أقصى قدرتها[1].

3-الفوائد الطبية في الرفع من السجود

يؤدي الجلوس (الافتراش) إلى الفوائد التالية:

ـــ مضخة صدرية تعمل على ذروة فاعليتها.

ـــ مضخة بطنية على ذروة فاعليتها.

ـــ اعتصار الدماء الوريدية بالطرفين السفليين على أقصى صورة.

---

[1] ـــ زهير رابح قرامي: المرجع السابق، ص103-104.

ـــ ومن ثم أقصى ارتياح لجدران الأوردة السطحية للساقين.

وهكذا فإن الصلاة تعد عاملا مؤثرا في الوقاية من دوالي الساقين عن طريق ثلاث أسباب:

- الأول:أوضاع الصلاة المتميزة المؤدية إلى أقل ضغط واقع على الجدران الضعيفة لأوردة الساقين السطحية (من93-100سم/ماء حال الوقوف إلى 1.33سم/ماء عند السجود في كل ركعة).

- الثاني: تنشيط لعمل المضخة الوريدية الجانبية ومن ثم زيادة خفض الضغط على الأوردة المذكورة.

- الثالث:تقوية الجدران الضعيفة عن طريق رفع كفاءة البناء الغذائي بها ضمن دفعها لكفاءة التمثيل الغذائي بالجسم عموما[1].

وهذا ما يفسر لنا كذلك الانخفاض الملحوظ في الإصابة بدوالي الساقين بين المصلين.

رابعا: وجه الإعجاز

وهكذا يكشف لنا العلم الحديث أحد أسرار الصلاة المادية الصحية وحكمها، ويبين لنا سر الأمر الإلهي وراء الدعوة إلى المحافظة عليها والالتزام الصارم بتعاليمها. إذ يقول جل جلاله: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ وَأَقِمْ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[2]، وقوله ﷺ : «صلوا كما رأيتموني أصلي»[3].

بل هذه الفائدة الصحية وغيرها كثير مما اكتشفه العلم في تطوره تبين لنا عدل الأمر الإلهي، فالرسول الكريم ﷺ شدد في الأمر بالصلاة ورغب فيها كما حذر أعظم التحذير من تركها، فعن ابن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل: «قال الصلاة على وقتها...»[4].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى ليشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[5]. وعن جابر ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بين

---

1 ـــ زهير رابح قرامي:المرجع السابق ،ص108.

2 ـــ العنكبوت:45.

3 ـــ جزء من حديث، رواه البخاري، في كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة.

4 ـــ متفق عليه.

5 ـــ متفق عليه.

الرجل وبين الشرك ترك الصلاة»[1]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب ﷻ: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة؟ تكون سائر أعماله على هذا»[2].

وما هو عدل إلا لكونه ينسجم مع الخلق الإلهي لأن خالق الجسم البشري هو نفسه خالق الكون المحيط بهذا الجسم وهو نفسه الذي وضع الشرع حلقة ربط بين الجسم والكون،وهو العالم الحكيم القوي المتين المدبر لكل مخلوقاته بشرا وطبيعة وهو الموجد لمنهج الحياة المتكامل للشريعة وللإسلام حياة وشريعة. فيكون الأمر الإلهي بذلك إحياء للإنسان وكلما غفل عنه كان في عداد الأموات قال الحق تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[3].

لذا قال العدل سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[4]. وقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[5]، والفلاح هنا في الدنيا الذي بين العلم جزء ضئيل منه وفلاح في الآخرة.

أما غيرهم تركوا الصلاة أو المهملين لها إلى جانب ما قال النبي ﷺ قال فيهم الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[6]، فإنهم يفقدون في الدنيا نعمة الصحة الجسمية والنفسية بل يفضي ترك الصلاة إلى أسوأ العواقب، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[7]، وقال جل جلاله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

1 ــ رواه مسلم.

2 ــ رواه الترمذي وقال حديث حسن.

3 ــ الأنفال:24.

4 ــ المؤمنون:1-9.

5 ــ المعارج:23.

6 ــ الماعون:4-7.

7 ــ طه:124.

الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1].

فالتطور العلمي الطبي الذي نعيشه اليوم والجهود التي كللت باكتشاف بعض فوائد الصلاة الصحية الطبية كعلاج الأمراض العصبية والنفسية، والوقاية من ارتفاع ضغط الدم وبعض أمراض القلب، والحماية من الانزلاق الغضروفي، وتقوية العظام والمفاصل والعضلات، فضلا عن اللياقة البدنية والفوائد الاجتماعية، وكذلك الوقاية من دوالي الساقين، تشهد بعدل الأمر الإلهي وربانية القرآن الكريم وتؤكد لأهل عصرنا صحة النبوة الخاتمة لمحمد ﷺ قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[2].

خلاصة الفصل

وخلاصة القول، ما علاقة صدق الخبر وعدل الأمر الإلهيين بأركان الإيمان؟

إن صدق الخبر الإلهي هو مصدر علمنا اليقيني بأن الله هو الموجد لهذا الكون المنفرد في وجوده الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، هو العليم بخلقه الحكيم في فعله وأحكامه وشملت مشيئته كل الوجود ووسعت رحمته كل شيء ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[3].

ثم نسأل لماذا نتبع في وضوئنا ذلك الطريق الخاص الذي علمه لنا رسول الله ﷺ، ولماذا نصلي كما علمنا النبي ﷺ قراءة وحركات؟ أليس ذلك لأننا نرى طاعة الرسول واجبة على أنفسنا ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[4]، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[5]، ولماذا نحرص على أن لا نخطئ عمدا فيما نقرأ من القرآن في صلاتنا؟ أليس ذلك لأننا موقنون

1 ــ الشعراء:227.

2 ــ سبأ:6.

3 ــ البقرة:255.

4 ــ النساء:65.

5 ــ الحشر:7.

بأن القرآن كتاب الله؟ ومن ذا الذي نخشاه إذا قرأنا في صلاتنا بكلمات غير الكلمات التي علمها رسول الله ﷺ أو لم نقرأ بها أصلا؟ وما هناك من أحد من البشر يسمعنا نقرأ في صلاتنا بشيء أو لا نقرأ؟ أليس ذلك لمجرد علمنا أن الله يسمعنا، ولا يخفى عليه أمرنا عندما نقرأ خفية في أنفسنا؟ وما الذي يوقظنا من النوم ويدعونا إلى الصلاة حيث لا يرانا أحد؟ أفهو غير اعتقادنا أن الله الواحد الأحد يرانا؟ وما الذي يدعونا إلى أن نذر ما نكون فيه من شغلنا ونسعى إلى الصلاة إذا جاء وقتها؟ أليس هو شعورنا بأن الله هو الذي فرض علينا هذه الصلاة؟ والذي يجبرنا على الصلاة وقت الصبح شتاء، ووقت الظهيرة صيفا، ووقت اللعب والطرب مساء كل يوم؟ أفهذا شيء غير شعورنا بالواجب؟ الذي مصدره الإيمان بالله وحده لا شريك له وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.

ثم لماذا نخاف إذا لم نصل، أو إذا أخطأنا في صلاتنا عمدا؟ أفلذلك سبب غير أننا نخاف الله شديد العقاب ونرجوا رحمته وعفوه الغفور الرحيم، ونعلم أننا سنرجع إليه ونقوم إليه بين يديه يوم القيامة[1].

ولا بد أن نؤكد كما أرنا من قبل وكما يدل عليه ما سبق، «أن الأصل في العبادات أنها تؤدى امتثالا لأمر الله، وأداء لحقه على عباده وشكرا لنعمه التي لا تنكر وليس من اللازم أن يكون لهذه العبادات ثمرات ومنافع في حياة الإنسان المادية، وليس بالضرورة أن يكون لها حكمة يدركها عقله المحدود. الأصل فيها أنها ابتلاء لعبودية الإنسان لربه، فلا معنى لأن يدرك السر في كل تفصيلاتها، فالعبد عبد، والرب رب، وما أسعد الإنسان إذا عرف قدر نفسه»[2].

ثم بعد ذلك كله يأتي العلم ليضيف بعض دواعي الالتزام بأمره تعالى ويرقي إيمان المؤمن من التقليد إلى اليقين ويسلحه بأدلة الحق للحصانة والدفاع، ويقدم لغير المسلمين أدلة صدق الخبر الإلهي وعدل أمره سبحانه وتعالى، فيكون أمره دليلا على أركان الإيمان، كما قد يكون خبره وأركان الإيمان دليلا على عدل أمره ودافعا للالتزام به.

ففي أوامر الطهارة والصلاة، مثلا، في شريعة الإسلام، يتجلى الإيمان بالله تعالى ونبيه محمد ﷺ والإيمان باليوم الآخر أهم أركان الإيمان في العقيدة الإسلامية والتي تركز عليها شبهات الخصوم وطعونهم.

وهذا ما جعل علم العقيدة اليوم يعتمد، فيما يعتمد عليه، على نتائج العلم الحديث في

---

1 ــ أبو الأعلى المودودي: مبادئ الإسلام، ص118-120. وانظر: محمد عبد الرحمان بيصار: العقيدة والأخلاق، ص91 وما بعدها.

2 ــ يوسف القرضاوي: العبادة في الإسلام، ص207-206.

الاستدلال على صلاحية الدين الإسلامي شريعة وعقيدة، دفاعا وهجوما، حصانة وصيانة، وهو أحد معاني تعريف الفارابي لعلم الكلام: «وصناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل. وهذه الصناعة تنقسم جزءين أيضا: جزء في الآراء، وجزء في الأفعال»[1].

فيحصل بالإيمان (العقيدة) وعمل الصالحات (الشريعة) صلاح حال البشرية واستقامة معاشها، فيتحقق الأمن والاطمئنان في الدنيا والنجاة في الآخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، وقال: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[3]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[5] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً، خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾[6].

ومن هذا تتجلى لنا أهمية هذا النوع من الاستدلال على العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي وخاصة في هذا العصر، وقد عبر عنها فخر الدين الرازي في قوله: «واعلم أن هذا النوع من الدلائل أوقع في القلوب وأكثر تأثيرا في العقول وأبعد عن جهات الشبهات»[7].

---

1 ـــ الفارابي: إحصاء العلوم، ص.131.

2 ـــ النحل:97.

3 ـــ العصر.

4 ـــ الأحقاف:13.

5 ـــ النور:55-57.

6 ـــ الكهف:107-108.

7 ـــ فخر الدين الرازي: المطالب العليا، ج1، ص 216 – 217.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتـــمـــة

أولا: خلاصة البحث و النتائج العامة

لما كانت غاية هذه الرسالة الجانب المنهجي في علم العقيدة بناء على التطور العلمي المعاصر, كان من المناسب أن تتناول كلّ الفصول بالدراسة كلّ العناصر المنهجية لعلم العقيدة من التعريف به وتطوره إلى المناقشة والتقييم إلى إعادة البناء والتحديد المعاصر.

ولما كان الأمر يتعلق بعلم العقيدة وما تعرض له من إنكار لفضله وطمس لمعالمه وإلغاء وتجاهل لدوره وطعن في أصالته وقدح في منهجه، بأسلوب جانب الموضوعية في كثير من الدراسات, كان لابد أن أعرف في الفصل الأول بهذا العلم (تذكيرا بحقيقته) من خلال أهم عناصره المنهجية وأساسها, والذي افتقده مع مرور الزمن, وهو البعد الواقعي في علم العقيدة.

1- فبينت في هذا الفصل دلالات المنهج الواقعي ومدى تحققه من خلال دلالة التعريفات ودلالة التسمية ودلالة الدور والغاية, وذلك عبر تاريخ علم العقيدة.

حيث اتصف - في كل مراحله- باستثناء عصر الانحطاط والجمود- بصفة الواقعية في معالجة التحديات الداخلية والخارجية الناجمة عن واقع المسلمين الاجتماعي والسياسي والثقافي.

فأثبت في المبحث الأول أن أغلب التعريفات تؤكد أن علم العقيدة ذو نزعة واقعية ومنهج تطبيقي تمثلا في مظهرين أساسيين هما:

ـــ الغاية الدفاعية التي تقتضي تتبع واستقراء الواقع.

ـــ صلته الوثيقة بالعلوم العملية وعلى رأسها الفقه, وسائر العلوم الأخرى الإسلامية, والإنسانية والطبيعية.

فبينت أن قصده هو حصول صحة رأي لأجل عمل وليس حصول رأي أو اعتقاد يقيني فحسب.

وأوضحت أن هذه الصبغة الواقعية العملية لعلم العقيدة ومنهجه التطبيقي ما فتئا أن تلاشيا واختفيا وظهرت بدلهما صفتين غريبتين عنه وعن الفكر الإسلامي عموما هما: الصبغة التجريدية والمنهج البياني الشرحي، والصبغة الانفصالية في العلوم, مما أدى إلى الانفصال بين التصور والسلوك، أو الإيمان والعمل.

أما في المبحث الثاني فعرضت لدلالة التسميات مبينا أن للمصطلحات والأسماء الشائعة بين الناس للأشياء والعلوم كعلم الكلام, حناية على الحقائق والغايات, فعلم الكلام هو علم

العقيدة وعلم التوحيد وعلم الإيمان؛ وخلصت على أن هذه التسميات بتعددها وتنوعها تبرر الطابع الواقعي العملي لمنهج علم العقيدة وأصالته الإسلامية.

وفي المبحث الثالث: عرضت تطور علم العقيدة من عصر النشأة إلى يومنا هذا متتبعا مدى بروز واختفاء البعد الواقعي التطبيقي للمنهج.

فبنيت أن المتكلمين من عصر النشأة إلى عصر الانحطاط، كانوا في دفاعهم عن العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي عموما يتناولون بالبحث، استدلالا ونقضا، مسائل ذات طابع عملي كالإمامة ومرتكب الكبيرة وغيرهما، بل حتى المسائل العقدية النظرية كالإلهيات والنبوات والسمعيات كانوا يتناولونها من حيث مقتضياتها العملية وآثارها السلوكية في المجتمع، إذ القصد من تقريرها أو إثباتها والدفاع عنها هو تصحيح التصور وتقويم اعوجاج السلوك الاجتماعي المنحرف.

حيث تمثل دوره في مهمتين أساسيتين متكاملتين متداخلتين لا تنفك إحداهما عن الأخرى، هما الدفاع وترقية الإيمان من التقليد إلى اليقين. وتتحققان بمجموعة من الوسائل أو الوظائف التكميلية من أهمها أربع هي:

- الشرح والبيان لغرض الفهم والإصلاح.
- إثبات العقائد الإيمانية للترقية والإيقان.
- رد الشبهات للصيانة.
- الحجوم للحصانة.

وأكدت على الدور التكاملي لهذه الوظائف وخطورة الانفصال بينها ونتائجه السلبية على علم العقيدة والمجتمع.

إلا أنه في عصر الانحطاط لما توقف علم العقيدة عن التقدم والاستمرار وجمد على التجريد والتقليد والاجترار، تخلى عن وظيفته الدفاعية واعتنى بالشرح والبيان فقط والخوض في المسائل النظرية التجريدية والصراعات المذهبية. مما جعل البعض يحكم بانتهاء دوره، والبعض الآخر بعدم صلاحيته وبتحريم الاشتغال به.

حيث ناقشت خلال ذلك الشبهات والآراء التي أثيرت حول دور علم العقيدة قديما وحديثا، وخلصت إلى أن علم العقيدة نبع من القرآن الكريم موضوعا ومنهجا ومن واقع المسلمين،

وتطور منهجه في الاستدلال على المسائل العقدية ورد شبه الخصوم دفاعا ومنافحة عن الدين الإسلامي مستعينا بأسلحتهم، حيث أحسن المسلمون منازلة خصومهم وانتصروا عليهم محتفظين بالروح العامة لطبيعة المنهج القرآني يوم وعوا بحق قسماته وواقعهم المعاش.

وأثبت في هذا المبحث أن علم العقيدة زماني مؤقت يبين حقائق الإسلام الدائمة ويشرحها ويثبتها ويدافع عنها بمصطلحات ومناهج ووسائل زمانية رائجة في عصر المدعو.

وبينت بناء على ذلك أن الواقع المعاصر استلزم إحياءه ومراجعة حقيقية لمنهجه ومسائله حتى يستأنف دوره الدفاعي المتمثل في مهمتين عظيمتين وخطيرتين هما:

ـــ معالجة مشاكل الواقع الإسلامي.

ـــ اقتراح حلول للمشاكل التي تعاني منها الإنسانية بحكم الشهادة التي تتصف بها الأمة الإسلامية بناء على الوسطية وصبغة الله التي اصطبغت بها.

2- ثم حاولت في الفصل الثاني أن أرسم صورة متكاملة لمنهج القرآن الكريم في الاستدلال على العقائد الإسلامية من خلال إبراز خصائصه وأساليبه وتطبيقاتها على القضايا العقدية، لأجعله محكا لتقييم منهج علم الكلام.

فبينت أنه ما من قضية عقدية ساقها القرآن الكريم إلاّ قرنها بدليل صدقها وبرهان يقينها القطعي في دلالته، لأن منهجه جاء لتأسيس يقين العلم بعالم الغيب وعالم الشهادة على السواء بتقديم تلك البراهين والحجج وتذكير وتنبيه الفطرة، والكشف عن حجج الخصوم وبطلانها.

كما يخاطب القرآن الكريم في الإنسان كل ممتلكاته المعرفية (الحواس- العقل- الوجدان) مجتمعة ومتفرقة، كما يلائم كل مستويات الناس الذهنية وأحوالهم النفسية وأوضاعهم الاجتماعية.

وبينت أن أساليب القرآن الكريم تعددت وتنوعت تبعا لتنوع أغراض البيان القرآني وتبعا لتعدد أصناف المخاطبين بذلك البيان.

وتنوعت بين الأسلوب الوجداني والعقلي والتعجيزي، أساليبا متفرقة ومجتمعة في أسلوب واحد، في الدعوة للنظر في الآفاق والأنفس والآثار المتروكة.

فالقرآن الكريم يخاطب في المقام الأول الفطرة، ويدعوها إلى الإيمان بما هو مركوز بالأصل فيها، ويقيم على عقائده الفطرية براهين عقلية، ويجعل الغاية من كل ذلك أن يعمل الإنسان

بمقتضى هذه العقيدة التي آمن بها قلبه واقتنع بها عقله.

ثم بينت أن طريقة القرآن الكريم في مخاطبة الفطرة تتمثل في التذكير، وتهدف إلى إرشاد الفطرة السليمة حتى تحافظ على سلامتها كما خلقت، وإصلاح الفطرة التي انحرفت لترجع لأصلها سالمة كما كانت، وتتمثل أساليب التذكير القرآني بالتذكير بالنظر في خلق الله تعالى والتذكير بالاستفهام والتذكير بالأحداث والمواقف العملية الحياتية والتذكير بضرب الأمثال.

أما طريقته في مخاطبة الحواس فكانت تارة بالحث على إعادة الملاحظة وتكرار التجربة بأسلوب التحدي لإثارة الحواس وإيقاظ الذهن وإحياء الفطرة، وتارة أخرى يجعل الظواهر الكونية في الآفاق والأنفس موضوع القسم الإلهي مما يدل على تبوأ هذه الظواهر مكانة خاصة لدى صاحب القسم الله جل جلاله، وعليه كان القرآن الكريم حافلا بالآيات التي تخاطب حواس الإنسان مبرزا دورها المعرفي الخطير.

كما بينت أن في القرآن الكريم البرهان للذين يطلبونه وأسلوب الجدال للمخالفين الذين استعمل معهم طريق الإقناع الإلزامي بتقديم الحجة ودحض الشبهة، أو إلزامهم بما عندهم من علم، وهو من أهم الأساليب العقلية الذي يقوم على عدة مقامات وطرق يستعملها المجادل كالأمثال والأقيسة، والتحدي والإعجاز والتعريف والسبر والتقسيم، وفي ذلك كله جعل الله سبحانه وتعالى الوحي موجها ومسددا للعقل الذي أعلا من قيمته وأطلقه يعمل في أوسع نطاق متاح في عالم الشهادة.

فالقرآن الكريم مزج بين تلك الأساليب فلم يفصل بين تقديمه للبراهين العقلية، على إثبات الوحدانية أو البعث أو النبوة، وبين جمال الأسلوب وروعة البيان الذين يستملان الوجدان، ويقنعان العقل ويطمئنان النفس.

3- أما في الفصل الثالث: فدرست دواعي تجديد منهج علم العقيدة وأسس منهجه المعاصر القائم على المنهج العلمي.

فلما أصاب علم العقيدة الضعف والوهن لدرجة العجز عن أداء مهمته، حيث تحول إلى مجادلات تقوم على التوليدات والإلزامات دون أن تغذي القلب أو يطمئن إليها العقل لعدة أسباب وعوامل، دعا كثير من المفكرين المسلمين المحدثين والمعاصرين إلى تجاوز مواطن

الضعف في مناهج المتكلمين الأوائل، وإعادة بناء منهج جديد يقوم على روح المنهج القرآني واستفهامات هذا العصر ومعارفه، وعلى رأسها منجزات العلم التجريبي، ولذلك ذكرت أولا أسباب انحطاط علم العقيدة وضعف صورد الاستدلالية.

ثم ذكرت سببين رئيسيين لتجاوز الأدلة القديمة وتجديد المنهج أولهما:

ـــ قصور الأدلة القديمة وعدم ملاءمتها للواقع والمنهج القرآني والتطور العلمي المعاصر.

ـــ ثانيهما التحديات الجديدة.

فبينت صعوبة مسلك المتكلمين، واختصاصه بمستوى من الموهبة العقلية والتفرغ عن العمل لا يتفق مع مستوى العمومية التي جاء عليها الدين الإسلامي، لكون أغلب أدلتهم معقدة طويلة وتعتمد على مقدمات عقلية وتفريعات فرضية غير يقينية ولا مسلّمة.

واستشهدت على هذه الصعوبة بثلاث صور استدلال أساسية عند المتكلمين هي: دليل الجوهر الفرد ودليل الممكن والواجب على وجود الله تعالى، ودليل التمانع على وحدانية الله سبحانه.

فقد كانت محل خلاف بين المدارس الكلامية (أشاعرة ومعتزلة) داخل المدرسة الواحدة وبين المتكلمين والفلاسفة، وألجأت هذه الأدلة أصحابها إلى مآزق لم يمكنهم التخلص منها واضطرهم إلى أن يلزموا أنفسهم لأجلها لوازم معلومة الفساد.

كما أبطلتها نتائج العلم المعاصر حيث تجزأ الجزء الذي لا يتجزأ بتفجير الذرة وانهارت نظرية الذرة وبطل معها دليل الجوهر الفرد وكل ما قام عليه من قضايا ونتائج وبنى فكرية وعقدية.

فهي أدلة ظنية لا تفيد اليقين، بينما أدلة العقائد كما بينها القرآن الكريم يجب أن تكون يقينية برهانية.

فأثبت بناء على ذلك أنها غير برهانية بل جدلية لا تفيد في ترقية الإيمان ولا دفع الشكوك فضلا عن إيجاد ذلك الإيمان وغرسه في قلوب المسترشدين.

ثم بينت علة هذا الوهن الذي أصاب منهج المتكلمين والمتمثل في الأسس المنهجية لأدلتهم وعرضت آراء أصحابها ومناقشتها ومن أهمها:

ـــ فكرة الدور الباطل وظنية النقل.

ـــ قاعدة انتفاء الدليل يؤدي إلى انتفاء المدلول.

ـــ المنطق الأرسطي التجريدي.

فوجدت أن الدليل النقلي عند المتكلمين يفيد الظن فحسب، بينما يفيد الدليل العقلي اليقين لأن الدليل النقلي يتوقف ثبوت صحته وصدقه على الدليل العقلي، ولا يتوقف الدليل العقلي على الدليل النقلي، وأنه لا يستقل بل لا بد أن يتركب مع الدليل العقلي بينما يستقل الدليل النقلي، كما أنه مشروط بإثبات الجواز العقلي وإثبات عدم المعارض العقلي، بينما لا يذكرون – من حيث منهج البحث العلمي- شروطا للدليل العقلي.

ولقد انتهيت من المقارنة بين العقل والنقل عند المتكلمين إلى أن الموضوعات الأساسية في العقيدة عندهم يُستدل عليها بالأدلة العقلية لثقتهم في قدرة العقل على الوصول إلى اليقين، أنهم وقعوا في دورين:

الأول مؤداه أن معرفة الله تتوقف على معرفة الله، وهذا أفقد البناء العقلي مبرر وجوده.

والدور الثاني مؤداه أن معرفة وجوب النظر تتوقف على معرفة وجود النظر، وهذا أفقده مبرر وجوبه.

وأثبت أنه لا يلزم من انتفاء الدليل انتفاء المدلول في نفسه وإن انتفى العلم بوجوده، مستشهدا بآراء المتكلمين أنفسهم وخاصة المتأخرين منهم، ذلك أن دلالة الآية الكونية (في الآفاق والأنفس) على خالقها يلزم وجودها وجوده، ولكن لا يلزم من عدمها عدمه.

ثم بينت كيف أثّر المنطق الأرسطي سلبا في مناهج المتكلمين وأصبغها الصبغة التجريدية الصورية، مما جعله يبتعد أكثر عن المنهج القرآني الذي يضع أبنية الاستدلال على أساس الشواهد الطبيعية وهو ما تقوم عليه العلوم المعاصرة.

ومن هذه الآثار السلبية استعمال المتكلمين القياس التمثيلي الذي يستوي فيه الأصل والفرع، ولا يصلح ذلك في الأحكام الإلهية لأن الله تعالى ليس كمثله شيء.

وتبين لي أن هذه النزعة التجريدية الذهنية التي آل إليها علم العقيدة امتد أثرها إلى بقية العلوم الإسلامية الأخرى الأكثر عملية والتصاقا بالواقع كالفقه، وأنها مصدر تجريدية خطاب الفكر الإسلامي اليوم، ومصدر النزعة الانفصالية الاستقلالية بين العلوم التي مازالت إلى يومنا هذا، حيث انفصل الفقه عن علم العقيدة أو علم الكلام، وسائر العلوم الإسلامية التي انفصلت كذلك عن بعضها البعض من جهة، وعن العلوم الإنسانية الاجتماعية والعلوم الكونية من جهة أخرى، كما انفصلت سائر العلوم عن بعضها البعض، مما أدى إلى فصل

العمل عن النظر وتغليب هذا الأخير عن الأول في الفكر الإسلامي، وانفصال العمل أو الالتزام السلوكي عن الإيمان، والتصديق القلبي وتغليب هذا الأخير على الأول.

وانتهيت إلى أن المناهج التي أبدعها العقل الإنساني وقفت تعلن فشله في الوصول إلى اليقين، ومن ثم لا يصلح العقل مرجعا للحكم على الشرع وإنما يصلح مدخلا لفهمه.

وهذا ما يثبت مدى قصور أدلة المتكلمين القديمة وضرورة تجاوز صورها أو مادتها أو الاثنين معا، لتقوية الضعيف منها وتطوير الصالح منها واستبدال أدلة جديدة بالفاسد والباطل منها، أدلة قوية تناسب العقلية المعاصرة – العقلية العلمية العملية – أي تصل إلى عقول الناس ونفوس كل مستويات وأنواع المخاطبين، وتصمد أمام التحديات المستجدة.

وقد تناولت في المطلب الثاني التحديات العقدية المعاصرة لأثبت أنها أحد الدواعي الأساسية لتجديد منهج علم العقيدة.

ذلك أن الدين الإسلامي بصفة عامة والعقيدة بصفة خاصة تواجه تحديات فكرية سلوكية (حضارية) أكثر حدة وشمولية وتنوعا وكما، من أي وقت مضى، تعمل على اختراقها أو تحريفها أو تفويضها.

فبينت أن من أهم التحديات من حيث خطورتها في ذاتها وأثرها على المسلمين وعلى البشرية جمعاء في الحاضر والمستقبل (وظيفة ومصيرا): التحديات الفكرية العقدية، التي تعد أسسا نظرية للتحديات الحضارية الواقعية. كطبيعة المعرفة ومصدريتها، وإنكار الغيب، واغتراب الإنسان وشعوره بالإهمال.

وتحديات على المستوى الواقعي هي انعكاسات عملية لتلك التحديات الفكرية العقدية، وأهمها وأشملها وأخطرها "التلوث البيئي".

وبينت أن ما طبع الفكر الإنساني المعاصر- غير الإسلامي- الصبغة المادية للمعرفة وكونها متغيرة متطورة.

فهي معرفة مادية لكونها تعتمد على الملاحظة والتجربة، حاصرة حركة العقل في استمداد المعرفة في مجال ضيق هو مجال الطبيعة أو عالم الشهادة لا غير، أي أن مصدر المعرفة هو الخبرة الحسية، وهذا إنقاص لدور العقل وإلغاء لدور الوحي وهما المصدران الأساسيان في نظرية المعرفة الإسلامية كما أثبت في الفصل الثاني، وعليه كان مفهوم العلم عندهم «هو

جملة المعارف اليقينية التي تستند إلى القاطع الذي يؤيده الحس دون سواه».

وأما كونها متغيرة متطورة فذلك لكونها تعتمد على الظواهر الطبيعية المتغيرة، بناء على نظرية التطور الداروينية التي تنفي في المجال المعرفي وجود الحقائق الشمولية، فالمعرفة متطورة متغيرة لا تثبت على حال، وهو الاتجاه الذي تمثله الفلسفات النسبية الشكية، كفلسفة التفكيك، والنفعية ومذهب التاريخية وغيرها.

وبناء على ذلك يستحيل بناء أي منهج معرفي موحد يقوم على أساسه نظام تربوي أو أخلاقي اقتصادي من شأنه تمكين الإنسان من تحقيق غايته من الوجود التي تكون بناء على ذلك ثابتة محددة.

وبينت أن هذا الفكر المادي وهو منبهر بما أنجزه العلم من تطور تكنولوجي، وما حققه من مصالح ورفاهية، أدى إلى الرفض الشديد لكل ما هو غيبي، وشن حربا عليه وعلى العقلية الغيبية الخرافية، بحجة تنوير العقول وتحريرها وتطوير مجتمعاتها مستهدفا بالدرجة الأولى الدين الإسلامي، من خلال ثلاث قضايا عقدية هي الإلحاد والسيرمان (الإنسان الإله) التي استبدلها بالألوهية (توحيد الألوهية)، وبشرية وتاريخية القرآن الكريم للطعن في الوحي (القرآن والسنة)، وعقيدة الخلود وإنكار البعث التي استبدلها بالإيمان باليوم الآخر.

ومن أكبر تجليات هذا الفكر المادي وآثار فلسفاته ومذاهبه اغتراب الإنسان المعاصر وتيهه وشعوره بالإهمال كما يقول الوجوديون.

مما جعله يشعر باليأس والقنوط واللامبالاة أو يفقد الطمأنينة وروح المسؤولية فينتابه الخوف ويلازمه، فيدمر نفسه بالانسحاب من الواقع أو التمرد عليه وعلى قوانين مجتمعه.

وانتهيت إلى أن هذه التحديات الفكرية العقدية تمثل التلوث الفكري الذي كان من أخطر انعكاساته العملية في حياة الناس والكون كله، التلوث البيئي، الذي أدى إلى عدم الاستقرار وفقدان الأمن بكل مظاهره (الاجتماعي والسياسي والصحي والاقتصادي... الخ).

وأثبت أن الإنسان المعاصر (بما فيه المسلم اليوم) لم يصل إلى ما وصل إليه من تدهور وما يعانيه من أزمات وتحديات إلا لانحراف تصوره عن التصور القرآني الذي يحدد علاقة الإنسان بالله علاقة ألوهية (عبد وإله، مخلوق وخالق)، وعلاقة الإنسان بالكون علاقة مادية روحية هي التسخير (مادي ومعرفي).

فلقد أخذ هذا الإنسان بكل أسباب العمارة والحضارة والسنن الكونية والاجتماعية التي توصل إلى اكتشافها، ولكن متعرية عن الوحي والإيمان بالله تعالى، لأن الإيمان هو الواقي

والحافظ لمنجزات الإنسان في حياته، من غضب الله تعالى وسخطه وعذابه، وانتفاؤه هو السبب الذي أدى إلى سقوط الحضارات واندثار الأقوام، حيث كانوا بمعزل عن عناية الله تعالى وعونه.

كما أثبت أن الأزمة الحضارية المعاصرة والتي تعد أكبر تحدٍّ للإسلام، هي في حقيقة الأمر أزمة إيمان أكثر من كونها أزمة معرفة وعلم.

لأن حقيقة العلاقة بين العلم والإيمان في النسق المعرفي الإسلامي هي علاقة تداخل لا تقابل، فموضوعات العلم هي موضوعات الإيمان وإنما الفرق في كون هذه الموضوعات شاهدة في حالة العلم وغائبة في حالة الإيمان.

وعليه فإن العلم هو إدراك الشاهد والإيمان هو إدراك الغائب، والعلم مدخل للإيمان ومقدمة ضرورية له، والإيمان لجام العلم الذي يصونه ويحميه من الزلل.

وهو ما بينه القرآن الكريم وجسده المتكلمون في مناهجهم بنسب متفاوتة من متكلم إلى آخر ومن عصر إلى آخر، مما يثبت العلاقة التكاملية الوطيدة بين علم العقيدة والعلوم الكونية التي تؤدي أبحاثُها (في الآفاق والأنفس) إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

واستشهدت على هذه العلاقة بنماذج من علماء العقيدة المتقدمين (كابن حزم والراغب الأصفهاني، وأبو حامد الغزالي، وفخر الدين الرازي، وابن تيميه وابن القيم) والمحدثين المعاصرين (كحيسن الجسر، وبديع الزمان النورسي، وحيد الدين خان، وعبد المجيد الزنداني، وباحثي هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وغيرهم كثيرين).

وهنا يبرز دور علم العقيدة والحاجة الماسة إليه في منهج جديد، يرد الشبهات ويبشر بالحل الإسلامي لأزمة الإنسان بالتعريف به والاستدلال على أصوله.

ثم بينت أنه بناء على عدم ملائمة معظم صور الاستدلال القديمة للروح العلمية العملية لهذا العصر، والتطور العلمي وأضراره وتغير وتجدد التحديات الواردة على الدين الإسلامي، اضطر المتكلمون المسلمون المعاصرون إلى تطوير أسلحتهم الدفاعية وتحصين مواقعهم بتجديد منهج علم العقيدة بالعودة إلى أسس المنهج القرآني واستثمار حقائق العلوم الكونية للاستدلال على حقيقة الدين الإسلامي وصلاحيته.

فوضعوا أسس أحد المناهج الجديدة لعلم العقيدة وهو المنهج العلمي أي المنهج

الذي يعتمد على حقائق العلم التجريبي، ومن أهم هذه الأسس: المعرفية والعلمية، والمرجعية النصية، والواقعية وبساطة الأسلوب ووضوحه.

فأثبت أن المعرفية في المنهج وهي محدودية العلم الإنساني ونسبية معرفته، حقيقة بشرية أقرها القرآن الكريم، إذ تقسيم العلم إلى محكم ومتشابه يتلاءم مع الطبيعة البشرية.

وأن البناء المعرفي المتكامل للإسلام (التجربة والعقل والوحي) يهدف إلى تحقيق شمولية المعرفة التي تتحقق بها شمولية النظرية الكونية في الآفاق والأنفس وشمولية المعرفة الوجودية (الله، الإنسان، الكون) في الجمع بين القراءتين القرآن والكون، مما يجعل الاستدلال على حقائق العقيدة والدين الإسلامي بصفة عامة يعتمد أدلة برهانية عقلية نقلية في آن واحد.

وبينت أن مبدأ العلمية في المنهج التي تعني الاستدلال على حقائق الدين الإسلامي بالطريقة الطبيعية، تتحقق باستثماره حقائق العلم التجريبي، لما لهذه الأخيرة من دور تأييدي هام لمسائل الدين الإسلامي.

وأن هذه المؤيدات العلمية تتمثل في الشواهد العلمية على معرفة الله تعالى والقضايا العقدية، والشواهد العلمية الدالة على الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

ثم بينت أن تجسيد مبدأ العلمية يتحقق بعمليتين أساسيين هما: تدوين "آيات الآفاق" وتدوين "آيات الأنفس".

وانتهيت إلى أن هذا المبدأ يستعيد النقل مكانته الحقيقية والعقل دوره ووظيفته المثمرة في منهج علم العقيدة.

وأنه لابد من أن يرتكز على حقائق الدين الإسلامي وعلى رأسها القرآن الكريم.

ويتجاوز السلبيات التي سقط فيها علم الكلام دون إلغاء التراث الكلامي القديم من مجال البحث والدرس المتخصص.

ولابد في استثماره للمعطيات العلمية أن يعمل على إبراز الفوائد والأبعاد العملية لعلم العقيدة الإسلامية، التي من شأنها أن تحل المشاكل الحياتية لأفراد ومجتمعات هذا العصر، حتى يكون المنهج أكثر جدوى في الخطاب والإقناع والتصديق، وهذه الواقية في المنهج تقتضي ثلاثة أعمال بنائية منهجية:

ـــ تدوين "علم الآثار القرآني" وهو التذكير بأيام الله.

ـــ التوجه إلى المسائل التشريعية العملية.

ـــ استخدام المصطلحات والمفاهيم ذات الدلالة العلمية والعملية الواقعية حتى تكون متحققة في الواقع قابلة للإدراك المباشر والمعاينة.

وعليه يتبين أن أسس هذا المنهج وأسلوبه هي أسس المنهج القرآني وأسلوبه في الاستدلال على العقائد الإيمانية.

وكانت دعوة العلماء إلى تجديد علم الكلام وتجاوز صور الاستدلال القديمة في حقيقتها مجرد الدعوة إلى العودة إلى القرآن الكريم أو "الكلاميات القرآنية" كما أسماه الأستاذ وحيد الدين خان.

وهو ما حاولت إثباته في الفصل الرابع بنماذج من الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

4- أما النموذج التطبيقي لتلك الأسس فقد تناولته في الفصل الرابع، إذ عرضت فيه أحد أساليب الاستدلال العلمي على حقائق الدين الإسلامي عقيدة وشريعة، هو الاستدلال بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وأثبت أن هذا الأسلوب في الاستدلال من أكثر الأساليب تأثيرا في النفس البشرية، لأنه ينبثق من العقل والوجدان ليخاطب العقل والوجدان، ومن خلق الله (الآفاق والأنفس) ليخاطب أسمى مخلوقات الله (الإنسان)، وأنه من الناحية المنهجية يقوم على منطق الضرورة العملية والعقل العملي، لأنه يجمع بين العقل والنقل، مما يجعله سندا لعلم العقيدة أمام الفكر الإنساني بصفة عامة، ولا يقتصر في جدواه على المؤمنين بصفة خاصة.

وأثبت أن رؤية آيات الله في الآفاق والأنفس - حتى يدرك الإنسان أن هذا الدين حق - تتم بالدليل البرهاني، وأنه لا يمكن إدراك هذا الدليل وتحصيله إلا بالنظر والبحث في تلك الآيات، فتتجلى عظمة الخالق وحكمته للمخلوق فيصدق بالخبر الإلهي ويقر بعدل الأمر الإلهي فيذعن له ويلتزم به.

وأن النظر والبحث في خلق الله تعالى المتمثل هنا في أبحاث الإعجاز العلمي، واكتشاف أسرار الكون ومعرفة منافع الموجودات والسلوكات، ليس لذاته في عقيدتنا الإسلامية، وإنما لمعرفة الحق تبارك وتعالى وصدق دين الإسلام الذي ارتضاه لعباده.

وحاولت أن أثبت أن أوامر الشريعة وقوانين الطبيعة متناسقة متكاملة لا يمكن أن تتعارض، فالعبادات والمعاملات تؤدي للطاعة، أي تحقيق العبودية للحق الواحد الأحد، وفي

نفس الوقت تفيد الإنسان وتحقق له مصالح في ذاته وخارجها، فيحقق الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة، مما يثبت بالحجة والبيّنة أن خالق هذا الكون هو صاحب هذا الأمر فله الخلق والأمر.

وبينت ذلك من خلال طريقي الاستدلال العلمي، وهما طريق الاستدلال على صدق الخبر الإلهي، وطريق الاستدلال على عدل الأمر الإلهي.

أما صدق الخبر الإلهي فقد بينته من خلال مجموعة من النماذج في الآفاق والأنفس تدل على أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وأن محمدا رسول الله ﷺ حقا،﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:3-4].

وبينت أن هذه الاكتشافات والنتائج العلمية براهين إيمانية على الحقائق العقدية. (الألوهية، الوحي والنبوة، اليوم الآخر).

ومن هذه الحقائق العلمية المستكشفة، مظاهر حفظ السماء للأرض، ومشاهد نهاية العالم ونشأته، على مستوى الآفاق، وموضوع الناصية، ووظيفة الفص الجبهي في الدماغ، وقضية حقيقة بداية الوجود الإنساني، على مستوى الأنفس.

فبينت أنها تمثل دليلين (دليل العناية والهداية ودليل النظام) على وجود البارئ سبحانه وتعالى ووحدانيته وعلى نبوة محمد ﷺ، واليوم الآخر، وأن فكرة الخلود وأبدية الإنسان والكون باطلة، والصدفة خرافة يخفي وراءها الملحدون جهلهم.

فالسماء محفوظة وحافظة بعنايته تعالى وإرادته وهذا الكون فان لا محالة غير أزلي، فلكل بداية نهاية، وأن الإنسان لا بد أن يصدق بخبر البعث والنشور وما يقتضيه من الحساب والجزاء، فبعد كل نهاية بداية جديدة وحياة جديدة هي الحياة الآخرة.

وأثبتُّ تلك العلاقة الرائعة بين إنذارات هذا الدين الحنيف ودقة وحكمة خلقه جل جلاله المتجلية في الناصية وبداية وجود الإنسان.

فانتهيت بالنسبة للناصية إلى:

أ- أن الناصية هي المسؤولة عن الأفعال والمواقف الإرادية لأعضاء الجسم الإنساني بما في ذلك حركات اللسان والعينين والرأس وغيرها، وهذا يدل عقائديا على الجزاء الأخروي.

ب- وأن الوحي الإلهي (القرآن والسنة) الذي لم يتغير ولم يتبدل هو بمثابة برنامج

مكتسب ومنهاج للتحكم والتوجيه لتصرفات البشر أفراد وجماعات، بما يحقق مصالحهم الآجلة والعاجلة.

جـ- وأن هذا البرنامج المكتسب (الوحي) يتطابق والبرنامج الداخلي (الفطرة) الذي خلقه الله عليه المبرمج في الناصية، بحيث ينسجمان ويتناغمان، وأي تحريف لهما يؤدي إلى التناقض وهلاك الإنسان، لأن كلا منهما مصدره الحق تبارك وتعالى، أليس له وحده الخلق والأمر، وهذا مصداقا لقوله: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾[هود:56]، وقال: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾[الرحمان: 41]، ولذا وصف ناصية الكفار بالكذب والخطأ وتوعدها هي ذاتها بالعذاب، في قوله جل جلاله: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾[العلق:15-16].

أما بالنسبة لبداية وجود الإنسان فأثبت بناء على نصوص القرآن الكريم وحقائق العلم، حقيقة الخلق المباشر المستقل للإنسان وتلاشي فكرة أو فرضية بل خديعة التطور المادي العضوي بانهيار أسسها العلمية وخلفياتها العقائدية.

-إذ عرضت أدلت القرآن الكريم على الخلق المستقل للإنسان بمشيئته سبحانه وتعالى وكنيته (كن فيكون).

وناقشت أدلة نظرية التطور والشبهات المترتبة عنها وفندتها بتفصيل في هذا المطلب.

وبينت مدى تأييد الاكتشافات العلمية ونتائج الأبحاث لمبدأ الخلق ونقضها لمبدأ التطور.

وفي المبحث الثاني عرضت بعض الآيات الإلهية الدالة على عدل الأمر الإلهي، وبينت الصلة بين هذه الأدلة والشريعة الإسلامية المتمثلة هنا في الطهارة والصلاة، ثم الصلة بين الشريعة وأركان الإيمان.

فبينت أن فيما فرض الله على خلقه وشرع لهم من أحكام في العبادات والمعاملات، حكما وأسرارا ومصالح تعود على العباد بالخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

وأن الأصل في العبادات التعبد بها وفي المعاملات العمل بها- وإن لم تدرك أسرارها أو تعرف حكمتها- إجلالا لله سبحانه وتعالى وانقيادا لحكمه وشكرا لنعمه التي لا تحصى ولا تنكر، وأن من العبادات والمعاملات ما تظهر لنا حكمتها ويكشف الله لنا أسرارها، فإذا ظهرت للعبد المؤمن ازداد يقينه وقوي إيمانه، وعلم أن الله تعالى لا يأمر إلا بما فيه سعادة العباد وصلاحهم في الدارين.

وإذا ظهرت للعبد المسترشد أو المعاند أذعن للحق واطمأن إليه واعتنق هذا الدين طواعية، عن اقتناع عقلي وحب قلبي. وهو ما أثبته عن طريق دراسة موضوع الطهارة والصلاة في الإسلام.

فبينت الإعجاز العلمي التشريعي في الطهارة والطب الوقائي وعلم الكائنات الدقيقة.

وأن الطب الوقائي في الإسلام يقوم على الأسلوب الإيماني في إيجاد المجتمع الصحي، أي ربط التعاليم الصحية بالعقيدة والاستفادة من تأثير الإيمان في التزام الناس باتباع الأوامر الصحية.

فعرضت لمفهوم الطب الوقائي وعلم الكائنات الدقيقة، وأضرارها على الإنسان.

ثم عرضت مفهوم الطهارة في الإسلام وتأثير الغسل والوضوء على نظافة جسم الإنسان، والمصلي بالدرجة الأولى، وسائل الأعضاء من الجراثيم.

أثبت معجزة الطهارة في الإسلام الدالة على عدل الأمر الإلهي وعظمة هذا الدين بمجموعة من الحقائق العلمية والأحداث التاريخية والمقارنة بين الإسلام والمسيحية.

وأن العلم قد أثبت سبق القرآن الكريم والسنة النبوية في الإشارة إلى الكائنات الدقيقة وأن التشريع الإسلامي في الطهارة أنجع السبل في القضاء عليها وحماية الإنسان ووقايته من أخطارها.

أما الدليل الثاني فكان الإعجاز العلمي التشريعي في الصلاة والوقاية من مرض دوالي الساقين.

حيث عرضت لمفهوم الصلاة وأهميتها في الإسلام، ثم بينت صلتها بمرض دوالي الساقين بعرض نتائج البحث العلمي في ذلك.

فبينت بناء على نتائج تلك الأبحاث:

ـــ أن الصلاة تقوم بأهم دور في الوقاية من مرض الدوالي من خلال صيانة وتقوية جدران الأوردة والصمامات، وتخفيف الضغط على الطرفين السفليين وتسهيل عملية وصول الدم إلى القلب.

وانتهيت في هذا المبحث إلى أن العلم كشف لنا وللبشرية جمعاء أحد الأسرار المادية الصحية للطهارة والصلاة، وبين لنا مؤكدا سر الأمر الإلهي وراء الحرص الشديد على نظافة الفرد وإقامة الصلاة والمحافظة عليها والدعوة إلى الالتزام الصارم بتعاليمها.

وأن هذه الحقيقة جعلت كثيرا من العلماء يرون صدق وحي الله تعالى وصلاحية هذا الدين الحق عين اليقين، والبشرية وهي في أوج تقدمها العلمي، وثرائها المادي، وقمة فراغها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المادة والأسلوب والمنهج بما يستطيع أن يجابه به المستجدات من مطالب الفهم والإقناع, ومن المطاعن الطارئة مع الحفاظ على المنجزات الماضية للرجوع إليها عند الحاجة إما على سبيل الاستفادة وإما على سبيل الدرس.

الخامسة: أن ذلك الإثراء والتجديد (التطوير) للمنهج هو العودة إلى منهج القرآن الكريم باستثمار قواعد وحقائق سائر العلوم الأخرى (في الآفاق والأنفس)، ليستخدمها في الاستدلال على حقائق العقيدة وأن أسس هذا المنهج القرآني العلمي الجديد رفع علم العقيدة من موقع مواجهة التحديات إلى موقع تحدي الخصوم, ومن مهمة الدفاع بالفهم إلى مهمة الدفاع بالفهم والهجوم.

ثالثا: التوصيات

الأولى: وبناء على ذلك لابد أن يسترجع علم العقيدة مكانه ودوره الريادي, فهو أشرف العلوم كلها ورئيسها على الإطلاق, فمنه تستمد العلوم وهو لا يستمد من غيره, إذ أنه لما كان موضوعه أصول الدين ومنهجه الاستدلال عليها وغايته نصرتها, عد مرجعا لسائر العلوم الإسلامية والطبيعية والإنسانية في دائرة الثقافة الإسلامية, ولابد لها أن تكون ملتزمة بتحديداته وضوابطه وقواعده.

الثانية: لابد أن يشمل علم العقيدة بمنهجه وموضوعه القضايا الجزئية العملية (الشريعة الإسلامية)، نصرة لها، وتزيفا وردا للشبهات الطاعنة فيها، وموضوع الإنسان ماهية وأصلا ومسارا ومصيرا.

ومشاركة العالم في حل أزماته البيئية والصحية والإنسانية بصفة عامة, ومشاركته في النقاش حول القضايا الوجودية العقدية كأصل الكون ومصيره, والحكمة من وجوده في ضوء ما تقدمه الحقائق العلمية الحديثة, التي لا تناقض حقيقة الدين الإسلامي, وذلك بتقديم واقتراح الحلول العملية الناجعة للبشرية من منطلق أحقية الإسلام أمام الأديان الأخرى والفكر الإنساني المعاصر.

ولا يكون ذلك في هذا العصر إلاّ بالعلم, علم الوحي الذي لا يكسبه إلاّ المسلمون, وعلم الإنسان الذي يكسبه بإذن الله تعالى و بتوفيق؛ والإعجاز العلمي أخصب هذه المجالات العلمية وأكثرها دلالة على تكامل ووحدة الوحي والعقل.

الثالثة: وجعل ذلك من أساسيات التنشئة الاجتماعية للشباب المسلم ولكل المسلمين لتزكى نفوسهم وتفتح عقولهم ويحصن إيمانهم وترقى وتطمئن قلوبهم, فيكونوا أهلا للحكمة

والموعظة الحسنة ويكسبوا أدوات الجدل بالتي هي أحسن مصداقا لقوله تعالى:﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:125].

فإذا لم تكن هذه القضايا الجديدة (وكل قضية تستجد لها صلة بالإسلام عقيدة وشريعة) هي محور النقاش في قاعات الدرس الجامعي- بل وقاعات المؤسسات التربوية (حسب مستوى المخاطبين)- , الذي يصوغ عقول الشباب, فمعنى ذلك أن جامعاتنا (ومؤسساتنا التربوية) تعمل في فراغ إيديولوجي, وتخرج للمجتمع نماذج خربة واهنة أو مشوشة أو يائسة من جدوى العقيدة في بناء المجتمع الجديد, نماذج تحس في أعماقها بالجفاف الروحي, فهي لم تظفر بأرضية من الفكر الديني تقف عليها مطمئنة في مواجهة رياح التغيير العاصفة والتحديات القاصفة، كالتنصير والإلحاد والانتحار واللامبالاة؛ إما لأنها محرومة من هذا اللون من الدراسة أو تدرسه مشوها محرفا شحيحا, وإما – وهو الأخطر- لأنها غير مقتنعة بما عرض عليها من موضوعاته, لفساد أسلوب العرض ومنهج التقديم والاستدلال وسوء استعماله, وينتهي الأمر بهذه النماذج إلى أن تتبعثر في الفراغ وتحس باللامبالاة تجاه مسائل العقيدة والدين الإسلامي كله بل الأمة والوطن, لأن أسلم الطرق ألا تبالي, فالهرب أسلم المسالك كما يحدث اليوم لشبابنا في كثير من مناطق العالم، الذين يبيعون أنفسهم ودينهم ووطنهم اضطرارا، للنصرانية والتيارات المادية الإلحادية.

الرابعة:في مجال البحث العلمي ،إثراء الدراسات العقدية بمؤيدات العلم المعاصر في مجالات عدة ،

1- الاستدلال على القضايا العقدية (الألوهية- نبوة محمد ﷺ-اليوم الآخر-الإنسان...)

2- الاستدلال على قضايا الشريعة الإسلامية (الأسرة-المعاملات المالية-العبادات...).

3- رد شبهات الخصوم التقليدية و المعاصرة المعروضة من خلال وسائل الإعلام و الثقافة (الأنترنات-الصحافة-القنوات الفضائية -الأفلام-المؤتمرات و الندوات-الكتب).

4- توظيف نتائج الإعجاز العلمي في الاستدلال على العقيدة و تأييد احكام الشريعة و تزييف الآراء المعارضة و إبطال الأعمال الفاسدة المفسدة.

5- دراسة القضايا العقدية من خلال آيات الآفاق و الأنفس في القرآن الكريم (نظرية المعرفة- الإنسان أصلا و قيمة وظيفة ومصيرا-الكون اصلا و تسخيرا و مصيرا-التوحيد- نبوة محمد ﷺ-عقيدة المعاد-نقد اللأديان و المذاهب الباطلة)

6- إعادة قراءة ودراسة التراث العلمي العقدي الإسلامي دراسة تأصيلية تمحيصية نقدية في ضوء التحديات المعاصرة والحقائق العلمية الجديدة (إحياء التراث العقدي).

7- دراسة الشخصيات الإسلامية المساهمة في هذا المجال (النورسي-مالك بن نبي-وحيد الدين خان-أحمد عروة...)

هذا ما أردت الوصول إليه من خلال المنهج القرآني العلمي وما حاولت أن أبينه من غاية علم العقيدة في ضوء منهجه هذا.

فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان, وأسأل الله تعالى أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه الكريم خدمة لديننا الحنيف والعلم الصحيح.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله,

والصلاة والسلام على حبيبنا محمد خاتم الأنبياء الأمي معلم العلماء

وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار.

تمت

بعون الله تعالى و حمده

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع باللغة العربية

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع باللغة العربية

إبراهيم (زكريا):

1. **دراسات في الفلسفة المعاصرة**، مكتبة مصر، القاهرة، 1987.
2. **مشكلة الإنسان**, مكتبة مصر، القاهرة, بدون تاريخ.

إبراهيم(أحمد عمر):

3. **العلم والإيمان**, المعهد العالمي للفكر الإسلامي, الخرطوم, ط.1، 1991

ابن الأثير:

4. **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط5، 1405هـ/1985م.

ابن السقاف (حسين):

5. **صحيح شرح العقيدة الطحاوية**, دار الإمام النووي, عمان, الردن, ط.1،1995.

ابن القيم (الجوزي):

6. **أعلام الموقعين عن رب العالمين**, مكتبة الكليات الأزهرية, القاهرة, د.ت.
7. **مفتاح دار السعادة**:دار الكتب العلمية, بيروت, د.ت.

ابن الوزير (محمد بن المرتضى اليماني):

8. **إثار الحق على الخلق**, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1403هـ/1983م.

ابن تيمية أحمد:

9. **بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول** أو درء تعارض العقل والنقل, ضبطه وصححه، عبد للطيف عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.
10. **شرح العقيدة الأصفهانية**، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1415هـ/1995م.
11. **الفتاوى**, جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم العاصي, المكتب التعليمي السعودي بالمغرب, الرباط, ط2, 1401هـ/1981م.
12. **الفرقان بين الحق والباطل**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د، ت).
13. **كتاب التوحيد**، تحقيق محمد السيد الجليند، ضمن كتاب: قضية التوحيد.
14. **كتاب الرد على المنطقيين**,تقديم سليمان الندوي,دار المعرفة,بيروت,د.ت.
15. **مجموع الفتاوى**, جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم العاصي،د ت.
16. **مقدمة في أصول التفسير**، دار الفجر، الجزائر، ط1، 1422هـ/2001م.
17. **منهاج السنة**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).
18. **نقد مراتب الإجماع** على هامش مراتب الإجماع لابن حزم،دار زاهد القدسي, دن، ودت.
19. **نقض المنطق**, تحقيق الشيخ محمد حمزة والشيخ محمد الصنيع، دار أنصار السنة المحمدية, القاهرة، ط1, 1991م.

ابن حبان:

20. **الصحيح.**

ابن حزم:

21. **الفصل في الملل والأهواء والنحل,** تحقيق: محمد إبراهيم نصير وعبد الرحمان عميرة,شركة مكتبة عكاض, الرياض,ط1, 1402هـ/1982م.

ابن خزيمة

22. **الصحيح.**

ابن خلدون (عبد الرحمن):

23. **المقدمة،** تحقيق لجنة من العلماء، دار الرائد العربي، بيروت، ط 5، 1402هـ،1982م.

ابن رشد (أبو الوليد):

24. **فصل المقال،** تحقيق ودراسة عابد الجابري،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،1997.

25. **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة،** دراسة وتحقيق عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998.

ابن زكريا (فارس):

26. **معجم مقاييس اللغة,** دار الفكر، دت.

ابن سينا:

27. **النجاة،** طبعة الكردي، القاهرة,ط2, 1938.

28. **رسالة في أقسام العلوم العقلية,**(ضمن:تسع رسائل في الحكمة، الطبيعيات).

29. **عيون الحكمة,** تحقيق وتقديم عبد الرحمان بدوي,دار القلم,بيروت,الكويت,ط2, 1980م.

ابن عاشور (الطاهر):

30. **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام,**الشركة القومية للنشر والتوزيع, تونس, 1964.

31. **التحرير والتنوير،** ج14، الدار التونسية للنشر،تونس، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر 1984.

ابن عربي (محي الدين):

32. **الفتوحات المكية،**دار صابر، بيروت، دون تاريخ.

ابن عرفة الورغمي:

33. **المختصر الشامل,** نقلا عن عبد المجيد النجار, فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب.

ابن عطاء الله (السكندري):

34. **الحكم العطائية،** شرح ابن عباد النفزي الرندي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1418هـ/1988.

ابن قدامة (لمقدسي):

35. **روضة الناظر وجنة المناظر،** مراجعة سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي، بيروت، (د، ت).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابن كثير:

36. **تفسير ابن كثير**، ضبط ومراجعة محمد أنس، تقديم مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة،بيروت، ط1، 1421هـ/2001م.

37. **قصص الأنبياء**، دار الشهاب، باتنة.بدون تاريخ.

ابن ماجة:

38. **السنن**.

ابن منظور:

39. **لسان العرب**، المطبعة الميرية بولاق, القاهرة, ط1، 1304 هـ.

ابن نبي (مالك):

40. **وجهة العالم الإسلامي**، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط1، مكتبة دار العروبة، 1962م..

أبو الخير (محمد):

41. **اجتهادات في التفسير العلمي في القرآن الكريم**، مركز دار الدلتا للطباعة، الإسكندرية، ط1، 1995.

أبو داود:

42. **السنن**.

أبو ريدة(محمد عبد الهادي):

43. **تعليقه على دي بور**:تاريخ الفلسفة في الإسلام,دارالنهضة العربية،بيروت،ط 5، 1981.

أبو زهرة (محمد):

44. **تاريخ الجدل**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، دت..

45. **الشافعي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، دت.

46. **المعجزة الكبرى**,دار الفكر العربي, القاهرة, د.ت.

أبوريان (محمد علي):

47. **تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام**، دار النهضة العربية، بيروت، 1976.

أحمد بن حنبل:

48. **المسند**.

أركون(محمد):

49. **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**,ترجمة هاشم صالح,مركز الإنماء القومي,بيروت والمركز الثقافي العربي,الدار البيضاء,ط3, 1998.

50. **الفكر العربي**، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط3، 1993م.

أرنالديز(روجيه):

51. **رسل ثلاث لإله واحد**,ترجمة, وديع مبارك, منشورات عويدات, بيروت, باريس,1988م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإسفراييني(أبو المظفر):

52. **التبصرة في الدين**، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 1419هـ /1999م.

إسماعيل (محمد الحسيني):

53. **الدين والعلم وقصور الفكر البشري**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط.1. 1419 هـ/1999م.

الأشعري (أبو الحسن):

54. **أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة أهل الثغر**، تحقيق محمد السيد الجليند، سلسلة التراث الفلسفي دار النشر غير مذكورة، القاهرة، 1987.

55. **رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام**، طبعت في آخر كتاب اللمع، ضبطه وصححه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ/2000م.

56. **كتاب اللمع**، ضبطه وصححه محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1421هـ/2000م.

57. **مقالات الإسلاميين**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1985.

اشفلتزر (البيرت):

58. **فلسفة الحضارة**، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الأندلس، بيروت، ط 2، 1980.

إقبال(محمد):

59. **تجديد الفكر الديني في الإسلام**، ترجمة عباس محمود العقاد.

الآلوسي (محمود البغدادي):

60. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر، بيروت 1983م.

الألوسي(حسام الدين):

61. **دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992.

الآمدي(علي بن أبي علي):

62. **غاية المرام في علم الكلام**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،(د، ت).

الأمير علي(محمد):

63. **حاشيته على شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني**، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة. ط1. 1384هـ/1964م.

أمين (أحمد):

64. **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط11، 1975.

أمين (عثمان):

65. **مقدمة تحقيق كتاب،إحصاء العلوم للفارابي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 1968.

66. إنجيل متى.

67. إنجيل مرقص.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإيجي(عضد الدين):

68. **المواقف في علم الكلام**, عالم الكتب,بيروت,د.ط,د.ت.

باقر (الصدر):

69. **فلسفتنا**، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، بدون تاريخ.

البخاري:

70. **صحيح البخاري**, مع متن فتح الباري,لابن حجر العسقلاني,دار إحياء التراث العربي,بيروت,ط2, 1402.

بدوي (عبد الرحمن):

71. **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية**، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ط4، 1980.

72. **مذاهب الإسلاميين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1983،.

73. **الموسوعة الفلسفية**, المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1984.

البغدادي(عبد القاهر):

74. **أصول الدين**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1401هـ/1981م.

75. **الفرق بين الفرق**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1990م.

البهي (محمد):

76. **الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي**، مكتبة وهبة القاهر، ط 3، 1962.

77. **الفكر الإسلامي في تطوره**,بيروت,ط1, 1971.

البوطي (محمد سعيد رمضان):

78. **الحكم العطائية,شرح وتحليل**,دار الفكر,دمشق,ط.2 .1422 هـ/2001م.

79. **السلفية**، دار الفكر، دمشق (د، ط) 1988.

80. **كبرى اليقينيات الكونية**، الملكية للإعلام والنشرية والتوزيع,الجزائر ط 8، 1402 هـ.

بوكاي (موريس):

81. **التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**, ترجمة الشيخ حسن خالد, المكتب الإسلامي, بيروت, دمشق, ط1411-3 هـ/ 1990م.

البيجوري (إبراهيم) :

82. **شرح تحفة المريد على جوهرة التوحيد لإبراهيم اللقاني**، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ط1، 1384هـ/1964م.

بيصار (محمد عبد الرحمان):

83. **العقيدة والأخلاق**,المكتبة العصرية,بيروت,1980م.

بينس Pines:

84. **مذهب الذرة عند المسلمين**، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1365هـ/1945م.

البيهقي :

85. **السنن الكبرى.**

التركي (بشير):

86. **آدم عليه السلام**, دار البعث, قسنطينة (الجزائر) ط1، 1985.

التريكي(عمر):

87. **الذات الإلهية عند فخر الدين الرازي**,الشركة التونسية للتوزيع,تونس,ط1, 1988م.

التفتازاني (أبو الوفاء الغنيمي):

88. **علم الكلام وبعض مشكلاته**،دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، 1979.

التفتازاني(سعد الدين):

89. **شرح العقائد النسفية**، دار إحياء الكتب العربية، بمصر، 1321.

90. **شرح المقاصد**، تحقيق عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت،ط1، 1409هـ 1989.

التهانوي (أحمد علي الفاروقي):

91. **كشاف اصطلاحات الفنون**, تحقيق لطفي عبد البديع, المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر,القاهرة,1382هـ/1963.

التوبة (غازي):

92. **في مجال العقيدة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م.

التوحيدي (أبو حيان):

93. **ثمرات العلوم بذيل كتاب الأدب والإنشاء في الصداقة والصديق**, طبعة الشيخ محمد أحمد أبو النصر,البحراوي,القاهرة, ط.2, 1323هـ.

94. **المقابسات**: تحقيق حسن السندوبي، ط1، القاهرة، 1929م.

توفيق (محمد عز الدين):

95. **دليل الأنفس بين القرآن الكريم والعلم الحديث**,دار السلام,القاهرة,ط2, 1418هـ/1998م.

التومي (محمد):

96. **الجدل في القرآن الكريم**,شركة الشهاب,الجزائر,1980.

الجابري (عابد):

97. **ابن رشد سيرة وفكرة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998.

98. **مقدمة كتاب الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، لابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998.

99. **نحن والتراث**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1982

جاك بيرك:

100. **إعادة قراءة القرآن**، كتاب الهلال، عدد 588، ديسمبر 1999.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جدعان (فهمي):

101. **أسس التقدم عند مفكري الإسلام**,المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت,ط2, 1981.

الجرجاني(علي بن محمد):

102. **كتاب التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413هـ/1992م.

الجسر(حسين):

103. **الحصون الحميدية للمحافظة على العقائد الإسلامية**,تحقيق:رضوان محمد رضوان, المكتبة التجارية الكبرى,مصر,1351هـ/1932م.

الجسر(ندى):

104. **قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن**, منشورات المكتب الإسلامي, بيروت,ط3, 1969.

الجليند (محمد السيد):

105. **تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين**, مكتبة الزهراء, القاهرة, ط.1، 1410 هـ- 1990 م.

106. **قضية التوحيد بين الدين والفلسفة**، مكتبة الشباب، القاهرة، ط 4، 1406هـ/1986م.

جمعة (أمين عبد العزيز):

107. **منهج القرآن الكريم في عرض عقيدة الإسلام**, دار الدعوة, الإسكندرية, ط2, 1411 هـ/ 1991 م.

الجميلي (السيد):

108. **الإعجاز الطبي في القرآن**, منشورات دار النصر, دمشق ط2، 1979.

جولدتزيهر:

109. **"العناصر الأفلاطونية المحدثة في الحديث"**, في التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية لعبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ط4، 1980.

110. **"موقف أهل السنة القدماء بإزاء علوم الأوائل"** في التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية لعبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ط4، 1980.

الجويني (أبو المعالي):

111. **الشامل في أصول الدين**, تحقيق علي سامي النشار, طبعة المعارف, الإسكندرية, 1969م.

112. **العقيدة النظامية**، تحقيق عبد الفضيل القوصي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، 1405هـ/ 1984م.

113. **كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الدين**, تحقيق محمد يوسف موسى وعبد المنعم عبد الحميد, مكتبة الخانجي, مصر,1369هـ/1950م.

حسني(سيد وفاق أحمد):

114. **العلوم الفلكية في القرآن**.دار طلاس,دمشق,ط2, 1996م.

حلمي (مصطفى):

115. **الإسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة**، دار الدعوة، الإسكندرية، ط1، 1986م.

حنفي (حسن):

116. **التراث والتجديد: موقفنا من التراث القديم**، دار التنوير،بيروت،ط.1981،1.

117. **من العقيدة إلى الثورة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988م.

خان (وحيد الدين):

118. **الإسلام والعصر الحديث**، المختار الإسلامي، القاهرة، ط1، 1976.

119. **الإسلام يتحدى**, ترجمة ظهر الإسلام خان,المختار الإسلامي, القاهرة,ط7, 1397هـ/1977م.

120. **تجديد علوم الدين**,ترجمة ظهر الإسلام خان,دار الصحوة,القاهرة,ط1, 1406هـ/1986م.

121. **الدين في مواجهة العلم**,ترجمة ظهر الإسلام خان,مراجعة عبد الحليم عويس,المختار الإسلامي,القاهرة,ط4، 1978.

122. **قضية البحث الإسلامي**، ترجمة محسن عثمان الندوى، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرةط 1-1405/1984.

خضر (عبد الرحمن):

123. **الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن الكريم**.

الخطيب (محمد ممدوح):

124. **بنية المادة بين الوجود والعدم**، دار البشير للنشر، عمان،موسسة الرسالة، بيروت،ط1، 1416هـ/1996م.

خفاجي (عماد سالم):

125. **مناهج التفكير في العقيدة الإسلامية بين النصيين والعقليين**، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر.مصر.

خليل (عماد الدين):

126. **"الموضوع الجمالي، الطبيعة والعالم والكون"**,ضمن أعمال المؤتمر العالمي حول تجديد الفكر الإسلامي و النورسي, اسطمبول27-1992/9/29.دار سوزلر للنشر,القاهرة,1993.

دارون (تشارلز):

127. **أصل الأنواع**, سلسلة أنيس, موفم للنشر, الجزائر 1991.

دافيد برجامين:

128. **الكون**، تعريب دار الترجمة والنشر لشؤون البترول، لايف، المكتبة العلمية، بريوت، دت.

دراز(عبد الله):

129. **المدخل إلى القرآن الكريم**,دار القلم,الكويت,1986.

دي بور:

130. **تاريخ الفلسفة في الإسلام**، ترجمة وتعليق محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار النهضة العربية، بيروت، ط 5، 1981.

ديفز (بول):

131. **الدقائق الثلاث الأخيرة**, ترجمة: أحمد رمو, منشورات دار علاء الدين, دمشق, ط.1, 2001م.

ديورانت (ويل):

132. **قصة الفلسفة**,ترجمة فتح الله محمد المشعشع,مكتبة المعارف,بيروت,ط4, 1402هـ/1982م.

الذهبي (محمد حسين):

133. **الإسرائيليات في التفسير والحديث**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط4، 1411هـ/1990م.

الرازي(فخر الدين):

134. **أساس التقديس**, تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1406هـ/1986م.

135. **أصول الدين المسمى**, معالم أصول الدين,راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد, مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة,د.ت.

136. **كتاب الأربعين في أصول الدين**,حيدر اباد,1953.

137. **لباب الإشارات والتنبيهات**، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1996.

138. **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين**, راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد, مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة,د.ت.

139. **المطالب العليا**,تحقيق أحمد حجازي السقا,دار الكتاب العربي, بيروت,ط1, 1407هـ/1987م.

140. **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، دار الفكر، بيروت، ط3، 1985.

الراغب (الأصفهاني):

141. **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**، تحقيق عبد المجيد النجار, دار الغرب الإسلامي, بيروت, ط1، 1988.

142. **الذريعة إلى مكارم الشريعة**: تحقيق أبو اليزيد العجمي، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط1، 1408هـ/1987م.

143. **المفردات في غريب القرآن**، ضبط هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1423هـ/2002م.

الرافعي(مصطفى صادق):

144. **وحي القلم**، دار المعارف.ط2.

رجائي (محمود) وزملائه:

145. «**استعمال السواك لنظافة الفم وصحته, دراسة سريريه وكيميائية**»، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية,1981.

رزق (الحجر):

146. **ابن الوزير اليمني ومنهجه الكلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1988.

رزق(هاني):

147. **الإيمان والتقدم العلمي**,دار الفكر,دمشق,ط1, 1421هـ/2000م.

رشيد رضا:

148. **تفسير المنار**, دار المعرفة, بيروت, ط.2, بدون تاريخ.

الرفاعي (عبد الجبار):

149. **منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الإسلامي**.

ريشنباخ(هانز):

150. **نشأة الفلسفة العلمية**, ترجمة فؤاد زكريا, المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت, ط2، 1979.

الزحيلي (وهبة):

151. **الفقه الإسلامي وأدلته**، دار الفكر، الجزائر، دمشق، ط،1412-1هـ 1991م

الزرقاني(محمد عبد العظيم):

152. **مناهل العرفان**،دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي، القاهرة،د.ت.

الزركشي(بدر الدين محمد بن عبد الله):

153. **البرهان في علوم القرآن**،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر،بيروت،ط.3، 1980.

الزنداني(عبد المجيد) وآخرون:

154. **توحيد الخالق**، الكويت، 1978.

الزنداني(عبد المجيد) وفاروق الباز:

155. **الإعجاز العلمي في القرآن**، محاورة علمية بينهما،تقديم الشيخ عبد الحليم محمود، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية،مصر،ط1، 1414هـ/1994م.

الزنداني(عبد المجيد):

156. **علم الإيمان**،دار المنابع،الجزائر،ط1، 2002.

الزنيدي(عبد الرحمان بن زيد):

157. **مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر**،مركز الدراسات والإعلام، دار اشبيليا،الرياض،ط1، 1418هـ/1998م.

زيغريد (هونكه):

158. **العقيدة والمعرفة**، ترجمة عمر لطفي العالم، دار قتيبة، بيروت. ط.1. 1987.

159. **شمس العرب تشرق على الغرب**،دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط4، 1980.

سابق (السيد):

160. **عناصر القوة في الإسلام**، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1988م.

سارتر (جون بول):

161. **الوجودية مذهب إنساني**.

سالم يافوت:

162. **ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986.

السبكي (تاج الدين):

163. **طبقات الشافعية الكبرى**.

سبنسر (هربرت):

164. **كتاب التربية**.

السعدي (داود سليمان):

165. **أسرار الكون في القرآن**، دار الحرف العربي،بيروت،ط.1. 1417هـ/ 1997م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

166. **هذا الكون العجيب، من الذرة إلى المجرة.**

السعيد (عبد الله):

167. **السواك والعناية بالأسنان**،دار السعودية، للنشر والتوزيع، 1985م.

168. **سفر التكوين.**

السنهوتي (محمد الأنور):

169. **دراسة نقدية في مذاهب الفرق الكلامية**، دار الثقافة العربية، القاهرة، (د، ط)، 1990.

170. **مدخل نقدي لدراسة علم الكلام**، دار الثقافة العربية. القاهرة، 1410هـ/1990م.

السيوطي (جلال الدين):

171. **الإتقان في علوم القرآن**،دار المعرفة،بيروت،د.ت.

172. **صون المنطق والكلام عن في المنطق والكلام**، تحقيق علي سامي النشار،مجمع البحوث الإسلامية الأزهر،القاهرة،1970.

الشابي (علي):

173. **مباحث في علم الكلام والفلسفة**، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، ط2، 1984.

الشاطبي (أبو إسحاق):

174. **الاعتصام**، دار المعرفة،بيروت،د.ط.1408هـ/1988.

الشافعي (حسن محمود):

175. **المدخل إلى دراسة علم الكلام**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1411هـ/1991م.

الشافعي (حسن):

176. **الآمدي وآراؤه الكلامية**، دار السلام، القاهرة، ط 1، 1418هـ/ 1998م.

شاهين (عبد الصابور):

177. **أبي آدم (قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة)**، مكتبة الشباب، المنيرة، مصر، 1998م.

شحرور (محمد):

178. **الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة**، دار الأهالي، دمشق، ط4، 1992م.

الشرقاوي(محمد):

179. **الآيات الكونية والعلوم الحديثة**،دار الزهراء للنشر، القاهرة، 1418هـ /1997م.

الشعراني(عبد الوهاب ابن أحمد):

180. **اليواقيت والجواهر، في بيان عقائد الأكابر**، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1378هـ/1959م.

الشعراوي (محمد متولي):

181. **القضاء والقدر**، إعداد وتقديم أحمد فراج، دار الشروق، القاهرة، د، ط 1401 هـ: 1981م.

182. **معجزة القرآن**، مكتبة رحاب، الجزائر، بدون تاريخ.

شلبي (محمد مصطفى):
183. **أصول الفقه الإسلامي**،دار النهضة العربية،بيروت،ط2، 1398هـ/1978م.
الشنيطي(محمد فتحي):
184. **أسس المنطق والمناهج العلمي**،دار النهضة العربية،بيروت،1970.
الشهرستاني (أحمد):
185. **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1402هـ/1982م.
186. **نهاية الإقدام**، تحقيق الفريد قيوم، مكتبة المثنى.
الشوكاني:
187. **فتح القدير**.
صبحي (أحمد محمود):
188. **في علم الكلام**،دار النهضة العربية وبيروت،ط5، 1405هـ/1985م.
صبحي الصالح:
189. **تعليقه على لويس غارديه وجورج قنواتي**: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ترجمة:د.صبحي الصالح والآب د. فريد جبر، والآب د. فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1982.
صبري (مصطفى):
190. **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**،دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط3، 1413هـ/1992م.
صليبة (جميل):
191. **تاريخ الفلسفة العربية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1973.
صوفي (ماهر أحمد):
192. **آيات الله في البحار**، دار المعارف، سوريا، ط1، 1416هـ /1996م.
طاش كبرى زادة (أحمد بن مصطفى):
193. **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**،دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.
الطباطبائي (السيد محمد حسين):
194. **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1411هـ1991م.
طبّارة (عفيف):
195. **تفسير جزء تبارك**،دار العلم للملايين،بيروت،ط3، 1980.
الطبراني:
196. **المعجم الصغير**.
الطبراني:
197. **المعجم الكبير**.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الطبري (ابن جرير):

198. **جامع البيان في تفسير القرآن.**

199. **تاريخ الطبري**، مؤسسة عز الدين، بيروت ط2، 1407هـ/1987م.

طلبة (مصطفى كمال):

200. **إنقاذ كوكبنا،التحديات والآمال**،برنامج الأمم المتحدة للبيئة،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1992.

الطنطاوي (علي):

201. **تعريف عام بدين الإسلام**،دار الفكر،دمشق،ط10، 1402هـ/1982م.

الطويل (توفيق):

202. **الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها**، دار النهضة العربية، القاهرة.

203. **قصة الصراع بين الدين والفلسفة**، دار النهضة العربية، القاهرة، ط3.1979.

عائشة عبد الرحمان:

204. **التفسير البياني للقرآن الكريم**، ج1، دار المعارف بمصر، ط2، 1966.

عاشور(حسن):

205. **"الأستاذ سعيد النورسي والدفاع الاستراتيجي من خلال التأمل في الطبيعة"**، ضمن أعمال المؤتمر العالمي حول تجديد الفكر الإسلامي والنورسي،اسطمبول 27-1992/9/29.دار سوزلر للنشر، القاهرة،1993.

عافية (محمد سميح):

206. **القرآن وعلوم الأرض**،الزهراء للإعلام العربي،القاهرة،ط1، 1414هـ/1994م.

عبد الباقي (فؤاد):

207. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.**

عبد الرازق (مصطفى):

208. **التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية**، مكتبة النهضة العربية القاهرة 1386هـ/ 1960م.

209. **الدين والوحي والإسلام.**

عبد الرحمان (طه):

210. **العمل الديني وتجديد العقل**، شركة بابل، الرباط، ط1، 1989.

211. **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998.

212. **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المؤسسة الحديثة لنشر والتوزيع المملكة المغربية، ط1، 1987.

عبد السلام (أحمد):

213. **استعادة المبادرة**، ترجمة،أحمد عبيدلي،دار الحداثة،بيروت،ط1، 1984م.

عبد الفتاح (جلال):

214. **الكون ذلك المجهول**، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1998.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الفتاح الخالدي (صلاح):

215. **البيان في إعجاز القرآن**، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 1413هـ/ 1992م.

عبد الله بركة (عبد الفتاح):

216. **في التصوف والأخلاق**، دار القلم، الكويت 1983.

عبده(محمد):

217. **حاشيته على شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية**، تحقيق سليمان دنيا،دار إحياء الكتب العربية،مصر،ط1، 1958م.

218. **رسالة التوحيد**، دراسة وتحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، ط2، 1981.

العجمي (أبو اليزيد):

219. **الفقهاء وبحوث العقيدة الإسلامية**، دار الهداية، القاهرة، بدون تاريخ.

عدي مرتضى (إبراهيم):

220. **هل الصانع الحكيم حق؟** دار الرشيد،دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط.1، 1420هـ:1999م.

عرجون (محمد الصادق):

221. **نحو منهج اتفسير القرآن**، منشورات العصر الجديد، ط1، 1972م.

عروة (أحمد):

222. **المنهجية الاستدلالية في القرآن للرد على خصوم الإيمان**، ملتقى قضايا المنهجية.

العربي (محمد):

223. **المنطلقات الفكرية عند الإمام فخر الدين الرازي**، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1982.

العسقلاني(ابن حجر):

224. **فتح الباري**، دار إحياء التراث العربي،بيروت،ط2. 1402هـ.

العقاد (عباس محمود):

225. **التفكير فريضة إسلامية**، دار الكتاب العربي، بيروت. ط2. 1969

علوان (توفيق):

226. **معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين**،دار الوفاء،المنصورة، ط.1، 1988.

عليوان (سعيد):

227. **التنصير وموقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر**، رسالة دكتوراه في العقيدة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2001م.

عمارة (محمد):

228. **النص الديني بين الاجتهاد والجمود والتاريخية**، دار الفكر، ط1، 1998.

عوض الله (حامد):

229. **الألوهية وفكر العصر، "أهناك إله"**، المركز الثقافي الجامعي، القاهرة،1977.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

غارديه (لويس) وجورج قنواتي:

230. **فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية**،ترجمة:د.صبحي الصالح والآب د. فريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1982.

غراب(محمود):

231. **الأشعري**,مكتبة الخانجي, مصر, 1953.

الغزالي (أبو حامد):

232. **إحياء علوم الدين**: دار الكتاب العربي، بيروت،د.ط،د.ت.

233. **الاقتصاد في الاعتقاد**,شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي,القاهرة,د.ت.

234. **جواهر القرآن**,تحقيق:محمد رشيد رضا,قصر الكتاب,البليدة,الجزائر,ط3, 1989م.

235. **القسطاس المستقيم**,تحقيق فكتور شلحت, المطبعة الكاثوليكية, بيروت, 1959م.

236. **المنقذ من الضلال**, تحقيق ودراسة عبد الحليم محمود, دار الكتاب اللبناني, بيروت, ط2، 1985.

الغزالي (محمد):

237. «**فلنجتهد في ترشيد صحوتنا المعاصرة حتى تؤتي جناها**»، في مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي، نخبة من المفكرين والكتاب، كتاب الأمة، قطر، ط1، رجب 1411هـ.

238. **هذا ديننا**, ضمن مؤلفات الشيخ الغزالي, دار الشروق, بيروت, ط, 1407 هـ, 1987 م.

الغلاييني (الشيخ مصطفى):

239. **الدين والعلم**, المكتبة العصرية, بيروت, بدون تاريخ.

الفارابي(أبونصر):

240. **إحصاء العلوم**,تحقيق عثمان أمين,مكتبة الأنجلو المصرية,القاهرة,ط2, 1968.

241. **تحصيل السعادة**,طبعة حيدر أباد,الهند,1346هـ.

فاروق أحمد دسوقي:

242. **استخلاف الإنسان في الأرض**، دار الدعوة، مكان وتاريخ النشر غير مذكورين.

فاضل (عبد الأمير):

243. "**قراءة ومراجعة لكتاب منهج الشهيد الصدر في تجديد الفكر الإسلامي**"، مجلة التوحيد.

فتح الله خليف:

244. **فخر الدين الرازي**، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1977م.

فتحي (محمد):

245. **التحكم الوراثي في الإنسان (الجينوم البشري)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.

فراج (عز الدين):

246. **الإسلام والوقاية من الأمراض**,دار الرائد العربي,بيروت,ط.2, 1404هـ.

فرغل(يحيى هاشم حسن):

247. **الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية**,دار الفكر العربي, القاهرة, 1978 .

248. **عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام**,مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية,القاهرة,ط1, 1392هـ/1972.

الفنجري(أحمد شوقي):

249. **الطب الوقائي في الإسلام**, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ط 2000-4.

الفندي (محمد ثابت):

250. **الله والعالم**، المهرجان الألف لذكرى ابن سينا.

251. **مع الفيلسوف**، دار النهضة العربية، بيروت، 1980.

الفيروزأبادي:

252. **القاموس المحيط**.

الفيومي (محمد إبراهيم):

253. **الاستشراق رسالة استعمار**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.

قاسم (محمود):

254. **مقدمة كتاب مناهج الأدلة لابن رشد**، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط3، 1969م.

255. **المنطق الحديث والمنهج العلمي**، دار النهضة العلمية، بيروت، 1970.

القاضي (عبد الجبار):

256. **شرح الأصول الخمسة**,موفم للنشر,الجزائر,1990.

قرص مضغوط:

257. **«موسوعة الطب القرآني والعلاج بالأعشاب الطبية»**.

القرضاوي (يوسف):

258. **العبادة في الإسلام**, مؤسسة الرسالة,بيروت,ط.9, 1401هـ-1981م.

القرطبي:

259. **الجامع لأحكام القرآن**.

قسوم نضال وجمال ميموني:

260. **قصة الكون**، دار المعرفة، الجزائر، ط2، 2002م.

القصي (محمد عبد الفصيل):

261. **هوامش على النظامية**, للجويني, دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط1، 1405هـ/ 1984م.

قطب (سيد):

262. **خصائص التصور الإسلامي**: دار الشروق، بيروت، ط.7. 1400هـ - 1980م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قطب (محمد):

265. **منهج التربية الإسلامية**،دار الشروق،القاهرة،بيروت.

قوس (سليمان عمر):

266. **الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم**، دار الحرمين، الدوحة 1987م.

كارل بوبر:

267. **منطق الكشف العلمي**.

كارم (السيد غنيم):

268. **الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق**.

الكردي (عبد الحميد راجح):

269. **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة**،**المعهد العالمي للفكر الإسلامي**،فرجينية،الولايات المتحدة الأمريكية،ط1، 1992.

كلوفرمونسما(جون):

270. **الله يتجلى في عصر العلم**، ترجمة، الدكتور عبد الحميد مرجان الدمرداش، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، القاهرة، ط4، 1986.

كوخ (أدريين):

271. آراء **فلسفية في أزمة العصر**، ترجمة محمود محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963.

لاوند (رمضان):

272. **وجودية ووجوديون**، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

الماتريدي (أبو منصور):

273. **كتاب التوحيد**، تحقيق فتح الله خليف، دار المشرق بيروت،ط2، 1970 .

ماجد (فخري):

274. **أبعاد التجربة الفلسفية**، دار النهار للنشر، بيروت، 1980.

مالك (بن أنس):

275. **الموطأ**، متن تنوير الحوالك شرح على الموطأ لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت.

ماهر(عبد القادر محمد علي):

276. **فلسفة التحليل المعاصر**، دار النهضة العربية، بيروت،1985م.

277. **فلسفة العلوم** ج 2 "مشكلة المعرفة"، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط. 1984.

المبارك (محمد):

278. **نظام الإسلام العقدي في العصر الحديث**،مطبوعات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار البعث،قسنطينة،د.ط،1989.

مجدي (شفيق):

279. **مشكلة المعرفة عند ابن تيمية**، رسالة دكتوراه،كلية الآداب، جامعة عين شمس.

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية:

280. **رسالة الإمام، كتاب الصلاة**، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط.3، 1417هـ- 1996م.

مجمع اللغة العربية:

281. **المعجم الوسيط**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1405هـ/1985م.

مجموعة من المؤلفين:

282. **الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق**،دار الفكر،دمشق،ط1، 1421هـ /2000م.

محسن(عبد الحميد):

283. النورسي **متكلم العصر الحديث**،سوزلر للنشر،القاهرة،1995.

284. **الرازي مفسرا**، بغداد،1974.

محمد فريد (وجدي):

285. **الإسلام في عصر العلم**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، دت.

محمود (مصطفى):

286. **أينشتاين والنسبية**، دار العودة،بيروت، 1986.

مذكور (عبد الحميد):

287. **مذكرات في علم الكلام**.

مسلم (الإمام أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري):

288. **صحيح مسلم**، دار الكتاب المصري،القاهرة،دار الكتاب اللبناني، بيروت.

المسيري (عبد الوهاب)، وآخرون:

289. **إشكالية التحيز(محور العلوم الطبيعية)**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي – القاهرة، ط 3 .1988م.

مصباح (عبد الهادي):

290. **الاستنساخ بين العلم والدين**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، بدون تاريخ.

المصلح (عبد الله بن عبد العزيز):

291. **مقدمة كتاب (الاستشفاء بالصلاة)** للدكتور زهير رابح قرامي، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مكة المكرمة، ط.1418هـ - 1996م.

مطهري (مرتضى):

292. **الرؤية الكونية التوحيدية**، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ط2، 1989.

293. **الإنسان والإيمان**، تعريب، محمد علي أذرشب، المكتبة الإسلامية الكبرى، طهران، دون تاريخ.

294. **التوحيد**، دار المحجة البيضاء، بيروت،ط1، 1418هـ/1998م.

المعهد العالمي للفكر الإسلامي:

295. **إسلامية المعرفة**، واشنطن 1986.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المغربي (علي بن عبد الفتاح):

294. **حقيقة الخلاف بين المتكلمين**، مكتبة وهبة، القاهرة، دت.

المودودي (أبو الأعلى):

295. **الإسلام والجاهلية**، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، د.ت.

296. **مبادئ الإسلام**, مكتبة رحاب,الجزائر,1406هـ/1986م.

موريس بوكاي:

297. **التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم**،ترجمة الشيخ حسن خالد،المكتب الإسلامي،بيروت،ط1411،3هـ1990.

298. **ما أصل الإنسان؟** ترجمة مكتبة التربية العربي لدول الخليج,ط12- 1985.

299. **الموسوعة العربية العالمية**, مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع, الرياض, ط1419-2هـ-1999.

موسى (محمد يوسف):

300. **مقدمة كتاب الإرشاد للجويني**, مكتبة الخانجي القاهرة، (د ط) 1369هـ/1950م..

الميداني (حسن حبنك):

301. **براهين وأدلة إيمانية**, دار القلم، دمشق, ط1, 1408هـ 1987م.

الناصر (محمد المكي):

302. **رسالة القرآن في عصر العلم**, دار تابريس, المغرب, د.ط, 1989.

نجاتي (محمد عثمان):

303. **القرآن وعلم النفس**, دار الشروق, بيروت, 1304هـ/1982م.

النجار (زغلول):

304. **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**, مكتبة الشروق,القاهرة,ط2, 1422هـ/2002.

305. **المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم**, مكتبة الشروق الدولية, القاهرة, ط1, 1423هـ/2002م.

النجار (عبد المجيد) وحسين أبولبابه وعلي الشابي:

306. **المعتزلة بين الفكر والعمل**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، دون تاريخ..

النجار (عبد المجيد):

307. **الإيمان بالله وأثره في الحياة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.

308. **خلافة الإنسان بين العقل والوحي**,دار الغرب,الإسلامي،بيروت، ط1, .

309. **فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992.

310. **فقه التحضر الإسلامي**, دار الغرب الإسلامي, بيروت, ط.1، 1999.

311. **في فقه التدين فهما تنزيلا**، كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، الدوحة، قطر، ط1، 1410هـ.

312. **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، مركز البحوث والدراسات, الدوحة, قطر, ط1، 1420هـ- 1999م.

313. **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1, 1992.

314. **مبدأ الإنسان**, دار الزيتونة للنشر, الرباط, ط 1، 1996.

315. **محاضرات في علم العقيدة**، ألقيت على طلبة السنة الأولى، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 1988/1987م.

نجيب محمود (زكي):

316. **تجديد الفكر العربي**، الشروق، بيروت، ط7، 1402هـ/1982م.

الندوي (أبو الحسن):

317. **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، تقديم سيد قطب، مكتبة السنة، القاهرة 1420هـ/1990م.

النشار (علي سامي):

318. **مناهج البحث عند مفكري الإسلام**، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1404هـ/1984م.

نصار (عبد الستار):

319. **المدرسة السلفية، وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام**، دار الأنصار القاهرة، ط.1، 1399هـ 1979م.

نصر (سيد حسين):

320. **مقدمة إلى العقائد الكونية الإسلامية**، ترجمة سيف الدين القصير، دار الحوار، سورية، ط1. 1991.

نعمان (صالح):

321. **القياس بين المنطق وعلم أصول الفقه**، رسالة ماجستير، معهد أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة 1993.

النورسي (بديع الزمان سعيد):

322. **الشعاعات**، ترجمة إحسان صالحي، دار سوزلر للنشر، اسطبول، 1993.

323. **صيقل الإسلام**، تحقيق إحسان صالحي، دار سوزلر للنشر، اسطبول، 1995.

324. **الكلمات**، ترجمة إحسان صالحي، دار سوزلر للنشر، اسطبول، 1993.

325. **اللمعات**، ترجمة :إحسان صالحي، دار سوزلر للنشر، اسطبول، 1993.

326. **المثنوي العربي النوري**، ترجمة :إحسان صالحي، دار سوزلر للنشر، اسطبول، 1993.

النووي:

327. **شرح صحيح مسلم**.

هوثروب (ستوورد):

328. **حاضر العالم الإسلامي**.

وليد (منير):

329. **النص القرآني**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1997.

يحيى (هارون):

330. **خدعة التطور**، مؤسسة الأحيال للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط.1، 2002.

331. **خلق الكون**، مؤسسة الرسالة، ناشرون، بيروت، ط.1، 1404هـ-2003م.

332. **معجزة القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.9، 1401هـ-1981م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

Blanc, Marcel:

333. **"la science, ni bonne ni mauvaise?"** Enjeux éthiques, l'état des sciences et des techniques, Edt ENAL, Alger, la découverte, Paris, 1983-1984.

Boul, Marcel:

334. **l'homme fossiles,** edt masson, paris,1920.

Bourgnignon, André et cyrine Koupernik:

335. **"Langage et pensée "** dans encyclopaedia universalis, paris1990.

clarke, Robert:

336. **la naissance de l'homme**, edt du seuil, 1980, 1er pub, 1980.

Gardeit , Louis:

337. **Dieu et la destinée de l'homme**, Paris vrin, 1967.

Gohanson Donald et Maitland Edey:

338. **lucy, robert laffont**, 1981.

Golovanov, L:

339. **L'admerable harmonie de la nature**,traduit par,I.sokolov,Edtion mir,Moscou1977

Madkour, I B:

340. **La place d'Elfarabi dans l'école philosophique musulmane**, paris,1934.

341. **Mimo Larousse encyclopédie**,

342. **Nouveau larousse medical** (Ascaris) ، librairie larousse, paris,1990-

Trennantant, Claude:

343. **science de l'univers et problèmes métaphysiques**, Edt du seuil, Paris 1976.

Vin, Frédéric:

344. **L'insuffisance veineuse A Latteinte micro circulatoire** Actualités innovations –médecine ،paris1998.

345.

الدوريات العربية:

أبو زيد (منى):

346. «الدين والعلم في فكر زكي نجيب محمود»,مجلة المسلم المعاصر,العددان69-70,السنة18.

الأمين (عادل):

347. «الاستنساخ الجيني من تجربة لتطوير الغذاء إلى إنتاج السوبرمان!!» في مجلة الإصلاح، العدد 365- مارس 1997.

باشا (أحمد فؤاد):

348. «**رحيق العلم والإيمان**». نقلا عن موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. www.amaneena.com:

بيكيت (فرانس):

349. «**التغير في المناخ: الحوار الكبير**» في رسالة اليونيسكو, ديسمبر 1997، ص40.

تاج الدين (مصطفى):

350. «**النص القرآني ومشكل التأويل**» في مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ماليزيا، السنة الرابعة، العدد 14، خريف 1419هـ/1998م، ص 17 – 22.

توني باركز وفريقه:

351. **مجلة** (نيتشير جينيتكس)، نقلا عن جريدة العالم السياسي، عدد 567، 14 جوان 1998، ص 12.

حشاد (أحمد حسنين):

352. «**الزلازل والبراكين رؤية إيمانية**»، مجلة الإعجاز العلمي.ع.2. ج14-1996م، ص52-55.

دغامين(زياد):

353. «**إسلامية المعرفة في ضوء إعجاز القرآن الكريم كما يصورها النورسي**»,مجلة المسلم المعاصر, القاهرة,ع83، شوال-ذوالقعدة-ذو الحجة,1417هـ/فبراير-مارس-أفريل, 1997م.

الدمرداش(محمود فرج):

354. «**وعلم آدم الأسماء كلها**»,المعهد العالمي للفكر الإسلامي, القاهرة,ط1، 1417هـ-1996م.

دوروزنسكي(ألكسندر):

355. «**عندما تمضي السحب**»,ترجمة محمد الدين,مجلة الثقافة العالمية, المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب,الكويت,ع.99, يناير-فبراير1999/رمضان-شوال1419هـ.

رابطة الجامعات الإسلامية:

356. تقارير اللجان العلمية: «**التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في القرن المقبل**»، مجلة الجامعة الإسلامية، رابطة الجامعات الإسلامية، عدد خاص، رقم 28، 1419هـ/ 1998م.

زروق(عبد الله حسن):

357. «**مناهج الدراسات الفلسفية في الفكر الغربي**»,مجلة إسلامية المعرفة,ع.14,خريف 1419هـ/1998م.

زين العابدين (متولي):

358. «**الانفجار الكبير... ولد الكون**», مجلة العلوم والتكنولوجيا عدد96.

سكر (محمد يوسف):

359. «**الناصية ووظيفة الفص الجبهي للدماغ**», مجلة الإعجاز, عدد2 جمادى الأول1417هـ- سبتمبر1996م.

شاهين (عبد الصابور):

360. «**خلق الإنسان**»، محاضرات الدروس الحسنية بالمغرب، القناة الفضائية المغربية، رمضان1417 هـ/1996م.

شحات (مصطفى أحمد) وآخرون:

361. «كيف يحافظ غسل الأنف عند الوضوء على صحة الإنسان»,نشرة الطب الإسلامي,ع4,الكويت1407 /1986

شلبي (هند):

362. «مشكلة الألوهية من خلال تفسير الرازي» النشرة العلمية للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين,الجامعة التونسية,تونس,ع.8, 1408هـ/1985م.

الصاوي (عبد الجواد):

363. «من إعجاز القرآن الكريم والسنة المطهرة في الطب الوقائي والكائنات الدقيقة»مجلة الإعجاز,ع3,ربيع2، 1418هـ.

الظواهري (مختار):

364. «ليس في الاستنساخ خلق جديد» في مجلة التقدم العلمي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، عدد 18، أبريل ـ حوان 1997، ص 33 – 35.

علوان (توفيق):

365. «معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين», مجلة الإعجاز, عدد2, جمادى الأول1417هـ, سبتمبر1996 م.ص72.

فرغل(يحيى هاشم حسن):

366. «غيبيات المادة», في مجلة الأزهر, حوان 1979.

قار ملكي (أحمد فارامرز):

367. تحليل مفهوم التجديد في الكلام الجديد،ترجمة حبيب فياض،مجلة المنطلق، ع119،خريف-شتاء 97-98

القاضي (أحمد):

368. «أوجه الارتباط بين القيم الإسلامية والإصابة بالسرطان» نشرة الطب الإسلامي, الكويت 1402هـ.

كاشفي (محمد رضا):

369. «فلسفة الدين والكلام الجديد» في مجلة المنطلق, عدد 119، خريف-شتاء 1998-1997،ص49-48.

منظمة الصحة العالمية:

370. «تقرير 1998-07- 10».

النجار (عبد المجيد):

371. «الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي» مجلة التجديد, الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا, العدد الأول, السنة الأولى، يناير 1997، رمضان 1417 هـ، ص 124-89.

372. «الإنسان والكون في التربية القرآنية»، مجلة الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين, الجامعة التونسية,العدد الثامن،1985.

نصار (عبد الستار):

373. «منهج البحث في علم العقيدة في ضوء التطور العلمي المعاصر», ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي, المعهد العالمي للفكر الإسلامي,جامعة الأمير عبد القادر ,قسنطينة,الجزائر,9-12سبتمبر 1989م.

همتي (همايون):

374. «مدخل إلى مبادئ علم الكلام الجديد»، ترجمة جواد كسار، مجلة التوحيد.

هرماس (عبد الرزاق بن إسماعيل):

375. «مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن» مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية,جامعة الكويت,ع38,ربيع الآخر 1420هـ/أوت 1999م.

اليونيسكو

376. رسالة اليونيسكو, أكتوبر1997.

الدوريات باللغات الأجنبية:

Abdus Salum, Ahmed:

377. **«La foi et La science»**, dans ''l'Islam et l'Occident devant les conquêtes de la science: concordance en conflit'' Conférence débat organisée à l'UNESCO par l'association française ''l'Islam et l'occident'', 27/24/1984.

Barbuy, Beatrice:

378. **«Les premières étoiles»** -La Recherche N°180, v 17, sep 1986.

Barrouhi, Abdelazize;

379. **«climat:demain il sera trop tard»** dans jeune Afric l'intelligent «environnement ALERTE!» N°2116, du 31-07 au 6-8-2001, Paris.

Bouvet Alain et Richard portier:

380. **«voir les atomes»**, la Recherche, N°144, Mai 1983.

Brnex, René:

381. **«Le scientifique Antonio Damasio: Le cerveau à la recherché de l'ame»** ;science et vie ; edt spéciale, N°9512H.1996.

Buser, pière:

382. **«physiologie générales»**, dans Encyclopédia universalis, paris 1990.

Chesselet, Roger:

383. **«un Fragile Equilibre»**, Science et Avenir, NS- hors série N=57.: "La conquête de la planète Océan".

Coppens Yves:

384. **«notre arbre genealogique ; c'est un bouquet»**, entretien réalisé par Rachel Fleau, science et avenir, N° 59, Avril 1996.

Coppens, Yves:

385. **«Révélation sur le premier homme»**,Nouvel observateur,N°1320,22-28février, 1990.

Divér Jacques:

386. **«Et pourtant il accélère»**, La recherche, N° 361, février 2003.

Dutrillau, Bernard et Florence Richard :

387. **«Notre nouvel arbre de famille»**, la recherche, n 298, mai 1997.

Flander, Paul Havard:

388. **«pourquoi y- a- t'il si peut de nutants»**, Pour la science,N° 123, janvier 1982.

Hones, Edward:

389. **«La queue magnétique de la Terre»**, pour la science, N=103, mai 1986.

Kener, Aline:

390. **«les nouveaux visages de neandertal»**, science et avenir, N°590, Avril 1996.

Leclerk, Michel:

391. **«Dieu revient très fort»** un débat métaphisique avec l'astronome Trinh.Thuan, Paris- Match, 1989.

marie Tiller, Anne :

392. **science et avenir**, N° 590, Avril 1996.

Megie. G et Stalarski p.

393. **«la disparition de l'ozone Antarctique»**, pour la science, N°125, Mars 1988.

petit jean, Gerard:

394. **«et le singe devint homme»**, entretien avec le paleantologue Yves Coppens, le nouvel observateur, n°1320 du 22 mars au 28 mai, février 1990.

Rennes. P

395. **«Menaces sur l'antarctique»**, science et avenir ،N°512, Août 1987.

Science et avenir:

396. **«la grande histoire de l'homme»**، n 590, avril 1996.

Science Illustrée :

397. **«Lorsque la science rattrape la fiction»**, N° 06, Juin 1997.

Science illustrée:

398. **«L'inversion des pôles et le chaos»** N°6. juin 1997.

Steinberg, Jean Luis et Pierre Coutruler,

399. **«le vent solaire »**, La Recherche, n=161.12: 1984.

Sylvestre huet:

400. **«le mystère de la super nova»**.sciences et avenir. n°518. Avril 1999.

Sylvie ody et Francoise Harrais –Momin:

401. **«A la poursuite du Big Bing»** L'express international n-2022.

Trinkans, Erik:

402. **«les néandertaliens»**, la recherche, n 180, septembre 1986,

Vendermeerch, Bernard :

403. **«le progrés n'est pas que technique»**, Sciences et Avenir, N° 596, Avril 1996.

Vendermeerch, Bernard; d'après‹ Aline Kenerm:

404. **«les nouveaux visages de neandertal»** sciences et avenir, N° 596, Avril 1996.

Walgate, Robert:

405. **«paludisme la séquençage, et après?»**, la recherche ‹N° 361, Février 2003.

Wheeler, Eraig et Robert Harknes:

406. **«les super nova riches en hélium»**.Pour la science. N-123. janvier. 1988.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

فهرس الآيات 436
فهرس الأحاديث 460
فهرس الأعلام 462
فهرس الأشكال والصور 466
فهرس الموضوعات 468

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

السورة	الآيـــــة	رقمـها	الصفـحات
البقرة	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ .... وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ﴾	16- 17	79
البقرة	﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ .....الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ...﴾	21- 22	86 – 256
البقرة	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ...﴾	23	127
البقرة	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ....وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾	26	118
البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .....قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	30	-316 336 -318
البقرة	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	31-32	-170 317 -218
البقرة	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾	48	343
البقرة	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾	55	79
البقرة	﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	111	72 – 75
البقرة	﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾	118	72
البقرة	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	135	84
البقرة	﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ، ... صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾	136- 138	66

السورة	الآيـــــة	رقمـها	الصفـحات
البقرة	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ....لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	164	80- 109
البقرة	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾	170	78
البقرة	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	171	103
البقرة	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	179	111
البقرة	﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ .... وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	184	110
البقرة	﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾	194	255
البقرة	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ... وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	240- 241	111
البقرة	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ...وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	255	202- 246 - 393
البقرة	﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾	258	81 - 82
البقرة	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾	269	119
البقرة	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	282	111- 169 - 202
البقرة	﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ .... رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾	285	70
آل عمران	﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ....وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾	7	198 - 234 - 235

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحات
آل عمران	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾	59- 60	122- 192 322
آل عمران	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ....﴾	110	63- 97
آل عمران	﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ، هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾	137 – 138	112- 114
آل عمران	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، ... رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	190- 191	109 - 113 – 210
النساء	﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ... وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾	43	338
النساء	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	65	37- 393
النساء	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾	82	115
النساء	﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ...﴾	103	378
النساء	﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾	156	
النساء	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ... مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾	157	72
النساء	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا، ... إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	165- 167	75- 264
النساء	﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾	166	264
النساء	﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾	174	246

السورة	الآيـــــة	رقمـها	الصفحات
المائدة	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	02	344
المائدة	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	38	235
المائدة	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ... فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾	48	309
المائدة	﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ... ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾	75	115
الأنعام	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾	02	323
الأنعام	﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾	11	112
الأنعام	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾	44	124
الأنعام	﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، ...﴾	63 - 64	310
الأنعام	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ، .....وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾	74 - 83	75 -72 -12 - 221 -84 -79 227
الأنعام	﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ... لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾	94	115
الأنعام	﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	102	278
الأنعام	﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾	115	260

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحات
الأنعام	﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾	116	72
الأنعام	﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾	132	255
الأنعام	﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ... سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾	157	75
الأعراف	﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾	12	321
الأعراف	﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾	20	180
الأعراف	﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾	29	325
الأعراف	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ... تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	54	235- 260
الأعراف	﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ ... لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	57	116 – 120
الأعراف	﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ...﴾	71	75
الأعراف	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا .... أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾	172- 179	40 - 78- 84– 87- 88- 103 170- 309
الأعراف	﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾	185	101 – 114
الأعراف	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	187	236
الأنفال	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	02	255

السورة	الآيـــــة	رقمـها	الصفـحات
الأنفال	﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾	20-22	103 - 87
الأنفال	﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾	24	392
التوبة	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	103	376 -111
التوبة	﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾	108	357
يونس	﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾	01	
يونس	﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾	02	
يونس	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾	05	248 -207
يونس	﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾	12	93
يونس	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ.... لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾	13 14	112
يونس	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾	18	92
يونس	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ... ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	22-23	94
يونس	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ... فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾	31-32	92
يونس	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾	71	116

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحات
هود	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	13	127
هود	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ .... مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	18- 24	95 - 119
هود	﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	56	298
هود	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾	114	377
يوسف	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	02 110	198
يوسف	﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾	82	299
الرعد	﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾	02	72- 265
الرعد	﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾	04	109
الرعد	﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾	08	153
الرعد	﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	11	307
إبراهيم	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	05	242
إبراهيم	﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ...وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾	10	81
إبراهيم	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ .... وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾	24- 27	95- 119

السورة	الآيـــــــة	رقمـها	الصفـحات
إبراهيم	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ .... وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾	32- 34	110
إبراهيم	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	48	284 - 286
الحجر	﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾	22	267
الحجر	﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾	25	323
الحجر	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ، وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾	26- 27	317
الحجر	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	28- 29	316- 318 — 320
الحجر	﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾	42	88
النحل	﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ، وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ..... وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	04- 14	91- 109- 244- 266-
النحل	﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ .... إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾	17- 22	22- 116-
النحل	﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾	26	86
النحل	﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	44	117
النحل	﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾	65	101
النحل	﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ، ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾	68- 69	113- 225
النحل	﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	74	235

السورة	الآيـــــــة	رقمـها	الصفـحات
النحل	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ ... هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	75 76	118
النحل	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	78	85- 100
النحل	﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾	89	349
النحل	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾	97	395
النحل	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾	77	282
النحل	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	125	16- 63
الإسراء	﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾	26	307
الإسراء	﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾	36	101- 202 - 311
الإسراء	﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾	42	154
الإسراء	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾	70	346
الإسراء	﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾	82	130
الإسراء	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	85	41- 97 -127- 235- 247
الإسراء	﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	88	127

السورة	الآيـــــة	رقمـها	الصفـحات
الإسراء	﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا .... قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾	90-93	81
الإسراء	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾	99	121
الإسراء	﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا .... وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾	105-109	198- 255-
الكهف	﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾	48	286- 289
الكهف	﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾	51	74- 98- 258- 278- 314- 315- 325
الكهف	﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾	53	
الكهف	﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا .... فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾	103-105	190
الكهف	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾	107-108	395
الكهف	﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾	109	197
مريم	﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾	41	125
طه	﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾	14	377
طه	﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾	54	323
طه	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾	105-106	289
طه	﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾	114	197
طه	﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى.... وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾	115-124	180- 192- 350- 392

السورة	الآيـــــة	رقمـها	الصفـحات
الأنبياء	﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	10	116
الأنبياء	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾	16	278
الأنبياء	﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا .... لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾	21 - 22 - 23	119 - 123 - 154 - 156 - 276
الأنبياء	﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾	24	75
الأنبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	25	36
الأنبياء	﴿أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾	30	13 - 224 - 279 - 282
الأنبياء	﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾	32	264 - 265 - 275
الأنبياء	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	33	280
الأنبياء	﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾	52	126
الأنبياء	﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ. قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ... قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾	61 - 68	125
الأنبياء	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾	104	277 - 285 - 296
الحج	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	17	19
الحج	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ... وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾	46	108 - 112
الحج	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾	61	207
الحج	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	65	277

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحات
الحج	﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ... إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	73-74	118 - 127-278
الحج	﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ... فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾	78	66
المؤمنون	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ.... فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	1- 14	110- -239 261- 329
المؤمنون	﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾	18	267
المؤمنون	﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	28	115
المؤمنون	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾	78	100
المؤمنون	﴿قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ... قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	82-85	80
النور	﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ .... وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	31-32	304
النور	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	35	247- 248-249
النور	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ... لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾	55-57	30- 37- 65 83- 170 174- 191 395
الفرقان	﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	06	264
الفرقان	﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾	21	79
الفرقان	﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا، أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾	43-44	87- 103

السورة	الآيـــــة	رقمـه	الصفـحات
الفرقان	﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا.... فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾	45-50	80
الفرقان	﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾	61	248
الشعراء	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ... قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾	23-29	80
الشعراء	﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ... وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾	69-82	125- 207
الشعراء	﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾	132	246
الشعراء	﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾	227	393
النمل	﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ، وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾	13-14	73
النمل	﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ.... اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	23-26	94
النمل	﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ ... بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾	60	276
النمل	﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾	62	93
النمل	﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾	88	101
القصص	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا ... وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾	38	82
القصص	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ... أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	71-72	101 -102
القصص	﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾	77	344

السورة	الآيـــــــة	رقمـها	الصفـحات
العنكبوت	﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.... وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾	16- 27	74- 98- 112- 114- 126-252- 277 - 279- 314 - 315
العنكبوت	﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾	41	190
العنكبوت	﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾	45	19- 111- 378- 391
العنكبوت	﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ .... وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	50- 52	81- 349
العنكبوت	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾	61	278
العنكبوت	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	63	278
العنكبوت	﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾	65	310
الروم	﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾	07	191 - 197- 250
الروم	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾	09	112
الروم	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾	20	322
الروم	﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ ... فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾	28- 29	118- 122- 216
الروم	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	30	84- 85- 88- 89- 309- 323

السورة	الآيـــــــة	رقمـها	الصفـحات
الروم	﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ... فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	33-34	93
الروم	﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ .... لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾	41-45	185- 191- 203
لقمان	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	10	265
لقمان	﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	20	110- 278
لقمان	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	27	197
لقمان	﴿أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾	29	207
لقمان	﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾	32	310
السجدة	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾	07	325
السجدة	﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾	09	100
السجدة	﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ... تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾	26-27	101- 102
الأحزاب	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾	56	376
الأحزاب	﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾	62	111
سبأ	﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾	06	312- 376 - 393
سبأ	﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	20	88

السورة	الآيـــــة	رقمـها	الصفـحات
فاطر	﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾	09	120- 267
فاطر	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	11	182
فاطر	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾	18	343
فاطر	﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	28	77- 198- 254
فاطر	﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾	41	277
فاطر	﴿... فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾	43- 44	114
يس	﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾	12	135- 140
يس	﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾	38	207
يس	﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾	40	152- 225- 280
يس	﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ... وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾	78- 81	120- 121 - 122
الصافات	﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا، إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾	01 04	104
الصافات	﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ، وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ، قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾	95- 97	123
ص	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾	29	115- 116

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحات
ص	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	71- 72	216 - 317- 318- 320 344
ص	﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾	82- 83	180
الزمر	﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾	08	94
الزمر	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾	09	255
الزمر	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾	23	63
الزمر	﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	27	117
الزمر	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	29	118
الزمر	﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	49	94
الزمر	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	67	285
غافر	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ... إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	21- 22	190
غافر	﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾	29	179- 343
غافر	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾	36	82
غافر	﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾	57	121
غافر	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾	64	265

السورة	الآيـــــــة	رقمـها	الصفـحات
غافر	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾	67	113
غافر	﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ، أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾	81-85	185- 190
فصلت	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ... وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾	06-07	266
فصلت	﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ... وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾	09-12	279- 296- 318
فصلت	﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ... وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	19-23	311
فصلت	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾	30	184
فصلت	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	39	101- 120 - 121
فصلت	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	42	260- 261
فصلت	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ... أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾	53-54	13- 16- 70 - 97- 209- 219 -223- 237- 244- 246- 252- 261- 276- 350
الزخرف	﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ، .... وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾	22-23	78

السورة	الآيـــــة	رقمـها	الصفـحات
الزخرف	﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾	24	78
الزخرف	﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	51	82
الدخان	﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾	10	296
الجاثية	﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	04	72
الجاثية	﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	12	317
الجاثية	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	13	110
الجاثية	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾	24	79 – 73
الجاثية	﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	37	256
الأحقاف	﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾	03	276
الأحقاف	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	13	395
الأحقاف	﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾	26	103 -77
الأحقاف	﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	32	121
محمد	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	24	115
الفتح	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾	29	345
الحجرات	﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	13	65- 344

السورة	الآيـــــــة	رقمـها	الصفـحات
الحجرات	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾	15	255
ق	﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾	06 209	
ق	﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	15	323
ق	﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	37	71- 77- 108 116 –
الذاريات	﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا، فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا، فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا، فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾	01- 06	- 104 -
الذاريات	﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾	20	72
الذاريات	﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	21	70- 102- 209- 251
الذاريات	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ، وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ، وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	47- 49	91- 116- 224 -266- 280
الذاريات	﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	50	30
الطور	﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾	05	265
الطور	﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾	06	291
الطور	﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾	09	292
الطور	﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾	30	244
النجم	﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ، وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾	01- 03	104- 228- 264- 312
النجم	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾	04- 05	228- 312
القمر	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	49	152
الرحمن	﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾	05	207

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السورة	الآيـــــــة	رقمـها	الصفـحات
التحريم	﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾	06	321
الملك	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	14	373
الملك	﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾	23	101
الحاقة	﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾	14-15	287- 289
المعارج	﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾	08-09	284- 294
المعارج	﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا، إِلَّا الْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾	19 - 23	292- 378
نوح	﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾	14	336
الجن	﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾	01-02	69
الجن	﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾	18	135
المزمل	﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾	14	289
المدثر	﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ﴾	01-02	241
المدثر	﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾	03-04	357
المدثر	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	38	343
القيامة	﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ، وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾	08-09	207- 294
الإنسان	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	02	100
المرسلات	﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾	10	289
النبأ	﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾	12	266
النبأ	﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾	20	289- 290
النازعات	﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا، يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ، أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ، ....فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾	01-14	79- 287

السورة	الآيـــــة	رقمها	الصفحات
النازعات	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا، إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ... لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾	42 46	41- 296
التكوير	﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾	03	289
التكوير	﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾	06	290
التكوير	﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾	11	292
الانفطار	﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾	02	294
الانفطار	﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾	03	290
الانفطار	﴿يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾	06- 08	207- 324
الانشقاق	﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ، وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ، وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ... يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾	01- 06	256- 286 287- 289 292
البروج	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ، وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ، قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، .... إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾	01- 10	76- 105
الطارق	﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ، ... يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ، فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾	01- 09	76- 105 — 114
الطارق	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾	11	264- 266 274
الأعلى	﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، ... فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾	01- 09	91
الغاشية	﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ، فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾	17- 22	13- 91- 102 103- 109 115- 116 220- 265
الفجر	﴿وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾	01- 06	105- 287

السورة	الآيـــــــة	رقمـــها	الصفـــحات
الشمس	﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا، وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا، ... فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾	01-14	30- 105- 265
التين	﴿[redacted] لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾	01-06	87- 105- 223- 224
العلق	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	01-05	215- 241- 246- 255- 357
العلق	﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾	15	297
العلق	﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾	16	298
البينة	﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ... إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾	01-04	75
الزلزلة	﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾	01-02	286
العاديات	﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا، فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا، فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا، فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾	01-05	76
العاديات	﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾	09-11	76
القارعة	﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾	04-05	289
التكاثر	﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ، ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾	05-08	103
العصر	﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾	01-02	37- 105- 395
العصر	﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾	1- 3	395
الماعون	﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾	04-07	392

فهرس الأحاديث

إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوء الصلاة 361

إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا 361

إذا بال أحدكم فلا يأخذن ذكره بيمينه 368

إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه 359

إذا توضأ النبي ﷺ : أدخل أصبعيه في مجرى أذنيه 362

إذا سجد يجنح في سجوده حتى يرى وضحُ إبطه 386

إذا سجدت فضع كفّيك وارفع مرفقيك 386

إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء 368

أرأيتم لو أن نهرا على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات 377

أسبغ الوضوء وخلل الأصابع 361- 367

اعتدلوا في السجود، ولا يبسط أحدكم ذراعيه 386

أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته 298

أمرت أن أسجد على سبع أعظم، 386

أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله ويقيموا الصلاة 391

إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار 303

إن الله خلق آدم على صورته 325

إن النبي ﷺ مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما 362

أن النبي ﷺ، توضأ فجعل يقول: "هكذا يدلك 361

إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته 392

إن بين الرجل والشرك ترك الصلاة 392

إنما فرضت الصلاة وأمر الحج وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله 377

إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين 309

أوصاني جبريل بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض عني وعلى أمتي 365

أوقد على النار ألف عام حتى احمرت 228

أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها 391

بركة الطعام الوضوء قبله وبعده 361

تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب 363

تنزهوا من البول فإنه عامة عذاب القبر منه 367

ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعتدل ثم اسجد 384

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام 358
الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة..... 298
دعا بوَضوء فأفرغ عليه فغسل يديه..... 367
رأيت رسول الله ﷺ توضأ فاستوكف ثلاثا 361
صلوا كما رأيتموني أصلي..... 391
طهروا هذه الأجساد طهركم الله 357
الطهور شطر الإيمان..... 357- 375
عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية 371
قل ربي ثم استقم، قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي 303
قلم أظافرك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها..... 361
كان ﷺ إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك 363
كان رسول الله ﷺ يتبرز لحاجته فآتيه بالماء فيغتسل به 368
كان رسول الله ﷺ يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام نحوي إداوة من ماء..... 368
كل مولود يولد على الفطرة 309
لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى..... 304
لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به..... 345
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..... 29
اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك 298
لو أنكم تطهرتم ليومكم..... 358
لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة..... 363
مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم..... 358
من توضأ فليستنثر..... 367
من نام وفي يده غمر فأصابه شيء..... 361
وضعت للنبي ﷺ ماء للغسل، فغسل يديه مرتين 359
وُقت لنا في قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط 372
ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء 362
ويلك وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلاّ حصائد ألسنتهم 303
يا أيها الناس إذا كان هذا اليوم (الجمعة) فاغتسلوا 358
يا بني إن استطعت ألا تبيت إلاّ على وضوء..... 358

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

أبراهام (الراهب) 373

إبراهيم عليه السلام..... 207- 220- 221

إبراهيم بن يسار النظام 52- 138

ابن الأعرابي 298

ابن العربي..... 02- 13- 26- 139

ابن القيم 120- 205- 211- 405

ابن الهيثم 14

ابن تيمية 10- 14- 15- 108- 132-
..... 139- 156- 162- 205- 210- 405

ابن حزم..... 54- 139- 205- 208- 405

ابن خلدون ... 14- 20- 23- 27- 28- 29-
30 - 33- 34- 47- 50- 56- 57-
58- 62- 108-200

ابن رشد 10- 14- 29- 30- 58- 77-
137- 138- 139- 149- 150- 152-
153- 155- 205- 218- 238- 317- 346

ابن سعد..... 41

ابن سيناء.....14- 25- 142- 153

ابن عاصم 367

ابن عباس عبد الله 362

ابن عرفة 32

ابن عطاء الله السكندري ... 169- 248- 254-
315

ابن كثير..... 298

أبو الحسن الأشعري 140

أبو المظفر الإسفرايني.....140- 141- 148

أبو الهذيل العلاف 53- 136- 138- 141

أبو حامد الغزالي 14- 23- 33- 49- 50- 58-
73- 131- 132- 152- 159- 164-
167- 168- 205- 206- 208- 214- 405

أبو حنيفة 26- 35- 42

أبو حيان التوحيدي: .. 22- 26- 33- 34- 47

أبو هريرة 228- 361- 367- 392

أثمينس (الراهب) 373

آدم عليه السلام ...122- 152- 315- 317- 319-
.....320- 321- 322- 323- 324-
..... 325- 335- 336- 340

إدوارد لو تركسيل.....224

أرسطو 52- 243

أرنالديز.....178

اشفتزر.....186

أفضل الدين الخنجي..... 11

الآمدي 163

الأمير عبد القادر..... 09

أنباذوقليس..... 52

أنتوني (الأب) 373

أنس بن مالك 358- 367- 368

إيف كوبانس 332

إيتيل بوترو 194

أينشتاين 146- 199- 285

البابا يوحنا بولس الثاني.....176

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباقلاني 53- 136- 158
بتنام Putnam 173
بديع الزمان النورسي..... 10- 212- 214-
..... 215- 217- 219- 405
براون 363
برناردشو 374
بشير التركي 234- 335
البيجوري..... 32
البيروني 54
التفتازاني 32- 34- 36- 51
التهانوي..... 26- 29- 45- 51
توفيق علوان 379
جابر 387
جاك بيرك 178
الجرجاني الشريف: ..32- 33- 34- 50- 235
جلال الدين السيوطي: 41- 124- 205
جليرت 199
جميل صليبا 56
جهم بن صفوان..... 16- 142
جوكوب 363
جون كسني 196
جوهري 234
الجويني 11- 148- 150- 152-
..... 153- 154- 158- 159
جيمس كولمان 197
حذيفة 363
الحسن البصري..... 44
حسن حنفي 177
حسين الجسر...32- 212- 213- 214- 405
د. كيث مور..... 231
دارون (تشارلز) 313- 335- 342
دافيد كراستوفر..... 379
دريدا Derrida 173
دي بور 53
ديكارت رونيه 199- 311- 312
الراغب الأصفهاني 89- 205-206-208- 405
رورتي Rorty 173
ريشنباخ H. Reichenbach 143
الزركشي 205
زكي نجيب محمود 171
سارتر 183
سفيان بن عبد الله 303
سكر محمد يوسف.....299- 310
السلطان عبد الحميد 11
سلفيستر ستالوني 180
سيوكوفيك 199
الشاطبي 197
شبلي النعماني 178
الشهرستاني 11- 54- 140
صالح بن عمر الصالحي 139
طاش كبرى زاده 23- 27- 28- 29
طاليس 199
الطاهر بن عاشور..... 45- 317
طنطاوي..... 234
عائشة أم المؤمنين 358- 361- 371
عبد الحميد القضاة 363

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد الرحمن بدوي 47
عبد الرزاق مسعود السعيد 374
عبد الستار نصار 09
عبد الصبور شاهين 323- 335
عبد القاهر البغدادي 158
عبد الله بن زيد 367
عبد الله بن عمر 43- 391
عبد المجيد الزنداني 23- 34- 37- 212-
..... 226- 227- 228- 405
عبد المجيد النجار 09- 46- 56-
..... 57- 344- 350
عبد الوهاب الشعراني 50
عثمان بن عفان 42- 43
عضد الدين الإيجي 20- 23- 34- 50
علي بن أبي طالب 304
عمر بن العاص 41
عمر بن حارث 386
عمرو بن شعيب 41
عيسى عليه السلام ..122- 152- 321- 322- 375
الفارابي 22- 25- 26- 27- 29-
..... 30- 33- 34- 204- 395
فاروق الباز 228
فان ألن 272
الفخر الرازي . 11- 14- 15- 32- 34- 54-
70- 104- 122- 128- 140- 149-153-
159- 160- 163- 164- 168- 205- 208-
209- 210- 253- 298- 322- 323- 324-
395- 405

فرانز كافكا 06
فرسيسكو دولاهاي 374
فرعون 82- 342
فرويد (سغموند) ..... 175 - 342
فيرنر هيزنبيرج 197
القاضي عبد الجبار المعتزلي 158
قران تيون 238
كارل بوبر K, Poper ..... 100- 172 - 198
كارل ياسبيرس 198
كالفين هارلي 181
كانط 311
كواين Quine 172
اللقاني 32
لقيط بن صبرة 367
اللورد كرومر 178
لويس غارديه 47
ليبنتز 199
ماكاريوس (الراهب) 374
ماندير 236
الماتريدي 10
ماركس 175
ماسيو 311
مالك بن نبي 61
محمد إقبال 10- 234
محمد أركون 172
محمد الغزالي 60
محمد بن عبد الله البدوي 373

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد عبده32- 33- 34- 35- 36- 56- 58-
66- 140- 234
محمد فريد وجدي 234
محمود غراب 139
محي الدين بن عربي 51- 139
مرتضى مطهري 238
مصطفى صادق الرافعي 263
مصطفى صبري 152- 175
مصطفى عبد الرازق 26
معاذ بن جبل 303
موريس بوكاي 260- 335
ميشال دوفوكو M, De focu 173
ميشيل روز 182
نتشه 342- 343
النمرود 81
نيوتن 198- 199
هابل 280
هامان 82
هايدجر 175
هربرت سبنسر 200- 342
هشام بن العاص 41
هكسلي 201- 202
هيرمان فون 285
واصل بن عطاء 44
وحيد الدين خان09- 23- 24- 31- 33- 38-
130- 204- 210- 212- 219- 221- 222-
223- 224- 226- 244- 405- 407.
وولتر أوسكار لنديرج 194
يحي بن عدي 35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأشكال والصور

الترتيب	رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحات
1	1	أجزاء الذرة	145
2	2	قوى الطبيعة الأساسية	145
3	1 -3	توقعات انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو	188
4	2 -3	انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون في العالم سنة 1997	188
5	1 -4	تأثير الدفيئة الطبيعي: Effet de serre	188 -أ
6	2 -4	توقعات ارتفاع درجة حرارة الكوكب	188 -أ
7	3 -4	توقعات ارتفاع مستوى سطح البحر	188 -أ
8	5	دورة المياه في الطبيعة	269
9	1 -6	طبقات الجو	273
10	2 -6	السقف المحفوظ + رجع السماء	273 -أ
11	7	المجال المغناطيسي	275 – ب
12	8	الدرع المغناطيسي	275 - ب
13	9	الشفق القطبي الشمالي	275
14	10	الانفجار الكبير وتمدد الكون	281
15	1 -11	مفرخة النجوم (سديم)	283
16	2 -11	دورة حياة النجوم	283
17	1 -12	المجموعة الشمسية	283 -أ
18	2 -12	المجرات	283 -أ
19	13	كتاب الكون	283 -ب
20	1 -14	مكوّنات الأرض	286 -أ
21	2 -14	البراكين – وتسجير البحار	288
22	3 -14	خارطة الزلازل والبراكين	288 -أ
23	15	مستعرة Supernova	293 -أ
24	16	انفجار نجم (وردة كالدهان)	295
25	1 -17	تركيبة المخ	302
26	2 -17	المناطق الوظيفية للمخ (الناصية)	302

الترتيب	رقم الشكل	عنوان الشكل	الصفحات
27	18	نشاط المخ أثناء أداء المهارات اللغوية	302-أ
28	19	إصابة الناصية	302-أ
29	20-1	جدول تاريخ ظهور أنواع الجماعات البشرية	330
30	20-2	شجرة أصل الإنسان (فرضية التطور)	330
31	20-3	شجرة أصل الإنسان 1980	330
32	20-4	شجرة أصل الإنسان (انفصال البشر عن القردة)	330-أ
33	21	شجرة سلالة الإنسان الجديدة (الوجود المستقل للإنسان)	330-أ
34	22	خدعة التطور	330-ب
35	23	الحلقات المفقودة	334
36	24	أضرار الطفرات	339
37	25 (1-6)	أنواع البكتيريا والفيروسات والميكروبات	353
38	26-1	التهابات الفم	355
39	26-2	التهابات الأنف	355
40	30	الديدان الشريطية	370
41	31	رسم مقطعي عمودي للوريد	380
42	32	دوالي الساقين	380
43	33-1	الدورة الدموية	383
44	33-2	دور الصلاة في تقوية جدار الأوردة	383
45	34	دور الصلاة في تخفيف الضغوط على الساقين	385
46	35 (1-5)	وضع السجود في الصلاة	385-أ
47	36 (1-5)	وضع الجلوس في الصلاة (الافتراش)	389
48	—	دورة الحياة والموت (دليل الموت على الخلق)	326

المحتويات

المقدمة 06

الفصل الأول: التعريف بعلم العقيدة 18

التمهيد 19

المبحث الأول: دلالتا التعريف والتسمية 22

المطلب الأول: دلالة التعريف 22

أ- التعريفات 22

ب- الغاية الدفاعية لعلم العقيدة 24

ج- الصلة بين علم العقيدة والفقه والعلوم الإسلامية عموما 24

د- التواصل بين العلوم 27

هـ- اختفاء الصبغة الواقعية العملية 31

المطلب الثاني: دلالة التسمية 35

1 - الفقه الأكبر 35

2 - علم النظر والاستدلال 35

3 - علم الكلام 35

4 - علم التوحيد 36

5 - علم أصول الدين 36

6 - علم العقيدة 37

7 - علم الإيمان 37

المبحث الثاني: دور علم العقيدة 40

تمهيد 40

أولا ــ دوره في عصر النشأة 40

ثانيا ــ تطور دور علم العقيدة وأهم وظائفه 45

أ ــ الشرح والبيان لغرض الفهم والإصلاح 46

ب- إثبات العقائد الإسلامية بالأدلة اليقينية 49

ج- رد الشبهات وتزييف الآراء الباطلة 51

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

د- وظيفة الهجوم 53
ثالثا ــ دور علم العقيدة اليوم 59
أ- معالجة مشاكل الواقع الإسلامي 59
أ- 1 - التصحيح والتوضيح 60
أ- 2 - تثبيت وترقية إيمان المؤمن 60
أ- 3 - تقوية التزام المؤمن بالدين 61
أ- 4 - دحض الشبهات الواردة على الأصول والفروع 62
أ- 5 - توعية المخالفين ودعوتهم إلى الدين الإسلامي 62
أ- 6- الهجوم على عقائد وأفكار المعارضين 63
1 - معرفة الأديان والمذاهب والنظريات المعاصرة 63
2 - الإلمام بعلوم العصر 64
3 - معرفة الأضرار التي تلم بالدين الإسلامي 64
ب - اقتراح حلول للمشاكل التي تعاني منها الإنسانية 65
الفصل الثاني:منهج القرآن الكريم في الاستدلال على العقائد 68
تمهـــــيد 69
المبحث الأول: خصائص المنهج 71
أ ــ اقتران القضايا بأدلتها 71
ب ــ سبل استنباط الدليل وتحقيق اليقين 71
ج - ضبط المصطلحات 73
د - اللجوء إلى الواقع الحسي للبرهنة على الغيب 74
هـ - شمولية الخطاب وتنوعه 76
و - كشف حجج الخصوم وإبطالها 77
1 - حجة التقليد 78
2 - حجة الإيمان بالحس والمشاهدة 78
3 - المجادلة والمناقشة 80
4 - التحدي الإعجازي 81
5 ــ التحدي الاستكباري 81

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: أساليب إثبات العقيدة والدفاع عنها في القرآن الكريم 83
المطلب الأول: الأسلوب الوجداني:(مخاطبة الوجدان) 83
أ – الفطرة وماهية الإنسان 83
ب– طريقة القرآن في خطاب الفطرة 89
1 – التذكير بالنظر في خلق الله 91
2 – التذكير بالاستفهام 92
3 – التذكير بذكر الأحداث والمواقف العملية الحياتية 93
4 – التذكير بضرب الأمثال 94
المطلب الثاني:النظر في الآفاق والأنفس(مخاطبة الحس) 96
1 – الملاحظة في المعرفة الحسية القرآنية 97
2 – التكرار لتحقيق الإيقان 98
3 – دور الحواس المعرفي(وظيفتها) 100
4 – خطاب الحواس بأسلوب القسم 104
المطلب الثالث: الأسلوب العقلي (مخاطبة العقل) 106
أ ــ مكانة العقل وأهميته في القرآن الكريم 107
ب ــ ماهيته 107
ج– مجالاته ووظائفه 108
1 ــ مجالاته 109
2 ــ وظائفه 113
د– أساليب الاستدلال العقلي 117
أولا: الأمثال والأقيسة 117
ثانيا: الجدل 123
الفصل الثالث: دواعي تجديد المنهج وأسس منهج علم العقيدة المعاصر (المنهج العلمي) 129
التمهيد 130
المبحث الأول: دواعي تجاوز الأدلة القديمة وتجديد المنهج 133
المطلب الأول: قصور الأدلة القديمة وعدم ملاءمتها للواقع المعاصر والمنهج القرآني 133
أولا: أهم الصور الاستدلالية 134

أ ــ دليل الجوهر الفرد..... 134
1 ــ التعريف به..... 134
1 ــ عيوبه..... 137
2 ــ دليل الجوهر الفرد في ميزان العلم المعاصر..... 142
ب ــ دليل الممكن والواجب:..... 148
1 ــ مفهومه..... 148
2 ــ عيوبه..... 150
ج- دليل التمانع:..... 154
1 ــ صورتا الدليل:..... 154
2 ــ عيوبه..... 155
ثانيا: أهم الأسس المنهجية لأدلة المتكلمين..... 157
1 ــ فكرة الدور..... 157
2 ــ مقدمة: "بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول"..... 162
3 ــ المنطق الأرسطي والنزعة التجريدية..... 163
المطلب الثاني: التحديات العقدية المعاصرة 169
أ - طبيعة المعرفة ومصدريتها..... 171
ب- إنكار الغيب..... 174
1 ــ إنكار الألوهية..... 175
2 ــ بشرية وتاريخية القرآن الكريم..... 177
3 ــ دعوة الخلود وإنكار البعث..... 178
ج - اغتراب الإنسان وشعوره بالإهمال..... 182
د- الانعكاسات العملية للتحديات الفكرية (التحديات على المستوى الواقعي)..... 185
المبحث الثاني: التطور العلمي وأسس المنهج الجديد 193
المطلب الأول: التطور العلمي المعاصر وصلته بالدين (العلم والإيمان) 194
المطلب الثاني: صلة علم العقيدة بالعلوم الكونية..... 204
أ ــ عند المتقدمين..... 205
1 - ابن حزم..... 205
2 - الراغب الأصفهاني..... 206

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3 ــ أبو حامد الغزالي..... 206
4 ــ فخر الدين الرازي..... 208
5 ــ ابن تيميه وابن القيم الجوزية..... 210
ب – عند المحدثين والمعاصرين..... 212
1 – حسين الجسر..... 212
2 – بديع الزمان سعيد ميرزا النورسي..... 214
3 – وحيد الدين خان..... 219
4 – عبد المجيد الزنداني..... 226
5 – هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة..... 229
المطلب الثالث: أسس المنهج الجديد (المنهج العلمي المعاصر)..... 234
أ ــ المعرفية والعلمية في المنهج..... 234
1 ــ المعرفية في المنهج (أو نسبية العلم الإنساني)..... 234
2 ــ العلمية في المنهج..... 237
ب ــ المرجعية النصية (القرآن والسنة) والقرائية..... 240
ج – الواقعية في المنهج..... 241
د– اتخاذ الأسلوب السلس البسيط الواضح للكلام..... 243
الفصل الرابع: الاستدلال العلمي على حقائق الدين الإسلامي..... 245
تمهيد: أهمية الاستدلال العلمي..... 246
المدخل: مفهوم الإعجاز العلمي..... 257
أ ــ تعريفه..... 257
ب ــ أوجه الإعجاز العلمي وأهدافه..... 258
ج– طريقا الاستدلال بالإعجاز العلمي..... 260
المبحث الأول: الاستدلال على صدق الخبر الإلهي..... 263
المطلب الأول: في الآفاق..... 264
الموضوع الأول: حفظ الأرض..... 264
أ ــ دورة المياه في الطبيعة..... 267
ب ــ طبقات الغلاف الجوي..... 270

ج- المجال المغناطيسي للأرض..... 272
الموضوع الثاني: نهاية الكون (الانقلاب الكوني)..... 276
أولا: نشأة الكون (خلق الكون)..... 277
أ ــ بداية النشأة (السحابة والانفجار الكبير)..... 279
ب ــ الفضاء الخارجي..... 280
1 ــ المجرات والنجوم والشمس..... 280
2 ــ الكواكب السيارة..... 282
ثانيا: نهاية الكون..... 284
أ ــ الموت الحراري للكون..... 284
ب ــ أحداث الأرض والسماوات يوم القيامة بين القرآن والعلوم الكونية..... 285
1 ــ أحداث الأرض..... 286
1 ــ 1 ــ الزلزلة والبراكين..... 286
1 ــ 2 ــ نسف الجبال وزوالها..... 289
1 - 3 ــ اشتعال البحار وانفجارها..... 290
2 ــ أحداث السماوات..... 291
2 ــ 1 ــ السماء عموما..... 291
2 ــ 2 ــ النجوم والشمس..... 292
2 ــ 3 ــ الكواكب والقمر..... 294
2 - 4 ــ نهاية السماوات (المجرات) وحلول الظلام..... 294
المطلب الثاني: في الأنفس..... 297
الموضوع الأول: الناصية..... 297
أ ــ مفهومها..... 297
ب ــ التفسير العلمي المعاصر..... 300
1 ــ حقائق عامة..... 300
2 ــ الناصية ووظيفة الفص الجبهي..... 301
ج - الأدلة العلمية على صحة هذه الحقائق..... 305
- الدليل الأول..... 305
- الدليل الثاني..... 306

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

د- الاستنتاج 307
هـ وجه الإعجاز 311
الموضوع الثاني: بداية الوجود الإنساني بين القرآن الكريم والعلم المعاصر وآثارها العقدية التربوية . 313
تمهيد 313
أ - بداية الوجود الإنساني في القرآن الكريم 316
1 ـ ما قبل الوجود الإنساني 316
2 ـ بداية الوجود الإنساني 318
2 ـ 1- الإعلام الإلهي بخلق الإنسان 319
2 ـ 2 - انفعال البيئة الكونية بوجود الإنسان 320
2 ـ 3 -حادثة الخلق 321
ب - بداية الوجود الإنساني بين نظرية التطور والأبحاث العلمية المعاصرة 327
1 - السجل الجيولوجي 328
2 - الطفرات (التحولات الوراثية) 336
ج- آثار عقيدة الخلق ومقولة التطور في حياة الإنسان 341
1 - الأثر المعرفي 341
2 - الأثر الأخلاقي أو الشعور بالعدوانية 342
3 - الإنسان والبيئة أو الشعور بالدونية 346
4 - مكانة وقيمة الإنسان في الوجود 346
المبحث الثاني: الاستدلال على عدل الأمر الإلهي 349
تمهيد 349
المطلب الأول:الطهارة والطب الوقائي 351
أولا:التعريف بالطب الوقائي وعلم الكائنات الدقيقة 352
أ - تعريفه 352
ب- الكائنات الدقيقة وأضرارها 352
ثانيا: الطهارة في الإسلام 356
أ-مفهومها وأهميتها 356
ب- تأثير الغسل والوضوء على نظافة الجسم 358
1 - الغسل وطهارة الجلد من الجراثيم 359

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2 - الوضوء والقضاء على جراثيم الجلد المكشوف 359
3 - المضمضة والوقاية من أمراض الفم..... 362
4 - تأثير الوضوء على نظافة الأنف 365
5 - نظافة السبيلين(الاستنجاء)و الوقاية من الأمراض 367
6 - سنن الفطرة ونظافة الفرد 371
ثالثا:وجه الإعجاز 372
المطلب الثاني: الصلاة والوقاية من مرض دوالي الساقين..... 376
أولا:الصلاة في الإسلام مفهومها وأهميتها 376
1 - مفهومها 376
2 - أهميتها 377
ثانيا:دوالي الساقين ونتائج البحث العلمي..... 378
ثالثا: علاقة الصلاة بدوالي الساقين..... 381
أ ـــ نسبة المصلين وعلاقة ذلك بدوالي الساقين. 381
ب ـــ نسبة مادة الهيدروكسي برولين والصلاة. 382
ج - الصلاة وأثرها في الضغوط على الوريد الصافن. 382
د - تنشيط الدورة أثناء حركات الصلاة. 384
أولا: نموذج السجود كحركة من حركات الصلاة وما يحدث أثناءه. 384
ثانيا: الرفع من السجود (الجلوس)..... 388
رابعا: وجه الإعجاز..... 391
الخاتـــــمة 396
قائمة المصادر والمراجع..... 415
الفهارس 441
فهرس الآيات القرآنية 442
فهرس الأحاديث 466
فهرس الأعلام 468
فهرس الأشكال والصور..... 472
المحتويات 474

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكل رقم 12-1

كواكب المجموعة الشمسية التسعة في مدارها حول الشمس.

﴿كل في فلك يسبحون﴾ (الأنبياء 33)

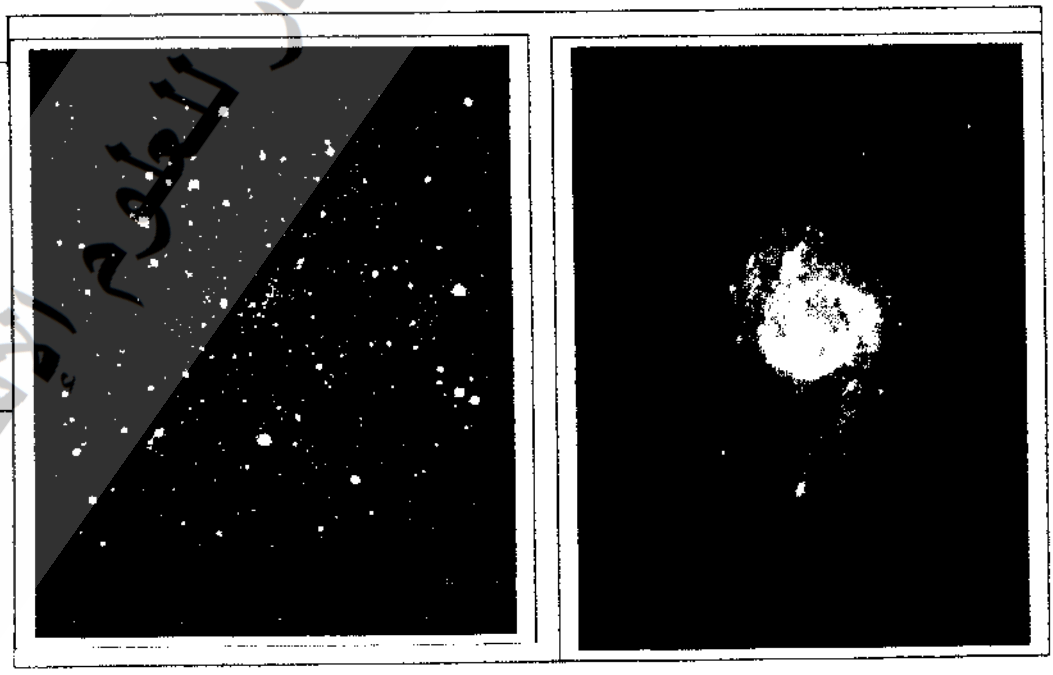

الشكل رقم 12-2:

على اليمين: مجرة حلازونية تحتوي على ما يقرب 400 مليار نجم.

على اليسار: تحتوي هذه المنطقة من الكون آلاف المجرات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكل رقم 13: كتاب قصة خلق الكون

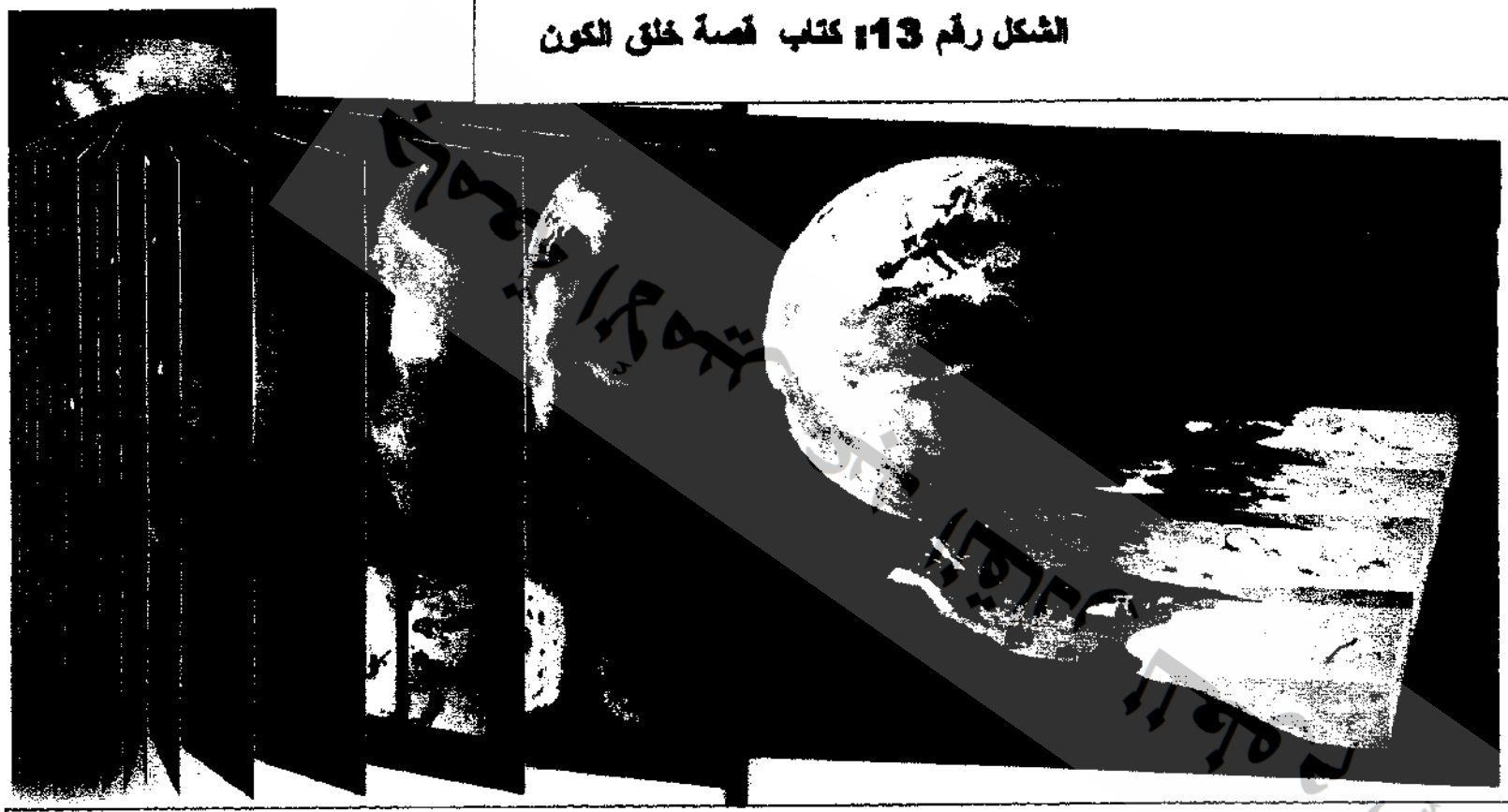

المصدر: موسوعة La nature .t3.p 7

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُه

وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (الأنبياء **104**)